

أفوز الجندى

صَفَحَاتُ مُضِيَّة

مَنْ تَرَى الْإِسْلَامَ

ذَا الْإِعْظَامِ

أنور الجندی

صَفَحَاتُ مُضِيَّة

صُنْتُ لَكَ الْإِسْرَافَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مقدمة

لكل أمة تراث هو عصارة فكرها وعقائدها وحصيلتها جهدها العقلي والروحي والتراث الإسلامي هو بمثابة الجهد البشري في تفسير الموروث الإسلامي الذي جاء به القرآن والوحي وقام عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنته وسيرته ولا بد دائما من أن تكون التفرقة واضحة بين التراث وبين الميراث وأن تكون قادرين على الوضوح الكامل إزاء فهم كلمات ( القديم والماضي والتراث ) وعلاقتها بذلك الموروث الإسلامي الأصيل وأن تكون قادرين دائما على التفريق بين الإسلام باعتباره ديناً ومنهج حياة له ثباته ورباطته وقديسيته الممتدة في القرآن الكريم والسنة النبوية وبين التراث الذي هو اجتهاد المسلمين في تفصيل هذا التراث وتعميقه والاستجابة له خلال العصور والظروف والأحداث والبيئات .

ولقد كان التراث الإسلامي هدفاً للسخرة والانتقاص من خصوم الإسلام ودعاة التغريب في إطار الحملة الموجهة إلى اللغة العربية وعمادو الشعر والشريعة الإسلامية وتاريخ الإسلام ، وذلك رغبة في إقصاء الشباب المسلم المثقف عن هذا الورد النهر الذي يكشف عظمة الميراث الإسلامي الذي كان على مدى التاريخ نورا وضياء لكل النهضة التي قامت في بلاد الإسلام بهدف تحقيق المجتمع الرباني والتماس منهج الله تبارك وتعالى .

ولا ريب أن تراثنا الإسلامي في مجال الاجتماع والقانون والتربية والسياسة حافل بذخائر تجد البشرية نفسها اليوم في حاجة إلى أن تتعرف عليها وتنتفع بها وقد اعترفت بها مؤتمرات عالمية وكتب عنها علماء منصفون أمثال درابر وجوستاف لوبون وتوماس كارليل وسجريد هونكة وموريس بوكاي .

إن لدينا مفاهيم أصيلة في بناء المجتمع وتكوين الفرد صاغها الإسلام الذي أعطانا ناهوس الحضارات وقانون قيام الأمم والمجتمعات وسقوطها ولقد كان القرآن هو منطلق نهضة العلم التجريبي وهو الذي أعطى المسلمين القدرة على بناء هذا المنهج الذي قامت عليه الحضارة الحديثة .

وما يزال هذا التراث الاسلامى المتثور يهذى الى الحق ، ويكشف  
لاهل الاسلام عظمة دينهم ويهذى البشرية كلها الى الضياء الحق ،  
بعد ان فسدت الابدولوجيات والمذاهب القريبة فى ان تقدم للناس مطامح  
النفوس وهذى القلوب .

ان موروث المسلمين هو القرآن والسنة وعنهما صدر ذلك النتائج  
العظيم من التراث الحافل الذى نحاول فى هذه الصفحات ان نكشف عنه  
وان نقدم منه لمحات قليلة لا نقصد بها الا ان نرد الى قلوب شبابنا الايمان  
بعظمة هذا الدين وفضل هذه الامة على العالمين ويطولتها وكرامتها التى جعلت  
هذا الضياء اربعة عشر عاما والتى هى مطالبة بان تقدمه الى الناس جميعا  
ليستضيئوا به بعد ان اظلمت امامهم الحياة نتيجة ازمة الحضارة والانسان  
الذى اعتمد على الفكر البشرى فاحرف به الطريق .

وامانة الموروث الاسلامى تحتاج من المسلمين اليوم العمل على تطبيق  
الشريعة الاسلامية فى مجتمعاتهم واقامة منهج التربية الاسلامية القادر  
على تقديم الاسلام منهجا قرآنيا خالصا اصيلا ، لا فلسفيا ولا منطقيا  
ولا جنليا ، واتما صبغة الله ومن احسن من الله صبغة .

ولا ريب ان اخطر ما تحاول اليوم حركات الغزو التغريبي والتشعوبية  
هو ان تزيف هذه الامة بالاضافة الى الحذف واثارة الشبهات وعرضها  
على مناهج وافدة ليست منها ولا لها رغبة فى ان تخطط هذا الموروث بالتراث  
فيصبح شيئا يمكن افساده وتدميره .

نحن نعرف تماما ان الحملات الموجهة الى الفصحى والى عامود الشعر  
والى التراث والى كسر النص والى العاميات والى الحروف اللاتينية  
كلها تحاول ان ترمى القرآن الكريم عن قوس ، وان الشبهات المثارة حول  
سيرة الرسول والقرآن والوحى والنبوة والسنة المطهرة والتاريخ والشريعة  
انما تهدف الى هدم هذا التراث وتدمير القيم الاساسية للإسلام نفسه .

ومن اجل هذا كله نقدم هذه الصفحات المضيفة من تراث الاسلام لتكشف  
امام النفس المسلمة آفاق الايمان بعظمة هذا الدين وببطولة رجاله والقائمين  
عليه وايمانهم واصرارهم على نصرته ، فان من شأن هذا ان يملأ قلوب  
شبابنا بالثقة بامتهم وعقيدتهم وان يعلموا انه لا بديل لها من فكر وافد  
او منهج غريب .

والله نسال ان ينفع بهذه الصفحات وان يهذى الى سواء السبيل .

\*\*\*

## أعلام التراث

### الصفحة

#### ( أ )

٢١٣	أحمد بن عرفان
٢٢٣	أحمد تيمور
٦٦	أحمد السكندري
١٦٦	أقبال
٢٤٥ ، ٢٢٧	أمين الراقعي
١٨٣	الانريسي

#### ( ب )

٤٠٧	البيروني
-----	----------

#### ( ت )

١٦٨	ابن تيمية
-----	-----------

#### ( ث )

#### ( ج )

٣٣٨	جمال الدين الأفطاني
٣٧٢	جسوته

#### ( ح )

٢٨٠	الحاجب المنصور
٢١	أبو الحسن الندوي
٤٢٥	حسن الطويل

#### ( خ )

١٧٧	الخاليل بن أحمد
-----	-----------------

#### ( د )

#### ( ر )

٣٧٧	رشيد رضا
-----	----------

#### ( س )

٣٧١	شبلي النعماني
-----	---------------

#### ( ش )

٣٧١	الشاعر القروي
-----	---------------

( ص )

٢٢٤ ، ٤٨ ، ٢٨ ..... صلاح الدين الأيوبي

( ط )

١٩٣ ..... طارق بن زياد

( ع )

٢٣٨ ..... عبد الحميد ( السلطان )

٤١٣ ..... عبد الحميد كشك

٢٣١ ..... عبد الرشيد ابراهيم

٢٤ ..... عبد الرحمن الناصر

٢١٠ ..... عبد العزيز الكناي

٢٢٩ ..... عبد العزيز جاويز

٢٢١ ..... عبد العظيم الصديقي

٢٢١ ..... عبد المحسن الكاظمي

١٩٥ ..... عباس بن فرناس

٢٧٩ ..... عائشة لو

٢٥٧ ..... علي احمد با كثير

( غ )

٢٠١ ..... غياث الدين الكاظمي

( ف )

٤١ ..... الفتية المفرورون

( ك )

٢٢٢ ..... كامل الكيلاني

( ل )

( م )

١٨٩ ..... ابن ماجد

٢١٧ ..... المتنبي

٢٤٩ ..... محمد توفيق احمد

٤٥٣ ..... محمد حسين هيكل

٤٤٧ ..... محب الدين الخطيب

٤٤٦ ، ٢٦٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٦٦ ..... مصطفى صادق الرافعي

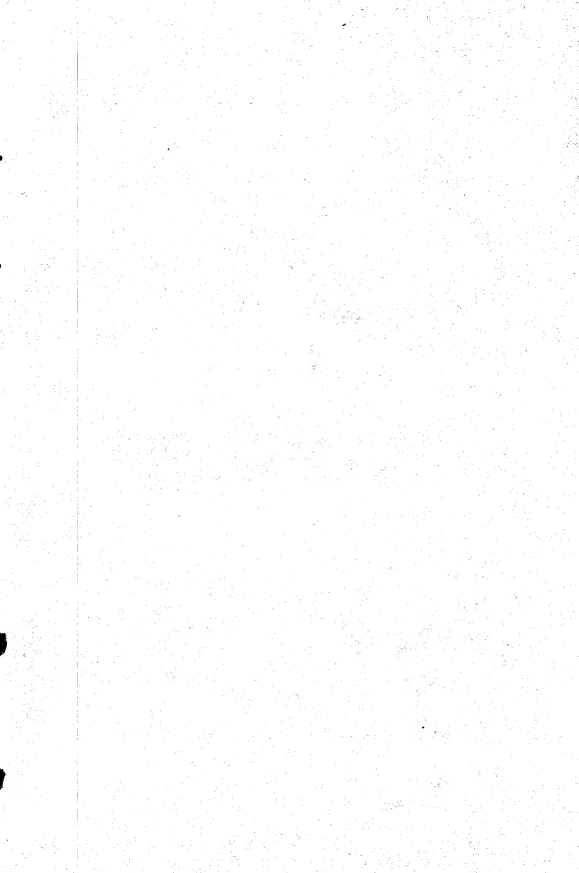
( ن )

١٩٧ ..... ابن النفيس

٤١٧ ..... نجم الدين اربكان

## الباب الأول القرآن الكريم

- ١ - قدم القرآن الكريم ٤ آلاف مسألة .
- ٢ - القرآن الكريم : مراجعة كتاب موريس بوكاي .
- ٣ - المؤامرة على القرآن الكريم .



## قدم القرآن الكريم : آلاف مسألة

قال فارس الخورى : ان القرآن اشتمل على اربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون الا الاعتراف بفضل الشريعة الاسلامية وبأنها متفقة مع العلم ومطابقة لارتقى النظم والحقائق العلمية .

والواقع ان هذا الأمر جدير باهتمام علماء المسلمين وباحثيهم وان عليهم ان يكشفوا هذه المسائل ويقيموها للناس في اسلوب عصرى فان شهادة غير المسلمين للاسلام والقرآن امر جدير بالاهتمام ، واذا تابعنا شهادات علماء القانون والعلوم وجدنا انه لن يمضى زمن كبير حتى يفرض نفسه على مجالات العلم وذلك بعد ان تحققت معجزاته في مجالين خطيرين .

### مجال الكشف العلمية ومجال القانون العالمى ..

بل ان عقيدة التوحيد نفسها لم تعد من اهل الاديان الاخرى من كشف عن عظمتها وتحدث عن عطائها ومن هؤلاء توينبى وجب وكارادى .

وتحت يدى ما يقول كارادى :

ان القرآن عرض لاحد عشر مشكلة هما من اعوص المشكلات الفلسفية واعظمها خطرا هي :

الالهية — الوجدانية — القدرة المنزهة من الانسان — مخالفة واجب الوجود لكل ما عداه من الموجودات — علم الله بجزئيات الكون المجردة واجزائه المتميزة — استحالة ادراكه بحاسة البصر — ازالة البارى — ثباته — بدء الخلق — مصير العالم فى الحياة الاخرى .

وقد اشتمل القرآن دون غيره من اى كتاب سماوى او دنى اخر سابق له منذ آلاف السنين على مشاهد القيامة وكيفية فساد الكون وانتهائه والبعث والحساب ، ووصف الجنة والنار فى تصور مخالف لاي تصور فى الذهن السابق على نزول الوحي المجدى .

واليوم يطرح الطبيب الدكتور موريس بوكاى بين ايدينا كتابه الرائع « الكتاب المقدس والقرآن والعلم » .

وهو كتاب سيظل الى وقت طويل موضع العبرة والتقدير فان هذا العالم الغربي الاصل المسيحي الديانة يكشف بعد دراسات طويلة قام بها لكل من التوراة والانجيل والقرآن ، بما لا يقبل جدلا ولا نقاشا .. ان القرآن هو الكتاب المنزل من السماء وان آياته الكونية لا تصادم آية نظرية علمية وان صدقته في هذه النظريات يؤكد انه وحى من الله انزله على خاتم الرسل سيدنا محمد عليه السلام .

يقول : ان الوحي القرآني الذي نزل عقب ستة قرون من المسيح قد احتفظ بالعديد من تعاليم من التوراة والانجيل اللذين اكثر من ذكرهما . بل وفرض على كل مسلم الايمان بالكتب السابقة ( سورة ٤ آية ١٣٦ ) كما أبرز المكاتبة المهمة التي شغلها تاريخ الوحي الى رسل الله كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ، الذي كان فيهم ذا مقام مرموق ، وقد أظهر القرآن ولادته كحدث معجز كما كرم والجنه مريم تكريما خالصا واطلق اسمها على السورة رقم ( ١٩ ) .

ولا مفر من الاعتراف بان هذه التعاليم الاسلامية مجهولة على العموم في بلادنا الغربية ، وقد يعجب البعض من هذا ، ولكن سرعان ما يزول ذلك اذا ذكرنا الطريقة التي لقن بها العديد من الاجيال قضايا الانسانية الدينية والجهالة التي تركوا فيها تجاه كل ما يخص الاسلام .

ليس هدف اطلاق التسميات « الدين المحدث » و « المحدثين » حتى ايماننا هذه هو غرس الاعتقاد الخاطيء في الأذهان بأنها تتعلق بعقائد منتشرة بعقل انسان ، وليس لك فيها « مفهوم المسيحيين » أي مكان وأن كثيرا من مثقفي المعاصرين يعنون بمقومات الاسلام الفلسفية والاجتماعية ، والسياسية ، ثم لا يتساءلون كما هو واجب عن ماهية الوحي الاسلامي . والى جانب ذلك أي ازراء لم يجابه به المسلمون في بعض الأوساط المسيحية ، لقد لمست ذلك عندما حاولت عقد حوار للمقابلة بين نصوص توراتية ونصوص قرآنية . تتناول موضوعا واحدا ولاحظت الرفض المبني لجرد اعتبار ما يتفهمه القرآن في الموضوع المطروح كما لو كان الاستشهاد بالقرآن بمثابة انتماء الى الشيطان .

ويظهر أن ثمة تفيرا جفريا يتم في ايماننا على أعلى مستوى في العالم المسيحي والوثيقة التي صدرت من أمانة سر الفاتيكان ، ووزعت فيها بعد من المجمع الفاتيكاني الثاني لغير المسيحيين ، وفيها توجيهات للحواريين المسيحيين والمسلمين .. وكانت ثالث طبعاتها بتاريخ ١٩٧٠ تشهد بعقو التغير في المواقف الرسمية . وبعد أن دعت هذه الوثيقة الى تنحية ( الصورة ) البالية الموروثة عن الماضي او المشوهة ببعض الاوهام والافتراءات التي كانت للمسيحيين عن الاسلام واصرت على الاعتراف باخطاء الماضي وانحرافاته التي اقترفتها العرب ذوو النشأة المسيحية بحق المسلمين .. انها تنتقد مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن قدر الاسلام وتمسكه بالتشريع .

٢ - ويقرر موريس بوكاي بأن الانجيل لا يعادل القرآن ولكنه يعادل



الأحاديث . أن الحديث مجموعة أقوال وروايات وأفعال محمد والأنجيل ليست  
الا كذلك بالنسبة الى عيسى .

ويقول : ولم تكن الانجيل سوى شهادات بشرية عن وقائع ماضية  
( وليس كذلك السنة النبوية ) .. ويقول أن مؤلفي الانجيل الأربعة المعترف  
بها لم يكونوا شهود عيان للأحداث التي يرونها ( نقول ولكن الصحابة  
في الاسلام كانوا شهودا لكل ما أوردته السنة ) .

ويقول : وثمة فرق اساسي آخر بين المسيحية والاسلام فيما يتعلق  
بالكتب المقدسة ذلك هو غياب النص الموحى به والمحدد في الوقت نفسه  
عند المسيحية بينما يمتلك الاسلام القرآن الذي يحقق هذا التعريف .

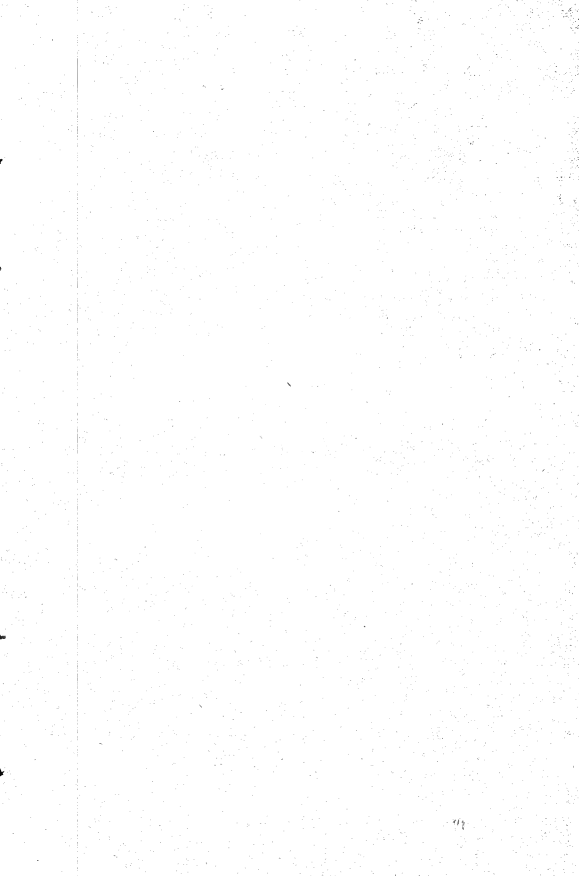
ويقول : أن القرآن هو نص الوحي المنزل على محمد من سيد الملائكة  
جبريل ، وقد كتب في الحال ثم حفظه المؤمنون عن ظهر قلب وردوه اثناء  
صلواتهم ، وقد رتب محمد آياته في سور تمثل الكتاب الذي بين ايدينا ،  
وخلافا لما جرى في الاسلام ، فإن الوحي المسيحي اتبني على شهادات انسانية  
متعددة وغير مباشرة لأننا لا نملك أية شهادة من شاهد عاين حياة المسيح  
خلافًا لما يتصوره كثير من المسيحيين .

٣ - كذلك يشير بوكاي الى امر خطير آخر هو وجود اختلافات بين  
نص التوراة والعلم بينما لا يوجد مثل هذا في القرآن .. « يقول : لقد لوحظ  
مع تطور المعرفة وجود اختلافات بين نص التوراة والعلم وقد نتج عن ذلك  
وضع خطير : هو تصادم العلماء وشرح التوراة لأنه لا يمكن القبول في الواقع ،  
بأن يكون الوحي الالهي متكلما عن شيء غير صحيح . أما القرآن  
فيختلف عن ذلك ، فانه يذكر حقائق : للعلم فيها كلمته وذلك في عدد ضخم  
اذا ما قورن بها ورد منها في التوراة .. ولا نجد واحدا من هذه كلها تصطبغ  
مع وجهة النظر العلمية .

وأعلن بوكاي خطأ معطيات التوراة فيما يتعلق بظهور الانسان على  
وجه الارض ( حيث تشير التوراة الى ان الانسان ظهر على الارض منذ  
٥٧٣٦ سنة التقويم العبري ١٩٧٥ ) .. ويقول بوكاي : انه وجد من  
دراسة القرآن الكريم عدة اسس حاسمة :

أولا : ليس بين نص القرآن الكريم ومعطيات العلم الحديث اي تعارض  
بل توافق « استبان لي انه ليس في القرآن ( تأكيد ) يمكن أن ينتقد من الوجهة  
العلمية في العصر الحديث » بينما يجد في سفر التكوين تأكيدات مناقضة  
لمعطيات العلم المعترف بها في هذا العصر .

ثانيا : ان الاسلام ينظر الى العلم والدين كتوأمين « وإن تهذيب العلم  
كان جزءا من التوجيهات النبوية منذ البداية وإن تطبيق هذه القاعدة أدى  
الى التقدم العلمي العجيب في عصر الحضارة الاسلامية العظمى التي  
استفاد منها الغرب قبل نهضته .



## القرآن الكريم

### مراجعة كتاب موريس بوكاي

ظهرت ملخصات كثيرة لكتاب « بوكاي » والترجمة الكاملة للكتاب يجري طبعها الآن في بيروت وقد عرضنا موقف بوكاي من الكتاب المقدس في الحلقة الماضية وفي هذه الحلقة نقدم خلاصة ما وصل اليه بالنسبة لموقف القرآن من العلم :

أولاً - القرآن لا يتصادم مع أي حقيقة كونية وإن الإسلام قد اتبعا العالم أصبح بنظريات لم تكن معروفة وقت نزوله . وإن الإسلام لا يقر الجبرية وقد أعلن قاعدة ( لا اكراه في الدين ) .

ثانياً - في الوقت الذي كانت أوروبا فيه غارقة في القيود والجمود قدم الإسلام المنهج العلمي التجريبي وأنجز المسلمون عددا هائلا من الأبحاث والمكتشفات . وسافر الأوروبيون إلى قرطبة لاتمام رسالتهم على يد المسلمين .

وكان للمسلمين فضلهم العلمي على الجبر ، علم الفلك ، علم الطب علم النبات ، علم الجيولوجيا .

### القرآن كتاب مبين :

ثالثاً - القرآن كتاب مبين وكله اشارات لكل العلوم ، وهذه الاشارات هي من اعجاز القرآن لأنها جاءت بحقائق لم تكتشف في عالم الواقع الا بعد اربعة عشر قرناً .

رابعاً - ان صحة القرآن لا تقبل الجدل ولا تشك في نص القرآن في هذه الصحة كل الكتب السماوية التي انزلت قبل ذلك .

وقد عرض بوكاي للآيات القرآنية الخاصة بخلق السموات والأرض :

١ - خلق السموات والأرض في ستة أيام .

٢ - تعدد السموات (سبع سموات )

٣ - رفع السموات بغير عمد .

٤ - تسخير الله الشمس والقمر دائبين .

### معطيات القرآن الكريم :

٥ - وصف القرآن الشمس بأنها ضياء والقمر بأنه نور .

يقول بوكاي : في دراستي للقرآن عجبت عندما وجدت مثل هذا العدد الكبير من المعطيات المطابقة تماما للعلم الحديث . وأهملها ذلك النص الدقيق للخلق وعلم الفلك وما يتصل بالأرض وعلم النبات والتناسل البشري .

وقال انه يوجد في التوراة عدة أخطاء علمية بينما لا نجد في القرآن خطأ واحدا ، ولذلك فأننى استعاضل كيف يمكن أن يوصف القرآن بأنه بشرى بأنها مستطاع أن يصل الى هذا القدر من المعجزات العلمية التي وصلنا إليها بعد أربعة عشر قرنا .

كذلك فقد كانت أخطاء سائدة وقت نزول القرآن فجاء القرآن وصححها وقدم الحقيقة في أسلوب لا يجد صعوبة على طاقة العقول الموجودة إذ ذاك ثم هو يمكن تفسيره بعد تقدم العلم دون معارضة ، أن هناك أشياء في القرآن لم يستطع أحد أن يفسرها وقت نزوله ، وفي كتب التفسير وقف العلماء عند هذه الآيات وقالوا : الله أعلم . ومن ذلك أن كلمة الكواكب بمعناها الحديث لم تكن معروفة وقت نزول القرآن ولا بعده بفترة طويلة .

### اليوم في

### القرآن والتوراة :

وفرق بوكاي بين كلمة يوم في القرآن ويوم في التوراة ، كلمة يوم في التوراة معناها المسافة الزمنية بين شروق الشمس وعودة شروقها ، بينما في القرآن نجد كلمة يوم تعني ( مرحلة ) وقد أعتمد في ذلك على آية سورة السجدة :

( الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ) الآية .

ويرى بوكاي أن عمليات الخلق للعالم تمت في ست مراحل تتضاعل أمامها الأيام كما تفهمها .

ويقول بوكاي إن أول وصف أذيع في العالم لكيفية التنقل في الفضاء جاء في القرآن إذ يقول : « وكل في فلك يسبحون » ومعنى هذا أن كل ما يتحرك في الفضاء الخارجي لا يتحرك بطريق المشى ولا بأي طريقة أخرى

ألا بما يشبه السباحة وقد استنخدم العلماء اليوم الكلمة التي ذكرها القرآن منذ أربعة عشر قرناً ( عبارة يسبح في الفضاء ) .

### معجزة القرآن الكريم

وأشار الى معجزة القرآن في انه وصف الشمس بانها ضياء والقمر بانه نور .

وقال ان هذا الوصف لم يرد في التوراة التي وصفت الشمس والقمر بانهما منيران ولم تميز مهمتهما ولكن القرآن أكد أن الشمس والقمر ليسا منيرين بطبيعة واحدة وقد تبين أن القمر يعكس ضوء الشمس الذي يستقبله وهذا لم يكن معروفا وقت نزول القرآن بل الذي كان سائدا أن الشمس والقمر منيران والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد فيه شيء كان سائدا في عصر نزوله ثم أصبح وهما بل على العكس .

وهكذا يتجدد الفكر الغربى ويخضع للحقائق القرآنية يوما بعد يوم وذلك مصداق قوله تعالى : ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ) .

### لماذا الحملة على الصحابة ؟

حاول الدكتور طه حسين في كتابه ( الفتنة الكبرى ) الغش من قدر الصحابة والتقليل من شأنهم والجرأة بفتح الطريق أمام شخصياتهم الكريمة العالية على نحو يضمهم في صفوف الساسة ورجال الأحزاب المتصارعين على الحكم والسلطان في محاولة تصديق ما بينهم من خلافات على نحو يقلل من اقدارهم في نظر القارئ ، وكان ذلك أول من فتح هذا الباب أمام الكتاب الذين جاؤا من بعده وأوغلوا فيه من أمثال عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد عباس صالح وغيرهم من الماركسيين . وفي نفس الوقت لم يكن طه حسين نفسه مؤرخا أو حائزا على صفة المؤرخين وقد جرى طه حسين مجرى الاسرائيليات في محاولته الخطيرة عن انكار ابن سبأ والتشكيك في وجوده وجاءت من بعد ذلك كتابات تنال من الصحابة نبلا شديدا ولقد كان يسيرا على طه حسين وعلى هؤلاء الماركسيين أن يجدوا خيوطا رقيقة يضحونها بروايات هزيلة يكبرونها ولا سيما أن بعض الذين كتبوا التاريخ قبل كانت لهم أهواء ومذاهب خاصة أوقفتهم من الشخصيات الإسلامية موقفا معينا بالتأييد أو الخصومة .

ثم جاءت موجة الكتاب المعاصرين ولها أهواء فطه حسين يريد أن يبريء عبد الله بن سبأ من مؤامراته الخطيرة لحساب اليهودية العالمية والكتاب الماركسيون يريدون أن يخدموا مذهب التفسير المادى للتاريخ وإذا كان بعض الذين عرضوا للتاريخ الإسلامى قبل كانوا شعوبيين يخفون الجوسية فإن المحدثين شيوعيون يخفون اليهودية ! .

## بطولة الصحابة :

ويبقى هؤلاء الصحابة الكرام يعد ذلك النموذج الأعلى من البطولة الإسلامية ، مرتفعين عن أهواء الصراع والتقاتل ، ولن تجدى هذه المحاولات نفعا في الإقتال من أقدارهم أو مكلاتهم ذلك أن أحداث المائة سنة الأولى من عصر الإسلام التي كانت بحق من معجزات التاريخ . أنها كانت عملا لم يعمله أحد في أمة اليونان أو الرومان وأنهم كانوا طرازا خاصا من الناس ، أولئك الذين صاغهم محمد صلى الله عليه وسلم على عين القرآن وأنهم حين يرددون هذه الخلافات التي عفا عليها الزمن لا يستطيعون أن يمسوا ذرة واحدة من شأن هؤلاء الصحابة الذين كانوا أسما أخلاقا وأصقا أخلاصا لله وترغبا عن أن يختلفوا للعالم ، وأن كان في عصرهم من الأيدي الخبيثة التي عملت على إيجاد الخلاف وتوسيعه ومن حققا أن نفرا عن سيرة البطولة كل ما التصق بها من أحقاد وظلم وعدوان لتكون صورتهم هي الصورة النقية الصادقة فتحسن القدوة بهم ولا ريب أن محاولة التشكيك في هؤلاء الرعيل الكريم هي محاولة للتشكيك في الإسلام نفسه . ولقد اعتبر التشريع الإسلامي أن الطعن فيهم هو طعن في الدين الذي هم رداؤه ، وتشويه سيرتهم تشويه للأمانة التي حملوها وتشكيك في جميع الأسس التي قام بها كيان التشريع في هذه الفترة . ولا ريب أن اتجاه طه حسين إلى الدفاع عن اليهود بانكار إبراهيم وإسماعيل أولا وانكار عبد الله بن سبا أخيرا كان بتوجيه من لويس ماسينيون الذي كشفت السيدة سوزان في مذكراتها الدور الضخم الذي قام به في توجيه طه حسين .

ومن أجل هذا نتوجه إلى العلامة الدكتور إبراهيم شعوط الذي كشف منذ وقت غرية من تلك المفترقات التي أذاعها طه حسين ، أملين أن يتابع كتيب ( الشيوخ ) فيكشف لنا ما فيه من زيوف وهو أهل العلم والفضل حتى يبين أن كتب طه حسين عن الإسلام ( الفتنة الكبرى ) وهامش السيرة وغيرها أنها هي خداع في اسمه للبراق مازال الكثير من العاملين في حقل الإسلام مخدوعين به وخاصة بعض رجال الأزهر الشريف ..

## من أمجاد تاريخنا

قدم رسول ملك الهند على أمير المؤمنين بهدية وهي أربعة أسياف هندية قواطع ، فأنسبه الخليفة ورجب به وتقبل هديته بقبول حسن ثم دعا بأحد أسيافه ووضع هذه الأسياف الهندية مجتمعة ثم ضربها بسيفه فقطعها كما يقطع الكاتب القلم .. فمحب الهندي من هذه الصناعة العجيبة التي تجلت في هذا السيف المسلم . ودهش وعهد وعهد الناس أن سيوف الهند هي سيوف الهند وكفى ، ثم سأل الخليفة أن يطلب إليه ما يشاء كفاء هديته فقتل الرسول : لا شيء إلا هذا السيف فأبى الخليفة كل الأباء ، وقال : يا هذا اطلب كل شيء إلا السلاح فقد نهانا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نقدم سلاحنا لغير المسلمين على أي سبيل كان .

## قال ربعي بن عامر :

إنما جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .. ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ..

## المؤامرة على القرآن الكريم

يقول ونستون تشرشل في كتابه « حرب النهر » : لقد عرفنا مدى اهتمام المسلمين بكتابهم « القرآن » على نحو من الضعف صرفهم عنه ، لذلك حملنا على تغيير ذلك باحتضان أمثال غلام الدين القاتاني ودعوته الى إلغاء الجهاد ..

وهكذا تتكشف أمام المسلمين خلفيات التحديت التي تواجه كتابهم الكريم في عديد من المحاولات المستمرة والمتصلة اعتقاداً من الاستعمار والنفوذ الغربي أن القرآن الكريم سيجول بين المسلمين وبين الهزيمة ، مهما بلغت قسوة الغزوة التي ساقها الظالمون في السيطرة على عالم الاسلام ..

فاذا ذهبنا نبحث وراء الحملة على اللغة العربية الفصحى والدعوة الى العايبات وجدنا أن الهدف من ذلك هو حجب القرآن عن أسلوب البيان والكتابة . وإذا بحثنا عن القوانين الوضعية وجدنا أنها تهدف الى الحلول محل الشريعة الاسلامية .. وإذا رأينا محاولات فرض مناهج في التربية والتعليم علمنا أن الهدف هو القضاء على برامج التربية والقرآن . ومن هنا أيضاً كانت الدعوة العريضة التي ساقها طه حسين وعلى عبد الرازق ودعاة التفريب من حجب الاسلام والقول بأنه ايمان قلبي وأنه لا يدخل في نطاق التنظيمات الاجتماعية والسياسية وذلك في محاولة تدمير روح القرآن الجامع بين الدين والدنيا .

ودعوة القاديائية التي حاولت أن تحجب أقوى مرائض الاسلام وهي الجهاد ومنها الدعوة الى العقلانية التي ترمى الى تزويق منهج القرآن في المعرفة الجامع بين العقل والقلب ولقد كان من أشد اثار القرآن على الفكر البشري أنه جاء جامعاً للقيم .. ( التشريع والاقتصاد والاجتماع والدين ) الى جانب العقيدة والاخلاق ، بل أنه جاء مرتبطاً باللغة وقد اعطى العربية الفصحى الخلود . ومنها كانت الدعوة الى تحطيم قداسة اللغة العربية التي اعتقد المسلمون بحق أنها جزء من حقيقة الاسلام لانها كانت ترجماناً لوحى الله ولفسة لكتابه ومعجزة لرسوله ولساناً لدعوته ولا يوجد دين حملته لغته التي أنزل بها أو كتب فيها الى أقصى المشرق واقصى المغرب ثم بقيت محافظة على قوتها وجديتها ووحدتها وطبيعتها الا دين الاسلام . أما سائر الأديان فلا تقرأ كتبها الأصلية الا في لغة البلد الذي ظهرت فيه كذلك فقد جرت دعوات الى تغليب أسلوب المنطق والفلسفة والكلام على أسلوب

القرآن فظهر من أسعوا أنفسهم المعتزلة الجند ولكن منهجهم الذى صفت له حركة التغريب فاشل غير محقق للهدف الحقيقى ذلك ان اسلوب القرآن كان ولا يزال اقدر فى الدعوة الى الله من اسلوب المناطقة والمتكلمين وحججهم ، تلك المقدمات والتقسيمات والحجج المعقدة التى تحدث اضطرابا فى القلوب الهادية عوضا عن ان تقتنمها اما البراهين المأخوذة من القرآن فانها تقتنع عقولهم وتسكن ارواحهم وترى فيهم ايمانا راسخا ذلك لان اسلوب القرآن هو اقرب الاساليب الى الفطرة ومن قديم اثار الامام الغزالى الى ان ادلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان . وادلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به احاد الناس ويستضر به الاكثرون ، بل ان ادلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع والرجل القوى وسائر الادلة كالاطعمة التى ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها اخرى ولا ينتفع بها اصلا .

بل ان الدعوة المسمومة التى تدعو الى تيسير النحو انها ترمى الى حجب القرآن ومنع فهمه هو والاحاديث النبوية وكلام الاندلسيين فالمشروع دسيسة اجنبية لمنع المسلمين من تفهم قرآنهم والعرب من تفهم آدابهم التقليدية .

ولقد جرت ابحاث كثيرة تحاول الادعاء بان القرآن من تاليف النبى محمد صلى الله عليه وسلم وقد ووجهت هذه الشبهات برود حاسمة تكشف عن آيات واضحة من القرآن تتضمن عتاب الحق تبارك وتعالى لنبية وآيات فيها امر وحسم وما كان لمؤلف القرآن ان يعاتب نفسه .

ولكنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

كذلك فقد حاولت الأبحاث والدراسات التاريخية ، كالتقويمات والعناصر والأسم التى كتبها الغربيون ان تعتمد على نصوص معرضة للشك والزيغ : العهد القديم تبين انها من كتابة الاحبار فى ابان النفى البابلى ، وتجري المحاولة لاعتبارها اساسا لدراسات التاريخ القديم مع ان القرآن الكريم اصدق منها . لقد اثبتت الكشوف الاثرية مطابقة كاملة مع ما أورده القرآن وتختلف مع العهد القديم ولكن الفكر الغربى يحاول بقدر الامكان حجب القرآن وهو النص الربانى الوحيد الباقى على الارض والموثق والذى لا يصل اليه التغير او التزييف .

ولقد جاءت تحقيقات اكثر المستشرقين يهودا ومسيحيين تؤكد اسباب الشك وان اصول الاسفار القديمة قد ادخلت عليها زيادات من تفاسير المفسرين وتاويلاتهم واعتبرت هذه الزيادات جزءا من الاسفار . أما القرآن الكريم كمصدر اساسى للتاريخ فلا يرمى اليه شك فقد تعهد الحق تبارك وتعالى بحفظه وهذه احدى معجزاته حيث لم يطرأ عليه زيادة او نقص خلال التاريخ كما اثبتت الدراسات المحايدة سلامة النص القرآنى من التعديل والتبديل فقد انفرد القرآن الكريم بذكر بعض اخبار الأمم البائدة مثل عاد وثمود التى كانت الى وقت قريب موضع شك عند غير المسلمين من المؤرخين حتى اصبحت ذات قيمة تاريخية بعد ان اثبتت الاكتشافات الاثرية اثارهم فى شمال الحجاز واليمن .



ولقد جاءت الكشوف الأثرية في الأردن : كهف قمران وكهف الرقيم مطابقة تماما لما جاء في القرآن الكريم ، ولكن الخصومة والحق مازالا يجولان بين الباحثين الغربيين وبين الاعتراف بالقرآن مصدرا واحدا صحيحا للتاريخ القديم كذلك فقد جرت محاولات الكنيسة والمفكرين الغربيين الى تحريف ترجحات القرآن التي نشروها في الغرب حتى يحولوا بين المتطلعين الى معرفة الحقيقة وبين الاهتداء الى الاسلام دين الفطرة .. فضلا عن قولهم ان القرآن من كلام محمد فهم يقولون انه مقتبس من التوراة والانجيل وكل الأبحاث الجادة تكذبهم وتكشف عن ذاتية القرآن الخاصة وانه من عند الله فقد جاء خاتما للكتب السماوية ومهيئا عليها . ولقد قدم القرآن حقائق هامة في هذا العصر حجبها الكتاب المقدس أبرزها ان ابراهيم واسماعيل هما اللذان رفعا قواعد البيت وان ابراهيم ملاك يهوديا ولا نصرانيا وان عيسى عليه السلام لم يصلب كما انه يحض نظرية السامية في اللغة والعنصر .. ويرى انها محاولة لحجب الحنيفة الابراهيمية واعلائها الى جد سابق لم يرد اسمه صراحة في القرآن وذلك حقا من مؤرخي اليهود الذين ينكرون ترابط دين ابراهيم بدين محمد وينكرون أن وعد ابراهيم هو للصالحين من ذريته سواء اكانوا يهودا أم نصارى أم مسلمين وينكرون أن هذا الوعد لابنى ابراهيم اسحق واسماعيل على السواء .

وأصح ما يقال في هذا المجال هو ما قاله فريد وجدي ان الزمان عجز عن ابطال شيء من القرآن الكريم او نقص آية او ابطال حكم او تكذيب خبر فضلا عن ان التحدى الرباني بالنسبة لاعجاز القرآن مازال قائما منذ أربعة عشر قرنا .

وما تزال الحملة على القرآن ممتدة على العصور يحمل لواءها الملحدون والفلاسفة والشعوبيون الذين تحركهم قوى الاستعمار والصهيونية والشيوعية بهدف الحيلولة دون تطبيق المسلمين لقرآنهم والايمان بانه هو المصدر الوحيد لمنهج الحياة الصحيح . وقد تبين أن محاولات الاستشراق الممتدة كلها ترمى الى هدم مقدرات الاسلام والتأثير على علاقة القرآن باللغة العربية .

وتحاول المترجمات الغربية ان تؤثر في منهج الفكر الاسلامي وتحويله عن مصادره القرآنية وقد حدث هذا من قبل ابان الترجمة في القرن الثالث الهجري ، ولقد تنبه الابرار من اعلام الاسلام الى هذه المؤامرة وكشفوا زيفها وحطموا المخططات التي كانت وراءها . ونحن اليوم اشد حاجة الى مثل ذلك .. وعلينا امانة للفكر الاسلامي الحديث ان تكون باللغة العربية الفصحى اساسا وأن تعتمد منطق القرآن متصلا لترجمة المصطلحات الحديثة الى العربية حتى نقيم اطارا اسلاميا عربيا للتكنولوجيا الاسلامية .

### يقول السيد ابو الحسن الندوى :

لبقاء لدين ولا بقاء لشريعة ولا بقاء للغة الا بقاء الامة التى نزل في لغتها هذا الكتاب الخالد وشرع في لغتها هذا الدين العالى .

لقد اندثرت امم فاندثرت ادیان وقد يسبق اندثار الامة اندثار الدين ،

وقد تندثر أمة وقد تطوى من سجل التاريخ ومن سجل العالم فيأتى دور الدين الذى كانت تدین به . وقد يندثر دين لانه قد ادى رسالته وفق صلاحيته ثم تندثر هذه الأمة التى كانت تدین به .. أما القرآن فانه مضمون البقاء مضمون الخلود ، مكفول القراءة ، مكفول التلاوة ، مكفول الفهم كما قال الله تبارك وتعالى ( ان علينا جمعه وقرآنه ) .

وقد تحقق ان هذه الأمة العربية كانت ولا تزال باذن الله مكفولة البقاء مكفولة الحياة فانه لامائدة من بقاء هذا الكتاب اذا ضاعت اللغة واذا ضاع اهلها فمن يفهمه ومن يفسره ومن يفهم مبادئه ومضمونه ومكوناته . ان هذه الأمة تبقى مهما توالى النكبات وتتابعت الأزمات لانها صاحبة الرسالة الاسلامية وصاحبة النبوة الاخيرة وصاحبة الكتاب الاخير .

\*\*\*

### من اجداد تاريخنا

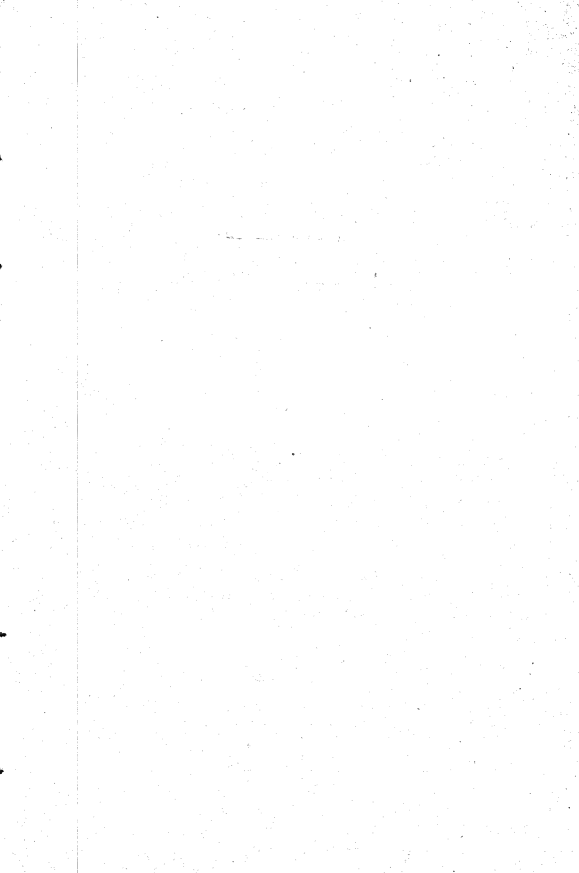
بينما المسلمون يقتحمون نهاندا في فتح الفتوح ، كان عمر في المدينة يتسقط الانباء ، لا يذوق النوم الا قليلا ، يقضى سائر ليله يستنصر الله لجنده ، فلما كانت الليلة التى قدر للقائهم جعل يخرج ويلتبس الخبر وقد البى في روعه ان الله نصر جنده وانجز وعده ، وكان حذيفة قد بعث طريف بن سهم ليسرع بالخبر الى المدينة فلما بلغها وساله عمر ذكر له ما انعم الله به على المسلمين وهرعوا الى المسجد فصلوا ثم خرج عمر في جماعة من أصحابه وكلهم الشوق ان يعرفوا مزيدا من الخير وامعنوا في الطريق الذى يؤدى الى فارس فبصروا عن بعد براكب فسأله عمر عما وراءه قال : البشرى والفتح ، قال عمر ماذا فعل النعمان قال : زلت فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد ، قال عمر : انا لله ولم يتمالك ان بكى حتى نشج فلما سكنت سورة الحزن سأل عمر قتل من المسلمين فذكر له اعيان الناس واشرافهم ثم قال : وآخرون من انفاء الناس لا يعرفهم امير المؤمنين ، قال عمر : ما ضرهم الا يعرفهم عمر ، لكن الله يعرفهم .. وقد اكرمهم بالشهادة ..

قالوا ...

قال هاملتون جب : المسلمون اول من ألف في مقارنات الانبياء والنحل لانهم كانوا واسعى للصدر تجاه العقائد الأخرى وحاولوا ان يفهموها ثم انهم اعترفوا بما اتى قبل الاسلام من بيانات توحيدية ويحظى ابن حزم في هذا المجال بالنصيب الأوفر .

## الباب الثاني التراث الإسلامى

- ١ - أصالة التراث الإسلامى .
- ٢ - تراث الإسلام .
- ٣ - ٥ آلاف مخطوطة عن الفلك الإسلامى .
- ٤ - رحلة الأرقام العربية الى أوروبا .
- ٥ - لابد للعرب من نظام تصنيف أصيل .
- ٦ - هذه الحملة المسعورة .
- ٧ - زوايا خاصة فى التراث العربى .
- ٨ - أحياء الأساطير الجاهلية .
- ٩ - الإسلام هو الذى جعل المسلمين عظماء .
- ١٠ - سرقة التراث .



## أصالة التراث الإسلامي

تستطرد في السنوات الأخيرة دعوات حول التراث الإسلامي تحاول أن تريف جوانبه الإيجابية وتعلو من شأن جوانبه السلبية وتدعو إلى الانتقائية وتحاول أن تفسره تفسيراً ملغياً أو اقتصادياً أو روحياً ، وهي في هذا كله تخضع التراث الإسلامي لمناهج غير مناهجه وتتحكم فيه تحكما يفرجه عن حقيقته وجوهره .

١ - والواقع أن التراث الإسلامي لا يدرس ولا يحلل إلا في إطار الإسلام نفسه ويقتضى التفرقة فيه بين الأصل السماوي الذي جاء به الوحي وما يتصل به من السيرة والسنة التي صدرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المبلغ المعصوم ، وبين اجتهادات العلماء والفقهاء والمفسرين في جوانب التراث المختلفة التي يمكن أن توصف بأنها استجابات للعصور والبيئات المختلفة .

٢ - كذلك فهناك ذلك الحوار الذي جرى بعد ترجمة الفلسفة اليونانية بين مفهوم السنة الجامع وبين الاتجاهات الكلامية والاعتزالية والفلسفية والصوفية التي جرت في سبل مختلفة وخضعت في مراحل منها للفكر الهليني ثم استصفاها المفهوم الجامع وتحرر من تبعية الفلسفات الوافدة .

٣ - وفي مرحلتين من مراحل تاريخ الفكر الإسلامي استعلى شأن الاعتزال ثمة ثم استعلى شأن التصوف الفلسفي ، ولم يكن هذا الاستعلاء بالحق ، بل كان انحرافاً عن مفهوم الإسلام الجامع المتكامل بين عقلانية الاعتزال ووجدانية التصوف الفلسفي ، ولقد صنف الفكر الإسلامي هذه المرحلة بكتابات الإمام الغزالي وابن تيمية وابن القيم من بعد حتى أنه لا يمكن استعراضها إلا في ظل هذا الحوار الجامع وبحيث لا يمكن القول بأن أحد هذه الفروع الثلاثة يمكن أن يمثل وحده مفهوم الإسلام .

٤ - كذلك فإن تراث الأجيال المتأخرة وخاصة ما يتصل منه بالحواشي والمتون على الكتب القديمة فإنه ينظر إليه في ضوء تحديات عصره ، وكل ما يتصل بالتجسيعات التي قام بها المفكرون المسلمون بعد حيلة التنازل على بغداد وبعد الحروب الصليبية .

ذلك أنه من خلال هذه المراحل والمواقف يجيء طلاب الشبهات فيثيرون

مسألة أو قضية أو يحاولون أن يصوروا الإسلام من خلال بعض هذه الآثار ولكن النظرة الصحيحة للتراث يجب أن تكون سليمة الاتجاه بأن التراث الإسلامي الصائب هو ما كان متصلاً بالنباع الإسلامية وقريباً من عهد الرسول وكان محرراً من تلك المحاورات التي كان للفكر اليوناني أثره فيها .

وانما نجد اليوم من يدعو إلى ( تجديد الفكر العربي ) بإعلاء دور الفلسفة ( الفارابي وابن سينا ) أو إعلاء الفكر الباطني ( ابن الروندي ورسائل اخوان الصفا ) وهي من مفاهيم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها وكل هذا الفكر في صورته المختلفة لا يمثل التراث الإسلامي الاصيل ، وانما هو من الفكر الدخيل الوافد الذي نقلته الترجمات الفارسية واليونانية والبيزنطية .

وقد قاوم الفكر الإسلامي في عديد من رجاله الأعلام هذه التشبهات والسموم . وكشف عن زيفها وانحرافها عن مفهوم التوحيد الخالص .

هذه الجوانب البناءة هي التي تمثل أصالة التراث الإسلامي وهي وحدها التي يجب تجديدها وأحيائها لتكون قوة متجددة للفكر الإسلامي الحديث ، أما تلك الجوانب السلبية المنحرفة التي شجبها مفكرو الإسلام من قبل فثابتها ليست جذيرة بالاحياء والاتباع ، أما هؤلاء الذين يحاولون احيائها فهم دعاة التغريب والغزو الثقافي متابعين فيها هدف الاستشراق الغربي الذي يثير شبهة ترمي إلى القول بأن هناك أثراً للفكر الهليني في الفكر الإسلامي يمكن أن يكون سبيلاً إلى القول بأن للفكر الغربي المعاصر أثراً في الفكر الإسلامي الحديث .

ولقد أثار الكثيرون فكرة « التوقع حول التراث » وينتقدون المسلمين في هذا الأمر ، بينما يكشف هذا عن أصالة جذيرة الإعجاب ذلك أن المسلمين قد اعتصموا حول تراثهم حين وقعوا في أسر الهزيمة والاحتلال فقد رفضوا أن ينماعوا في الأنون الغربي الذي حاول احتواءهم ، وحرصوا على الاعتصام بقيمتهم وتراثهم باعتبارها المصدر الوحيد لقوتهم وانصارهم ، ولا ريب أن أية أمة لها قدر من الأصالة يجب أن تعتصم بتراثها وتحافظ عليه أبان الغزو العسكري والسياسي ، وأن تجعله جداراً يحميها من الغزو الثقافي .

وما يزال المسلمون والعرب يستلهمون تراثهم وينظرون إليه نظرة أصيلة ليست منحرفة نحو التقديس أو الاحتقار ولكنها نظرة واقعية عاقلة . ترى أنه مرآة لما مر بالمسلمين والعرب . فالجوانب الإيجابية منه تضيء الحاضر والجوانب السلبية منه تعطي العبرة لمثيلاتها ولذلك فإن الدعوة إلى انفعال العصر الحديث في مجال الفكر أو التراث أو الأدب هي زيف الاستشراق وأثم التغريب ، فهي محاولة قطع الصلة بين الحلقات المتتابعة للامة الواحدة . ولا ريب أن المسلمين والعرب كانوا دائماً يلتمسون أصالتهم ومنابعهم كلها كرتهم الكوارث أو الدلهمات في وجههم الخطوب .

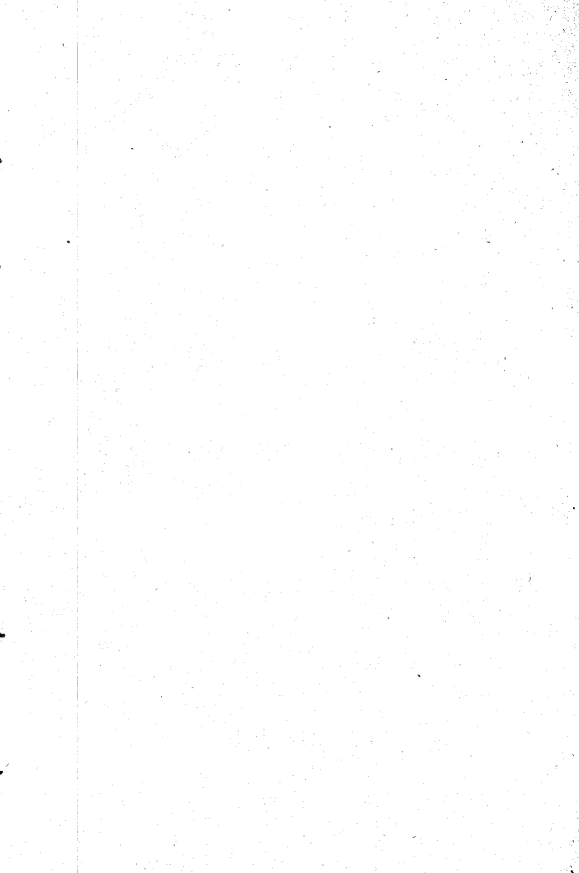
لقد جاء الاسلام بالضوء الكاشف والحق المبين عندما كشف امر الفكر الوثني القديم : هذا الفكر الذي جرت محاولات تجديده بعد عصر الترجمة وكان علماء الاسلام قادرين على إحضار هذه المحاولات ، وبيجيء اليوم من يعاود تجديد هذه الشبهات واثارتها واعلاءها ووصفها بأنها الجوانب العقلانية أو الإيجابية لأنها مما اتصل بالفكر اليوناني والهليني والوثني بينما حجب الجوانب الأصلية التي يتمثل فيها مفهوم الاسلام الجامع ولم يكثر لها . لقد كان المسلمون والعرب يؤثرون أسلوب التفتح على فكر الأمم دون أن يعطوه القدرة على احتوائهم أو السيطرة عليهم ويضعون ضوابط لهذا التفتح تحفظ لهم ذاتيتهم وشخصيتهم وطابعهم الرباني الخالص .

ولا ريب أن التعلق بالتراث ليس هروبا من العصر ، لأن هذا التراث إنما يعطى « روح » الأصالة التي لا تحول مطلقا دون التفتح والتقدم والعصرية ، وإنما تحول دون الاحتواء والانحواء والسقوط في هوة التبعية وما يزال التراث الاسلامي لم يكتشف بعد ، وما تزال فيه قيم نابضة بالحياة . ولا ريب أن ما كشفه المفكرون الغربيون في ميدان الشريعة الاسلامية من نظريات وقوانين وحلول للقضايا جدير بأن يؤكد هذا المعنى ويزيف دعوى خصوم العرب والاسلام ، الذين يخشون انبعاث المسلمين والعرب من تراثهم وقيمهم التي ما زالت مدفونة في الكتب الصفراء لأن أحدا لم يستخرجها بعد ولم يستعملها في حل معضلات العصر .

ولا ريب أن تراثنا في مجال الفقه والشريعة الاسلامية ، لا يزال يمثل كنزا مخبوءا لم يتم استكشافه تماما ، وهذا هو ما يغضى عنه خصوم التراث بينما يجد فيه رجال القانون في الغرب منجما ثرا لعشرات القضايا والحلول والاجابات الجديدة كل الجدة على عصرنا هذا . كذلك في مجال فهم النفس الانسانية البشرية والأخلاق والمثل فإن هناك ثروة لا تقدر . وفي الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع والأخلاق ذخائر حية جدرة بأن تعرفها البشرية مجددا وتنفع بها .

أما ما يتصل بالعلوم فإن انبعاث هذا التراث هو بمثابة إقامة الحجة على الذين ينكرون الدور الضخم الذي قام به المسلمون في مجال بناء قاعدة العلم والتكنولوجيا وخاصة في بناء المنهج العلمي التجريبي الاسلامي . ولا ريب أن إيماننا وشبابنا في شدد الحاجة الى أن نضع بين أيديهم من التراث ما يتأكون به من صدق هذا الأثر الضخم ذلك أن مناهج الدراسة لم تقدم لهم هذه الحقائق وقدمت لهم العلوم الحديثة منفصلة عن أصولها الاسلامية العربية الأولى .

كذلك فنحن في حاجة شديدة الى التماس أسلوب الأصالة في تجديد التراث وأن يكون القائمون عليه مؤمنين بامتهم وعقيدتهم فيجعلوا منه مطلقا للنهوض والتجديد والبناء والتقدم ولا يكونوا عاملين على إبراز شبهات الشعوبيين والباطنيين والملاحدة ، وأخطاء الزناقة القدامى ، أو إحياء شعير شعراء المجون ، أو ما يتصل باهل الباطل والضلال على النحو الذي عرف عن بعض من تصدوا لإحياء التراث من دعاة التغريب ورجال الغزو الثقافي .





## تراث الإسلام

### تراث الإسلام الذى احرق واغرق ونهب

قال ول ديورانت : ليس ما نعرفه من ثمار الفكر الإسلامى ( ٧٥٠ - ١٠٥٠ ) إلا جزءاً صغيراً مما بقى من تراث المسلمين وليس هذا الجزء الباقى إلا قسماً ضئيلاً مما أثمرته قرائحهم ، وليس ما أثنىناه إلا نقطة من تراثهم ( ج ٢ م ٤ قصة الحضارة ٢١٢ / ٢١٣ ) .

والحق ان تراث الإسلام خلال العصور المختلفة والحملات الغادرة قد حرقه التتار والصليبيون والاسبانيون والقى فى مياه دجلة والتهتمته النيران ، ومحاكم التفتيش . أما ما سلم منه فقد نهب ووزع على مكتبات أوروبا .

### اكريمينيس

فى عام ١٤٩٩ أمر الكردينال اكريمينيس مطران طليطلة بجمع الكتب والاثار العربية فى غرناطة ونظمها اكداًساً فى ساحات المدينة ، واحتفل باجرائها ، ولم يستثن منها سوى ثلاثمائة كتاب من كتب الطب وبلغ ما أحرق فى ساحات غرناطة ٨٠ ألف مجلد .

وقد توزعت كتب التراث على عشرات المكتبات فى أوروبا حتى ان فهرس المخطوطات العربية فى مكتبة برلين وحدها كان يملأ حتى عام ١٩٣٠ عشرة مجلدات ضخمة وان أحد طلاب جامعة برستون القدامى أهدى الى المكتبة سنة آلاف مخطوط عربى .

تقول الدكتورة بنت الشاطىء : رحم الله أجدادنا ، فقد وضعوها بضاعة رخيصة لا تساوى وزنها ورقاً عند خدام دور العبادة الذين كانوا حتى مطلع القرن العشرين هم حراس تلكم الكتوز ، ورحم الله أجدادنا وضعوا ثروتنا الفكرية والروحية فى بيوت الله وهم يحسبون انها هناك يمان من الضياع ولم يدروا انه سوف يأتى حين من الدهر ياتمر فيه خدام دور العبادة على التراث الغالى دون رقيب فيبيعون نفائسه بالكوم لتجار الحلوى والبقول .

وقد اشار الكونت فيليب دى طرازى فى كتابه ( خزائن الكتب العربية ) ص ١٩٠ ، طبع بيروت : أن خادماً يدعى ابن السليماني فى منتصف القرن

التاسع عشر ، كان حارسا لثلاث مكتبات كبرى في مساجد القاهرة باع  
اكاداسا من مخطوطات المكتبات الثلاث ... الخ .

\*\*\*

### بالرغم من تحريف التوراة فقد سجلت نزول الرسالات الثلاث في سيناء وساعير وفاران

تدل المراجع الصحيحة على أن اليهود غيروا ( التوراة ) أبان السبي  
البابلي على نحو ما سجل عليهم القرآن الكريم وأكدت ذلك الأبحاث  
التي أجراها الباحثون الغربيون في السنوات الأخيرة غير أن ( التوراة )  
المكتوبة بأيدي الأخصار قد غفلت عن نص ما زال حتى الآن يسجل نبوة  
مخيد صلى الله عليه وسلم ، ذلك هو ما ورد في السفر الخامس تثنيته  
( ٢٣ ) - ٢ وذلك هو :

( اتبل الله من سيناء وتجلى في ساعير وظهر في جبال فاران ) .

قال ابن القيم في كتابه هداية الحيارى الى اجوبة اليهود والنصارى :  
هذه بشارة متضمنه التوبات الثلاث .

مجيئه من سيناء وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وتجليه في ساعير  
هو مظهر المسيح من بيت المقدس .. وفاران هي مكة التي ظهر فيها النبي  
محمد صلى الله عليه وسلم . وقد أورد القرآن الكريم هذا النص بصورة  
أشد روعة وقوة ( والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين ) .

### كلمات مضيئة

سأل معلوية يوما رجلا من أصحاب علي : هو ضرار بن حمزة فقال له :  
صف لي عليا ، قال ابن حمزة : اعفني يا أمير المؤمنين ، قال له معاوية :  
لا بد من ذلك .. قال ابن حمزة : أما إذا كان لابد من ذلك فانه كان والله  
بعيد الذي شديد القوى ، يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه ،  
وتنطق الحكمة من نواحيه ، يعجبه من الطعام ما خف ومن اللباس ما قصر ،  
وكان والله مجيبا إذا دعونه ، ويعطينا إذا سألناه ، وكنا والله على تقويته لنا  
وقربه منا لا نكلمه هيبة له ، ولا نبتدئه لعظمته في نفوسنا . يبسم عن شعر  
كالؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ويرحم المساكين ويطعم في المسغبة ،  
يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ينصف اللهفان ويستوحش من الدنيا  
وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته . وكأني به وقد أرخى الليل سدوله ،  
وغارت نجومه ، وهو في محرابه قابض على لحيته ، يتلملح تلملح السليم  
ويبكي بكاء الحزين يقول : يا دنيا غري غري ، الى تعرضت أم الى تشوقت ،  
هيهات هيهات ، لا حان حينك وقد باينتك ثلاثا لا رجعة لي فيك .

\*\*\*

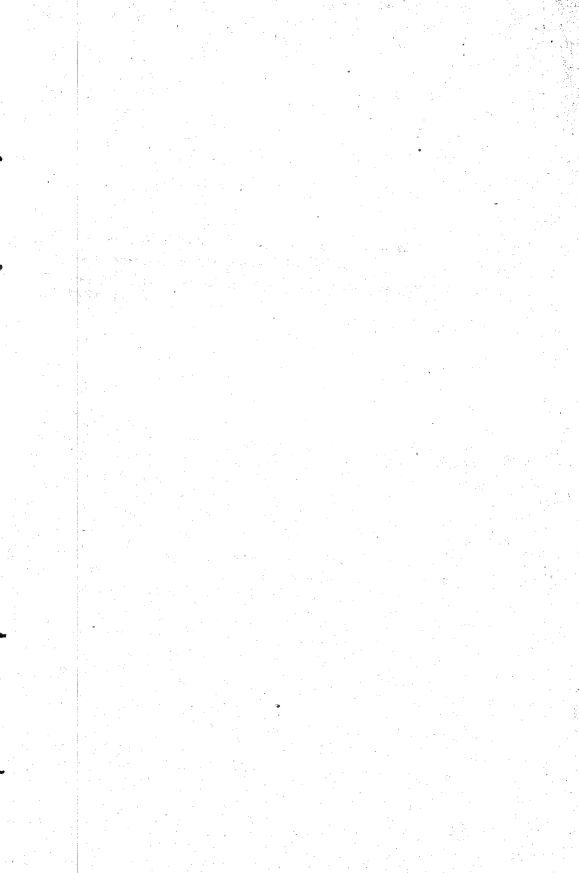
## ٥ آلاف مخطوطة عن الفلك الإسلامى

خبران هامان شغلت بهما الصحافة العربية والعالمية أخيراً يلتقيان  
أضواء جديدة على الدور الرائد الذى قام به المسلمون فى مجال العلوم  
التجريبية وكان له أبعد الأثر فى النهضة الحديثة سواء مجال الفلك أو مجال  
الأرقام العربية .

أول هذه الأخبار : ما أثاره دكتور ( ديفيد كنج ) الذى يدرس علم الفلك  
الإسلامى والذى قدم رسالته فى الدكتوراه عن الفلكى المصرى ابن يونس  
الذى يعد من أشهر الفلكيين فى العصور الوسطى . أما الآن فهو يقوم بإجراء  
مسح شامل لآلاف المخطوطات التى تتعلق بتاريخ الفلك والعلوم الرياضية  
وهو منذ عام ١٣٩٢ هـ إلى اليوم عاكف فى دار الكتب المصرية على أكوام  
من المخطوطات يقرأ خطوطها ويفك طلاسمها والمهمة هى إعداد فهرس نقدى  
لاكثر من خمسة آلاف مخطوط تتضمن أعمالاً فلكية ورياضية يجرى مقارنتها  
بالمخطوطات الأخرى فى المكتبات الغربية .

— ويقول الدكتور ديفيد كنج لحدثه كريم حسام الدين : ان هذه المخطوطات  
تتضمن مادة علمية خصبه وغنية دونت خلال الفترة الممتدة من القرن  
التاسع الميلادى الى القرن الخامس عشر فيها كان العلماء المسلمون هم  
القادة فى مجال العلوم . وهى مع الأسف لم تمتد إليها حتى الآن يد البحث  
والدراسة وانى ادعو الشباب المسلم الذى تخصص فى الرياضيات الى  
دراسة هذا التراث الفلكى والرياضى : تراث آبله واجداده . وقال الدكتور  
ديفيد كنج ان هناك أكثر من ثلاثمائة مخطوطة فى مكتبات العالم تمثل نوعاً  
غريداً من الدراسة هو ( تاريخ علم الميقات ) ويتضمن جداول شاملة لمواقيت  
الصلوات الخمس التى استخدمت فى القاهرة والقىروان ودمشق وبغداد  
وغیرها من العواصم الإسلامية .

كما قام الباحث بدراسة كتاب ( تعديل القمر المحكم ) وهو مخطوط لابن  
يونس يستهدف تحديد موضع القمر ويلحق به جدول ضخّم يضم ما يزيد على  
ثلاثة آلاف قيد وهذا يدل على مبلغ ما وصلت إليه دراسات العلماء المسلمين  
للفلك وللقمر بالذات .



## ١ - رحلة الأرقام العربية

أما الموضوع الثانى الذى أثار كثيرا من المناقشات فهو بحث الأستاذ سالم محمد الحميدة عن الأرقام العربية الذى تابع فيه هذه الرحلة منذ عصر البابليين الى اليوم وقد استهل بحثه بكلمة منصفه فيها اعتراف العلماء بفضل المسلمين فى مجال العلوم التجريبية .

تقول المستشرقة الألمانية « سجيريد هونكه » : فى مقدمة كتابها ( شمس الله تشرق على الغرب ) :

ان العالم اليوم يستخدم الأرقام التى تعلمها الجميع عن العرب . ولولا تلك الأرقام لما وجد اليوم دليل الهاتف أو قائمة الاسعار أو تقرير البورصة ولما وجد ذلك الصرح الشامخ من علوم الرياضة بل ولما وجدت الطائرات التى تسبق الصوت أو صواريخ الفضاء . ولقد كرمنا هذا الشعب الذى من علينا بذلك الذى لا يقدر حين اطلقنا على أرقام الاعداد عندنا الأرقام العربية .

وقد تابع الباحثون رحلة الأرقام عبر التاريخ فى محاولة لاستقصاء دور العرب فقال الأستاذ سالم محمد الحميدة فى كتابه الأرقام العربية بأن المؤرخين يحددون ما يقرب من ٣٧٠٠ ق.م عند الصينيين والسومريين و ٣١٠٠ ق.م عند المصريين تاريخا لتعلم الكتابة العديدة وقال ان النصوص المدونة تكشف عن أن البابليين قد وضعوا جداول مطولة لعملية الضرب فى حين أن الحضارة المصرية على قدمها لم تضبط هذه العملية ومهما يكن فان الإنسان قد توصل الى كتابة الأعداد بالصور فان أراد أن يدون عددا من الخراف رسم تصاوير خراف بقدر العدد نفسه وإذا أراد أن يعبر عن عدد من الرجال يسكنون خيمة رسم صورة خيمة والى جانبها عدد من الرجال .

ولكن التطور الكبير الذى حدث على يد البابليين الذين كتبوا الأعداد بالرموز وقد عبروا عن التسعة أرقام الأولى بأشكال عمودية أما الرقم العاشر فقد استعملوا نفس الرمز بشكل أفقى ، ويظهر من ذلك أن نظام العد عن البابليين هو النظام الستينى فالمسألة تركب من الستين مضاعفا إليها عشرات أربع .

وهكذا تفوق البابليون العرب باستعمال علامة خاصة للأصفر وابتكارهم نظام المرتبة العديدة التى تغير قيمة العدد بالنسبة الى مرتبته كما هو فى النظام الحديث . ويرى صاحب كتاب الأرقام العربية الصادر حديثا أنه

لا يستبعد أن الهنود الذين اعتبروا حديثاً هم أصحاب هذا النظام قد أخذوه من البابليين .

وأشار المؤلف الى كتابة الأرقام باستخدام الحروف الصونية التي اقتبسها الفينيقيون عن سكان سيناء ثم نشروها في العالم وعنها أخذها اليونانيون ، أما الأرقام الرومانية التي يمكن أن نستذكر صورها بأرقام الساعة القديمة فقد فشلت لصعوبة اجراء العمليات الحسابية بها وكانت هذه الصعوبة من أسباب تأخر علم الحساب قبل ايجاد الأرقام العربية ، ثم استخدم المسلمون في الدولة العربية حروف أبجديتها في الترقيم باعطاء كل حرف رقماً خاصاً به ، حتى القرن الثاني . ويذكر المؤرخون أن فلطانيا هندية قدم بغداد عام ١٥٦ هجرية - ٧٧٣ م - اسمه - كانكا - يحمل كتاباً يبحث في النجوم مع معادلات مكتوبة بأرقام جديدة تسير على النظام العشري المعروف حالياً ، وقد عهد الخليفة أبو جعفر المنصور بترجمة الكتاب وتأليف كتاب بالعربية على نهجه الى الفلكي العربي محمد بن محمد ابراهيم فقام بترجمة كتاب كانكا ( سند هند ) ولف كتاب سند هند كبير وبقي معمولاً به حتى زمن المأمون اذ قام محمد بن موسى الخوارزمي عالم الرياضيات الشهير باعادة كتابته وازداده معلومات أخرى اليه .

وقد انكب العرب على الأشكال الكثيرة للأرقام الهندية والهنديين فاستخرجوا منها سلسلتين : الأرقام الفبائية المعروفة الآن بالأرقام العربية والتي نسميها نحن الأرقام الانجليزية وهي التي سادت في المشرق أولاً وهي المستعملة الآن في المغرب العربي .

أما السلسلة الثانية فهي التي اطلق عليها العرب الأرقام الهندية وهي المستعملة الآن في المشرق العربي .

وقد ثبت تاريخاً أن الأرقام العربية قد انتقلت الى أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي بينما ثبت وجود هذه الأرقام في الدولة العربية منذ القرن الثامن الميلادي وقد تعددت طرق انتقالها عن طريق الاندلس وعن طريق ترجمة كتابي الخوارزمي ( حساب الجبر والمقابلة ) الى اللاتينية كما نقلها العرب الى صقلية حين فتحوها .

### من ايجاد تاريخنا

عندما دخل عبد الرحمن الناصر - سمورة امتطى صهوة جواده وانطلق متجولاً في ميدان القتال باحثاً عن جريح يواسيه او حزين يضافيه او تائه يعيده الى اهله . وطرق أنفيه وهو مار تحت أسوار المدينة نحيب طفل يبكي ، فانصت ثم ترجل وقصد الى مبعث الصوت واذا به أمام وليد ما زال في لفائمه مطروحاً بين الأعشاب في أخدود ضيق تحت جدار متهدم فالتفت له عبد الرحمن واحتضنه وجعل يبذل له من تدليل وهدوء ما يستطيع بذله ، فسكت الطفل فحمله عبد الرحمن على جواده ورد عليه طرف رداءه واستمر في جولته في السهول والهضاب . . واذا بامرأة قد حلت شعرها ومزقت ثوبها تنطح عاينيه وتقول : اين هو ملك العرب ؟ قالوا لها : هذا هو ، فقالت له : اعد الى ولدي يا قاتل النساء والأطفال . فرغم رداءه عن الطفل الذي حمله معه وقال : اهذا هو ولدك ؟؟ قالت : نعم ، وأنبتت أساريها ! .

## ٢ - رحلة الأرقام الى أوروبا

يرى الأستاذ محمد الحميد في كتابه ( الأرقام العربية ) قصة الدور الذي قام به المسلمون في اعدادها حين وضعها العلامة محمد بن موسى الخوارزمي في الصورة التي نعرفها الآن يقول : ان العرب بعد تأسيس دولتهم الاسلامية لم يفسروا من أعمال الدواوين الحكومية فاستخدموا الأرقام الرومانية في بلاد الشام والأرقام القبطية في مصر حتى زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك الذي امر بعدم استعمال الأرقام الأجنبية مما اجبر العرب على استخدام وسيلة جديدة للترقيم . . ولما كانت الامم المعاصرة للدولة العربية تستخدم حروف أبجيتها في الترقيم باعطاء كل حرف رقما خاصا به فقد استخدم العرب أبجيتهم في الترقيم ، وظل هذا الاسلوب متبعيا عندهم حتى القرن الثاني الهجري ، واختص المؤرخون للوفيات والمواليد وما شاكل ذلك باستخدام الابجدية العربية للدلالة على التاريخ .

ويذكر المؤرخون أن فلوكيا هنديا قدم بغداد عام ٧٧٢ ميلادية ١٥٦ هجرية وكان اسمه ( كانكا ) يحمل كتابا يبحث في النجوم مع معادلات مكتوبة بأرقام جديدة تيسر على النظام العشري المعروف حاليا . وقد عهد الخليفة أبو جعفر المنصور بترجمة الكتاب وتأليف كتاب على نهج بالعربية الى الفلكي العربي محمد بن ابراهيم فقام بترجمة كتاب كانكا ( سند هند ) وألف كتاب ( سند هند كبير ) وبقي معمولا به حتى زمن المأمون اذ قام محمد بن موسى الخوارزمي عالم الرياضيات الشهير باعادة كتابته وازداده معلومات أخرى اليه ، ومن الثابت أنه كان للهنود اشكال كثيرة للأرقام انكب العرب عليها بالدراسة والتعذيب فاستخرجوا منها سلسلتين : اختاروا الاولى مبدئيا وهي المسماة بسلسلة الأرقام الغبارية او كما هي معروفة الآن في العالم بالأرقام المغربية وهي التي سادت أولا في المشرق ثم في بقية الامصار ، وقد جاءت تسميتها الغبارية من عادة الهنود اجراء الحساب على الارض او على لوحة من الخشب تغطى بغبار ناعم ، وقد اعتمد على استنباط اشكال الأرقام على عدد الزوايا للرقم ٣ مثلا بثلاث زوايا . اما السلسلة الثانية فهي التي أطلق عليها العرب أنفسهم اسم الأرقام الهندية ، والتي تعود في اصلها الى اشكال الفرع البرهمي وقد تطورت اشكالها حتى استقرت على وضعها الحالي .

● وقد ثبت تاريخيا أن الأرقام العربية انتقلت الى أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي بينما ثبت وجود هذه الأرقام في الدولة العربية منذ

القرن الثالث الهجرى ، وقد تعددت طرق انتقالها عن طريق الأندلس وعن طريق ترجمة كتاب الخوارزمى ( حساب الجبر والمقابلة ) الى اللاتينية كما نقلها العرب الى مستقلة حين فتحوها .

ويقرر المؤلف ان الاشكال التى توجد الآن ما هى الا ابتكارات عربية رغم انها تعتمد فى الاصل على النظام الهندى الذى أوجد تسعة اشكال للأرقام اضيف اليها ( الصفر ) لاكمال الحلقة .

وهذه واحدة من اهم انجازات الحضارة الاسلامية .

\*\*\*

### ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى

كلما قرب أول القرن الخامس عشر الهجرى ( ونحن الآن على أبوابه ) عادت بى الذكرى الى مقال كتبه الأستاذ محمد لطفى جمعة عام ١٩٣١ م قال فيه : كنت فى المدرسة متحرقا لنهضة الشرق لأننى شعرت بالذل الذى يحيق بنا بوصف كوننا أمة شرقية ولم يكن اساتفتنا الأجانب ليخفوا عنا هذا الاحتقار ولعله كان جزءا من بروجرام المعارف فى عهد دنلوب الأسود . .

أذكر اننى حوالى سنة ١٩٠٢ او ١٩٠٣ عندما كنت اقرا أحد كتب تاريخ أوروبا المقررة لحث فجأة أن نهضة أوروبا بعد ظلام القرون الوسطى كان فى القرن الخامس عشر المسيحى أى بعد ظهور المسيحية بأربعة عشر قرنا ، وحينئذ أخذت فى الحال أتارن بين تاريخ العالم العربى والتاريخ الشرقى ورأيت أننا فى بداية القرن الرابع عشر الهجرى وحينئذ أيقنت بأننا سننهض ونحيا ولن يتم القرن الهجرى الا والشرق فى قمة المجد كما كان .

\*\*\*



## لابد للعرب من نظام تصنيف أصيل

منذ اتصل العرب بالفكر الغربى وهم يتخلون عن أمور ذات أهمية أساسية فى الحفاظ على أصالتهم ، ومن أهم هذه النزالات خضوعهم لنظام تصنيف ديوى العشرى فى الكتاب العربى بينما سبق العرب العالم كله بنظامهم وتصنيفهم الذى ابتعوه من واقع فنون التأليف والذى اخذت عنه الأمم الغربية والذى استمد ديوى نظامه منه أصلا ثم يجيء العرب اليوم فينزلون عن منهجهم ويخضعون لمنهج وافد لا يحقق لهم استيفاء عملية التصنيف فنيا فضلا عن التبعية .

ولقد علت صحبات كثيرة منذ سنوات بعيدة تطالب بالتجاس الاصالة فى هذا المجال وفى مقدمة هؤلاء الاستاذ محمد حسن كاظم صاحب كتاب ( تصنيف العلوم فى الحضارة الاسلامية ) الذى ينادى بضرورة ابداع خطة تصنيفية تنبع من واقعنا وتفى بحاجات ومقومات هذا المجتمع بحضارته وفكره ويكون جزءا من هذا الاعتراز العربى والحضارة وكامتداد له وحلقة وصل لخطة التصنيف التى ابداعها علماء المسلمين وفلاسفتهم ابتداء من الكندى والخوارزمى واخوان الصفا وابن النديم الى ابن خلدون والقلقشندي وطاشكبرى زاده وحاجى خليفة وغيرها من خطط التصنيف التى بلغت حسب ما جمعته مائة وعشرين كتابا فى تقسيم العلوم وتفرعها وضوابط تقسيم المصنفات والكتب وجعلوا علم التصنيف او ما أسموه بعلم تقاسيم العلوم ضمن العلوم الفلسفية العظيمة منزلة ، اذ اطلوه محلا ساميا لأن تصنيف العلوم عندهم اول ابواب المعرفة كما يقولون ، وقد توفرت فى مؤلفاتهم تلك ادق صفات خطط التصنيف الحديثة فبلغت حدا من الضبط اعتمدها الكثيرون من فلاسفة النهضة الحديثة وعلماء المكتبات فى الغرب فى ابحاثهم وخططهم عن تقسيم العلوم .

ويشير الباحث الى انه بعد أن سيطرت أنظمة أجنبية أخذ المفكرون العرب يحاولون — تعديل خطة التصنيف حتى تلائم حضارتهم العربية الاسلامية وخاصة فى نواحي الدين واللغة والأدب والتاريخ ولم ترل محاولتهم تلك وكأنها فى بدايتها فاتها لم تصل الى بلوغ الهدف المرجو منها وقال ان المفكرين العرب قد نقدوا طريقة ديوى منذ وقت بعيد وكان فى مقدمتهم خالد الحيدى عام ١٩٤٧ وأكثروا ضرورة اجراء تعديل على خطته . وقال ان التعديل ينبعث اساسا من نزعة نفسية وعاطفية تتعلق بمشاعر الاعتزاز القومى والفكرى والحضارى لكل مواطن ، وان أبرز عيوب تصنيف ديوى هو عجزه

عن فهم الدين الاسلامى فهو يدخل ما ليس فى الاسلام فى موضوعاته متأثراً فى ذلك بتصنيف البيانات الأخرى كادخال الخرافات والبدع تحت عنوان الاسلام وهو ليس من موضوعاته كذلك فانه يدخل موضوع الاتحاد والملاحدة تحت اسم الاسلام ، وقد فصل تصنيف ديوى بين موضوعات تتطلب الجمع فى مفهوم الاسلام ولم يتمكن المنهج جملة من مسابقة التطور الثقافى مما اضطر كثيراً من البلاد الى العدول عنه الى النظام العشرى العالمى ، ولابد اذن أن يتجه علماء المسلمين الى منهجهم الأصيل فى التصنيف أو ادخال معاله على المنهج العشرى العالمى بحيث يصبح وافياً بحاجات المقومات الحضارية والفكرية للبلاد العربية وابراز مفهوم الاسلام واللغة العربية والأدب العربى والتاريخ الاسلامى والعربى وتقديم القضايا العربية والاسلامية بتعريفاتها المتميزة ولا يكونوا منصرهين فى مناهج الأمم الأخرى ولاثقافتها .

\* \* \*

### من اجداد تاريخنا

عندما استولى صلاح الدين على بيت المقدس فتح ابواب المدينة لمن يرغب فى مغادرتها فخرج الأمير يلىان ومعه سبعة آلاف فقير بعد أن ادى عنهم ثلاثين ألف درهم ثم تتابع خروج الصليبيين ثم خرج البطريرك الكبير بجر من اموال الكنيسة وتحفها وجواهرها ما لا يقدر بهال فلم يعرض صلاح الدين له بشئ مما معه ، وانقضت اربعون يوماً ولا يزال فى المدينة آلاف كثيرة من فقراء الصليبيين لا يملكون فداء فتقدم العادل الى أخيه قال انى استوهيك ألفاً من أولئك الأرقاء فأجابه السلطان الى طلبه وعند ذلك اعتقهم العادل من غوره ثم جاء يلىان والبطريرك وطلبا مثل الذى طلبه العادل فوهبهم صلاح الدين ألف رقيق أطلقوا فى الحال . ثم قال صلاح الدين بقى ان أودى أنا صدقتى ثم أمر رجلاً من حرسه ان ينادوا بأن كل عاجز عن دفع الفداء ان يخرج حسبة لوجه الله كما أطلق للنساء أزواجهن من الحبوس .

\* \* \*

يقول هنرى دى كلسترى : ان احد سلاح يستأصل به المسلمون وامضى سيف يقتلون به هو الخمر وان الواجب على المسلمين أن يحتفظوا بها حظرتها الشريعة عليهم من تعاطى المسكرات فان هذا المنع سبب قوتهم وان القوى التى كوّنت فيها مضى عظمة الاسلام لم تندثر بل ان بقاياها أخذت بالمحافظة على المدينة الاسلامية اذ انفرد الاسلام بتحريم الخمر وهى ميزة لا نجدها فى كتب الديانات الأخرى لهو ميزة عظمى فانه لم يكذب يبلغ المسلمين تحريم الله للخمر حتى أريقنت أنفانها وأكوابها فسالمت بها الشوارع مدراراً .

## هذه الحملة المسعورة على التراث

ما يزال تاريخ الحضارة الإسلامية يكشف عن أصالة تلت نظر الباحثين الغربيين لصادق الكلمة المصنفة في تأكيد الدور الخطير الذي قاموا به في الماضي القريب والذي لا يزال مهتداً ومقلداً من وراء الصورة المرفقة في التهاافت والغبوض والتحلل التي تعيشها الحضارة المعاصرة . ويحيى ذلك في صحائف الغرب في نفس اللحظات التي يستأسد فيها النفوذ الاجنبى ممثلاً في الغزو الفكرى ( ماركسيا وصهيونيا واستعماريًا ) بعد انتصارات رمضان في محاولة لاعادة المسلمين والعرب الى حلقة الحصار والاحتواء ..

بتلك الحلقة الضيقة المظلمة التي داروا فيها اكثر من مائة عام وهم يظنون بفضل المشرفين من الناصحين لهم امثال لطفي السيد وطه حسين وسلامة موسى اعداء اللغة العربية الفصحى والشريعة الإسلامية والأصالة الإسلامية ، ولما كان هؤلاء الزيفون الذين لمعت شهرتهم واستطال نفوذهم في الصحافة والثقافة والجامعات قد تحطمت نظرياتهم ودعواهم قبل أن يذهبوا فان هناك محاولة ضخمة ترمى الى تكوين قيادة جديدة لهذا التيار تؤازرها قوى مخدلة وأبرز ظواهر هذه القيادة الجديدة غلبة اليسار والماركسيين والاشتراكيين عليها فهؤلاء هم طابع المرحلة الأخيرة التي استمرت تحفر في أسس الاسلام وتحطم جداره خلال سنوات الهزيمة والنكسة والتي تابعت وظهرت دعاء التغريب والتي حملت لواء الفكر التلمودي الصهيوني .

وكذلك وجدنا بعد النكسة صادق الفطم ، وزكى نجيب محمود ، وعبد الله العروى وأدونيس ، وبعد انتصارات رمضان ، طيب تيزين ، وهادى العلوى ، وغالى شكرى ، ومحمد عمارة ، وأنور عبد الملك ، وأمير اسكندر ، في مؤلفات تترى كلها تهاجم التراث الإسلامى وترميه بالمقم وتنقصه من أطرافه وذلك في مواجهة التصحيح الحاسم الذى قدمته حركة اليقظة الإسلامية حين أعلنت بعد النكسة كلمتها الحاسمة من أنه ليس من سبيل الى النصر والتماس امتلاك الإرادة الا بالعودة — الى ينباع الإسلامية الاولى بعد أن انحرفت عن الطريق القديم وسارت في مهوى المادية والعلمانية والافكار المنحرفة والمستوردة — كانت هذه الصيحة التي أطلقتها حركة اليقظة بعد النكسة هي اللطمة القاسية التي واجهت الغزو الفكرى والتغريب بعد أكثر من سبعين عاماً من العمل الدائب لتزييف المفاهيم وادخال المسلمين والعرب في الدائرة المظلمة المغلقة عن طريق القول بان التبعية للفكر الغربى

هي الوسيلة الوحيدة للتحرر ، ثم تبين بعد حروب ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ أن هذا كله زيف و وهم و متاعه ، وأن الطريق الصحيح هو العودة الى المنابع و الى الأصالة و قد صدق الله و عده الذين التمسوا هذا الطريق في تبصر سريع حاسم بعد سنوات قليلة من العاشر من رمضان حين علت صيحة الله أكبر فبددت الظلمات و كشفت الغمة و تبين أن دعوى النفوذ الأجنبي بأجمعه باطل و لذلك سرعان ما علت الأصوات ترمي هذا الاتجاه بالغيبية و الخرافة ، و تجمعت القوى مرة أخرى لمواجهة هذا النصر الذي هو نكسة للتغريب فكانت هذه المحاولة بالعمل على تحطيم التراث و صدرت في ذلك مؤلفات ترمي الاسلام و تاريخه و لفته عن قوس واحدة و لكن صمود حركة اليقظة في مواجهة الأحداث ادال من هؤلاء البطلين و لم يعد في وسع المسلمين و العرب أن يخدعوا بأكثر مما خدعوا خلال أكثر من سبعين عاما بتعطيل تطبيق شريعتهم و اندحار اسلوب التربية الاسلامية و هزيمة اللغة العربية و استئثار اسلوب امبراطورية الربا بكل مفسدها الاجتماعية و كل محاولاتها لاذاعة الالحاد و الشيوعية . و قد تبين أن تجربة الغسرب الليبرالية قد فشلت و أن تجربة الماركسية الشيوعية و الاشتراكية قد باءت بالخسران و أن على المسلمين و العرب التماس طريق الأصالة استمدادا من ذاتيتهم و هو طريق القرآن .

و انزاحت مدرسة كاملة كان قوامها الاقليمية و الفرعونية و القومية الضيقة ، تلك التي حرصت على اعلاء الوثنية و الفكر اليوناني و الروماني القائم على عبودية الجسد و عبودية الروح و تكشف زيف تلك الدعوى الى العناصر و الاجناس و أن كل هذه الانظمة كانت قائمة على القهر و السخرة و العسف و أنها قد حولت الانسان الى عبد و أن الحضارة الغربية ما هي الا محاولة أخرى لاستعباده عن طريق الجنس أو لقمة العيش و أن كلا المذهبين الفرويدي و الماركسي يحاصران الانسان ليحطماه و أن المذهب المادية ما هي الا محاولة جديدة لتدمير الانسان و استعباده . و كما لم تقبل حركة اليقظة دعاوى الفرعونية أو الاقليمية طريقا لها فانها أيضا رفضت مفهوم القومية الغربية الوافد القائم على اللغة و التاريخ كما قدمه ساطع الحمري و من لف لفه ، و انما آمنت حركة اليقظة بأن الطريق الصحيح هو وحدة الفكر الاسلامي الجامع الذي تتحرك في داخله الوطنية و العربية حركات مترابطة متلاقية في سبيل التكامل الجامع لعالم الاسلام الذي يضم اليوم الف مليون مسلم و الذي يتطلع الى آفاق القرن الخامس عشر الهجري بأمل في الله كبير لتحقيق خطوة واسعة في طريق امتلاك الارادة و هزيمة الشيوعية و الصهيونية و الاستعمار



## صفحات من امجاننا

### رحلة الفتيّة المغربيين وبلدة اسفى

ذكر الادريسي في كتابه ثروة المشتاق طرفا من رحلة الفتيّة المغربيين فائشار الى الطريق الذى سلكوه والمكان الذى وصلوا اليه وقال انه لا يبعد ان يكون القارة الامريكية قال :

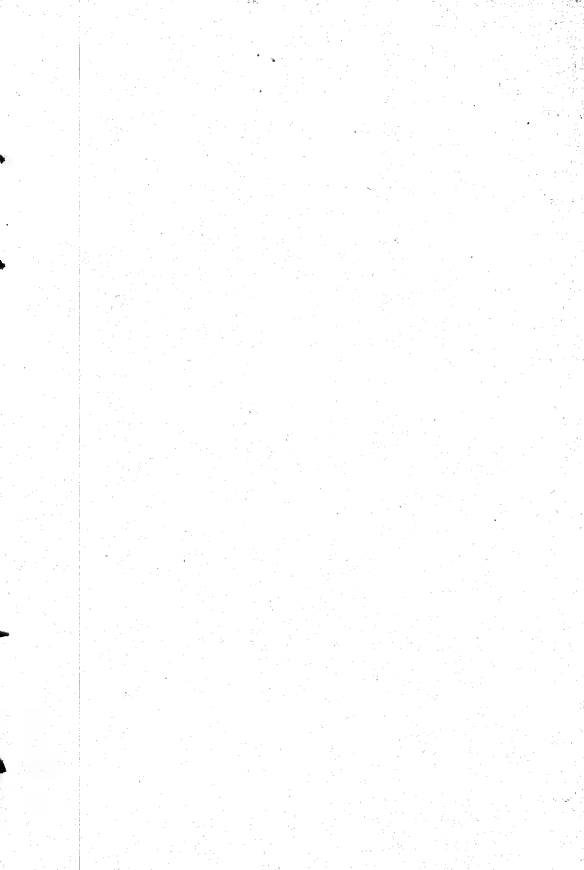
خرجوا من مدينة لشبونة — بحر الظلمات — وكانوا ثمانية رجال كلهم ابناء عم فائشوا مركبا جمالا وادخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لاشهر ثم دخلوا البحر في اول طارد الريح الشرقية فجروا فيه نحوا من احد عشر يوما فوصلوا الى بحر غليظ الموج كدر الضوء فايقتوا بالتلف ، فردوا قلاعهم في اليد الأخرى ناحية الجنوب اثني عشر يوما فخرجوا الى جزيرة الغنم ووجدوا عمارة وحرثا فمتصدوا فاحيط بهم في زوارق هناك فاخذوا وحملوا من مركبهم الى المدينة فاعتقلوا في بيت ثلاثة ايام ثم دخل عليهم مترجم يتكلم باللسان العربى فسألهم عن حالهم ثم حملوا الى الملك ، ثم حملوا الى موضع حبسهم الى ان بدأ جرى الريح الغربية فمعر بهم زورق وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر قال قوم قدرنا انه جرى بنا ثلاثة ايام بلباليها حتى جئ بنا الى البحر فأخرجنا وكثفتنا الى خلف وتركنا بالساحل الى ان تعالى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الاكثاف حتى سمعنا ضوضاء واصوات ناس فصحنا بأجمعنا فاقبل القوم الينا فحلوا وثاقنا وسألونا فأخبرناهم وكانوا برابر فقال لنا اقدمهم اتعلمون كم بينكم وبين بلدكم ، مسيرة شهرين فقال زعيم القوم : وا أسفى ...

فسمى المكان الى اليوم وا أسفى — وهو المرسى الذى في أقصى المغرب .



### أزمة الحضارة الغربية

أعلن أرنولد توينبى ان أزمة الحضارة في الغرب هي « الدين » وقال ان الحضارة الغربية المتدهورة لا يمكن اتقاذها الا بالدين ذلك انها مصابة بالخواء الروحي الذى يحول الانسان الى قزم مشوه يفتقد عناصر وجوده الانسانى ويعيش الحد الأدنى من حياته . وهو حد وجوده المادى فحسب مما يصيبه بأمراض السأم الروتينية وفقدان الهدف من كل ما يأتى خواء روحى يحول المجتمع الى قطيع يركض بلا هدف كما تركض القطعان دونما تفحص لمعنى مسيرته الهوجاء كما يضطر الدركون أحيانا الى اعلان اشتقاقهم عليه .



## زوايا خاصة في التراث العربي يهتم بها الاستشراق

كان للاستشراق موقف واضح من كل كتاب من الكتب الأمهات الأدبية القديمة (العقد الفريد لابن عبد ربه) و (البيان والتبيين للجاحظ) و (نبتة الدهر للشمالى) و (الأغنى لأبى الفرج) و (الف ليلة وليلة) وأخبار الطلاح ورسائل أخوان الصفا وغيرها، كان يهدف من وراء احياء هذه الكتب غرضاً مبيتاً دفينا ففى نبتة الدهر والأغنى والف ليلة كان يهدف الى اذاعة اشعار المجون وقصص الاباحية وأخبار الشعراء والزناقة الذين تحدثوا عن الغزل المذكر وفسدوا انيم الأدب العربى الاصيل الذى يستمد ضوءه من القرآن والنبوة بتلك المترجمات المجوسية الفاجرة .

وكذلك كان الاهتمام بنشر اخبار الطلاح ورسائل أخوان الصفا يستهدف نشر الفكر الباطنى المضطرب الذى يحاول أن يفسد على المسلمين نقاء العقيدة وصفاء التعبد لله تبارك وتعالى . أما البيان والتبيين فقد كرهه المستشرقون وأغروا به أتباعهم من دعاة التغريب فحمل عليه طه حسين وسلامة موسى حملات قاسية .

\*\*\*

### العقد الفريد

أما العقد الفريد ، فقد انتفع به جرجى زيدان فى اذاعة ونشر ماردته الشعبوية القديمة من « مثالب العرب » وهدفها ضرب الدولة الاسلامية العربية وضرب الاسلام نفسه .

وقد حوى العقد الفريد قدرا ضخما من التراث العربى ففقد قسمه الى خمسة وعشرين كتابا ، كل كتاب أمرده بجوهرة من جواهر العقد .

ونقل فيه من ابن قتبية والجاحظ والمبرد وابن المقفع وسيبويه وابن سلام وأبو عبيده وابن هشام ، كما نقل عن التوراة والإنجيل والكتب المترجمة عن ارسطو طاليس .

وقد راجع الباحثون هذا الحصاد الضخم وكانت لهم عليه ملاحظات هامة منها ان ابن عبد ربه حذف الاسناد من كثير من الأخبار طلبا للتخفيف والابجاز

وهربا من التطويل وأنه لا يحصى الأخبار بل ينقل الكثير منها على علاته دون أن يسبرها بمعيار العقل والمنطق وأنه يتناقض في نقل الأخبار بين موضع وآخر . . وأضافوا إلى ذلك « نزعة الشيعة » التي أضفت على الكتاب طابعا معيناً وإن عرف بالشيوعية المعتدلة فلا يطعن إلا في المتطرفين . وقد عرف بأنه شديد الحملة على أعداء المسلمين في الاندلس ، وعدم استنكافه عن ذكر بذى اللفظ ونازل المعنى ، وقد ذم سيبويه وانتقده وتعرض للمبرد وذمه وعرف بالهجاء والميل للدعابة والفكاهة والنوادر والقصص .

وقد أخذ عليه مدح الخبر في كتاب الأشربة ، كل هذا أقام تحفظات كثيرة أزاء موقفه من العقيدة فوصف بقصوره عن الكمال ورقة دينه . وهناك دفاع عنه يقول بأنه قد دس عليه نصوص كثيرة ، وخاصة ما ورد لأربعة خلفاء من بنى العباس « الراضى والمقتدى والمستكفى والطيع » وكلهم توفى بعد وفاة ابن عبد ربه بعد عام ٣٢٨ .

وفي العقد ما لا يقل عن عشرة آلاف بيت من الشعر لأكثر من مائتي شاعر في الجاهلي والأموي والعباسي . وقلما تجد شاعرا معروفا وليس له خبر أو رواية في العقد لمناسبة ما ، وقد حفل العقد بأكبر مجموعة شعرية وقد تضمن من الرسائل والقصص والخطب والنوادر والحكايات وله كتاب قصص المتنبيين والمرورين والبخلاء والطفيليين .

وأخطر ما في كتاب ( العقد ) فصله عن العرب ( اليتيمة في النسب وفضائل العرب ) وقد أورد بابا في فضلها - أتى فيه على أقوال أكثر الناس من عرب وموال ، وقد كادوا يجمعون على الشهادة بفضل العرب ، غير أن ابن عبد ربه بعد أن يقدم أنساب العرب من شماليين وجنوبيين يدون رأى الشعوبية أو من كانوا يسمونهم أهل التسوية ويورد حججهم في مساواتهم للعرب واستنادهم إلى أحاديث نبوية يقرنونها إلى آيات من القرآن في معناها ، وليس في هذا ضرر فإن الإسلام قد سوى بين الموالى والعرب ورفع الإسلام أصر العنصرية نهائيا ولكن كتاب ابن عبد ربه تجاوز ذلك إلى الإشارة إلى بيان مآثر للشعوبيين ومفاخر لهم وعلوم ويورد كل ما سجلوه في كتبهم من ذم للعرب ثم يصود فيورد رد ابن قتيبة عليهم ثم يعقب برد الشعوبية على ابن قتيبة ويدع الموقف مائعا وكأنه يوحى بهواه مع الشعوبية ، هذا الجانب من كتابه كان من أخطر ما اعتد عليه الاستشراق واعتمد عليه دعاة التغريب أمثال جورجى زيدان وأحمد أمين وتوفيق الحكيم في الحملة على العرب في العصر الحديث .

\*\*\*



## إحياء الأساطير الجاهلية

### خطر على الثقافة الأصيلة

منذ وقت بعيد ينظر المفكرون المسلمون الى مسائل الفلكلور ، والانتروبولوجيا على أنها محاولات مكررة ، تخفى وراءها أهواء النفوذ الغربي ، والاستعمار ، والصهيونية ، وأنها لا تقصد الى غايات ايجابية .. وقد جرى التحذير والتحفظ الشديد منها ، ذلك ان اغلب مقاصدها انما هو احياء الاساطير والخرافات القديمة التي كانت تجارة الأهم التي كرهت الفكر الريناني ، وخرجت عنه ، وحاولت ان ترد البشرية الى الضلال وهي تجارة الصهيونية في العصر الحديث ..

ولقد جاء القرآن الكريم بمقطع الحق في كل ما يتعلق بهذه الأساطير فوضع في وضوح النهار حقائق التاريخ القديم وكشف عن الصورة الحقيقية لها وخاصة فيما يتعلق بالطوفان وعاد وثمود وفرعون والمؤتفكات وقوم ابراهيم وقوم اسماعيل ، هذه كلها وغيرها مما حاول دعاة الفكر البشري الى اتخاذ اسباب الكشف الاثري أو البحث في المخلفات الاولية للانسان القديم استغلالها لاذاعة افكار وقضايا تعارض مفهوم الاسلام الحاسم الذي جاء بالحق ..

وكان من اخطر محاولات علماء الانتروبولوجيا القول بأن البشرية كانت معددة في الآلهة ثم وحدت بنزول دين موسى عليه السلام وقد جرى كثير من الباحثين وراء هذه المفاهيم واخذوا يرددونها ومنهم من ألف كتباً عن الألوهية والواقع يزيف هذه المحاولات الكاذبة ذلك ان التوحيد كان مرافقاً للبشرية منذ يومها الاول وقد جاء آدم عليه السلام بالتوحيد كما جاء به نوح وهو آدم الثاني وسار على ذلك الانبياء جميعاً لانهم كلهم يستقون من نبع واحد ولذلك فان القول بأن البشرية بدأت وثنية ومعددة للآلهة قول باطل وهو من السوم التي حاولت الدلودية اذاعتها ووقع فيها الكثير من الباحثين . كذلك فان علماء الانتروبولوجيا حاولوا احياء كثير من الوثنيات والاساطير والخرافات ، ولقد جاء الاستاذ الدكتور زيدان عبد الباقي استاذ علم الاجتماع في كلية البنات الاسلامية في جامعة الأزهر بالقاهرة فكشف عن صحة ما ذهب اليه علماء المسلمين فقال : ليس لعلماء علم الانسان ( الانتروبولوجيا ) ان يحتاجوا على تقرير عالم النفس الاجتماعي بفكره الذي يؤكد وجود تعارض بين قضايا البحث الانتروبولوجي والاخلاق أو على حكمه على الانتروبولوجية بالاستقراطية العلمية الا أخلاقية للأسباب التي اوضحها هذا العالم الكبير .. ان عليهم ان يسلموا بها وذلك ان الطريقة في البحث الانتروبولوجي القائم على الملاحظة

الشخصية يعتمد على الانطباعات الذاتية وكل ما هو ذاتي ليس موضوعياً ،  
علما بأن الأنثروبولوجيا قد نشأت بتشجيع ورعاية الاستعمار لكي يتمكن بها  
من قهر الشعوب المختلفة وامتصاص ثرواتها تحت زعم العمل على الرضى  
بها وهذه الأنثروبولوجيا لا تقرها الأخلاق .. ويقول : ان حركة التحرر  
والاستقلال جعلت من الاستعمار عملية غير مريحة من ثم كف الاستعمار عن  
تمويل البحوث الأنثروبولوجية وبالتالي فلا يجوز للجامعات أن تحل محل  
الاستعمار في تمويل البحوث الأنثروبولوجية » .

ولا ريب أن هذا الموضوع جد خطير ويجب وضعه موضعه الصحيح في  
حركة التغريب والغزو الثقافي .. ولذلك فإن الدكتور زيدان عبد الباقي يطالب  
بالغاء أقسام الأنثروبولوجيا في الجامعات .

ونحن نعرف أنه باسم المؤامرة التي تدعى حقاً تاريخياً لليهود جرى  
تزييف كثير من العلوم والمكتشفات الأثرية وعلوم الأنثروبولوجيا واللغات .

لقد جاءت دعوة احياء التراث ( الفلكلور ) من قبل الاسلام من اخطر  
المحاولات التي ترمى الى هدم الاسلام من خلال عبارات غامضة رمزية ..

ومن عجب أنهم يدعون الى احياء تاريخ ما قبل الاسلام من وثنيات  
وخرافات ثم هم يتكبرون ويتجاهلون المرحلة الواضحة الصريحة التي تتبطل  
فيها قوة التراث الصحيح بما يحمل من بطولة وعظمة وقدرة على تجميع  
الشعوب تحت لواء التوحيد ، هذه المرحلة توجه اليها الاتهامات والشبهات ..  
ويتدافعون الى احياء ما قبلها مما هو عبارة عن وثنية مظلمة ، وهذا هو  
العمل الحقيقي الذي تقوم به دعوات الفلكلور والأنثروبولوجيا اليوم لقد جاء  
الاسلام فأنهى تلك العصور تها ، لغاتها وفكرها وتراثها من خلال ألف سنة  
كاملة في بلاد العرب كانت الوثنية اليونانية والرومانية تحاول أن تقيم لها  
وجوداً فكرياً منذ تدافعت خيول الاسكندر المقدوني وتحطمت بعد قليل منذ  
ذلك اليوم وإلى أن ظهر الاسلام بعد ألف عام — أصبح هذا كله ركاماً لا قيمة  
له .. حيث جاء موضوع التوحيد يحيى من تاريخ البشرية تلك الصفحات  
النقية التي حمل لواءها الأنبياء والرسل أما ما سوى ذلك من قصص واساطير  
وأوهام مما حملت الهلينية أو حملت الغنوصية الشرق ممثلة في المجوسية  
والمزدكية ، والمناوية وغيرها ، كل هذا أصبح هباء تذرؤه الرياح والعودة الى  
أحيائه اليوم عمل باطل لن يؤدي الى شيء ما فقد مادت هذه القوائم للفكر  
البشرى وتحطمت تحت أضواء نور التوحيد الخالص وتحطمت معها لغاتها  
وثقافتها وتقرر اليوم تماماً بتعبير علماء التاريخ النصفين ما يسمى بالانقطاع  
الحضارى بين حاضر البشرية اليوم وخاصة حاضر العالم الاسلامى ،  
وبين وثنية الفرعونية والفارسية والهندية والرومانية بعد أن تحطمت قوائم  
العبودية الوثنية والعبودية الانسانية ولم تعد هناك غير عبودية البشرية  
لخالقها وحده لا شريك له .

ومما يتصل بهذا محاولات تسبيح آبار الفكر الاسلامى للوصول الى  
نفس الهدف ..

مقد حاول جولدنزيهر وشأخت أن يقدمتا للجامعات الغربية كتابا لها صفة العلم في مختلف المسائل الإسلامية تدرس على أنها صورة صحيحة لما جاء في الشريعة الإسلامية من أحكام وقواعد جاء بعضها محرفا وبعضها لا يقيّد حكمة الشارع ثم بولغ في تحريف مدلولاتها ومعانيها على نحو يتعذر معه فهم أحكام الإسلام على وجهها الصحيح .

وفي مقدمة ذلك كتاب جولدنزيهر اليهودي .. « العقيدة والشريعة » الذي تقدمه طه حسين في ترجمته العربية التي أصدرتها دار الكتاب المصري والتي تحمل كل مقررات الاستشراق التي تحاول أن تهدم مفهوم الإسلام الجامع الصحيح بل أن مجلة الرسالة مع الأسف نشرت في الأربعينات محاضرات المستشرق شأخت عن الشريعة الإسلامية التي يدعى فيها أنها مأخوذة من العرف الجاهلي دون أن يتنبه أحد إلى الرد إليها سنوات طوالا حتى شخص ترجمتها الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله بل أن كل ما كان يقول به طه حسين خلال أكثر من أربعين عاما عن قرآن مكى وقرآن مدني .. وأن القرآن المكى فيه خفاف وأن القرآن المدني فيه رقة بعد أن اتصل النبي باليهود هذا الذي كان يدعو إليه طه حسين في محاضراته أمام طلبة الآداب تبين أنه موجود بنفسه في هذه الدراسات ومع ذلك فهذه الكتب ما تزال في أيدي الباحثين ويعتمد عليها كأنها مراجع علمية بل أن دائرة المعارف الإسلامية التي كُتبت بمجموعة من المتعصبين المستشرقين ما تزال بين الأيدي على أنها حقائق مع أنها تأخذ القصة اليهودية للعهد القديم في خلق آدم وتجعلها مصدرا لقصة آدم في دائرة معارف إسلامية وما تزال تنظر إلى إبراهيم عليه السلام نظرة تلمودية يهودية .

إن علينا أن نصل اليوم دائبين على تاصيل القيم العليا التي ورثناها عن الدين الحق والتي هي أساس وجودنا بعد أن تداعت تلك الحضارات الوثنية القديمة وبعد أن جرت محاولات الحروب الصليبية وحروب الفرنجة وحروب الاستعمار الحديث ومحاولات الصهيونية بالسيطرة على فلسطين ، في محاولة لقمع الإرادة الإسلامية واحتوائها وسقطت الإرادة الإسلامية فوق كل محاولة لقمعها .. ولن تستطيع البشرية في عصرها الحديث أن تسقط المسلمين والعرب من حساباتها . وعلى المسلمين أن يحاربوا مواريتهم الحضارية التي أفاض الله عليهم من هذه الأحتقاد والأطماع التي صلبها عليهم أعداؤهم وأن يدركوا أن طبيعة أعدائهم تدفعهم دائما إلى أن يتآمروا على الإسلام لكي يقضوا عليه وقد سجل القرآن هذا في وضوح .

« ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم » .

وعلى المسلمين أن يواجهوا هذه الموجة المادية اللاحادية التي تنكر الايمان بالله الخالق وتحبس نظر الناس وتفكيرهم على مسائل العيش المادي وحدها وترفض التفسير الرباني للكون والحياة وتعتقد التفسير المادي للتاريخ وحركاته والتي تحمل الإنسان على أن يقتنع من حياته على الأرض بكفاية من حاجات الجسد وحدها كأي حيوان بدون تطلع إلى الارتفاع إلى أشواقه الروحية التي ترتبط بالسماء .

وعليهم أن يدعوا البشرية الى الانتقال الى الانسانية طريقا الى بناء المجتمع الربائى المتحرر من أهواء المادة ومطالبها .

ان هناك مهمة للمفكر المسلم . هى مهمة تحرير البشرية من الوثنية التى تعيشها اليوم ، هذه المهمة شبيهة بالمهمة التى اخذها الجيل الغربانى الاول على عاتقه حتى يمكن ان تندفع طلائع المسلمين لتبلغ الاسلام الى العالين تارة اخرى .

\*\*\*

### صلاح الدين فى تقدير قتلة الغرب

تحدث كثيرون من كتاب الغرب عن صلاح الدين الأيوبي وبالرغم من كل اساليب الكراهية والخلاف التى نشرها عنه فان صلاح الدين استطاع بعلمه الذى استمد أسلوبه من جوهر الاسلام ان يكون موضع تقدير المؤرخين والباحثين غير ان القائد العسكرى البريطانى « مونتجرى » عندما يتحدث عن صلاح الدين الأيوبي فانه انما يعنى حكمة صلاح الدين العسكرية والحربية بصفة أساسية يقول : كان صلاح الدين حاكما قديرا ومسلما ورعا واستراتيجيا بارعا . انه بنى قوته بانتظام وعن طريق المواعظ الذكية اعد رعاياه للجهاد اى الحرب المقدسة ضد الصليبيين مما جعل الصليبيين فى خطر دائم لم يشعروا به من قبل .

ان صلاح الدين هو الذى يحكم سوريا ومصر فى عام ١١٧٤ م وهكذا كان رجاله فى الشمال والجنوب يعملون وفقا لخطة واحدة مشتركة ، وتعرضت خطوط الامدادات التابعة للصليبيين لتهديد الأسطول المصرى وكانت ثمة خلافات بين قادة الصليبيين الذين تهبوا احدى قوافله . وزحف صلاح الدين عبر الأردن حيث اباد قوة تضم ١٣٠ رجلا من فرسان الصليبيين وفرض حصارا على قلعة طبرية ودعا بعض القادة الصليبيين الى التقدم والزحف لفك الحصار المفروض على القلعة ولكن القائد الصليبي ريمونه قدم نصيحته التى كانت تتلخص فى أن مثل هذا الزحف سيؤدى الى الوقوع فى الكمين الذى نصبه صلاح الدين الذى تتفوق قواته فى العدد كما ان الجنود الصليبيين سيعانون العطش لأن الحرارة شديدة ولم يستمع بقية القادة الى نصيحته بالتزام موقف دفاعى وفى يوم ٣ يولية ١١٧٤ قاد « جى دى لوسيجنان » القوات الصليبية الى ايشع كارثة وهى « معركة حطين » عند التلال الغربية لبحيرة طبرية .

\*\*\*

## الإسلام هو الذى جعل المسلمين عظماء

أشارت الصحف الى انعقاد أول مؤتمر عالمي للتراث العربى فى أوروبا يعقد فى العام الجديد فى الاندلس باسبانيا ، وأن المؤتمر خطوة فى الطريق الى كشف الكنوز العربية فى أوروبا وغيرها من بلاد العالم . . . وأن المؤتمر سيتتبع الآثار الإسلامية فى أسبانيا والمخطوطات العربية التى تترخر بها مكباتها ، وسيتناول دراسة الألفاظ العربية فى اللغة الإسبانية ، ونحن نأمل أن تكون الدراسات على مستوى الأصالة والفهم الإسلامى العميق حتى يمكن إعطاء الغربيين مفهوما صحيحا صادقا مخالفا للزيوف والشبهات التى تترخر بها مؤلفات المستشرقين والمبشرين . وأن يكون منطلق البحث أن الإسلام قدم للبشرية مفهوما حضاريا أصيلا يختلف عن مفهوم الحضارة اليونانية والرومانية وأن هذا المفهوم ينطلق من الإيمان بالله الواحد ، وقد استطاع أن يحرر البشرية من المفهوم الوثنى ومن العبودية التى قدمتها حضارات الفراعنة والفرس والرومان للبشر وأن المسلمين هم الذين قدموا لأوروبا المنهج التجريبي الذى صنع الحضارة الغربية .

هذا الدور الإسلامى الواضح العميق فى الحضارة العالمية يجب أن يكون واضحا فى دراسات الباحثين وأن تكون الدراسات الإسلامية كلها كاشفة للفكر الغربى عن العطاء الإسلامى الذى يجب أن يقدمه المسلمون للبشرية كلها .

٢ - وعلينا أن نتساءل : هل الغرب جاد حقيقة فى فهم الإسلام والتعرف اليه بعقل مفتوح وقلب مفتوح ، أم أنها محاولات التعرف على هذا العالم الجديد القديم بعد أن أصبحت فى يده مقدرات الثروة والطاقة والتفوق البشرى فى محاولة لتجديد السيطرة عليه أو احتوائه .

لو كان أمر التعرف على الحضارة الإسلامية هو الهدف لكان فى إيدى الغرب ما يقدم لهم وجهة النظر الصحيحة المنصفة .

يقول محمد اسد فى كتابه « الطريق الى الإسلام » : لقد اقتضت الإمبراطورية الرومانية ألف عام حتى نمت الى اتساعها الجغرافى الكامل وحتى بلغت نضجها السياسى ، بينما الإمبراطورية الإسلامية بزغت ثم بلغت أشدها فى مدة وجيزة تبلغ نحو ثمانين عاما .

وكذلك نجد أن انقراض الإمبراطورية الرومانية الذي نتج نهائياً من هجرات الهون والتوطم في قرن واحد وكان تاماً حتى اتسعه لم يبق من ذلك الإمبراطورية سوى بضعة معالم من الأدب والبناء ، والإمبراطورية البريطانية التي يظنها بعضهم عادة وراثته الإمبراطورية الرومانية كانت واثرة لها بمعنى أنها استمرت في الحكم على بعض الأراضي التي كانت يوماً جزءاً من الإمبراطورية الرومانية .

أما فيما يتعلق بالغزوات الخارجية من الإمبراطورية الإسلامية حتى غزوة البتار التي كانت أعنف من جميع ما خبرته الإمبراطورية الرومانية فإنها لم تستطع أن تهز شيئاً من النظام الاجتماعي ولا من الحياة السياسية المستمرة في إمبراطورية الخلفاء .

ويقول محمد اسد : لا يمكن أن يخطأ خطأ أفدح من أن يعتقد أن المدنية الغربية الحديثة نتاج النصرانية . أن نسبة نتاج المدنية الغربية الحديثة إلى النصرانية خطأ تاريخي عظيم . أن النصرانية قد ساهمت في جزء يسير جداً من الرقي العلمي المادي الذي فاق به الغرب في مخنيته الحاضرة كل ما سواه . وفي الحق أن ذلك النتاج قد برز من كفاح أوروبا المتطول على الكنيسة المسيحية .. لقد بقي الروح الأوربي قروناً طويلاً يبرز تحت عبء نظام ديني يطوى في نفسه احتقار الحياة واحتقار الطبيعة . وفي أثناء القرون الوسطى حينما كانت الكنيسة مقتصرة على كل شيء هنالك لم يكن لأوروبا نشاط ما في حقول البحث العلمي .

لقد أثار الفكر الأوربي « مرارا » ولكن الكنيسة كانت مقهورة مرة بعد أخرى ، ولم تكف الكنيسة الرومانية في العصور الوسطى بأن تهيبء الجو المناسب للحروب الصليبية ، تلك الحروب التي كانت وصمة عار في جبين الإنسانية بل شنت على العلوم والفنون التي كانت تشع يومذاك في الأندلس حرباً لا هوادة فيها ولا لين .

فليس عجباً إذن أن الإسلام حالما انطلق خارج حدود جزيرة العرب اكتسب أتباعاً جددًا وأخذ الناس يدخلون فيه أفواجا فقد وجد الناس أنفسهم تجاه دين ينكر مبدأ « الخطيئة الأولى » ويشدد على الكرامة الفطرية للحياة الأرضية الدنيوية .. وهكذا التحقوا زرافات بالدين الجديد الذي علمهم أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض هذا « لا أسطورة التسليم بحد السيف » هو التفسير لانتشار الإسلام المدهش في فجر تاريخه العظيم . لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الإسلام عظيماً بل لقد كان الإسلام هو الذي جعل المسلمين عظماء .. إلا أنهم ما أن أصبح إيمانهم عادة وانقطع عن أن يكون « منهاجاً في الحياة » يتبع بوعي وإدراك حتى خبت تلك القوة الدافعة الخلافة التي كانت وراء مدنيتهم وأفسحت المجال إلى الاسترخاء والمقتم والانحطاط الثقافي .

ويقول أربري في كتابه : « مظاهر الحضارة الإسلامية »

ان الاسلام لم يكذب ينزل على محمد في قلب جزيرة العرب ، حتى بدأ يغزو العالم بسرعة أذهلت المفكرين المحللين للتاريخ . وقد حاول المؤرخون المحدثون تعليل هذه الانتصارات الواسعة والفتوحات العظيمة بردها الى عوامل اقتصادية او حربية او سياسية ، ولكن كل تلك التفسيرات ظلت عاجزة عن التعليل الصحيح ، فكان لابد من الرجوع الى العوامل المؤثر الفعل وهو الدين الجديد . ويقول : ان بلاغة القرآن المعجز مع بساطة تعاليم الاسلام التي جاءت في هذا الكتاب هي المفتاح لحل لغز أعظم « مد » في تاريخ الأديان : ذلك ان الاسلام جاء يدعو الى حياة منظمة جادة ، حياة جماعة عاهدوا الله ان يخضعوا لارادته في كل امر وان يجاهدوا في حمل كافة البشر على الاترار بقدرته وملكوته .

٣٠ - وقد شهد الكتاب الغربيون بروح الانصاف التي تجلت في كتابات مؤرخي الاسلام ومفكره للامم الاخرى وخاصة لاديانها وعقائدها فقال هاملتون جب في هذا : « ان المؤرخ الغربى لم يكن في اعم الاغلب منصفاً للاسلام والمسلمين فقد استسلم بالرغم من دعوى المنهج العلمى لعواطفه واهوائه وكتب عن الاسلام والمسلمين من زاوية خلافه وتعنصبه ، ولم يستطع احكام النظرة المنصفة وانما وضع امامه صورة مشوهة تكونت من خلال الخصومات السياسية والدينية تحاول ان تصور الاسلام بصورة القوة التي زحفت على ارض الامبراطورية الرومانية فانتزعتها منها بعد ألف سنة من سيطرتها عليها . وكان المؤرخون الغربيون يضعون امامهم دائما خصومتين : خصومة الحروب الصليبية التي اقتحموا خلالها بلاد الاسلام وعادوا مهزومين بعد قرنين من الزمان وخصومة العثمانيين الذين عبروا الى اوربا فانتزعوا اجزاء كثيرة ووصلوا الى اسوار فيينا . ولا يفسون دخول المسلمين الى الاندلس وهزيمتهم في بلاط الشهداء .

يشهد جب في نفس الوقت للمؤرخين المسلمين فيقول : ان كتاب الاسلام كانوا اول من الف في اللل والنحل لانهم كانوا واسمى الصدر تجاه العقائد الاخرى وحاولوا ان يفهموها ويدحضوها بالحجة والبرهان ثم انهم اعترفوا بما اتى قبل الاسلام من ديانات توحيدية ، ويحظى « ابن حزم » في هذا المجال بالنصيب الاوفى .

٤ - وصور أخرى كثيرة يستطيع الغربيون ان يجدوها اذا ارادوا جادين معرفة الاسلام والاقتناع بدوره البناء . هذه الصورة والصور المتبايلة لها تكشف سماعة الاسلام - يقول المؤرخ الذى رافق الحملة الصليبية الى بيت المقدس :

اذا كنت تريد ان تعرف المعاملة التي لقيها اعداؤنا في بيت المقدس ( اى المسلمين ) فيكفى ان تعلم ان اصحابنا كانوا يخوضون في بحر من الدماء داخل

الأتمنى حتى الركب ولم يستطع أحد من الكفار ( أى المسلمين ) الخروج سالماً  
ولم نفع عن أحد حتى النساء والأطفال .

وكتب جودفرى ملك بيت المقدس الى البابا بعد ذلك يقول « ان خيولنا  
كانت تخوض الى ركبها في بحر من دماء المسلمين » .

فاذا سألت ماذا فعل صلاح الدين بعد ان حرر بيت المقدس واستعاده  
للمسلمين نجد ان البعض قال له لا نخرجهم الا بالقتال فأبى وقال لا ، انها  
الاسلام رحمة وسماحة وعفو . وذكره بالسبعين ألفا الذين قتلوا في معركة  
دخول بيت المقدس ، فأشاح بوجهه عنهم وعفا عن الصليبيين وسامح من  
لا يملك دفع الرسم المقرر للخروج بل وفرض على أصحاب السفن الإيطالية  
ان تحملهم ليعودوا الى بلادهم سالمين .

ويطول بنا الحديث عن هذه الصور الواضحة الصريحة التى يعرفها  
المتقنون في الغرب ولا يحتاجون الى دراسات جديدة للكشف عنها لو كانوا  
مخلصين في التعرف الى الاسلام .

ولكن علينا أن نكون على حذر من هذه المحاولات التى ترمى الى التقارب  
والى الحوار وهى لا تكشف صراحة عن اخلاص ، ولنعرف قبل كل شيء  
وبعد كل شيء ان المسلمين لا يمكن احتواؤهم وانهم متمسكون بذاتيتهم الخاصة  
التي تفرض عليهم أن يبلغوا كلمة الله وأن يكونوا شهداء على الناس .

\*\*\*

### خاتمة العمود

يقول محمد بن موسى الخوارزمى واضع علم الجبر :

ان للتأليف ثلاثة مناهج : هناك تأليف الابتكار وذلك ان يسبق المؤلف  
الى امر لم يعرفه احد من قبل فيطلع هو به على الناس . وهناك تأليف  
الشرح وذلك ان يرى المؤلف امراً غامضاً مستغلقاً على الكثرة من الناس  
فيتولى شرحه وايضاحه لهم . ثم هناك تأليف التصحيح والتبويب وذلك  
ان يقع المؤلف على رأى خاطيء أو غرض ناقص فيعكف على تصحيحه  
وتبويبه . ولكل واحد من هؤلاء المؤلفين فضله الذى لا ينكر .

\*\*\*



## سرقة التراث

نشرت الصحف أخيراً خبراً مؤداه أن ٤ آلاف مخطوط عربي وجدت في مكتبة دبلن بايرلندا ومنها نسخ من القرآن الكريم بخط أعظم خطاط عربي هو ابن البواب كتبها في بغداد عام ٣٩١ هـ ( الموافق ١٠٠٠ م ) ويقول الخبر أن هذه الروائع أحضرها ( الفريد تشستر تيتي ) من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، وكان قد وصل الى مصر عام ١٩١٣ ، وأقام بها وظل يجوس احياء القاهرة القديمة يجمع المخطوطات القديمة . وكان اغلب الأوربيين يهتمون بجمع المخطوطات ، بينما كان غيرهم ينظرون اليهم بدون اهتمام ، وكان ذلك هو هدف المستشرقين الذين كانوا يعملون في المتاحف الكبيرة ، وكان من السهل شراء روائع المخطوطات والأعمال الفنية بأبخس الأثمان . وقد كون تشستر تيتي لنفسه عدة وكلاء في الشرق من التجار والارمن أو اليهود ، وكان له محل في شارع سليمان بالقاهرة ، ثم أصبح أحد مراكز الشرق الاوسط لبيع وشراء المخطوطات الشرقية . وعندما توفي سركيسان يهودا في أمريكا عام ١٩٤٢ اشترى تشستر ما يزيد على الالف مخطوطة ، ثم انتقل الى ايرلندا عام ١٩٤٩ وبنى مكتبته الحالية التي تضم ١٢ الف مخطوط .

هذا ما أورده الخبر ، وهو نافذة على قصة طويلة لمؤامرة عالمية ضخمة استهدفت لها معظم عواصم العالم الاسلامي وخاصة دمشق والقاهرة وبغداد واستانبول ونقلت منها الى الغرب ملايين المخطوطات والكتب التي كانت مودعة في المساجد والزوايا الصغيرة والتي شكلت من بعد ذلك (الاثر) الخطير الذي استطاع به الاستشراق ضرب الفكر الاسلامي وتسميم اباره بعرض ما تحوم حوله شبهات الباطنية والمجوسية والشعبوية وطمس واغراق كل ما يصحح المفاهيم . ولقد كانت سرقة الكتب والتراث والمنابر وغيرها معروفة على مدى هذا التاريخ الاستعماري الطويل . وصحفنا القديمة كالأهرام والمقطم حافلة بهذه الأحداث . وكان لهذا الامتلاك لتراثنا اثره الخطير في الحيلولة بيننا وبين ابراز جوانب الحق في قضايا وشبهات اثرت ورد عليها مفكرونا المسلمون ، وما تزال الآن حركة الاستشراق تبرز الشبهات على أنها حقائق لأنها تخفى النصوص الأخرى المواجهة .

## مارتن لوثر واليهود

ما يزال العلامة عجاج نويهض الذى عرف منذ اربعين سنة بترجمة كتاب « حاضر العالم الاسلامى » عن لوثر وب ستوارت ، هذا الكتاب الذى علق عليه امر البيان شكيب ارسلان تعليقات ضافية حتى تضاعف حجمه ، نقول : ما يزال هذا المجاهد المسلم يواصل كفاحه فى سبيل الكشف عن الحقائق التى تعين المسلمين على فهم عدوهم الخطير : « الاستعمار والصهيونية والماركسية » وقد ترجم اخيرا كتاب اكاذيب اليهود للدكتور مارتن لوثر زعيم الحركة البروتستانتية فى القرن السادس عشر تحت عنوان ( نفاق اليهود ) .. والكتاب يفضح اليهودية فى أوروبا ، ويكشف عن كراهية المسيحية لها وخصومتها .

يشير دكتور مارتن لوثر الى « عقدة الاستعلاء اليهودى الكاذبة التى دفعتهم الى ان يسبوا انفسهم » « شعب الله المختار » ونقول ان الشعوب قد اكدت بنار سوء اخلاقهم ، وان هذه الشعوب لم تقف منهم موقفا سلبيا بل فرضت عليهم العقاب العادل ، لانهم كانوا ينظرون الى من عداهم على انهم « جوييم » أى اميين . ويقول : كم مرة نكبوا واستأصلوا ، لقد شردهم ملك بابل ومثله ملك آشور الذى نقض كيانهم واحتوتهم سياط الرومان ، هذه الطائفة الشريرة لم يؤثر فيها عامل من عوامل الردع ، فضلا عن تشويه التوراة وتأويلها ، وتحطيلهم الربا واباحة استنزاف غير اليهود .

● ويقول : والشر الاكبر فى ( التلمود ) الذى جعلوه مساويا لتوراة موسى فى المرتبة بعد تزيفها ، ثم اخذت درجة قداستها فى الازدياد حتى حلت محل التوراة فى العصور الوسطى وأصبح اكبر قداسة .

واشار الى انهم يمارسون التجارة فى الرقيق الأبيض ، وأن الهيكل كان سوق صياغة ولقد كان الربا لديهم ( اسفينا ) يدقون به صرح الاقتصاد فى أى شعب من الشعوب يعيشون متآمرين مبتزين ، والناس « الجوييم » يعملون وهم يكسبون من السحت الحرام ، ولقد ظل هذا الكتاب حبيسا فى الظلام سنوات طويلة ، حبسه اليهود حتى اتيح له ان يرى النور فى الأخير .

● يقول عجاج نويهض : ان عنوان الكتاب اكاذيب اليهود وقد وجدنا ان كلمة النفاق اشد انطباقا على المراد من كلمة ( اكاذيب ) والقرآن الكريم قد وصف اليهود قبل لوثر باكثر من تسعة قرون وقرعهم على نفاقهم : النفاق الطويل الامد الذى استؤصل فى يوم الخندق فى السنة الخامسة للهجرة .

ومما يذكر ان العلامة عجاج نويهض قدم بروتوكولات صهيون منذ سنوات فى مجلدين كبيرين فى اطار سيرة الصهيونية العالمية الحديثة ، وكشف كثيرا من أسرارهم ونذكر فى هذا المجال ايضا المرحوم عبد الله التل وكتبه الثلاثة : وآخرها : ( الأفعى اليهودية ) .

## ظاهرة الرسائل النبوية

ما تزال الرسائل النبوية التي ظهرت في السنوات الأخيرة موضع دراسة الباحثين وخاصة رسالته صلى الله عليه وسلم ، الى هرقل والى كسرى . وفي العدد الاخير من مجلة ( المنهل ) السعودية دراسة ضافية للدكتور محمد حميد الله عن رسالة النبي الى كسرى . ومنذ وقت ليس ببعيد ، تناولت الصحف رسالة في ابي ظبي ، والذي يهمننا في هذا الشأن هو ذلك الاهتمام البالغ الذي تبديه الدوائر المختلفة بالنسبة لهذه الرسائل وخاصة بعد أن ظهر أنها رسائل صحيحة واثبتت المختبرات العلمية العصرية سلامتها . وهي في هذا الوقت بالذات الذي علت فيه صيحة المادية وتكذيب رسالات السماء والوحي والنبوة ، عامل جديد لاطلاع البشرية على حقائق السماء .

والذي يهمننا الان في هذا المجال ما جاء في رسالة النبي الى هرقل :

« أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام . اسلم تسلم . واسلم يؤتك الله اجرک مرتين » فان توليت فعليك اثم الاربسين » .

وقد تبين من الدراسات التي اجراها علماء المملكة العربية السعودية في فرنسا وروما في العلم الماضي ان لفظ ( الاربسين ) يعود الى اتباع «أريوس» أحد قساوسة كنيسة الاسكندرية الذي عارض التثليث وتآليه عيسى ، وقاوم ذلك بشدة في عدد من المراجع واتجهت حملة الكنيسة الرومانية الى اضطهادة ، وان ظل هو وجماعته يؤمنون بالله ربا وبالمسيح نبيا ، وينكرون ذلك الاتجاه الخطير الذي تحولت به المسيحية في شأن عيسى عليه السلام ، وقد ولد عام ٢٧٠ م وتوفي ٣٣٦ م وما تزال سيرته في كتب التاريخ الغربي مظلمة قاتمة ، فهم يصفونه بأنه صاحب بدعة ويسمونه ( اريوس الهرطقي الشهير ) .

وتقول دوائر معارفهم : انه قام يعلم في لاهوت المسيح تعليما غير مستقيم حتى ضل به كثيرون من الناس واتهمه خصومه بأنه ينكر لاهوت المسيح . وقد حكم عليه عام ٣٢١ بفصله من الكهنوت .

وهكذا يجيء الاسلام بعد ذلك بكثير من ثلاثمائة عام ليرد اعتبار اريوس ويحمل هرقل مسؤولية هذا الانحراف ، ويجعل من الاربوسين اتباع هذا الراهب الموحد ، نقطة اتصال حقيقية بين دين المسيح المنزل من السماء وبين الاسلام ، ومما يروى أن الموحدين من المسيحيين ظلوا معتصمين في الجبال جيلا بعد جيل يصرون على عقيدتهم ، وينكرون التحريف الذي فرضه « بولس » حتى اشترقت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فآمنوا بها .

\*\*\*

## لو غيرك قالها يا ابا عبيدة

لو غيرك قالها يا ابو عبيدة : مخاضة اعترضت طريق عمر الى بيت المقدس : نزل عمر من فوق ناقته ، وخلع نعليه فوضعهما على عاتقه واخذ بزمام ناقته فخاض الماء فقال ابو عبيدة : يا امير المؤمنين : انت تفعل هذا ؟ ! ما يسرنى ان اهل البلد ( الشام ) استبشروك على هذا الحال قال عمر : لو غيرك قالها يا ابا عبيدة لجعلته نكالا لامة محمد ، انا كنا اذل قوم حتى اعزنا الله بالاسلام .. فاذا طلبنا العز بغيره اذلنا الله .

\*\*\*

## مصاييح على الطريق

### الرحالة المقدسى :

يقول المقدسى : صاحب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم :

ما بقيت خزانة ملك الا وقد لزمته ولا مذهب قوم الا قد عرفتها ولا اهل زهد الا وقد خالطتهم ولقد سميت بستة وثلاثين اسما دعيت وخطبت بها مثل مقدسى وفلسطينى ومصرى ومغربى وخراسانى وسلمى وصوفى ومترى وفقهه وولى وعابد وزاهد وسياح ووراق ومجلد وتاجر ومذكر وامام ومؤذن وخطيب وغريب وعراقى وبغدادى وشامى وخنيفى وراكب ورسول ، وذلك لاختلاف البلدان التى حلتها وكثرة المواضع التى دخلتها .

وقد طاف المقدسى العالم كله ما عدا الاندلس والسند ، وركب المخاطر فى بحر الهند والبحر الاحمر والابيض .

وقال عنه المستشرق اشبرنجر : انه اعظم جغرافى عرفته البشرية قاطبة .

يقول المقدسى : لم يبق شيء مما يلحق المسافرين الا وقد اخذت منه نصيبا غير « الكنية » اى التسول وركوب البكرة فقد تفقعت وتزهدت وتعبدت وفقعت وادبت وخطبت على المنابر واذنت على المنابر واقمت فى المساجد وذكرت فى الجوامع واحتفلت الى المدارس وتكلمت فى المجالس واكلمت مع الصوفية الهرايس ومع الخافقانيين الثرائد ومع النواتى « الملاحين » المعصائد وطردت فى الليالى من المساجد وسحت فى البرارى وتهت فى الصحارى وصدقت فى الورع زمانا دمجت بعباد جبل لبنان وخالطت حينما السلطان وملكك العبيد وحملت على راسى بالزنبيل ، واشرفت مرارا على الفرق ، وقطع على قوافلنا الطرق ، وخدمت القضاة والكبراء ، وخطبت السلطان والوزراء وبيعت فى الاسواق وسجنت فى الحبوس واخذت على انى جاسوس ... الخ .

## الباب الثالث

# اللغة والأدب

- ١ - الفصحى لغة القرآن .
- ٢ - علم الفصحى لغة القرآن .
- ٣ - لماذا دراسة اللهجات العامية والاهتمام بها .
- ٤ - اللغة الهيرغليفية إحدى اللغات العربية .
- ٥ - هذه الأمة الوسط .



## الفصحى لغة القرآن

لغة ألف مليون هم المسلمون وليس مائة مليون هم العرب وحدهم !  
ما تزال قوى التغريب والفرز النفاذ تطارد اللغة العربية الفصحى مطاردة  
شديدة : وفي مؤتمر المستشرقين الأخير دارت مناقشات وأبحاث كثيرة حول  
ما يسمونه اللغة العربية الحديثة وحول العامية التي يسمونها لغات .

وهناك اتجاه في بعض الجامعات التي تشرف على الدراسات الإسلامية  
والعربية فيها يهود صهيونيون - يرمى إلى المبالغة في أهمية اللهجات العامية  
والعناية بدراساتها باعتبارها اللغة المستعملة ، وهناك دراسات عن اللهجات  
المصرية والتونسية والمغربية .

ويواجه الأساتذة العرب هذه الحركة بحركة مضادة معادية لهذا الاتجاه  
يقرون فيها ضرورة التمسك باللغة الفصحى لغة القرآن ويكشفون فساد  
هذا المنهج التغريبي الذي تحمل لواءه اليهودية العالمية لحساب الصهيونية  
واسرائيل ونحن نعرف أن الهدف هو القرآن والإسلام والقضاء على الوحدة  
الفكرية الجامعة تحت لواء الإسلام في لغته الأم .

وفي هذا نذكر ذلك التذير الذي أصدره الأستاذ مصطفى صادق الرافعي  
منذ خمسين عاما حين قال :

أن العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم وقد أجمع  
الأولون والآخرون على إعجازه بفصاحته إلا من لا حفل له به من زنديق يتجاهل  
أو جاهل يتزندق ثم أن فصاحة القرآن يجب أن تبقى مفهومه ولا يدنو الفهم  
منها إلا بالمران والمداولة ودرس الأساليب الفصحى والاحتذاء بها وأحكام  
اللغة والبصر في حقائقها وفنون بلاغتها والحرص على سلامة الذوق بها  
وكل هذا يجعل الترخص في هذه اللغة وأساليبها ضربا من الفساد . والحال  
الخاصة في فصاحة هذه اللغة ليست في الفاظها ولكن في تركيب الفاظها .

ويعنى هذا الذي يقوله الأستاذ الرافعي رحمه الله أن اللغة العربية  
ارتبطت بالقرآن فأصبحت لغة أمة : ولغة فكر وثقافة ولغة عبادة للمسلمين  
جميعا الذين يبلغ تعدادهم ألف مليون وليست لغة مائة مليون هم العرب  
وحدهم ، ولقد حماها ارتباطها بالقرآن من أن تتحول لهجاتها إلى لغات  
مستقلة وحال بينها وبين أن يقرأ تراثها بقاموس كما يقرأ تراث اللغات

الاروروبية . وسيظل الترابط بين المسلمين وبين لغة الضاد قائما ما دام القرآن الكريم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ان اللغات الاروروبية حين انسحبت من اللغة اللاتينية الى اللهجات القومية فأصبحت لغات خاصة ، فقد انقطعت عن تراثها القديم ، وقد أصبح من شأن هذه اللغات أن تتطور وتتطور وهي في كل فترة تنتقل من اللغة المكتوبة الى لغة الكلام التي تصبح بدورها لغة كتابة ومن ثم فان أوروبا لا تستطيع أن تقرأ شكسبير أو ملتون أو غيرهما من اعلام الأدب الا بواسطة التاموس ، وليس بين اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية وبين هذا التراث أكثر من أربعمئة عام بينما يقرأ العرب والمسلمون اليوم أمرؤ القيس وبينهم وبينه أكثر من الف وخمسمئة عام كأنها ألقي شعره في نفس اليوم . ولو أن أسانا عربيا من الجاهلية بعث اليوم لاستطاع أن يتحدث إلينا ونحدث اليه ويفهم منا ونفهم منه .

أن القول الباطل الذي يردده هؤلاء التغريبيون من قولهم أن اللغة العربية هي لغتنا ونحن أصحابها ولنا حق التصرف فيها هو قول غير صحيح يرده واقع التاريخ ويحضره منطق البحث العلمي .

وقد يكون صحيحا بالنسبة لعلم اللغات الذي استمد مقوماته من دراسة اللغات الأوربية وأقام نظرياته على أساس واقعها وهو يصح بالنسبة لكل اللغات ولكنه لا يصح بالنسبة للغة العربية التي احتضنها القرآن فنزل بها ومن ثم فقد أعطاها « أبعادا خالدة » تختلف اختلافا واسعا عن اللغات وقد تتباين وتعارض معها ، ذلك أن اللغات الأوربية ترجمت كتابها المقدس الى لغاتها الجديدة ، وكانت موجة القوميات الأوربية عاملا على أن تقيم من لهجاتها لغات خاصة منفصلة عن اللغة الأم كما انفصلت سياسيا عن النظام السياسي الغربي الذي كان قائما ومتصلا بالكنيسة الغربية الواحدة وهذا أمر يختلف في اللغة العربية تماما فان المسلمين لم يترجموا قرآنهم وما يزال يقرأ الهندي والفارسي والتركي والبربري وغيرهم من الاجناس واللغات بنفس اللغة العربية التي نزل بها ولذلك فهو قد أقام للغة العربية كيانا خاصا حماها من التحول الى العاميات ومن ثم فان علم اللغات الحديث الذي تجرى محاولة تطبيقه على اللغة العربية هو علم قاصر قامت مستخلصاته على أساس دراسة اللغات الأوربية وظروفها . كما ذكرت ولكنه لم يدرس ظروف اللغة العربية .

ولقد اعتقد المسلمون على مدى القرون ، وهو الحق ، أن لغتهم جزء من حقيقة الاسلام لأنها كانت ترجمتنا لوحى الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله وإسانا لدعوته . ثم هذبها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده فالقرآن لا يسمى قرآنا الا بها والصلاة لا تكون صلاة الا بها وأن « الراجنون » لاي فكر أو « منهج بحث » لاي فكر انما يستند الى خصائص اللغة ولذلك فان منهج البحث العلمي العربي انما يستند الى خصائص اللغة العربية ولا يستطيع أن يستند الى خصائص لغة أخرى فكل لغة منهجها الفكري



القائم على معانيها ومضامينها . وكما هاجم المسلمون المنهج الأرسطي وقالوا أنه مستند الى خصائص اللغة اليونانية التي تخالف اللغة العربية فذلك الامر بالنسبة للمنهج الغربي الوافد ( ماركسيا او ليبراليا او فرويديا او وجوديا ) ذلك لأن للفكر الاسلامي منهج البحث الخاص به ومنهج المعرفة الذي يمثل والمستمد من اللغة العربية أصلا ومن التوحيد الخالص .

ولا ريب أن محاولة فصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام بأعلاء اللهجات أو بخلق ما يسمونه لغة وسطى أو لغة الأصحافة ، كل هذا له خطره وله أبعاده ومخاطره .

إن النظرة البسيرة قد ترى في ذلك شيئا مقبولا ولكن النظرة العميقة تكشف عن محاذير عميقة أبرزها : الانفصال عن مستوى البيان القرآني ذلك أنه من الضروري أن تظل اللغة العربية متصلة ببيان القرآن ومرتبطة به فإذا بعدت عنه كان من أخطار ذلك أن تنفصل أو تنعزل عن مستوى البيان القرآني . فإذا مر زمن طال أو قصر انقطعت الصلة بين البيان والأداء العربي وبين القرآن .

واللغة العربية : لغة غنية خصبة عملاقة ، يقول الخليل بن أحمد في كتاب العين : أن عدد أبنية كلام العرب ١٢ مليون و ٣٠٥ ألف و ٤١١ كلمة ويقول الحسن الزبيدي أن ما يستعمل من الفاظ اللغة العربية هو ٥٦٢٠ لفظا فقط . وعندما نزل بهسا القرآن أراححت السريانية والكلدانية والنبطية والآرامية واليونانية والقبطية عن مكانها في مصر والشام وأفريقيا وأدالت منها قبل أن ينقضي قرن واحد ، فلما بلغت القرن الثالث تحولت الصلوات في الكنائس إليها ثم كتبت بها اللغات التركية والفارسية والأوردية والافغانية والكردية والمغولية والسودانية والأبجية والساحلية . كما كتبت بها لغة أهل الملايو وقد حدث هذا منذ أكثر من ألف عام .

ثم دخلت اللغات الأوروبية كالفرنسية والألمانية والإنجليزية وفي اللغة الإنجليزية وحدها أكثر من ألف كلمة عربية ، ومن الناحية العلمية فهي تفوق أضخم اللغات ثروة وأصواتا ومقاطع ، إذ بها ٢٨ حرفا غير مكررة . بينما في اللغة الإنجليزية ٢٦ حرفا ومنها مكرر ، كذلك فإن في اللغة العربية ثراء في الأسماء فيها ٤٠٠ اسم للأسد و ٣٠٠ للسيف و ٢٥٥ للناقة و ١٧٠ للهاء و ٧٠ للمطر لكل واحد منها استعماله الخاص في حالة معينة .

ولقد عرف رجل من أشد خصوم الإسلام قدر اللغة العربية فكتب عنها في كتابه اللغات السامية . ذلك هو أرثست رينان فقال :

من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره : انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة غير معروفة يادى ذى بسوء ، فبدأت فجأة في غاية الكمال ، سلسلة أى سلاسة ، غنية أى غنى ، كلمة ، بحيث لم يدخل عليها منذ يومنا هذا أى تعديل مهم ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لأول أمرها تامة محكمة ولم يمض على فتح الاندلس أكثر من خمسين سنة

حتى أضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى ،  
ومن أغرب الدهشيات ان تنبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال  
وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة  
مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها وكانت هذه اللغة مجهولة عند  
الامم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا فى حلال الكمال الى درجة انها لم تتغير  
اى تغير يذكر حتى انه لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة  
ولا تكاد تعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تبارى ولا نعلم  
شيئا عن هذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج وبقيت حافظة  
لكيانها خالصة من كل شائبة .

هذا وقد اثبت الاستاذ كامل كيلانى انه ما من فن أو علم أو معنى فى  
نثر أو شعر يتحدث به فى أدب من الآداب الا وله ضريب فى اللغة العربية  
وقد جمع ١٨٠ صورة من هذه المقابلات بينها وجد أن هناك ٢٥ صورة من  
الأدب العربى لا ضريب لها فى الآداب الغربية .

وقد شغلت كلمة ( الوفاء ) فى اللغة العربية من لسان العرب صفحات  
٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ من جزئه العشرين بينها لا توجد هذه الكلمة  
فى بعض اللغات كلية .

لقد كتب جول فيرن الروائى المشهور قصة خيالية عن قوم شقوا  
فى اعماق الأرض طريقا الى جوفها فلما خرجوا سجلوا أسماءهم باللغة  
العربية فلما سئل عن ذلك قال : لاتيا لغة المستقبل .

ولذلك فان من الخطر فصل اللغة العربية عن مستوى بيان القرآن  
وذلك هو هدف التغريب الذى يعرّفه جيدا جميع المستشرقين .

يقول بول كداوس : لا لغة عربية بدون القرآن .

ويقول سيدىو : ان اللغة العربية حافظت على وجودها وصفاتها  
بفضل القرآن . نقول : ومن ثم فان كل هذه المحاولات هى فى جوهرها هجوم  
على الاسلام يتخفى وراء عبارات كاذبة مضللة .

\*\*\*

## علم الفصحى لغة القرآن

اقترحت مجلة البيان الكويتية أن يطلق على هذا العام ( ١٣٩٧ ) علم اللغة العربية الفصحى لغة القرآن ومن الحق أن اللغة العربية في اشد الحاجة الى هذه النصرة والتجمع والموازرة في هذه المرحلة التي يمر بها العالم الاسلامي والوطن العربي بالذات حيث تتجمع قوى كثيرة للتآمر عليها وقد ارتفعت الأصوات : اصوات دعاة اليقظة الاسلامية بالتحذير من تلك الاخطار التي توجه الى اللغة العربية الفصحى ..

فان العدو عندما عجز عن مواجهة القرآن الكريم لجأ الى مهاجمته عن طريق اللغة في مجال البيان ، ولجأ الى التشكيك فيه عن طريق السنة في مجال الفقه . وعلى شباب المسلمين المثقف ان يحذروا ما يوجه الان الى اللغة والسنة من مؤامرات وتحديات .

ولقد صدرت في السنوات الاخيرة مؤلفات ودراسات تكشف عن هذه المحاذير ، في مقدمتها ( الزحف على لغة القرآن ) للاستاذ الجليل احمد عبد الغفور عطار والعامية للدكتور نفوسه وصهر لكتاب هذه السطور : اللغة العربية بين حمايتها وخصومها ومنذ وقت قريب عقد في الخرطوم مؤتمر بحث تطوير دراسة اللغة العربية الذي قرر توحيد مناهج اعداد معلمى اللغة العربية والعمل على تأكيد قرار معلمى افريقيا الخاص باعتبار اللغة العربية احدى لغات افريقية ثلاث اساسية يدرسها كل افريقى مع لغته الأصلية كما اوصى بالاسراع في تعريب التعليم الجامعى .

والواقع أن مجامع اللغة التي قدمت عددا وافرا من المصطلحات قد أصبحت اليوم محتواة بمجموع من خصوم اللغة العربية الذين استطاعوا السيطرة عن طريق ما اسبوه دراسات علم اللغة والأصوات وهم الذين يحملون لواء الدعوة الى تشجيع العاميات واللهجات ويفسحون امامها الطريق لتدخل القواميس ولتسيطر منحية البيان العربى الاصيل الذى فرضه القرآن الكريم والذي يلتزم اهل العربية بالاتصال به والاستمرار في مستواه .

والؤامرة معروفة ، مدخلها : تطوير اللغة ، والقول بوضع اللغة في خدمة العصر . وهذه كلها عبارات لم تعد تتخذ احدا ومعروف هدفها وهو الفصل بين العرب وبين لغة القرآن التي جمعتهم الى محاولة الوصول باللهجات العامية في كل قطر الى لغة تمزق الوحدة الفكرية والسياسية الجامعة بين

العرب أنفسهم وبين العرب والمسلمين . ولقد قاومت اللغة العربية الفصحى محاولات مستمرة لم تتوقف وصمدت صمودا عنيدا امام جميع التحديات الاستعمارية في المغرب العربي وفي سوريا وفي مصر ، وفي كل مكان حيث حاول النفوذ الاجنبى ضربها ضربا مزدوجا باللغات الأجنبية وابعاء اللهجات العامية .. قاومت اللغة العربية كل المحاولات من ابداع وازالة وابادة لانها مدينة لقاموسها الجوهرى ولنظام بناء الكلمات وتركيب العبارات والنحو والصرف ومن هنا كانت دعوتنا الى نقل العلوم والتكنولوجيا من افق اللغات الأجنبية ، فنحن نطالب بأن ينقل العلم الى افق اللغة لا أن ينتقل العرب والمسلمون الى افق اللغات الأجنبية ولقد واجهت اللغة العربية الفصحى في العصر الحديث مقاومة ضخمة في كل مكان : فقد حيل بينها وبين نموها الطبيعى وامتدادها مع انتشار الإسلام الى آفاق العالم وخاصة في أفريقيا وتشير التقارير الى أن اللغة العربية خارج الوطن العربى هي أكثر اللغات الوطنية انتشارا في أفريقيا المعاصرة ، وهناك دول تعتبر العربية فيها أكثر اللغات الوطنية انتشارا في موريتانيا وتشاد ومالطة فانتشار العربية في موريتانيا لا يقل عن انتشارها في المملكة المغربية فاللهجات البربرية المختلفة هي وسيلة التعامل المحلية عند حوالى ثلث سكان موريتانيا ولكن نصف أبناء البربرية في موريتانيا يستطيعون التعامل في أمور الحياة باللغة العربية . وفي المنطقة الممتدة من السنغال ومالى الى تشاد فان العربية مستخدمة هناك في مناطق كثيرة كلفة أم او كلفة تداول ، بل أن العربية هي أكثر اللغات استخداما في المنطقة الممتدة من تمبوكتو ( مالى ) الى كاتم ووادى الى غرب السودان .

ويقول التقرير ان اهم تجمع بشرى يتعامل بالعربية في هذه المنطقة يوجد في تشاد حيث يعيش فيها حوالى مليون و ٨٠٠ ألف من يستخدمون اللغة العربية كلفة أم والعربية بهذا هي أكثر اللغات الوطنية انتشارا في تشاد غابناء اللغات الأخرى يكونون ٤٠ في المائة فقط من سكان تشاد وهناك منطقة لم يرتبط تعريبها بالإسلام وهي جزيرة مالطة : المنطقة الوحيدة التى تخلو من المسلمين ولغة الحديث فيها إحدى اللهجات العربية أما في موريتانيا وتشاد ومالطة فان العربية قاصرة على أمور الحياة اليومية البسيطة ولكن العربية بعيدة عن هذه المناطق في المجالات الثقافية واللغة السياسية وعلى العكس من ذلك نجد الموقف اللغوى في الصومال حيث تسود في أمور الحياة اليومية البسيطة الواحدة لغة واحدة هي اللغة الصومالية ولكن أبناءها يتوسلون بالعربية في أمور الثقافة الجادة والتعليم ويهتم الصوماليون اهتماما كبيرا بتعليم اللغة العربية ويحسن كثير منهم التعامل بها فتصبح بمثابة اللغة الأم الثانية .. وقد ارتبط تعليم العربية في الصومال بحفظ القرآن الكريم وبالثقافة الدينية عموما غير أنه في ظل الحكم الماركسى الحالى يعانى السكان والعربية من مشاكل كثيرة ليس أقلها قتل المعاهد الإسلامية ومنع الخطابة باللغة العربية .. انها محنة نعتقد انها سوف تزول عن شعب الصومال .. وهناك دول لا يشكل أبناء العربية فيها أغلبية سكانية ولكنهم يكونون أقليات لغوية هي ( مالى والنيجر وإيران وتركيا وأزبكستان وأفغانستان ) وقد لاحظ الرحالة الأوروبيون أن العربية منتشرة من شمال السنغال ومنطقة النيجر الى تمبوكتو ثم من بورنو الى دارفور في السودان .. والمنطقة التى ينقطع فيها استخدام العربية هي

المنطقة من بورنو الى تمبوكتو كما أشار التقرير الى أن اكبر تجمع بشرى يستخدم العربية في دولة مالي والمناطق المتاخمة لها هم « ذو حسان » وقد تعرف لهجتهم العربية باسم الحسانية وهم الذين يسميهم ابن خلدون ( عرب المغنل ) واغلب الظن انهم دخلوا هذه المنطقة قبيل دخول الهلالية الى المغرب كما توجد اقلية عربية اللغة في عدد من الدول الاسيوية وفي مناطق أخرى من ايران تعيش جماعات تتعامل باللغة العربية في حياتها الخاصة ويقدر عدد هؤلاء بنصف مليون .

اما في تركيا فتعيش جماعة عربية في منطقة ماردين ويقدر عدد ابناء العربية في تركيا بحوالى ربع مليون نسمة وهناك عدة جزر لغوية صغيرة في افغانستان وازبكستان .

ويظهر الباحثون ان اللغة العربية الان هي لغة حوالى مائة وخمسة عشر مليون من العرب ( ١٩٧٠ ) اما الجماعات غير العربية فهي لا تزيد عن خمسة ملايين نسمة وقد لوحظ ازدياد انتشار العربية في الأجيال الصاعدة مع انتشار التعليم ويصدق هذا على جنوب السودان رغم البطء الشديد في نشر التعليم هناك ، واكبر جماعات بشرية غير عربية في البلاد العربية هي جماعات الاكراد ( مليون ) والبربر ( ٤ مليون ) والتوبيون والمهرة وابناء لغات جنوب السودان ، وفي اقصى جنوب جزيرة العرب تجد في مناطق من جمهورية اليمن الشعبية عددا من المتحدثين بلغة سامية قديمة هي لغة المهريه ، ويعتبر النوبيون اهم تجمع بشرى غير العربى في مصر ( ٤/١ مليون ) ولا ريب ان هذه الاحصائيات تعطى صورة النبو المتجدد للغة العربية في العالم الاسلامى بالرغم من كل محاولات حصر اللغة الفصحى وحجبها وتغليب اللهجات العامية واللغات الأجنبية عليها وبالرغم من محاولات تغيير ابجديات اللغات في الملايو وبعض البلاد الإفريقية ،

\*\*\*

### الرافعى ولغة القرآن

ولقد كان المرحوم مصطفى صادق الرافعى من أوائل المجاهدين في الدفاع عن اللغة الفصحى حتى وصف بأنه حارس لغة القرآن يقول :

« قد ادهشتنى الكلمة التى جرت على قلم يوسف حنا من اعتقادى اننى المختار لحراسة لغة القرآن فاننا لم اقل له هذا ولم اعتقدها مطلقا ومن اجل ذلك اثرت فى هذه الكلمة تأثيرا عظيما واعدتها انباء من الغيب واعتقدتها والظاهر انها كذلك » .

والحق ان كتاب الرافعى « اعجاز القرآن » كان بمثابة القنبلة الخطيرة التى القاها الرافعى في جو ظن خصوم الاسلام والعربية انهم قادرون فيه على الهدم دون أن يلتفت اليهم احد .

\*\*\*

## أحمد السكندري

ولكن البقطة الإسلامية كانت تنطلق دائما مكتسحة كل هذا الركام الذي شيده الأعداء وفي هذا المجال نذكر رجلا آخر من المجاهدين في سبيل اللغة العربية هو أحمد السكندري :

كان الدكتور منصور فهمي يقول كلما واجهتهم في الجمع اللغوي مشكلة :

انتظروا السكندري ، ارجئوا المسألة فعند السكندري علم ما أشكل علينا ولديه حل ما استعصى علينا . فلما مات السكندري قال منصور فهمي الآن يموت خلال المشكلات والمرتجى في اللغة للمستعصيات . وكان السكندري يقول : لا يجوز التعريب إلا إذا تحقق العجز في نقل أسماء ومصطلحات الفنون والصناعات وأنواع النبات والحيوان . وهو واحد من مؤسسي الجمع وكان عضوا في سبع لجان وهو من الرعيل الأول لدار العلوم الخضري والمهدي، وحفني ناصف أولئك الذين كانت لهم مواقف حاسمة إزاء المؤامرات التي وجهت الى اللغة في مطلع العصر .

ومنذ بدأت فكرة التجمع لحماية اللغة والنظر في أمرها كان السكندري في المقدمة وهو قد شاهد توفيق البكري وحزمة فتح الله والشيخ الشنقيطي وحفني ناصف عندهما اجتمعوا لأول مرة ووضعوا عشرات من الكلمات ثم جاء بعدهم نادي دار العلوم فوضع مئات الكلمات وشارك هو في هذه اللجنة .

والسكندري : ازهرى درعهم معا : شغف باللغة وتخصص فيها وكان من أصحاب العزائم ، كان مؤمنا ببدا لا يتزعزع أن اللغة تكونت من عناصر تهمت للأبدية والخلود فعنده أن عناصر هذه اللغة تنسحب الى ماض لا أول له ، وفي طاقته أن تمتد الى مستقبل لا آخر له فاللغة عنده ماضيهما وحاضرها ومستقبلها وحدة قوية متماسكة تتسع لكل المصطلحات وكان يعد من المتشددین في القديم وقد جعل المجمع بالغ الحرص على توفير المظان القديمة شديدة العناية بممارسة ما احتوته من مخزور العربية وكنوزها ولم تكن معاركه داخل المجمع وحده ولكنه كان معاركا في كل مجال من أجل اللغة وعندما كان أحمد زكي باشا شيخ العروبة يكتب كان يتحماه كثيرون ولكن شيخ العروبة أراد أن يكتب عن اللغة ويتعرض لكلمات : ( على الحركك ، وبالله ) فكتب رايه ثم سأل أصدقائه وطالب السكندري بالذات أن يدلي برأيه في الكلمتين .

قال السكندري : ظن الباشا أن صمت مثلي إنما هو علم يكتمه ولا والله ليس إلا قلة الاعتداد بما خطر على بالي والاستهانة بما سنح لي في تخريج هذا الحرف ( على الحركك ) والله يقول : « ولا تقف ما ليس لك به علم » فاما اذ أحرجنى الباشا مرتين ولم يرض لي غير إحدى خصلتين : الفتيا ولو بغير مضع أو استحقاق الألبام بلجام من نار فاني أستغفر الله وأقول ما لم أعود قوله :

خطر ببالي أن ( على الحركك ) محرف من لفطتين فصيحيتين هما :  
 حرج الحرج قلبت الجيم فيهما كافا لتقاربهما في الخارج الحرج بفتح الراء  
 معناه اضيق الضيق ، فإذا اضيف إلى مثله كما يقال فلان في ضيق الضيق  
 كانت المبالغة أشد إذ هو بمنزلة أن يقال : اضيق الضيق وهو ما تريده  
 العامة وهو نظير قولهم ( شفت فيه ويل الويل ومر المر ) ويحتفل أن يكون  
 محرفا عن الحرج الحرج فإذا كان يعجب الباشا مثل هذا التفرج فذاك والا  
 فاني اعتقد أن اجابتي انما هي على حرج الحرج ربنا بنفسى ان اكون  
 مستاهلا الالجام بلجام من نار والعياذ بالله » .

وبعد فمن حق اللغة العربية أن نفردها عما يشترك فيه المجاهدون  
 دونها ولعل الأستاذ احمد عبد الغفور عطار أن يقدم وجهة نظره في هذه  
 الدعوة المطروحة الآن على بساط البحث في عدد من البلاد العربية .

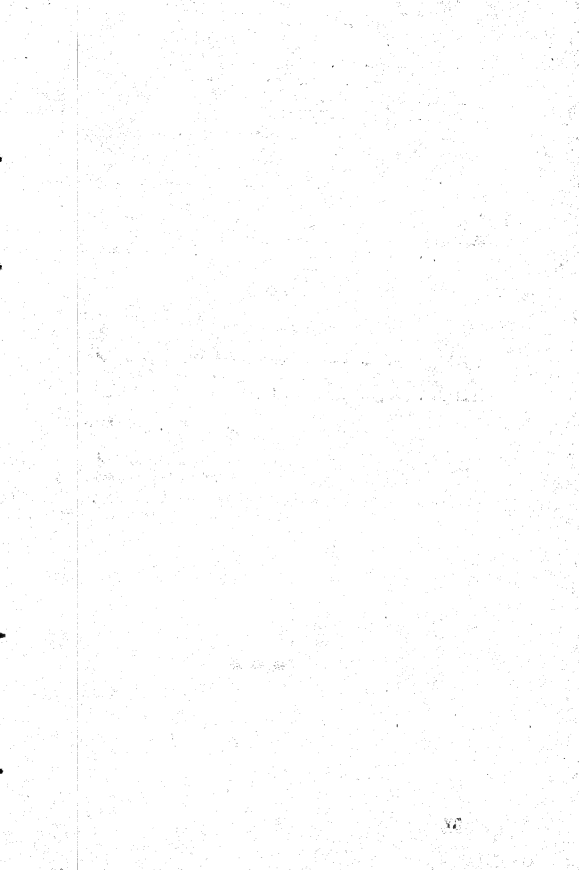
\*\*\*

### اسمها فوق براكين القمر

نقرأ ونسمع اعترافا بالفضل الذي قدمه علماء المسلمين حين اشارت  
 التقارير أن علماء الفلك المحدثين عندما توصلوا الى رسم خريطة سطح  
 القمر ، راوا أن يطلقوا على براكينها أسماء الأعلام الذين خدموا علم الفلك  
 بوجه عام وخصوصا اثنين من البراكين بأسماء عربية أطلقوا على أحدها  
 اسم عالمنا الكبير أبو الفداء وعلى الآخر اسم البتاني .

واستشهد الباحثون بأن الغرب قال يوما : انه لا يمكن لأحد أن يتمخض  
 في علم الفلك ما لم يعرف اللغة العربية . ومما يذكر أن أربعة أخماس أسماء  
 الكواكب ما تزال في كتب العلم كلها عربية على النحو الذي وضعه كوكبة  
 العلماء الذين يتقدمهم أبو الفداء والبتاني .

\*\*\*





## لماذا دراسة اللهجات العامية والاهتمام بها

ما تزال اللغة العربية تنافس عن كينيتها الذي يرهق الاستشراق والتفريب والذي تخطط له الماركسية في كل مكان تحل فيه كما يخطط له الاستعمار والصهيونية بوصفها لغة القرآن التي تجمع العرب الى وحدة الأمة والجماعة وتربط المسلمين الى وحدة الفكر والثقافة ، ولقد ترددت في المرحلة الأخيرة ظاهرة تبدو كأنها دفاع عن الفصحى ولكنها تخفى في أعماقها حربها وخصومتها تلك هي ظاهرة دراسة اللهجات العامية ، ترى ذلك واضحا اليوم في عديد من مجامع اللغة ومعاهد الدراسة العالية .

وقد حاول بعض الباحثين أن يدعى أن الغاية من دراسة اللهجات هي الكشف عن أنجع الوسائل المؤدية الى جعل لغة الضاد ( موحدة وموحده ) في جميع البلاد العربية أي أن تكون لغة أمنا العربية واحدة وأن تكون أكبر أداة لتوحيد الشعوب الإسلامية في أمة واحدة .

ولكن المتعمق للامور يرى أن ذلك وهم من الأوهام وأن التجربة لم تحققه بل حققت عكسه وأن بعض المعاهد التي استقدمت أمثال أنيس فريحة وغيره لم تزد أن اعطت دعاة العامية سلاحا ضد الفصحى بالإضافة الى اسلحتهم المشرعة اليوم في مجال المسرح والاذاعة والكاريكاتير .

يقول الأمير مصطفى الشهابي أن اللهجات العربية العامية تعد بالعشرات بل بالمئات وكلها اليوم لاضابط لها من نطق أو صرف أو نحو أو اشتقاق أو تحديد لمعنى اللفاظ فهي كلام العامية يستعمل في الأغراض المعاشية وفي علاقات الناس بعضهم ببعض .. وهذا الكلام وقتي لايبث على مرور الأيام وموضعي لايتجول من قطر عربي الى قطر عربي آخر .. ومعناه أن اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وأدب وثقافة وليس في مقدورها أن تعيش طويلا وأن يعم بعضها أو كلها ، الأقطار العربية كافة ، وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصورا في قطرة وقتلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر أو غير طائفة من أبناء ذلك القطر فإذا تدارسنا حقائق هذه اللهجات ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة فلماذا تكون مغيبة هذا العمل .. أن أخشى ما نخشاه أن يستهوى هذا الموضوع عقول بعض هؤلاء الطلاب فيعكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة وعلى طبع هذه الرطانات ونشرها فتكون النتيجة تشويشا وضررا يباعد بعض الأقطار العربية عن بعض بدلا من أن

يتوجد بلغتها اى تكون النتيجة مخالفة تلم المخالفة لما يتوقع من تدريس اللهجات العامية فى خدمة الفصحى .

اما القول بأن تدريس هذه اللهجات يفضى الى معرفة مشكلات الفصحى والى مداواة ادوائها فهو قول ضعيف فى نظرنا فأدواء الفصحى معروفة تحتاج الى من يعالجها باخلاص ونشاط وصبر ومثابرة واهمها وضع المصطلحات العلمية او تحقيقها وتبسيط قواعد الكتابة والاعراب والصرف والنحو وتبسيط الكثير من تعليقات القواعد الصرفية والنحوية .

وجميع هذه الامور الشائكة يعرفها علماءنا الاثبات ولا علاقة لها باللهجات العامية وقواعد تدريسها ومن الطبيعى القول بان هذا التبسيط لم يمس جوهر الفصحى وسلامتها وانها ستظل صعبة فى نظر بعض الناس ولا مجال للبحث عن بعض الآراء التى تذهب الى جعل التبسيط تشويها للفصحى . المطلوب هو رد العامى الى الفصحى ، كما فعل الشيخ أحمد رضا العالمى وعلماء اثبات وفقهاء باللغة ممن يعرفون كيف يفيدون الفصحى من دراساتهم وكيف يمنعون طغيان العامية عليها . ان قضية الفصحى والعامية لا تحل بدراسة اللهجات العامية . وتدريسها للطلاب بل تحل بتيسر قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها وعلى الأخص نشر التعليم فى سواد الشعوب العربية ومنها فرض التعليم بالفصحى على المعلمين وعلى التلاميذ فى جميع المدارس ومنع طبع رسائل بالعامية او التكلم بها فى المدارس والمسارح ومحطات الاذاعة ودوائر الحكومات .

\*\*\*

### الفصحى فى لغات اوربا

يقول ( والت تايلور ) فى رسالته عن الالفاظ العربية فى اللغة الانجليزية انه فى الفترة ما بعد ١٤٥٠ ميلادية كان الداخلى الى اللغة الانجليزية من الالفاظ العربية بمعدل ٨٣ فى المائة وذلك بعد ان اتسعت افاق التجارة واسسباب انواصلات بين الشرق والغرب ، وقد كان للجزيرة الأندلسية أعظم اثر فيما قدمته العربية للغات الأوربية فالسيادة العربية التى بقيت فى تلك الجزيرة بضعة قرون قد طعمت لغتها الاسبانية والبرتغالية بعدد كبير من الالفاظ .

والذى يفتح كتاب دوزى عن الالفاظ العربية فى اللغة الاسبانية يجد فيه نحو ألف وخمسمائة كلمة من اصل عربى بعضها يرجع الى عهود العرب الاولى فى الاندلس .

كذلك فقد دخلت الى اوربا ولغاتها مصطلحات كثيرة عن طريق جزيرة صقلية وعن طريق الحروب الصليبية .

وقد قسم انيس المقدسى هذه الالفاظ العربية الى عدة انواع .

أولا : اعلام اشخاص وامكئة والقاب خاصة .

ثانيا : الفاظ ومصطلحات مستحدثة .

ثالثا : مصطلحات علمية وخصوصا الفلكية منها كاسماء النجوم  
( ابرة العقرب ) و ( الشعري ) ورأس الثعبان .

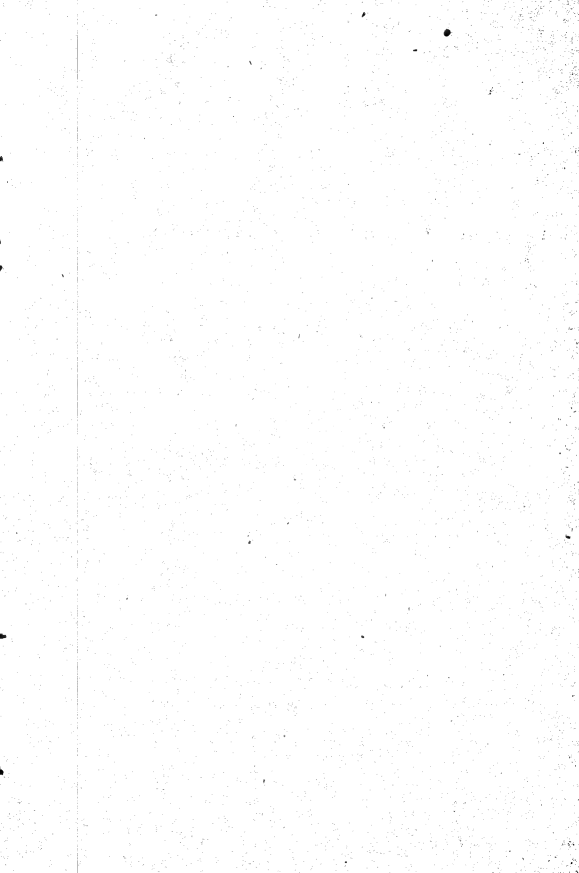
رابعا : الفاظ عربية تينتها اللغة الانجليزية امثال منبر وكنيسة وسراط  
وفردوس وسكر ومسك وفندق .

وقد اندغمت هذه المصطلحات ، والالفاظ في اللغة الانجليزية واضحة .

ومجال القول في هذا الموضوع ذو سعة وقد تناوله عشرات الباحثين  
الأجانب :

- ١ - والتر تايلور : ما اكتسبته الانجليزية من العربية .
- ٢ - الأب لامنس : علاقة العربية بالفرنسية .
- ٣ - دوزى : علاقة العربية بالاسبانية والبرتغالية .
- ٤ - قاموس اكسفورد .
- ٥ - قاموس ويسترن .
- ٦ - معجم الالفاظ الفلكية ، أمين العلوف .
- ٧ - معجم الفاظ النبات للدكتور احمد عيسى .
- ٨ - معجم الالفاظ الزراعية للامير مصطفى الشهابى .
- ٩ - معجم العلوم الطبيعية والطبية للدكتور محمد شرف .
- ١٠ - معجم الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية للقس طوبيا القيسى .

\*\*\*



## اللغة الهيروغليفية إحدى اللغات العربية

عندما حاولت قوى الاستعمار تمزيق وحدة المسلمين عمدت الى تمزيق وحدة العرب الى فينيقيين واشوريين وبابليين وفراعنة ، وحاولوا في كل قطر اثاره روح ما قبل الاسلام ومع ان الاسلام احدث ظاهرة خطيرة اطلق عليها المؤرخون ظاهرة — الانقطاع الحضارى — فقد قام اناس من هنا وهناك يحاولون جمع القصاصات البالية من الكلمات والألفاظ ليحدثوا — تراثا — للعامية ينسبونوه الى عصور وتيارات بعيدة عن العربية ولكنهم فشلوا مع الاسف وتحطمت مؤامرتهم حين واجهتهم الحقيقة التى كشف عنها — احيد كمال باشا — وهى ان لغة الفراعنة الهيروغليفية لها جذور عربية ولندع هذا العلامة الباحث يعرض لنا تلك الحقيقة العلمية التى حطبت املالشعوبيين والتفريبيين وقضت على اهدافهم ومطامحهم .

يقول : ان كثرة مطالعتى في اللغة المصرية القديمة منذ كنت في الثامنة عشرة الى ان بلغت الستين مهدت لى سبل الوصول الى اكتشاف غريب مفيد الا هو ان اللغة العربية واللغة المصرية القديمة من اصل واحد ، وهو لغة — الاعناء — ان لم يكونا لغة واحدة افترقتا بما دخلهما من القلب والابدال كما حصل في كل اللغات القديمة .

وكنت قبل الان ادرس اللغة المصرية القديمة على الاسلوب الذى تلقينته من استاذى هنرى باشا بركش في مدرسة خاصة على نفقة الحكومة لبثت مقتنيا منهاجة كفى من الاثريين الى ما قبل الان بثمانى سنوات — كتب هذا في مارس ١٩١٤ — وفي أثناء ذلك كنت ارى للألفاظ العربية مثيلا في اللغة المصرية القديمة وكنت ادونها شيئا فشيئا حتى كثرت واخيرا اطلعت على مقالة للمعلم نافيل الاثرى ابان فيها بناء على النقوش في الدبر البحرى من زمن الدولة الفامنة عشرة ان المصريين الاول اشتبهوا باسم الاعناء — ومعناه في العربية اقوام من قبائل شتى ولم يذكر النص من اين جاءوا ولكن المدن التى اسسوها باسمهم هذا في ما فوق طيبة من الجنوب الى ما بعد منف تدلنا على انهم استعمروا تلك الجهة في بدايتهم ثم كثروا وانتشروا .

ويقول النص المشار اليه ان غريقتا منهم هاجر الى جهة القيروان وتونس والجزائر وسمى نفسه اعناء — التحنو — وذهب فريق آخر الى اواسط افريقية وسمى نفسه اعناء — السقو — ومضى فريق ثالث لعله بعض من

الفريق الثاني الى بلاد الصومال ثم اجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين وسمى نفسه — اعناء منتو — فهذا الانتشار يوضح لنا ان الاعناء سكنوا تلك الجهات الشاسعة والمناطق الواسعة وبعثوا فيها لغتهم فصارت لغة اصيلة للبلاد .

ثم استنبط اعناء وادي النيل طريقة الكتابة فكان لهم الفضل على غيرهم لكنهم حصروها في صفاف النيل ودونوا كتابتهم على الآثار بقلم الحفر البارز أو الجوف . كما انهم رشقوها على أوراق البردى والحجارة والأقمشة والخشب .

وهكذا نجد أن أحمد كمال باشا أظهر لنا كما يقول السيد محمد رشد رضا . أظهر لنا من الاتحاد والألفة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ما لم يكن في الحسبان ، وذلك منذ ألف القاموس الذي أورد فيه ألوما من الكلمات الهيرغليفية الموافقة للغة العربية المصرية في الغالب أما موافقة تامة وأما موافقة بضرب من التحريف أو القلب والابدال المعهود مثله في اللغتين ومن المعروف ان اللغة المصرية القديمة كانت في مصر والعراق وسورية وقد ضاع أكثر لغتهم ولعلها لو دوت كالألف المصرية لفسرت لنا من اللغة المصرية القديمة ما لم يفسر الى اليوم حتى فيما نراه يخالف منها المصرية بتحريف أو قلب أو ابدال .

ذلك ان أحمد كمال باشا يرى ان اللغة العربية اصل للغة المصرية القديمة المدونة بالقلم الهيرغليفى ومن لوازم هذا ان اصحاب تلك المدنية كانوا من العرب ، ثم انه رأى نصا يدل ظاهرة على ان العرب انفسهم أو بعضهم من المصريين وذلك النص هو ما وجد منقوشا في الدبر البحرى — مكان بجهة الأقصر — في زمن الدولة الثامنة عشرة — كان ق . م — وهى ارقى دول مصر ، وفيه ان المصريين الأولين اشتهروا باسم — الاعناء — ولم يبين النص اصلهم ولا من اين جاءوا ولكنهم استعمروا الجهة الجنوبية من مصر وأسسوا المدن بأسمائهم ، وفيه ان بعضهم هاجر الى القيروان وتونس والجزائر ، وبعضهم الى اواسط افريقيا والصومال وبعضهم قطع البحر الأحمر الى بلاد العرب وانتشروا فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين وأطلق على كل عنو من أولئك الاعناء المهاجرين اسم مركب تركيا اضافيا فصار يقال اعناء كذا واعناء كذا ولفظ — اعناء — عربى معناه الاخلاط من الناس يكونون من قبائل شتى . والامر المتيقن عندنا الان هو ان لغتنا العربية الشريفة هى لفظة قدماء المصريين ومظهر مخنيتهم ونتيجة ذلك ان قدماء المصريين من العرب أو العرب منهم فهم أمة واحدة وكذلك السوريون والعراقيون .

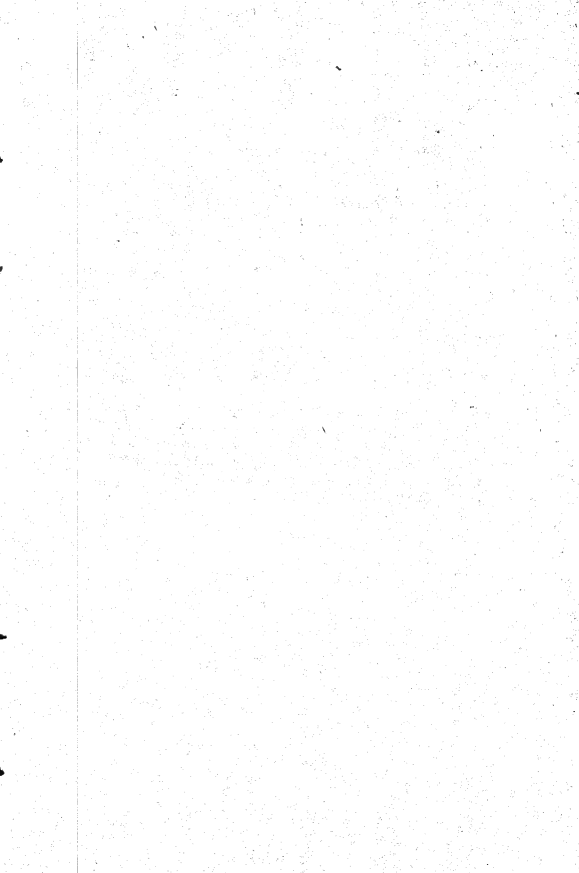
وتكلمة لذلك فان أحمد كمال باشا وضع قاموسا في اثنين وعشرين مجلدا ضخما قارن فيه بين اللغة الهيرغليفية واللغة القبطية وعارض الكلمة باللغات الأخرى كالتبعية والحشية والآرامية والعبرية ، وهو من أقرب المؤلفات في وصفه اذ يكتب الكلمة ويبين اشتقاقها ثم ما عرف عنها من الآثار فيورده بنصه ليعلم منه تاريخها ثم يردف ذلك بالألفاظ العربية التى

تناسبها فهو كتاب لغة وتاريخ واثار وعلم واشتقاق وفلسفة لغة وضعه في نحو ربع قرن ورتب كل حرف في مجلد واحد واضعا أولا الرسوم الهيروغليفية ثم الحروف الصوتية منها ثم ما يقابلها في العربية ثم كتابة الرسوم والحروف معا ثم ما يقابل الكلمة باللغة الفرنسية وهو عمل شاق .

ومع الاسف فان هذا القاموس لم يطبع وقد انتقل من احمد كمال باشا الى نجله محرم كمال وكان من المعنيين بالاثار ثم انتقل بعد ذلك الى اخفاده وما يزال ثلوياء لديهم ، وكان احمد كمال باشا قد طلب الى الجامعة المصرية اذ ذاك ان تطبع قاموسه فاعترض الدكتور طه على هذا الامر . وقال فيما قال ان هذا الامر لا يرضى عنه المستشرقون وبذلك قبر هذا العمل وما زال مدفونا حتى اليوم والدكتور طه يعلم ان هذا القاموس يحطم نظرية من اخطر النظريات التي يدعو اليها الاستشراق والتغريب وهى دعوى ان هناك جنسا فرعونيا هو اساس شعب مصر وان هذا الجنس مبين ومختلف ومعارض للجنس العربى ، وقد ناقش هذه المقارنة الباطلة وتوسع فيها توفيق الحكيم في كتابه شمس الفكر منذ اكثر من ثلاثين عاما وما يزال يردد هذه الآراء حتى الان .

ولقد كان لهذه الدعوات الباطلة الداعية الى رد العرب الى تاريخ ما قبل الاسلام جولة ودعاة ومدارس وقد سقطت جميعها لانها لم تجد — تراثا — تستطيع ان تستند اليه وكل ما عرف في تاريخ ما قبل الاسلام من حكمة وموعظة او ضوء فائما هو من تراث النبوة الابراهيمية الحنيفة التي سادت هذه الارض في العراق والشام وفلسطين ومصر والتي تركت اثاراها في الديانتين اليهودية والمسيحية ثم جاء الاسلام ليصحح الرسالة ويضعها في مكانها الحق منكرًا للعنصرية واستعلاء القوميات داعيا الى التقاء الأمم والشعوب تحت لواء التعارف الجامع القائم على تبادل المنافع والسلام والاخاء البشرى .

\*\*\*





## هذه الأمة الوسط

من هذا المنبر أحيى أخى الأستاذ عبد السلام العمري رئيس تحرير مجلة الخفجى فهو دائما يذكرنا فى افتتاحياته بالإصالة ويرد عن هذه الأمة الوسطى عادية الدعايات الضارة والتشبهات المثارة ولقد تذكرته وأنا أقرأ هذا النص الذى أورده ( برترام توماس ) فى كتابه ( العرب ) الذى ألقاه كمحاضرات فى معهد لويل بمدينة برونستون حيث يقول :

ليس فى العالم أمة تفوق العرب فى الكرم المطبوع فانهم يعطون بالقتلين ويعطون عطاء القلب المغمم بآريحية العطاء لا يشحون ولا يحسبون حساب المثوبة المنظورة وانما يوجدون عفو السليقة المطبوعة على هذه الخصال .

وقد هزنى الإعجاب عشرين مرة لا مرة واحدة أو مرات قليلة بما شهدت من الدلائل الصغيرة العارضة التى كشفت عما جيل عليه رفقاى البدو من السجاية الإنسانية فقد كنت بعد ساعات العطش والركوب المضى أخف وسعى واحد أو اثنان منهم الى عين ماء طال بنا ارتقاها لنسبق الى وردها فكان السابقون مسمى يرتبوننى وعلى وجههم أمارات الرضى والاغتباط اذ أنا مقبل على الماء أطفىء غلى فى شوق ولهفة . بيد أن واحدا منهم لا يبيح لنفسه قطرة من الماء يبل بها شفثيه قبل أن يصل رفاته المتخلفون ولعلمهم لا يصلون الا بعد ساعة طويلة ليشربوا معا مجتمعين ولاحظت مرة أن أحدهم قد ادخر كسرة خبز أعطيته اياها ليقاسمها رفيقه ونذر جدا أن عبرنا بضيمة كائنة ما كانت من الضعة والشظف دون أن يعدو إلينا صاحبها ملحا علينا فى مقاسمته تعب اللبن والتمرات التى عنده وربما كان فى أشد الحاجة إليها وانك لأغريب ما رآك من قبل ولن يراك بعد ارتحالك ولكفه على هذا يؤثرك على نفسه ويعطيك ما هو فى أمس الحاجة إليه .

ولا ريب أن هذه الأصالة العربية التى أشار إليها برترام توماس عن مشاهدة وتجربة قد عرفها كثير من الرحالة الأجانب الذين جاسوا خلال الديار ، وهى معين لا ينضب من ذلك الكرم الاصيل الذى يملأ النفس العربية البدوية منذ قرون طويلة ، والذى يعود حتى الى ما قبل الاسلام ، يعود الى عطاء الحنيفية الابراهيمية التى اقامها ابراهيم عليه السلام من بعده فى الجزيرة العربية وحملته كل الموجات المتوالية التى هاجرت من الجزيرة وانطلقت الى الآفاق حتى بلغت ما بين النهرين شرقا وافريقيا متجاوزة مصر وليبيا . فلما جاء الاسلام كانت هذه الأرض كلها قد نبتت فيها غراس الأصالة الحنيفية الابراهيمية التى وصلت الى المحمدية .

ولعل ( م . منتجو ) مؤلف كتاب المعجزة العربية قد أشار الى هذا المعنى حين قال « انبعثت حركة في أواخر القرن الهجري الاول : حركة فكرية واسعة اذكت جامعات الشرق ولم تستفد من هذه الحركة لا السريانية ولا الفارسية ولا اليونانية وانما استفادت منها لغة شعب عاش لحد ذاك خارج حدود العالم المتمدن ولم يكن في الظاهر ما يحذوه الى الاضطلاع بالدور الخطير الذي قام به مع ذلك في تاريخ الحضارة وهذا الشعب هو الشعب العربي » .

لقد قدمت هذه الامة الوسط الاصلية الى العالم كله في ذلك الوقت بعد ما حملت به قرونا طويلة وما زالت تحمل في اعماقها هذا الروح وهذا الايمان .

يقول مفيد الشوياشي : بينما كانت آداب الأمم القديمة ذات الحضارات تشهر أغلب موضوعاتها من الاساطير والمعتقدات انتشرت في الجزيرة العربية لأول مرة في التاريخ شعر مختلف الطراز يحرص نازله على الصدق في التعبير عن مشاعرهم ، وتصوير المشاهد التي تحيط بهم والاحداث التي تقع لهم شعر يفسر حياة الناس واهتماماتهم تفسيرا واقعا صادقا دون أن يلجأ الى ما ساقته اليه القصة الهندية والفارسية والمصرية القديمة او ملاحم الاغريق ومسرحياتهم الى المبالغة غير المقبولة ، والى التفسير الاسطوري الوثني غير المعقول . والباحث في شعر الجاهلية يستخرج منه عادات العرب وآدابهم واخلاقهم وطبائعهم وسائر احوالهم ، ولذلك قال ابن خلدون : الشعر ديوان علوم العرب واخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصل يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم ويزيد على ذلك أنه مستودع عاداتهم وأخلاقهم وأدواتهم وصناعاتهم وقد صدق في ذلك ، بينما شعر الاغريق الملحمي يصور عالما وهميا لا تكاد تقوم صلة بينه وبين الحياة الحقيقية للمجتمع الاغريقي » .

وهكذا نجد أن هذه الامة الوسطى التي اختارها الحق تبارك وتعالى لحمل رسالته كانت غير مفرقة في الأوهام والاساطير ، وكانت الديانات السماوية التي نزلت عليها منذ فجر الرسالة الربانية قد هذبتها وصهرتها واعندتها لتحمل الرسالة الخاتمة ولتكون قائدة رسالة الحق وكلمة التوحيد الى البشرية كلها .

ولذلك فقد اعطت البشرية كلها دين التوحيد وحملة الى كل أرض ، وحملت الى أوروبا الصناعات والفنون بل حملت الكثير ، حملت العلوم والبذور الى أوروبا مع مفاهيم الأدب الرفيع الأخلاقي الطابع : الواقعي الأداء .

يقول مفيد الشوياشي : لم يعرف غرب أوروبا من فنون الأدب قبل احتكاكه بالعرب غير القصة الخرافية والملاحم الاسطورية ولم تتغير تلك الحال الا عندما خطفت الحضارة العربية الاندلسية انظار أمراء الجنوب الفرنسي وجلبت اليهم وأشعرتهم بتأخرهم فراحوا يأخذون بأسباب الرقي الحضاري ويحيطون أنفسهم بمظاهره ويحاولون احتذاء العرب في كل حركة وسكنة وفي كل مظهر ومخير فاحدث ذلك تحويرا في ادراكهم العقلي والصبي » .

وهكذا نجد أن تلك القيم الأصيلة التي أرسى دعائمها الأنبياء أبراهيم واسماعيل وجدها مجدد صلوات الله عليهم جميعا هي التي صنعت هذا الوجود الذي أعطى للبشرية وما زال يعطى ولن تستطيع محاولات التفرير تجريدها من تلك القيم أو هدم هذه الأخلاقية الإسلامية الربانية وما تزال هذه الأمة مؤهلة لتحمل رسالة الحق الى أطراف الأرض مرة أخرى .

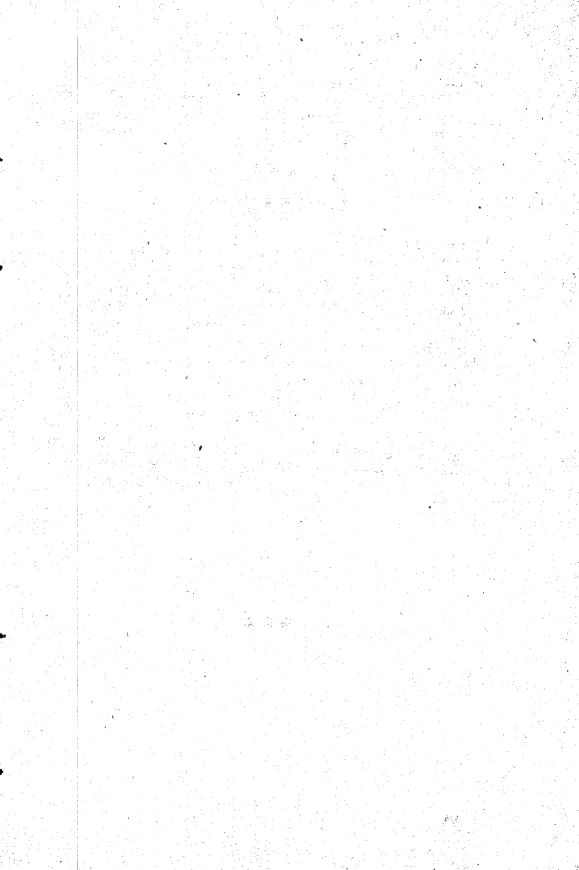
\*\*\*

### مرض التطلعات العصرية

سجلت الدكتورة امرين هيكلان استاذة علم النفس بجامعة كاليفورنيا ملاحظاتها الطبية أثناء قيامها بعلاج قرابة ثمانية آلاف من المرضى بالاضطراب النفسى ، ودونت تشخيصها لأسباب اصابة بعضهم بأمراض بدنية كقرح المعدة وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والحساسية والاضطرابات المعوية وغيرها ، وقالت فى تقريرها أن مصدر ذلك هو « المبالغة فى التطلعات » والاسراف فى الطموح الى متطلبات الحياة العصرية وانصراف النفس الى أهواء اقتناء الفاخر من السيارات والزوارق والأدوات المنزلية وأجهزة الترفيه وأحدث الأزياء والطموح الى تقليد الآخرين ممن هم على مستوى اقتصادى أرفع وقالت ان هؤلاء الطموحين يستهلكون صحتهم ويرهقون أعصابهم وقررت أن ٩٠٪ من الأمراض النفسية الشائعة فى العصر الحديث مصدرها الهموم الناشئة عن انشغال البال بجميع الكياليات .

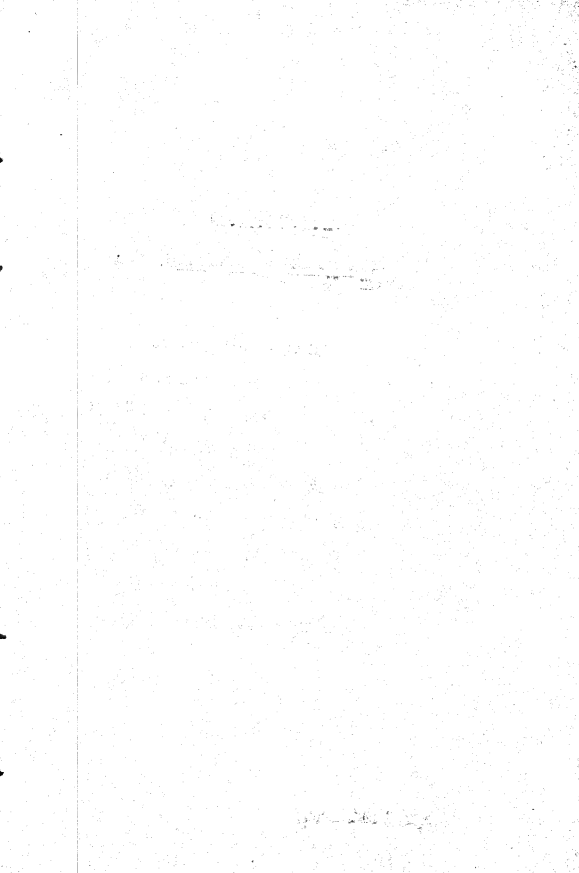
ولا ريب أننا نحن المسلمين نجرى الآن فى هذا الطريق الخطر ، ولدينا محاذير كثيرة فى القرآن وفى سنة نبيينا عليه الصلاة والسلام ازاء هذا التحدى النفسى والصحى الخطير ..

\*\*\*



## الباب الرابع التاريخ

- ١ - سفريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم .
- ٢ - عدالة الفتح الإسلامي .
- ٣ - الفريوس الإسلامي المفقود .
- ٤ - ابن خلدون وابن الأزرق .
- ٥ - ظهور الإسلام علامة بدء العصر الحديث .
- ٦ - يقظة العالم الإسلامي انبعثت من أعماقه .
- ٧ - عندما عرف الغرب حقيقة صلاح الدين .
- ٨ - مخطوطات كهف قهران .
- ٩ - حول علاقة شارلمان وهارون الرشيد .



## سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم

في كل يوم يكشف العلم في الآفاق جديدا يضيء به الطريق الى الله . وفي كل يوم تكشف الحفريات جديدا من باطن الأرض ينير الطريق الى الله ويؤكد حقائق القرآن ، ويكشف عن اعجازه التاريخي والعلمي والبياني جميعا .

ومع السنوات تطرح الحفريات الاثرية حقائق كثيرة ، لقد أرادوها في سبيل تأييد مفاهيم التوراة المحرفة ومنطلق الدعوة التلمودية الزائفة ، ولكن الحق الذي قامت عليه السموات والأرض أبى إلا أن يكشف أحلامهم ويكشف فساد أهوائهم ويزلزل ما بيئوه ورسموه من أكاذيب وسسوم . وجاءت الحفريات كلها تصدق القرآن وتكشف زيف ما كتبوه في بابل . وفي أكثر من موقع في جزيرة العرب وامتدادها الى الشام ومصر ، جاءت هذه الأحداث الكبرى ، عاد وثمود وقوم لوط وما تزال آثارها باقية عبرة للأجيال المتوالية وتصديقا للقرآن وهي تحت أقدام العرب خلال رحلاتهم : رحلتى الصيف والشتاء الى الشام وإلى اليمن .

ولذلك كانت عبارة القرآن دقيقة وواعية حين قال ( تمشون في مساكنهم ) في السنوات الأخيرة تكتشفت حفريات عن كهف الرقيم الذي سجل القرآن الكريم قصته وكانت وجهة البحث في العصر الماضي قائمة على انكار الآيات والتشكيك فيها ثم جاءت ابحاث العلماء في قلب الأرض تستخرج الحقائق .

يقول الاستاذ عباس محمود العقاد : لقد أنكروا قصة عاد وثمود وظنوا أن هذه القبائل لم يكن لها وجود تاريخي لأنها لم تذكر في أخبار العهد القديم فثبت أنها مذكورة في تاريخ بطليموس وأن عاد أرم هي ( عاد راميت ) اليونانية وأن أخبارها محفورة على آثار هيكل مدين التي عثر عليها المؤرخ التشيكي موزيل ، ويقول الاستاذ عبد الحميد السحار : لقد حدد بطليموس في أطلسه موقع عاد وثمود وكشفت الحفريات عن مدائن صالح وعثر على بعض الخطوط التمودية في ثمود وفي الطائف كذلك فإن الدكتور أولبرايط استطاع أن يكتشف موقع قريتي سدوم وعموره وثلاث مدن أخرى وهي التي كان يقيم بها قوم لوط ودمرها عليهم الله تبارك وتعالى وقد اخذلف المؤرخون حول قصة سدوم وعموره وحول موقعها حتى جاء الدكتور أولبرايط فالتكشف هذه المنطقة المجاورة للبحر الميت وقد مر عليها أربعة آلاف سنة وثبتت الحفريات التي أجراها علماء الآثار أن تلك القصة حقيقة بكل تفاصيلها فقد قام الدكتور أولبرايط ببيلتch واسمعة النطاق في وادي الأردن وعلى

سواحل البحر الميت وهما المكثان اللذان يظن أن سدوم وعمورة والمدن الثلاث الأخرى كانت فيها ، وانتهى البحث الى أن الحادثة ليست خرافة ولا رمزية بل هي تاريخية بكل تفاصيلها وخلاصة القصة هي أن حوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد انحدر ابراهيم الخليل من بلاد النهرين الى فلسطين ومعه أهل بيته وابن أخيه لوط وأهل لوط وقد اختار لوط دائرة الأردن : الى الوادى الذى كانت فيه سدوم وعموره وأقام بسدوم ، واختار ابراهيم المرتفعات التى فى الشمال وضرب خيامه فى موقع يقال له ( بلوطات ممرا ) .

ويقول الدكتور أولبرايث أن احداثا كثيرة وقعت فأزالت مدن طروادة وبابل وبعثك وكركاجة ويطرا ويومباى وتدمر وغيرها ، ولكن هذه الاحداث لم تمح أى اثر من هذه الآثار مخوا تاما بل لا يزال لكل منها آثار تدل عليها وعلى ما كان لها من الجدد والمظمة . ونقول هذه هي حكمة الله البالغة ( ولقد تركناها آية فهل من منكر ) وان سنن الله فى الأمن والحضارات الذى كشفه القرآن الكريم يصور كيف أن ما من أمة بفت أو أفسدت أو خرجت عن أمر الله وحدوده ، ألا وقد دمرت ثم تركت منها بقاياها لتكون عبرة للأجيال التالية .

ويقول الدكتور أولبرايث : ولم يبق لها اثر قط مما جعل المؤرخين يعتقدون انها خرافة ، وقد اكتشف الدكتور أولبرايث آثارا يمكن أن يستدل منها على صحة القصة فقد وجد هناك اثار حصن قديم يغلو نحو خمسمائة قدم على سطح البحر الميت .

يقول : من المحتمل أن يكون البحر الميت قد طما على الخمس المدن التى كانت فى دائرة علماء الجيولوجيا يؤكدون أن هذا البحر يغمر اليوم بلادا كانت أهلة بالسكان والمدن الخمسة هي : سدوم وعمورة وأدنة وبلغ وصبويثم وقد اشتهر أهل سدوم والقرى الأخرى بشروهم وانفاسهم فى شهواتهم البهيمية ولا سيما المحرمة منها وأن أهل سدوم عندما علموا بوصول الرجال الثلاثة الى منزل لوط ابن أخى ابراهيم أرادوا أن يرتكبوا معهم موبقا ولكن لوط دافع عنهم فابى أهل سدوم إلا أن يرتكبوا الجرم والنفقاء ، ولكن الضيوف تمكنوا من الفرار وأقنعوا لوطا وأهل بيته بالفرار معهم .

وأمرت سماء سدوم وعمورة كبريتا ونارا من السماء ويقول الدكتور أولبرايث أن الغازات الكثيرة تصاعدت من الآبار التى التهبت اما بسبب زلزلة أو بسقوط صاعقة من الجو ، وأن كلا السببين يكفى لاشعال الآبار وجعلها اتونا يلتهم ما حوله من نبات وحيوان وانسان . وأن مثل هذا الحادث غير مناقض للنواميس الطبيعية بل ان له فى التاريخ نظائر كثيرة .

يشير الدكتور أولبرايث الى هذه المنطقة فيقول :

إذا وضعت الخارطة امامك ورسمت خطا من بحر الجليل مارا بوادى الأردن فالبحر الميت فالبحر الأحمر فبلاد الحبشة كان ذلك ما يسميه علماء



الجيولوجيا — منخفض ارتريا — اذ يقولون ان الكرة الأرضية انخفضت في زمن من الأزمان على مدى الخط المذكور فأصبح بحر الجليل يعلو ٦٥٣ قدما على سطح البحر المتوسط حالة ان البحر الميت أصبح تحت مستوى البحر المتوسط بزهاء ١٣١٦ قدما وهذا دليل ان المدن الخمس التي كانت هناك غمرها البحر الميت وانخفض معها الى أسفل وقد احترقت بالفاز واختفت أهلها بالفازات المنبعثة عن ذلك .

وهذا الحادث الذي كشفته الابحاث الجيولوجية والاثرية هو واحد من أحداث كثيرة أكرها خصوم الاسلام والوحى فجاءت الوقائع العلمية لتؤكد وجودها :

اولا : انكروا قصة الطوفان والسفينة فوجد العلماء الحفريون هذه القصة مكتوبة على حجارة قديمة من آثار وادي النهرين ووجدوها منقولة متواترة على الاسنة والآثار بين اقوام كثيرين في أمم الشرق والغرب .

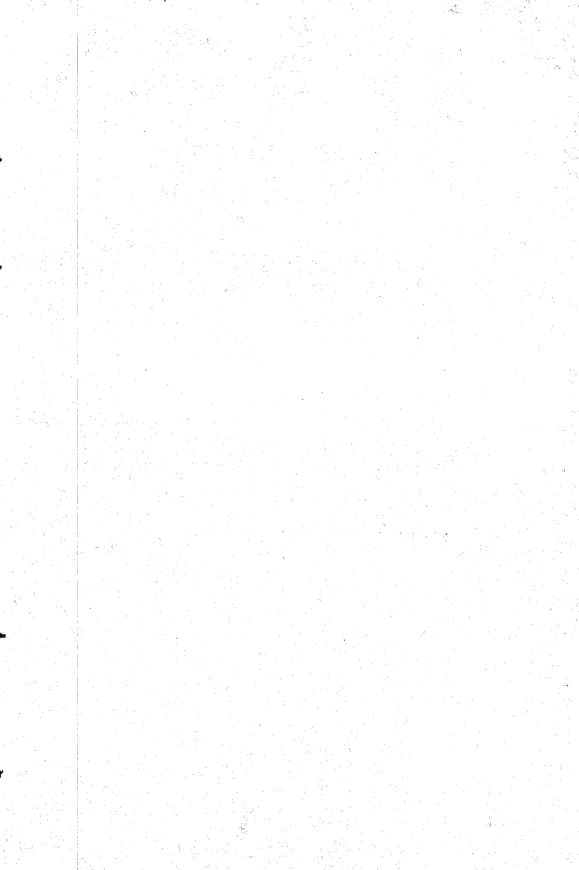
ثانيا : انكروا قصة السيل العرم وقصة أبرهة الحبشي وهلاك جيشه فوجدوا آثار السد ووجدوا عليها اسم ابراهيم ووجدوا خبر ( الجدرى ) الذي ابتدأ بعلم الفيل .

ثالثا : انكروا قصة عاد وثمود وظنوا ان هذه القبائل لم يكن لها وجود ثم تبين وجودها .

رابعا : انكروا قصة سدوم وعمورة فجاء الكشف الاثرى ليؤكد صحتها ويصادق البحث ما أورده القرآن الكريم « ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها » .

وبعد فنحن في اطار الاسلام وتحت ضوئه ننظر الى كل هذه المعطيات التي تقدمها العلوم التجريبية او الكشف الاثري على انها اضاء كاشفة تثبت قلوب المؤمنين وتؤكد لهم الحقيقة الكبرى والاساسية والواحدة : وهي وجود الله تبارك وتعالى وصدق وحبه .

\*\*\*



## عدالة الفتح الإسلامي

من اعظم الصيحات المدوية التي ايقظت الفكر الغربي وحولت تياره نحو الاعتراف بفضل الحضارة الاسلامية بعد فترة طويلة من العقوق : هو ما كتبه توماس كارليل في كتابه الابطال عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في باب « البطولة في صورة النبوة » .. ثم جاء كتاب حضارة العرب لجوستاف لوبون فأنصف المسلمين والاسلام وان كان في صميم رايه في الدين ليس على ما يحب المسلمون بل انه نفسه لم يكن مؤمنا بالمسيحية ، وتلك خلة نجدها في كثير من الباحثين الغربيين وفي المستشرقين ، ولعل مما يؤخذ على جوستاف لوبون نسبته هذه الحضارة الى العرب وتسميتها باسمهم مع انها حضارة اسلامية ويرجع هذا الى غلبة فكرة العنصرية التي طاعت ربحها بالوريا ثم تآثر بها الشرق من بعد .

● يقول جوستاف لوبون : للاسلام وحدة الفخار بانه اول دين قال بالتوحيد المحض الخالص وبانه اول دين نشر اتباعه ذلك التوحيد في انحاء العالم فالاله الواحد المطلق الذي دعا اليه الاسلام منزّه عن شريك له مهيمن على كل شيء ، وتشتق سهولة الاسلام من التوحيد المحض ، وفي التوحيد سر قوة الاسلام . والاسلام ادراكه سهل ، خال مما نراه في الاديان الاخرى وباباه الذوق السليم من المتناقضات والفواض ولا شيء اكثر وضوحا واقل غموضا من اصل الاسلام فمالك اذا اجتمعت باى مسلم من اى طبقة رايته يسرد لك اصول الاسلام في بضع كلمات وهو بذلك على عكس غيره ممن لا يستطيع الحديث عن الدين من غير أن يكون من علماء اللاهوت والجدل .

وقد ساعد وضوح الاسلام ما امر به من العدل والاحسان على انتشاره في انحاء العالم وبذلك تفسر سر انتحال كثير من الشعوب للاسلام ومن الذين كانوا تابعين لحكم القياصرة فأصبحوا مسلمين حين عرفوا اصول الاسلام كما تفسر به السبب في عدم تحول اية امة بعد ان رضيت الاسلام دينا .

يقول جوستاف لوبون في موقف الاسلام من الاديان الاخرى :

والاسلام من اكثر الديانات ملازمة لمناخ العالم واكتشافاته ومن اعظمها تهذيبا للنفوس ودعوة الى العدل والاحسان والتسامح .

والبوذية وان قامت جميع الاديان الشرقية على فلسفة تراها مضطرة الى التحول حين تبدو للجموع وهي لا شك دون الاسلام تأثيرا فيها ، وتأثير دين محمد في النفوس اعظم من تأثير أى دين آخر ، ولقد دخلت دولة العرب في التاريخ ولكن الدين الذى كان سببا في قيامها لا يزال ينتشر والسهولة التى انتشرت بها شريعة الاسلام في العالم شاملة للنظر والمسلم حيث يمر بترك دينه وخلقه ، وقد بلغ عدد اتباع النبو الملايين الكثيرة في البلاد التى دخلها تجار العرب بقصد التجارة لا بقصد الفتح ، كبعض اجزاء الصين وافريقيا وآسيا الوسطى وروسيا وقد اعتنقت هذه الملايين الاسلام طوعا لا كرها ولم نسمع انه ارسل جيش مع اولئك التجار المبشرين لمساعدتهم وفي الهند لم يوفق مبشرو البروتستانت على الرغم من مظاهره حكومتها لهم وفي الصين حيث اعترف المبشرون بفشلهم يكتب للاسلام اثم الفوز ومع ما اصاب حضارة العرب ، لم يمض الزمن دين محمد الذى له الآن من النفوذ ماكان له في الماضي ولا يزال ذا سلطان كبير على النفوس وهو في ذلك خلاف الاديان الاخرى التى تخسر كل يوم شيئا من قوتها .

● وتحدث جوستاف لوبون عن عدل الفتح الاسلامى فقال ان العرب وهم اعقل من الكثيرين من اقطاب السياسة في الزمن الحديث ، كانوا يعلمون جيدا ان النظم الواحدة لاثلاث شعوب الارض قاطبة ، وكان من سياستهم ان يتركوا الامم حرة في المحافظة على قوانينها وعاداتها ومعتقداتها كل يمكن ان يعنى فتوح العرب الاول ابصارهم فيقتربوا من المظالم مالم يقترغه الفاتحون عادة وليسيتوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم ونشره في احاء العالم ولكن الخلفاء السابقين الذين كان عندهم من العنصرية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الاخرى ادركوا ان النظم والاديان ليست مما يفرض قسرا فعاملوا الكثير من الشعوب وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم لهم وحفظ الامن بينهم ، الحق ان الامم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ورحمة العرب الفاتحين وتسامحهم كانا من اسباب اتساع فتوحهم واعتناق كثير من الامم لدينهم ونظمهم ولغتهم التى رسخت وقاومت جميع الفارات وبقيت قائمة . وأشار جوستاف لوبون الى معاملة عبدة بن الجراح لاهل حمص فقد رد عليهم ما جباه منهم باسم الجزية عندها بلغته حشود الروم في اليرموك قائلا : « سكتنا عن نصرتكم والدفع عنكم فانتم على امركم » .

وغادر محبتهم منسجبا بجيشه ، مما دعا اهل حمص للقول :

لولايتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والضييم ولندفع جند هرقل عن المدينة مع عاملكم .

وقارن جوستاف لوبون بين تصرف المسلمين هذا في عدلهم ورحمتهم وسماحتهم وبين تصرف بريطانيا واستعمارها .

قال ان اللورد ملبورن رئيس وزراء بريطانيا في عهد الملكة فكتوريا التريب من عصرنا هذا سنة ١٨٤٠ - لقد خاض هذا الرئيس السياسى مع

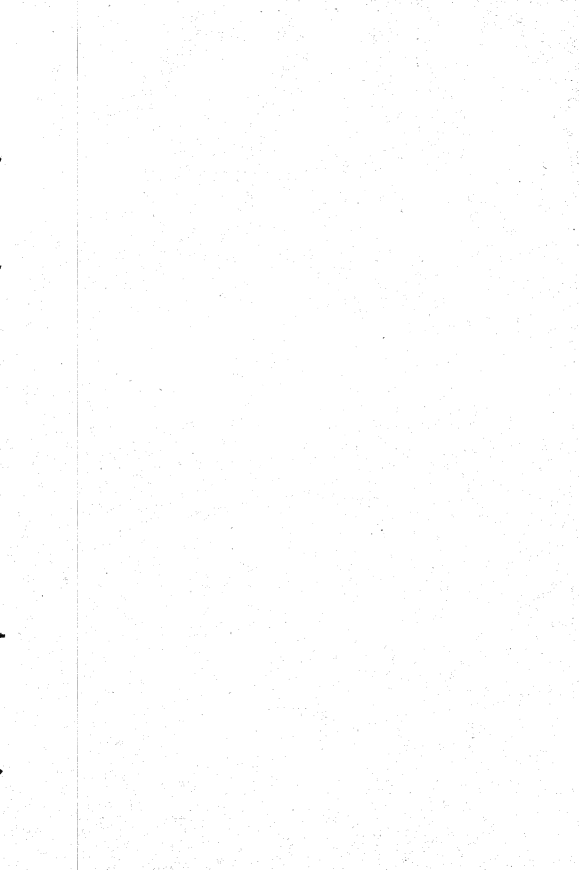
الصين « حرب الأفيون » المشهورة فأدار عليهم المدافع من سفنه الحربية ومن النقاط التي ارتكز عليها في السواحل قصبت عليهم شواطئ من النيران بلا رحمة ولا هوادة فأحرقت المدن والمنازل والسكان بها فيها من الشيوخ والنساء والأطفال حتى أكرههم على قبول هذه التجارة المحرمة في بلادهم ليربح كل سنة من هذا السم القاتل ومن تلك الضحايا البريئة ١٥٠ مليوناً من الجنين وقد بلغ ضحايا المدخنين لهذا السم كل سنة أكثر من نصف مليون شخص - ( أى ٦٠٠ ألف ضحية ) .

وقال جوستاف لوبون : الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، أن الإسلام هو الذي أعطى المسلمين هذه الرحمة ، وهذا التسامح ونحن رأينا صوراً مختلفة مثل حرب الأفيون واتسب منها حروب الاستعمار الحديث وأشد منها ظلم الصهيونية وقسوتها وحبسها للدماء والعدوان والإبادة .

### موسى بن ميمون كتب مؤلفاته بالعربية وزيفها اليهود

حاولت الصهيونية أن تجعل لها تراثاً في الفكر اليهودي القديم الذي كتب بالعربية فأخذت كتب موسى بن ميمون التي ألفها باللغة العربية فنقلتها إلى اللغة العبرية وهذا من خداع اليهود والادعاء بأن لهم تراثاً قديماً بلغتهم التي قامت منذ ألفي عام . . وقد كشف زيف هذه المحاولة الدكتور عثمان أمين في مؤتمر العلوم الإنسانية الذي عقد في جامعة هارفارد واشتركت فيه خمس وأربعون دولة . . وكان كشفه لذلك بمثابة قنبلة رجت أركان المؤتمر ، حيث قدم لهم كتاب موسى بن ميمون : ( دلالة الحائرين ) وطالبهم بأن ينتقد أحدهم لقراءته فلم يستطع أحد ، ذلك أن كتاب « دلالة الحائرين » كتبه موسى بن ميمون أصلاً باللغة العربية وبالحروف العربية غير أنهم بعد مرور وقت طويل من كتابته قام اليهود بمحاولة لتغيير شكل الكتاب حتى يظهروا للعالم أنه مكتوب باللغة العبرية أصلاً ولم تخرج المحاولة عن استبدال الحروف العربية بحروف عبرية فبقيت مادة الكتاب باللغة العربية في جوهرها وأن كانت حروف هذه المادة بالعبرية وقد كشف الدكتور عثمان أمين هذا السر عندما أعجزهم عن فهم ما يقرعون له لأن نطقه بالعبرية ومعناه بالعربية وكان ذلك دحضاً لما حاولوا أن يثبتوه من أن لهم دوراً في الفلسفة والعلم والحضارة .





## وانشق القمر

كشفت رحلات الفضاء عن تصديق للحقيقة بانشقاق القمر ، ووجد الدليل الذى يثبت المعجزة التى اتى بها النبى محمد قبل ١٣٩٣ سنة كما يذكر الكاتب الانجليزى ( فنيس جونسون ) واشار الى الشرح الموجود على القمر والذى يبلغ الميل عرضا والذى يسميه العلماء ( افريز هارلى ) فان القمر قد انشق فعلا فى الساعة السابعة من مساء ذات يوم فى مكة الى نصفين . وان هذا الشرح الذى يبلغ الميل عرضا هو جزء من الخط الذى حدث عند انشقاق القمر .

واشار الباحث الى ان فى القرآن اشارات متعددة للقمر الذى كان رمزا للقوة لدى العرب والآية الكريمة تقول فى القرآن « اقتربت الساعة وانشق القمر » ذلك ان هذه المعجزة جاءت فى ذروة مطالبة اهل الجزيرة العربية محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) ان يثبت نبوته كما فعل الانبياء من قبل ان يشطر محمد القمر حيث يكون بدرا الى شطرين ليثبت انه حقا نبى الله .

وكان القمر يعتبر فى ذلك الحين كبير آلهة العرب الوثنيين ولما سمع محمد طلب ما كان يريده اهل مكة توجه الى ربه وقد حقق الله لنبيه هذه الدعوة فانشق القمر الى شطرين ابتعد احدهما عن الآخر مسافة ثم عادا فالتحما هذا ما أوردته صحيفة الجارديان التى نشرت بحث الكاتب الغربى وهو لا يتعارض مع الرواية الاسلامية ، كذلك كشفت ابحاث العلماء عن الأرضين النسيج فقد استطاعت الأبحاث العلمية العصرية ان تقدم عددا من الحقائق عن جوف الأرض :

تقول ان الحدود الخارجية لنواة الأرض تقع على بعد ٢٩٠٠ كيلو متر من سطح الأرض وان طول قطر الأرض ٢٩٠٠ + ٢٩٠٠ = ٧٠٠٠  
١٢٨٠٠٠ كيلو متر وان الأبحاث تدل على ان هناك سبع اراضى .

١ — غلاف غازى .

٢ — غلاف مائى .

٣ — قشرة الأرض .

## وتتكون :

من المانيتيل الأعلى والمانيتيل الأوسط والمانيتيل الأسفل وباطى الأرض وقد اثبتت الأبحاث ان الأرض تتكون من ثلاثة أغلفة رئيسية ابتداء من سطحها حتى المركز وأن درجات الحرارة عالية جدا في باطن الأرض تصل الى عدة آلاف درجة مئوية في الجزء الأسفل من المانيتيل وفي النواة وأن النواة تنقسم الى قسمين :

النواة الخارجية والنواة الداخلية وتحيط الأولى بالثانية .. وللنواة الخارجية خواص المواد السائلة فهي ليست صلبة وأن الموجات الزلزالية الطويلة تخترق النواة الخارجية التي لها خاصية السيولة بينما لا تستطيع الموجات العرضية اختراق هذا الجزء من باطن الأرض .

• ويوجد في باطن الأرض معادن كثيرة ومواد تتحول الى معادن .

• ونواة الأرض تتكون من مركبات الحديد .

• ويبلغ وزن النواة ثلث وزن الأرض .

وقالت الأبحاث ان عمر الأرض لا يتجاوز بأى حال من الاحوال خمسة مليارات من السنين .

هذا ما أورده الدكتور ليوبينج وهو يكشف عن حقيقة أوردها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من أن الأرضين سبعة وصدق الله العظيم .

## حقائق عن الحضارة الإسلامية

هناك جملة حقائق عن اثر الحضارة الإسلامية في التقدم المعاصر لا يمكن تجاهلها :

أولا : يرجع الفضل الأكبر في نجاح فاسكودى جابا ورحلاته الاستكشافية فيه الى ما افاده من المراجع الجغرافية العربية التي ترجمت في اسبانيا ومن مدرسة الخرائط التي قامت في جزيرة مايورقة معتمدة على جهود العرب السابقة وفوق هذا كله فقد كان دليله الذي قاده من شرق افريقيا واوصله آمنا الى الهند هو الملاح العربى المشهور : احمد بن ماجد .

ثانيا : تفوق الغزالي على ديكارت في نقطتين :

اولاهما : انه حدد العلم اليقيني قبل ان يتقدم في اختبراته وابحائه حتى يكون التحديد ميزانا يزن به العلم اليقيني من غيره .

ثانيهما : هي أن تعريف ديكارت للعلم اليقيني في ضعف ، بل مما يدعو الى الشك اذ جعل معيار صدق المعرفة وضوحها ونسى أن الوضوح أمر نسبي .



ثالثهما : عظمة الدور الذى قدمته الحضارة الاسلامية فى الاندلس والذى نقله الغربيون حتى يصفه أحد الكتاب الغربيين : لا تدرك عظمة المسلمين العلمية حتى تدرك الروح التى كانوا بها فى سبيل العلم وقد عدت المعارك التى خاضها العرب ضد الفرنجة فى الاندلس وحدها ٣٧٠٠ معركة وان امة تكون ايديها مغلولة بثلاثة آلاف وسبعمئة معركة ثم لا تنسى رسالة العلم المقدسة بل تبلغ بالعلم ذروة الرقى والتقدم : لامة عظيمة حقا .

رابعا : اعلن الدكتور الطبيب موريس بوكاي بعد دراسات طويلة قام بها لكل من التوراة والانجيل والقرآن تبين له بما لا يقبل جدلا ولا نقاشا : ان القرآن هو الكتاب المنزل من السماء وان آياته الكونية لا تصادم اى حقيقة علمية وان صدقته فى هذه النظريات يؤكد أنه وحى من « الله » أنزله على خاتم الرسل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

### خامسا : عظمة التراث الإسلامى :

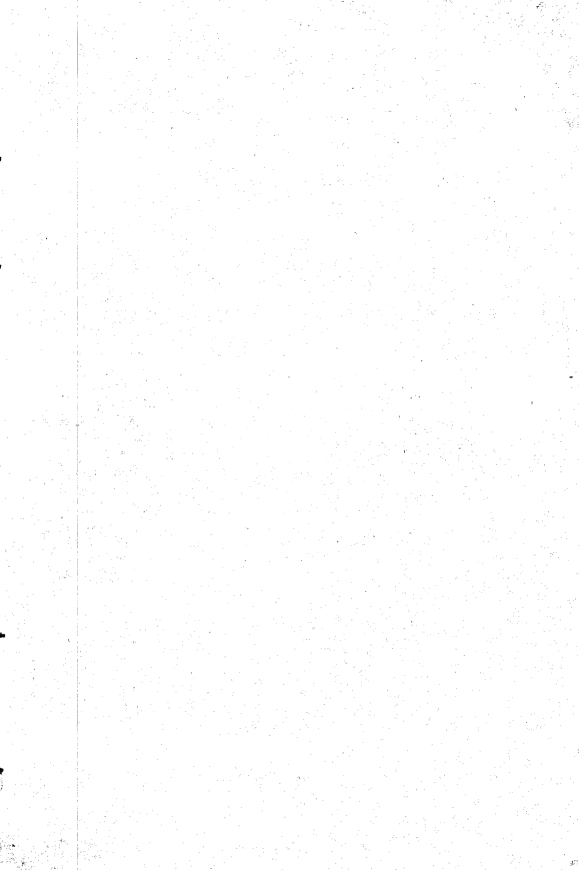
يقول هاملتون جب :

باستطاعة العرب ان يفاخروا غيرهم من الأمم بما فى ايديهم من جوامع الكلم التى تحمل سمو الفكر وامارات القوة والمروءة وما لا مثيل له . وايجاز التأليف عند العرب يأتى من الإيجاز الذى كان تركزا بالتقطير . ثم كيف ننسى بعض قصائد المتنبى وهى كالأسهم صيغت من حكم خالصة تسمو قدرا على مجلدات . كيف ننسى ان العرب قد وضعوا فى مجال العلوم الرياضية والكيمائية من الاصطلاحات الدقيقة ما يسر اليوم فى خط متواز مع أحدث الأبحاث فى العلوم . يقال هذا عن ظاهرة جوامع الكلم فى الأدب العربى وظاهرة الإيجاز فى القرآن ويقال هذا لمن يزعمون ان الأدب العربى لا يحمل عيونا كثيرة مثل الإلياذة فى اغريق . ويقال لمن يبحثون عن ظاهرة التفصيل فى الآداب اليونانية .. يقول جب : ان عدد الأبيات الشهيرة بما تحمله من ثروة لا يعدو فى الإلياذة مائة بيت وما يتبقى بعد ذلك ليس إلا حشوا وتطويلا وتصنيعا .

### آخر الملهود :

هناك بون شاسع وعميق بين التاجحين والعظماء فى مفهوم البطولة فالعظماء هم الذين قدموا لأمتهم اضافة حقيقية على طريق التقدم فى حياة وتواضع دون ان يبهرهم عملهم او يستعلوا به او يطلبوا اجرا او جزاء وربما لم يعرف حيلهم قدرهم ولا فضلهم وربما عاشوا حياة خشفة مغمورين بينما كانوا يعملون من أجل اسعاد أمتهم التى تجاهلت قدرهم .. اما النجاح فهو شهرة ومال ونفوذ وزحام وذلك كله بريق قصير الأجل يستمر أعواما ولكنه ينطفئ ولا يبقى الا الجهد الحقيقى القائم على الإيمان بالله وانكار الذات .





## الفردوس الإسلامى المفقود

ما تزال الأندلس وستظل قطعة حية نابضة بالحياة في تاريخ الإسلام  
تربو إليها قلوب المسلمين ذاكرة ثمانية قرون قضاهم الإسلام هناك قائما  
ناهضا معطيا للغرب كل ما هي الآن فيه من حضارة وعمران وعلم وفن ..

لقد كانت هدية الشرق الى الغرب ، ودرة الإسلام في قلب أوروبا منذ  
عبر إليها طارق بن زياد حتى عاد منها الملك أبو عبد الله ، ذلك تاريخ يجب  
أن لا يغيب عن فكر المثقفين وخواطهم أبدا فإن أهل الأندلس ما زالت  
حتى الآن معلقة على صدورهم مفاتيح نورهم هناك فقد أخرجوا ظلما  
وغدرا .

ومنذ فجر اليقظة الإسلامية العربية وقد تدافع كتاب العرب الى زيارة  
الأندلس والكتابة عنها : أحمد زكى باشا ، وله في ذلك فصل في كتاب  
( الرحلة الى المؤتمر ) ثم أحمد شوقي الذى أقام بها خمس سنوات وقد  
زارها من بعد محمد لبيب البتانونى ومحمد ثابت وأمين الريحانى وعمل  
فيها وأقام وتردد سنوات بعد سنوات محمد عبد الله عنان .

وكان الأمير شكيب ارسلان من الرواد المسلمين الذين عبروا الى  
الأندلس في العصر الحديث ، لم يسبقه الى ذلك الا « أحمد زكى باشا » الملقب  
بشيخ العربية .

يقول : كان غرضى من الرحلة : استقصاء آثار العرب وأخبارهم أينما  
كانوا وحلوا في القارة الأوربية . ولو كنت زرت الأندلس مبتدئا من المكان  
الذى دخل منه العرب ( أى من الجنوب ) لكان الترتيب يقضى بأن أبدأ بجبل  
طارق فالجزيرة الخضراء ، فشريش فإشبيلية فقرطبة ، فطليطلة ، وهلم  
جرا .. وهكذا كان يجب أن أفعل ، فكان السفر الى الأندلس على الطريق  
الذى سلكه أجدادنا عند فتحهم تلك الديار وهى طريق المغرب ولكن الغربية  
التي تطوحنا بها بسبب فضالنا عن استقلال وطننا قضت علينا بأن نسكن  
أوربا وأن نقصد الأندلس من شمالها لا من جنوبها أى من حيث نحن مقيمون  
الآن ومن حيث انتهى العرب من فتوحهم الأوربية .

وليس بعجيب أن يكون مثلى مغرما بالأندلس وآثار العرب فيها ..  
وفيها جاورها من الأصقاع الأوربية ، فإن كل عربى صميم حقيق بأن

يحبك عن آثار قومه ويتعلم مناقب أخوانه ويترك من ذلك تراثا خالداً  
لأعقابهم ، ولعمري أن آثار العرب في الأندلس هي غرة عالية وهبة شامخة  
من تاريخ الأمة العربية . نقول ولا نخشى مغالطاً أنها من أنفس ما أثره العرب  
بل من أنفس ما أثره البشر في الأرض ، فلا غرو أن يعجب بها العربي وينقب  
عنها ويشد الرجال إليها ويأخذ العبرة اللازمة منها فليست هي الآية الناطقة  
والبيّنة على مجننا الماضي . كنت إذا في ريعان شبابه وغضاضة أهلى  
مولعا بحضارة الأندلس العربية وآثارها مشغوفا بتاريخها وأخبارها حتى  
أنى منذ أربع وثلاثين سنة . وهى مدة يصح أن تسمى دهراً نقلت من  
الفرنسية الى العربية رواية الكاتب الشهير شاتوبريان المسماه ( باخر بنى  
سراج ) وذيلت تلك الرواية المترجمة بتاريخ الأندلس استخلصته من الكتب  
العربية والأوروبية وأجلت معظم قداح البحث فيه عن سقوط مملكة غرناطة  
وجلاء العرب عن تلك الجزيرة وازدياد النهضة العربية تزداد  
الرغبة في هذا المقام وتشرب الى الأندلس الأعناق وتتحلب على ذكرها  
الشغاف .

ولكن كل هذا لم ينقغ غلى ولم يشف ما بى من أمر الأندلس ، وبقيت  
بين معرفتها بالقلم متشوقا الى أخبارها واقتصاص آثارها ووفاء بواجب  
ازديارها ، وما زلت أحدث نفسى برحلة أقوم بها في تلك الديار التى ترك  
لنا عنها أبائنا أجمل تذكّار . . وتعوّنى العوائق عنها ، وتعرضنى الإشغال  
من دونها وأنا أخشى أن توافينى المنية قبل تحقيق هذه الأمنية ، الى أن يسر  
الله هذه الرحلة ، والأمور مثل النفوس مرهونة بالأجال ، وكنت مولنا  
النفس على السفر الى الأندلس عام ١٩٣٠ فحدثت شؤون وطرات طوارئ  
اقتضت أن نراجع جمعية الأمم في جنيف مراجعات مستمرة قضت على  
بأن لا أمارق جنيف في تلك الآونة ويحدث أنه أقبل الصيف يسحب ذيله وجاء  
الحر هاجما فلم يكن ذلك ليفسر من نيتى ولا ليرخى من مشدود طيتى ،  
لانى لم أبرح في هذه المسألة منذ ثلاثين سنة أمني بها النفس وكلها حدا  
سائق بدا عائق . ونحن نعتد على التأخير والتسويف ونعلل النفس بشناء  
وصيف وبيع وخريف ، وقد عرفنا أكثر البلاد الأوروبية ولم تبق مدينة فيها  
الا دخلناها وربما بدل المرة الواحدة مرارا وقتلنا أحوالها درساً واختباراً ،  
ولم يبق من أوروبا ما لم نعرفه سوى الاصقاع الاسكندنافية في الشمال  
والبلاد الأسبانية في الجنوب .

ولكن الأندلس التى نحن اليها منذ نعومة الأظفار ونقرأ عنها بل  
نؤلف الأسفار فاته لا يجوز لثنا أن يتأخر عن السفر اليها ونحن لا نزال  
انشاء أسفار بين الأمطار ، وعليه انتهزنا هذه الفرصة واغتنمنا من وقتنا  
هذه الخلسة قاصدين الى الأندلس عن طريق فرنسا التى حصلنا على  
رخصة المرور بها أياما معدودات وذلك أنه لما كان الغرض الأصلى من الرحلة  
تتبع آثار العرب كيف حلوا واتى ارتحلوا من هذه الديار الغربية كان لا بد  
لنا من زيارة فرنسا التى كان للعرب فيها جولة بل كانت لهم في جنوبها دولة  
وصولة وطالما عصفت ريحهم ببلاد الفرنجة .

وكان ذهابى الى أسبانيا عن طريق فرنسا . . فما عبرت الحدود

الواقعة بين فرنسا وإسبانيا حتى خلت نفسى سائرا في سواحل الشام بلادى فكيفما نظرت وقع نظرى على التين والزيتون والخروب والصنوبر والصبر وجميع الأشجار والنباتات المرجية التى أعرفها في بلادى مع وجوه التشبه الكثيرة في منظر الأرضين ولون التراب ، وتحدر الغدران ويحف بها القصب والحلفاء ، ومع حنين النوايعير في البقاع التى لا يصح لها الشرب من الغدران وغير ذلك مما يخيّل لك أنك فعلا في سواحل سوريا ولا شك أن هذا التشابه بين البلدين هو الذى حدا عرب سوريا على انتجاع الأندلس أكثر من أى بلاد سواها لان الإنسان يحب اذا تغرب أن يقع في أرض تشبه مسقط رأسه » .

وهكذا مضى شكيب أرسلان يصول ويجول ، ويجدد مجد الآباء ويتحدث عن الأندلس الإسلامية التى هى قطعة من تاريخنا وتراثنا من تراثنا ومن أجل آثار العرب في أوروبا طاف خزائن ألمانيا وسويسرا وإسبانيا واتصل بالعلماء في كل مكان وعكف في الأسكوريال على المصادر ..

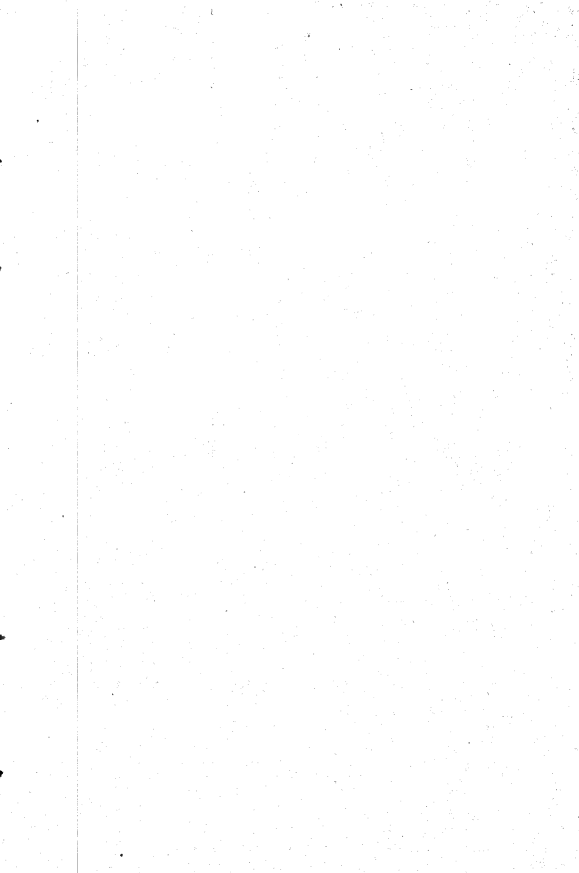
وإذا كان كتاب العرب قد عكفوا على دراسة الفردوس الإسلامى المفقود ، فإن كتاب الغرب أيضا أولوا الأندلس هذا الاهتمام :

يقول الشاعر الأسباني ( فيلا سبازا ) : ليس في طاقتنا نحن الأندلسيين المعتنقين بإيمان ثابت دين المسيحية أن نمجد دين أسلافنا المسلمين ، فلئن كان الأول مستقرا في ضمايرنا فإن الثانى ما برح مستقرا في فطرة قوميتنا المزدانة بالبدائع ، وكما أننا لو انتزعنا بعض الألوان التى موهت بها جدران كنائسنا نجد وراءها لمعا مذهبة لاسم الله الصمد محفورا بالحروف الكوفية ، فإننا لو خدشنا بشرتنا الأوروبية الصفراء لبرزت لنا من تحتها البشرة العربية السمراء .

### خوان أندرس :

واليوم يكتب خوان أندرس كتابه عن أصول الأدب الأندلسي فيقول : لقد يبدو غريبا لكثيرين ولكنه الحق خالصا أن الفكر الحديث يعترف بأهميته للعربية لا في العلم فحسب بل وفي الأدب أيضا ، ولكنى أوضح على نحو أفضل تأثير العرب في ثقافة أوروبا ، أردت أن أتى بجديد في قضية تتصارع أهم كثرة حولها عبثا ، كل يدعى هذا الشرف لنفسه بينما نحن جبيعا ندّين به لأولئك العرب ، الورق والأرقام والبارود والبوصلة وأشياء كلها جاءتنا من العرب وربما الساعة الذبذبة أيضا ، والجاذبية وبعض الاكتشافات ذات الضجيج الآن كانت معروفة عند تلك الأمة وكثير غيرها قبل أن تبلغ أخبارها آذان فلاسفتنا ، وكذلك المدارس والمراسد والمجامع العلمية ومؤسسات أدبية أخرى لا تفكر في أننا ندّين بوجودها للعرب . أن المخطوطات القيمة في مكتبة الأسكوريال جعلتنى أقف على الدور الكبير الذى لعبه الأدب العربى في نهضة أوروبا الحديثة .

هكذا قال الواهب خوان أندرس المولود في بلنسية ، والذى نشر أول فهرس المخطوطات العربية في الأسكوريال .  
( م ٧ - صفحات مضيئة )



## ابن خلدون وابن الأزرق

جاءت الأنباء الفكرية أخيراً بظهور دراسة لابن الأزرق تفوق مقدمة ابن خلدون من ناحية أصالة البحث ، ومن تفردا بجوانب عديدة لم يخض ابن خلدون غمارها ومن ناحية اتساع نطاقه وتفرده في المجالات الثلاث : الاجتماع والتاريخ والاقتصاد كشف هذا المخطوط الدكتور على سامي النشار ، وتداولت الخبر العراق والمغرب وعالم الغرب . ذلك أن المستشرق بروفنسال الذي عرف بكتاباته المعقدة في معالجة التراث الإسلامي وخاصة في كتابه منهج البحث العلمي عن المسلمين ، ودراسة التاريخ عند المسلمين ، فقد لفت نظر الدكتور النشار إلى هذا البحث منذ عشرين عاماً وقد استبطن الدكتور الخبر حتى جاء إلى المغرب استاذاً بجامعة الرباط ، وجاءه صاحب مكتبة اسمه محمد علوي ، ومعه مخطوط يلتبس منه مراجعته ، فإذا به ذلك الأثر الذي أخبره عنه المستشرق بروفنسال .

وهناك تبين أن موضوع البحث يبدأ بالتعليق على مقدمة ابن خلدون ولكنه يتجاوزها بكثير إلى آفاق واسعة من البحث .

عاش ابن الأزرق بعد ثمانين سنة من وفاة ابن خلدون ، وهو مفكر عربي أندلسي عاش في غرناطة بالأندلس في القرن الثامن الهجري ، وعمل قاضياً فيها ثم كاتباً ، وفي أواخر أيام غرناطة أرسله حاكمها العربي إلى المغرب لنجدة غرناطة ، ومن هناك سافر إلى تونس ومصر وكانت أيام غرناطة العربية قد انتهت فذهب إلى الحج ثم عاد إلى مصر فولاها حاكمها منصب قاضي القضاة لمدينة القدس ثم توفي بعد فترة فيها ودفن في حي المغاربة بالقدس عام ٨٨٠ هجرية . وقد عرف به كثير من الباحثين ، ولكنهم بعد هذا البحث الذي كشفت عنه لم يكونوا قد عرفوا أبعاد مخطوطته الفريدة .

وقد وصف ابن الأزرق بأنه شخصية نادرة ، كتب في أصول التربية والتعليم والنحو والأدب واللغة ، ورد ذكره في فنح الطيب وازهار الرياض ، والانس الجليل وله مخطوطات أخرى لم تطبع منها :

\* بدائع السلك في طبائع الملك .

\* شفاء العليل في شرح مختصر خليل ( في النحو ) .

\* روضة الاعلام .

\* اصول التعليم والتربية .

لقد بدأ ابن الأزرق بحثه تعليقا على مقدمة ابن خلدون ، ولكنه لم يتابع منهج ابن خلدون ، بل تجاوزه الى منهج جديد ، فقد جمع بين الاتجاه المثالي الأخلاقي ، السياسي عند الطرطوشي ، وأبو بكر بن عربي وابن رضوان وبين المنهج المادي التفسيري للظواهر الاجتماعية .

لقد كتب ابن الأزرق في موضوعات ما يظن أحد في العصر الحديث أن المفكرين المسلمين عاجوها ، كتب عن الاحتكار والسوق والاقتصاد السياسي وكتب عن صلة بيت المال بالمجتمع ، ويبحث في الملكية ، وفي مصائب العالم وسلطات الحكام ، ويبحث في المؤسسة التعليمية والتربوية في المجتمع العربي الاسلامي .

ويقول الدكتور على سامي النشار ان المسافة بين شخصيتي ابن خلدون وابن الأزرق كبير جدا ، لقد كشف ابن الأزرق بشكل غير مباشر أن ابن خلدون أخذ من مفكرى العصر الذى مات قبله « ابن رضوان » الذى أعطاه ابن الأزرق حقه . لقد تناول ابن خلدون وابن الأزرق موضوعات متشابهة ، ولكن ابن الأزرق تدل مخطوطاته على أنه كان رجل علم وفقه حقيقى يقول الحق بقوة ، وقد أظهر لنا شخصيات أسهمت في بناء أسس علم الاجتماع السياسى لدى العرب وفى الاتجاه التعبيرى عن المجتمع مثل ابن الحاج وابن رضوان . ولقد حاول ابن الأزرق حين لخص آراء ابن خلدون أن يصوغها فى أسلوب أكثر يسرا .

ونتيجة لذلك كله ، فإن الأمر يتطلب إجراء مراجعات كثيرة من أجل إعادة تحقيق الخدمة التى يوجد منها الآن ٢٧ نسخة وخاصة نسخ اسطنبول ، ولابد من دراسة سلسلة طويلة فى علم الاجتماع السياسى من مروج الذهب للبهرسودى حتى مخطوطة ابن الأزرق ..

## بناىء السلك

### فى طباق الملك

وبعد فماذا يمكن أن يعطينا هذا الخبر الهام فى مجال التراث والفكر الاسلامى الحديث : لقد كان ابن خلدون عملا رائعا لم يستكشف الا منذ مائة سنة او أكثر قليلا فى العصر الحديث عندما ترجمت مقدمته وبدأ علماء الاجتماع والاقتصاد والتاريخ يستمدون منه مناهج البحث الحديث ويتجاهلون ، بل ويحلمون عليه ، وما زلنا نذكر كيف ان دور كايم وكازنوف وهما من اساتذة جامعة السربون المنتمين الى الفكر التلمودى الغربى قد حاولا تمزيق هذا الرجل ورميه بقل نقيصة ، وحرصا رجلا مسلما عربيا كان يدرس فى السربون ليحمل لواء هذه الأحقاد ، ويذيعها فى الشرق ، ذلك هو طه حسين الذى كتب اطروحة الدكتوراه عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، فرماه بالسذاجة ونقص المعرفة وغيرهما مما هو مبثوث فى هذه الرسالة التى ترجمها محمد عبد الله عنان وعلق عليها كثير من العلماء الأبرار وكشفوا زيفها .



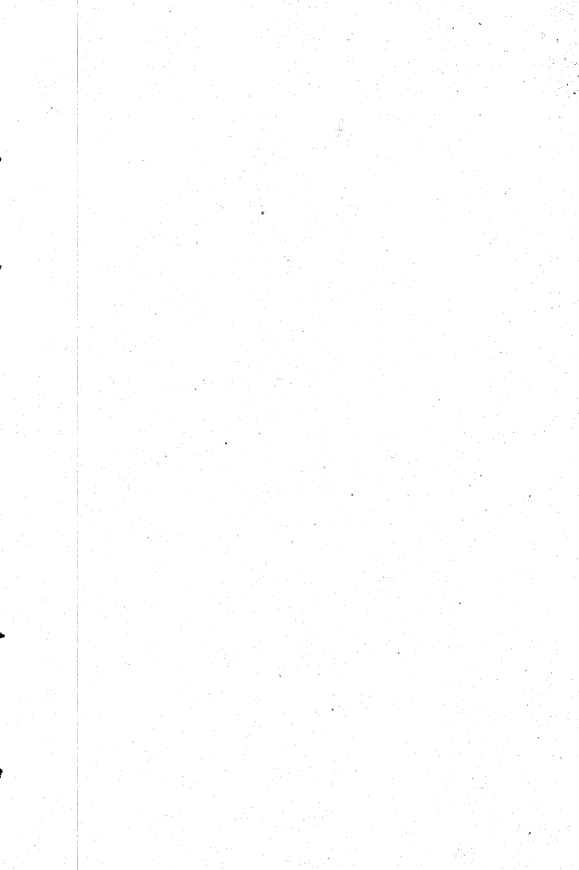
غير أن هذه ( المؤامرة ) على الرجل لم تلبث أن تكشف حين ترجمت عشرات الأبحاث الغربية التي تضع الرجل موضع التقدير الصحيح ..

وفي القاهرة عقد مؤتمر لدارسته حضره عشرات من هؤلاء ، وأشادوا بابن خلدون وبفضله ودوره الرائد .

واليوم تبين أن العقل الاسلامي لم يعقم ، وأنه لم يخرج في عصر التخلف والركود ، سوى ابن خلدون وابن تيمية فقط « وهما عملاقا الفكر الاسلامي كله » ولكنه خرج أيضا كثيرون لا نعلمهم منهم ابن الأرزق الذي جاء بعد سقوط غرناطة والذي يبدو أنه أضاع إضافات هامة على بحوث التاريخ والاجتماع .. ولابد أن هناك كثيرين فإن العقل الاسلامي لم يعقم أبدا ولعله كان في فترة التخلف والركود الاجتماعي والحضاري التي مر بها العالم الاسلامي بعد سقوط الأندلس أو بعد الحروب الصليبية أشد قوة وثاقا .. ولكن كيف يمكن أن نثبت ذلك وليس في أيدينا الدليل والبرهان .. هذا هو السؤال الذي نجد الإجابة عليه ممكنة ولكنها متنوعة ، لأن النفوذ الأجنبي الغربي الذي أخرج المسلمين من الأندلس واستولى على جامعاتهم وأبحاثهم ، ومنجزاتهم فحرمهم من الاستثمار في تنميتها واستولى هو عليها وأضى سنوات طويلة يدعى أنها من نتاجه الخاص ، هذا النفوذ نفسه عمد إلى خطة أشد خطرا من ذلك حين حمل التراث الاسلامي من العالم الاسلامي ، من المساجد والربط والزوايا إلى أوروبا حتى يحرم المسلمين من معرفة مدى الدور الذي قاموا به وكل يوم يتكشف لنا شيء جديد يدل على أن المسلمين قاموا به وعملوه في مجال الفكر ، وهو منسوب إلى هذا أو ذلك من الباحثين الغربيين وإذا كان هناك أكثر من عشرة من كبار مفكرى الغرب قد تبين أن ابن خلدون هو إمامهم في التاريخ والاجتماع والاقتصاد ، فلا بد أن يكون لابن الأرزق عدد آخر وهذا هو السر الخطير الذي جال به النفوذ الغربي دون تمكين المسلمين من معرفة ( أبعاد ) الدور الذي قام به علماءهم ومفكرهم في الإضافات الحية للفكر الحديث وللحضارة البشرية . ولن يستطيعوا أن يقوموا بهذا الدور إلا إذا أتيح لهم استعادة تراثهم ومخطوطاتهم التي تعد بالوف الألف في جامعات الغرب والتي قد يجدون أنفسهم غير مستطيعين الحصول عليها أو الاطلاع عليها كما حدث لكثير من العلماء الذين ذهبوا إلى لندن أو برلين أو باريس وردوا عن نوع خاص من المخطوطات ولم يسبح لهم بالنظر فيه ..

تلك هي العبرة مما يظهر بين آن وآخر من مخطوطات أو يعلن من حقائق عن إضافات المسلمين للعلم التجريبي أو العلوم الإنسانية .

وأمر آخر هام تكشفه هذه الأخبار هو أن المسلمين لم يأخذوا هذه المفاهيم عن الفكر اليوناني القديم كما حاول لويس عوض أن يفترى هذا على ( ابن خلدون وأبو العلاء ) ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها أن القرآن ، والقرآن وحده كان هو المنطق الحقيقي للطريقة العلمية التي تادت المسلمين في مجالات البحث التجريبي والعلوم الإنسانية جميعا إلى ما وصلوا إليه من حقائق ونظريات .



## ظهور الإسلام علامة بدأ العصر الحديث

لا ريب كان تأثير الإسلام في الغرب الأوربي عميقا وفي التفكير الغربي المسيحي فهو الذي قدم لها عناصر التحول الحقيقي للفكر والحياة والمجتمع والحضارة ، ومن الحق أن يقال أنه لا علاقة مطلقا بين حضارة أوربا الحديثة وبين المسيحية لأنها جاءت بعدها بآلاف عام وبعد قرون من ظلمات العصر الوسيط ، وإنما هو الإسلام الذي أعطى أوربا مفاتيح الحضارة بالعلم التجريبي الذي ورثته في الأندلس من طليطلة إلى قرطبة خلال أكثر من ثلاثة قرون ويزيد .

وصدق القول القائل : أن المسيحية أدخلت أهل أوربا الأديرة وأن الإسلام هو الذي أخرجهم منها ، ذلك أن التقدير الحقيقي للموقف يؤكد أن الإسلام هو الذي نقل البشرية كلها إلى العصر الحديث وليس صحيحا ما ذهب إليه المؤرخون الأوربيون الذين يخضعون لعنصريتهم من أن حادثة اجتياح الشعوب الجرمانية لدولة روما الغربية كان حدا فاصلا بين العصور القديمة والعصور المتوسطة . ومن عجب انسياق مدارسنا الإسلامية ومقررات التعليم في البلاد العربية وراء هذا الخطأ التاريخي واستمرار مؤلفي الكتب التاريخية العرب في اتخاذ هذا الحادث فاصلا في تاريخ الإنسانية متابعة وجريا وراء الغرب .

وإذا كان الغربيون قد عجزوا بتمصّبهم القومي والملي أن يعترفوا بأن ظهور الإسلام هو الحادث الإنساني العظيم الذي غير مجرى التاريخ ، وأنه هو الحد الفاصل فإن الأستاذ هنري بيرين مؤلف كتاب — محمد وشارلمان — وقد أعلن هذه الحقيقة في صراحة ووضوح حين قال :

إن الإسلام هو القوة الهائلة التي حولت مجرى التاريخ الأوربي ، وإن العصر الوسيط والنهضة الحديثة ثمرتان من ثمار الإسلام .

يقول هنري بيرين : أن القول بأن سقوط الإمبراطورية الرومانية هي القوة التي أدت إلى هذا التحول في التاريخ الأوربي هو محض خطأ شائع ، فإن هذه الشعوب كانت من هوان الشأن وضيق الحياة إلى درجة تجعلها تنظر إلى الرومان نظرة العبد إلى السادة فما كان يخطر لها بل ما كانت ترغب أبدا في أن تناوئ روما وتتقضى عليها ، أما المسلمون فكانوا يعتقدون أنهم أرقى وأسمى من الرومان في جميع أساليب الحياة ولا سيما من الناحية

الدينية التي كانت مبعث قوتهم ومصدر تشريعهم فلم يحجموا عن منازلة الرومان ليقضوا على سطوتهم وسيادتهم ، لقد ظلت الدولة الرومانية قائمة وظلت حضارتها باقية بعد أن اجتاز الوندال حدودها ، واستقروا في نواحيها وكل ما حدث أن انتقل مركزها الرئيسي من روما الى بيزنطة واصاب حياتها العقلية والمادية شيء من الركود والكساد ولكن لم تكن تهب — حضارة الاسلام — وتسير ركائبه الى اراضي الرومان حتى تلاشى ما كان لهم من المعالم والآثار وقامت دولة جديدة وظهرت حضارة جديدة حاصرت أوروبا من المشرق والجنوب فاضطرت ملوكها أن يوجهوا انظارهم الى الجزء الشمالي من أوروبا حيث قامت المعارك التي كيفت تاريخ أوروبا في العصر الوسيط وأبان العصر الحديث . أما الجزء الجنوبي من أوروبا فلم يقع فيه في تلك العهود الا موقعة — بواتيه — التي انتصر فيها شارل مارتل على جيش الأندلس ، فلولاً ظهور الاسلام لظلت الامبراطورية الرومانية قائمة وان انتقل مركزها من الغرب الى الشرق ولظل البحر الابيض بحراً رومانيا ولما قامت الثورات القومية التي شيدت أوروبا الحديثة ولا الثورات الفكرية التي تمخضت عنها الحضارة الراهنة .

وذلك الذي يقرره هنري بيرين في كتابه — محمد وشارلمان — هو الحقيقة التي أصبحت اليوم على كل لسان وكل قلم .

يقول : ايريك بتيان في بحثه عن اثر الاسلام في المسيحية :

لقد اجتذبت الأندلس ومدارسها في اسبانيا والبرتغال ومؤلفاتها ومكتباتها العالم المسيحي فكان من درسوا في مدرسة طليطله كثيرون ، ظل كتاب ( الرازي ) : الحاوي المؤلف من عشرين مجلدا المرجع الوحيد المعترف به في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر وهو اعظم تقدم علمي حققه المسلمون في علم البصريات وعندما اكتشف المسيحيون أن الاسلام شيء آخر غير مجرد الحاد مسيحي أخذوا في مقاومته بطريقتين : تشديد الهجوم المضاد على الدين الاسلامي والثانية : هي الحملات الفعلية لحاربة الشعوب الاسلامية :

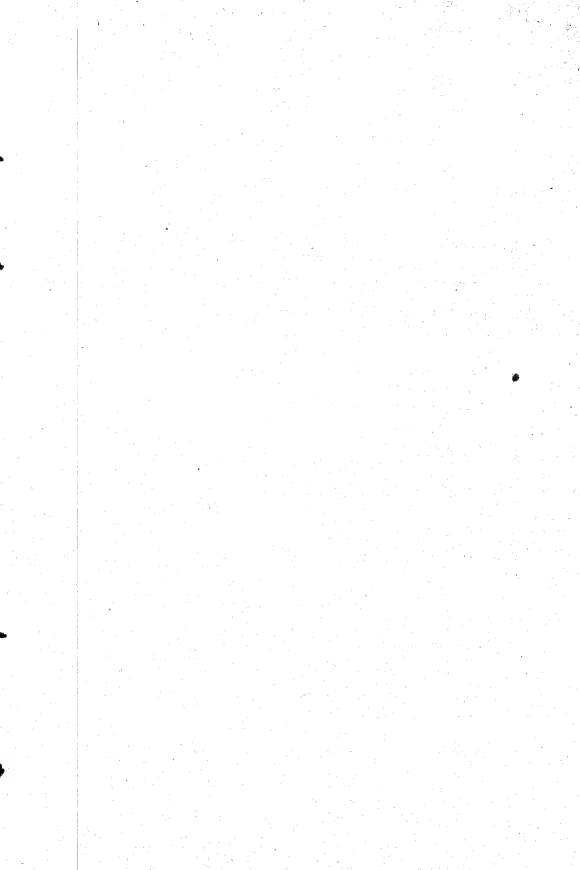
\*\*\*

## يقظة العالم الإسلامي انبعثت من أعماقه

إذا كان الغزو الأوربي للشرق بوصول فاسكو دي جاما الى الهند ( مايو ١٤٩٨ ) ومن ثم بدأت هزيمة الوحدات البحرية العربية ، وتراجعت اساطيل العرب التجارية في المحيط الهندي ، فان انتصار الاتراك العثمانيين في وراثه العرب في حكم المنطقة وحمل لواء الزعامة السياسية والثقافية والدينية قد اخذ الاصطدام أكثر من ثلاثة قرون ، غير ان الغرب لم يتوقف عن الغزو وذلك بمحاولة حصول دولة على امتيازات في عديد من اقطار الامبراطورية العثمانية تكفل للتجار سلامة اشخاصهم واملاكهم ، ثم اتسعت هذه الامتيازات حتى أصبحت سلطانا ضخما لا سبيل الى مراجعته ، لها محكمها وسلطانها ، وقد تغفل الفرنسيون قبل ذلك في الوطن العربي ، وهنا تبرز قضية فكرية هامة طالما ردها كتاب الغرب ، وهي ان حركة اليقظة الفكرية في البلاد العربية قد بدأت بحملة نابليون على مصر ١٧٩٨ ، وبوصول الجمعيات التبشيرية الفرنسية عام ١٨٤٧ ، والأمريكية عام ١٨٦٨ الى بيروت واليهما تنسب يقظة الفكر الاسلامي في العصر الحديث .

ونحن نرى ومعنا كل الدلة على ان اليقظة الفكرية قد سبقت هذا الغزو الفكري الغربي بأمد طويل ، وعندنا أنها بدأت بدعوة الامام محمد بن عبد الوهاب الذي حمل لواء حركة التوحيد والتناسع منابع الاسلام ، واذا كان الشيخ قد ولد عام ١٧٠٣ وقام بدعوته في حدود الأربعين غان يقظة الفكر الاسلامي تكون قد بدأت قبل وصول الجمعيات التبشيرية الاوروبية بمائة عام على الاقل . وقد كانت هذه الدعوة الفكرية السياسية بعيدة المدى في تحرير الفكر الاسلامي وايضاؤه لانها التمسث نفس منطلقات الدعوة الاولى ومن خلال مهادها . ولا سيما بعد ان أتيح لها التقاء البيتين الكريمين بيت سعود ، وبيت عبد الوهاب أن تتحول الى دولة غنية كانت لها سطوتها وقوتها ..

ومن هنا فقد حققت دعوة التوحيد التي حمل لواءها الامام محمد بن عبد الوهاب الظاهرة التي عرفتها الفكرة الاسلامية خلال حياتها كلها وهي القدرة على الانبعاث بالنهضة من أعماقتها كلها ادلهمت حولها الاحداث .. ودخلت مرحلة الازمة او الخطر ومعنى هذا ان يقظة الفكر الاسلامي في البلاد العربية قد انبعثت من أعماقه وصدرت من فهم اصيل للاسلام .. وانه كان منطلقا لتحرير البلاد الاسلامية من كل نفوذ اجنبي .



## عندها عرف الغرب حقيقة صلاح الدين

عندما قدمت الحملات الصليبية الى المشرق الاسلامى كانت تحمل فكرة ظالمة ، هى ان المسلمين قد ظلموا بيت المقدس ومنعوا المسيحيين الغربيين من دخوله فلما جاعوا وجدوا غير ذلك تماما ، وجدوا رحمة وعدلا وسماحة لا حد لها ثم جاءت انتصارات حطين على يد صلاح الدين فكشفت عن مزيد من الرحمة والسماحة فقد افتدى السلطان العاجزين وسمح لهم بالخروج من القدس منها باثنياتهم دون قيد ، وارغم المراكب والسفن الاجنبية لتحملهم الى ديارهم وعفا عما دعى اليه بان ينتقم منهم وقد قتلوا ٨٠ الفا من المسلمين عندما احتلوا بيت المقدس وقال ان ديننا ينهانا عن ذلك .

وعادت فلول الحملات الصليبية مهزومة فى النهاية ولكن اهلها عجزوا عن ان يقولوا كلمة الحق فى المسلمين وفى صلاح الدين ، فقد كانوا يقتالون حين يفرحون بمعدل المسلمين فصمت الناس وقنعوا من الغنيمة بالاياب .

ولكن الامر لم يطل كثيرا فقد شاء الله ان تتكشف الحقائق ، فلم يمض وقت طويل حتى كتب جيبون كتابه الخطير ( سقوط الامبراطورية الرومانية ) وكشف عن صفحة صلاح الدين فى انصاف ودوى صوته لاول مرة فى آفاق الفكر العربى يعلن الحقيقة التى طواها الاخبار والرهبان زمنا طويلا .

قال جيبون : كان صلاح الدين متواضعا لا يعرف التبرج او الترف ولا يرتدى سوى عبايته المصنوعة من الصوف الخشن ولم يكن يعرف غسـ الماء شرابا وكان متدينا قولا وفعلنا وان لم يتمكن من اداء فريضة الحج لانه كان منشغلا فى الدفاع عن الدين الاسلامى . . وكان يحافظ على تأدية الصلوات الخمس فى اوقاتها فيقف خاشعا فى الصلاة . . ومن شدة ورعه وتقواه انه كان يقرأ القرآن وهو على صهوة جواده اثناء المعارك ووسط الجيوش المنهبة للقتال » .

كان هذا هو الضوء الاول على حقيقة الاسلام وعدالته فى تلك الملحمة الخطيرة : الحروب الصليبية .

ولقد كان هذا منطلقا لما كتبه ( والتر سكوت ) فى روايته ( التعويذة او الطلسم ) حين قال :

اما صلاح الدين فقد فاق اعظم الفرسان الانجليز شهامة وتبلا ونكران

ذات فهو الذى ينتقد عدوه من الموت وهو الذى ساعد على شفاء ( ريتشارد قلب الأسد ) من مرض عضال كاد يودى بحياته .

يقول المؤرخون : ان نجاح رواية الطلسم قد ادى الى قلب المعانى والدلالات التى كانت ترتبط عادة بلفظ ( صلاح الدين ) فى الانجليزية رأسا على عقب فبعد أن كان الاسم يوحى بالعداء فى القرون الوسطى أصبح الآن مرادفا للشهامة والشجاعة والصدق .

ومن ابرز الذين نظروا الى ( صلاح الدين ) بهذا المنظار الجديد ( تشارلز دكنز ) - ١٨٧٠ م الذى وصف صلاح الدين بأنه قائد شهم ورجل شجاع فى الوقت الذى اتحى باللائمة على اعدائه الصليبيين ورماهم بالابتذال والتفكك والفساد .

### جنور التركيب العلمى :

فى مجال البحث العلمى سبق المسلمون الغرب الى جنور التركيب العلمى الحديث كله .

أولا : اكتشاف الجاذبية ، تحدث عنها ( ابن سينا ) ، ابن خردزابه ، الإدريسي ، الخازن . قال ابن خردزابه صراحة ( الأرض جاذبة لما فى ابدان الناس من الثقل لان الأرض بمنزلة الحجر يجذب الحديد وقال الإدريسي ان الأرض جاذبة .

ومع ذلك فقد نسبت نظرية الجاذبية الى نيوتن .

ثانيا : المسلمون اول من أثبت ان سطوح الماء كروية كسطوح اليابسة وفصل الكدى هذه النظرية تفصيلا .

ومع ذلك فقد نسبت النظرية الى ( والاس ) .

ثالثا : المسلمون هم اول من تكلم عن البحث التجريبى وكان جابر بن حيان هو الرائد الاول الذى اخضع جميع بحوثه للتجربة وكان يسميها ( التدريب ) .

ومع ذلك فقد نسب البحث التجريبى الى فرنسيس بيكون .

رابعا : العرب اول من وضع علم الجيولوجيا وقال ابن سينا ان نشأة الجبال ترجع الى عمل الحركات الأرضية كذلك التى تسبب الزلزال وعامل المياه الجارية والرياح فى حفر الأودية فى الصخور الضعيفة .



وقال ملكس مايرهوف : نحن مدينون لابن سينا برسائلته في تكوين  
الجبال والاحجار والمعادن .

ومع ذلك فقد نسب وضع علم الجيولوجيا الى ليوناردو دافنشى .

وقد سبق البيرونى علماء أوربا في القول بأن سهل الهند كان بحرا ردمته  
الرواسب وقال ( ايرو بوب ) من المستحيل أن يكتمل بحث في تاريخ علم  
المعادن دون الاقرار بمساهمة البيرونى في كتابه « **الجماهر في معرفة  
الجواهر** » .

خامسا : ثابت بن قرّة أول من طبق علم الجبر على علم الهندسة قبل  
العالم ستيفن والبوزجاني هو أول من اكتشف الاختلاف الثالث للقمر الذي  
نسب من بعد الى العالم الغربى ( يتخو براهى ) اما الزرقانى فكان أول من قال  
بحركة الكواكب السيارة في مدارات اهليلجية وقدم لها البرهان وجاء ( كبلر )  
فذهب الى ما قاله الزرقانى فنسب اليه الكشف بعد مرور ستة قرون .

سادسا : اكتشف الادريسي منابع النيل التي بقيت قرونا عديدة مجهولة  
لدى العلماء الاوربيين حتى اكتشفها ( سبيك وجرانت ) .

سابعا : في مجال الطب : اكتشف المسلمون نظرية العدوى وكان  
الخطيب البغدادي هو أول من أشار اليه في رسالته عن الطاعون وقال ان  
وجود العدوى مقرر بالخبرة والدراسة ، وابن النفيس هو الذى اكتشف  
الدورة الدموية الصغرى التي نسبها الغرب الى ( سرفينوس ) اما الطبيب  
المسلم على بن عباس فقد سبق الاوربي ( هارفي ) في وصف الدورة الدموية  
في الاوعية الشعرية .

اما الزهراوى فقد استطاع إيقاف نزف الدم بواسطة ربط الشرايين  
وقد نسبت نظريته الى الجراح ( امبرو ازبادي ) وأول من اوصى بولادة  
الحوض التي نسبت الى العالم والشر وابن سينا أول من اكتشف الانكسوتوما  
ونسبت الى ( وبيى ) الايطالى .

### لوييس في موقف الهزيمة :

قال جوفانيل مؤرخ الحملة الصليبية التى قادها لوييس التاسع على  
مصر ( ١٢٤٩/١٢٥٠ م ) : وذات ليلة تقدم الممالك بالآلة من الآلات فظيعة  
لاحداث الضرر والأذى ووضعوها قبالة قاذفات الحجارة التى كان يحرسها  
في تلك الليلة السير والتر دى كوريل وأنا .

ولقد اطلقوا من هذه الآلة كميات هائلة من النار الاغريقية غير انها  
كانت انقطع ما رأت عيني على الاطلاق فقد شاهد زميلى ستر والتر هذا  
السيل المنهمر من النيران كالنيران المشتعلة ومن خلفها ذيل طويل ، اما

الصوت الذى كانت تحدثه عند انطلاقها فكان الرعد وكانت تشق الهواء كأنها تنشين من النار تطير في الهواء تضيء ظلمة الليل ضوءا قويا ، حتى لقد كنا نرى الأشياء في خيلنا وكأننا في النهار تماما .

ولقد أطلقوا النار من هذه الآلة ثلاث مرات فقط في تلك الليلة وكان ملكنا الطبيب لويس في كل مرة يسمع هذه الطلقات يركع على الأرض ويتجه الى السماء باسما ذراعيه والدمع ينهمر مدرارا من خديه ..

ولقائل ان يقول : من الذى دفع لويس الى مهاجمة المسلمين في عقر ديارهم واحتلال بلادهم فاذا هزموا ، تذلل وانهمرت دموعه وضعف والتصق بالأرض ولكن هل ارعوى لويس من هذه التجربة ، انه لم يلبث أن قاد حملة أخرى الى تونس وهناك قتل جزاء عدوانه .

### آخر العمود :

احفظ قلبك من ارادة الدنيا وحب الجاه واثير الشهوات ، واقنع من ذلك بما قسم الله لك اذا خرج لك مخرج الرضى فكن لله شاكرا ، واذا خرج لك مخرج السخط فكن عليه صابرا .. وحب الله اساس تدور عليه الخيرات واصل جامع لانواع الكرامات وحصول ذلك يكون بأربع أشياء : الورع وحسن النية واخلاص العمل ومحبة العلم ، ولا يتم ذلك الا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح ألزم الطهارة من الشكوك كلها احدثت تطهرت ومن دنس الدنيا كلها ملت الى شهوة اصلحت بالتوبة ما أفسده الهوى عليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة ..

« ابن مشيش »



## مخطوطات كهف قمران

المسيح نبي مرسل من عند الله

تكشف الحفريات كل يوم جديدا يزيج السننار عن حقيقة تاريخية ،  
تظاهر ما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات جعلها الحق تبارك وتعالى  
نورا وهدى للبشرية حتى تؤمن وتصدق ثم ترداد ايماننا بانه من عند العليم  
الخبير .

ولقد وعد الله تبارك وتعالى ان يوسع دائرة العلم بين يدي الناس ،  
وان يريهم من آياته ما يؤكد الحق الذي جاء به دين الله ويدحض تلك  
الاكاذيب والاغاليط والمفتريات التي ادعاها بعض من لم يفهموا كتاب الله في  
الازمنة الغابرة فحرفوا وزادوا ونقصوا .

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » .

ولقد عرضنا من قبل لما كشفته الأبحاث الحديثة في شأن فرعون وفي  
شأن القرى المكتشفات التي كانت تفعل الخبائث . ومن قبل ذلك كشفت  
الحفريات كثيرا من شأن قوم ابراهيم وقوم اسماعيل بما صحح كثيرا من  
الاكاذيب المدعاة التي حاولت انكار رحلة ابراهيم الى مكة واقامة قواعد  
البيت مع ابنه اسماعيل عليهما السلام وكان لهذه الكشف الأثرية أثرها  
العكسي المضاد لما كان يهدف اليه بعض الدعاة لها .

وكان من أخطر الأحداث في هذا الصدد ذلك الكشف الأثرى الخطير  
الذى وقع عام ١٩٤٧ على شاطئ البحر الميت عندما عثر أحد البدو اجينها  
ضلت عنزاته فذهب يبحث عنها فاهتدى الى أحد الكهوف على تلك الجرار  
الحجرية القريبة التي تشتمل على محفوظات دينية أذهلت العالم المسيحي  
بأسره . وقد أطلق عليها كشف شاطئ البحر الميت أو خربة قمران التي  
تقع جنوب مدينة اريحا ( ثمانية اميال ) وقد عرف من بعد ان هذه الكتابات  
مما لا يقدر بثمن لانها ألقت الضوء على مرحلة خطيرة من تاريخ المسيحية  
وتاريخ السيد المسيح نفسه والتي كتبت قبل مولد السيد المسيح بسنين  
طويلة . وقد أسرعت بعثات الجامعات والفاتيكان الى الحصول على هذه  
الملفات أو اجزاء منها ، وانفقت الحكومة الاردنية خمسة عشر الف دينار  
في سنة واحدة لشراء هذه المخطوطات الأثرية القيمة .

وقد أجريت فحوص دقيقة على هذه المخطوطات من قبل مؤتمر  
للمستشرقين عقد في باريس أثبتت أنها وثائق حقيقية لا زيف فيها ولا تلاعب  
وقد وصفها واحد من أعظم علماء الآثار من المتخصصين في آثار التوراة وهو  
الدكتور البرايت من الولايات المتحدة بقوله أنها أعظم اكتشاف للمخطوطات  
في العصر الحديث وأفضل تاريخ يمكن أن تكون كتبت فيه هو مائة سنة  
قبل الميلاد ( بالحساب التقديرى المعروف الآن ) وقد تبين كما يقول الدكتور  
صبحى الدجاني - أن هذه الملفات كتبت بأيدى كتبة في ( دير الاسنين )  
الذى مازالت خرائبه وأطلاله وبقيائه بادية للعيان الى يومنا هذا على مقربة  
من الكهف الذى اكتشفت فيه أول مجموعة من هذه الملفات .

هؤلاء الاسنينيون كانوا طائفة يعتقدون أنهم ورثة عهد النبوة وكانت  
طقوسهم وتعاليمهم وثيقة الصلة بتعاليم الدين المسيحى ، وقد أودعوا جميع  
ما عندهم من ملفات في الكهوف عندما فروا ليأمنوا شر الاضطهاد الرومانى  
الذى كان واقعاً عليهم في ذلك الحين .

ويقول العلماء ان المسيح عليه السلام ربما يكون واحداً من هؤلاء  
الاسنينين وأنه كان متأثراً الى حد بعيد بطقوسهم وعقائدهم .

وكان الاسنينيون يعتبرون ثروتهم حصة مشتركة بينهم ، وأنهم يعتقدون  
بخلود الروح وتحدث نصوصهم عن واحد منهم يعلو عليهم كثيراً ويسمونه  
« السيد الأكبر » الدهون بالزيت أو المسيح الذى اختاره الله وتحدث وثائق  
الاسنينين الذين كانوا يقيمون في الدير على مقربة من البحر الميت أنهم كانوا  
يشعرون بتسام روحى له شكر موجه الى الله تبارك وتعالى الواحد الأحد .

وتحدث الوثائق عن حياة هذا السيد بما يشبه حياة السيد المسيح ،  
وقد استقرت في الأذهان فكرة مؤداها أن هذا السيد أو المعلم الذى كان  
ينزل عليه وحى الله ويقول : ج . ل . تبتشر أحد أساتذة كمبرج ان أحد  
المراجع الأساسية في ملفات البحر الاسود ان معلم البر والتقوى الذى  
يتحدث عنه الاسنينيون هو نفسه يسوع المسيح ولا أحد غيره .

ويقول جون كلارك صاحب بحث ضاف عن الوثائق أنه من الممكن أن  
المسيح قد عاش قبل مائة سنة قبل التاريخ الذى أجمع الناس عليه حتى  
الآن وإن في ذلك جواب مقنع للذين طالما أمرؤوا عن شكوكهم في الأدلة  
التاريخية الواردة عن مولد السيد المسيح لأنها قليلة ومليئة بالمتناقضات . .

ويقول ابراهيم مطر ان هذه المكتشفات قد اقتضت دراسة استمرت  
سنوات طويلة ولا تزال ويعتقد العلماء أنه برحت جماعة من الناس المحبة  
للعزلة ، الى تلك التلال الواتعة بجوار البحر الميت فراراً من حياة المدن  
الصاخبة سكنت في ذلك الغور المقفر عند طرف الصحراء الموحشة فالتجأت  
الى نظام رهبانى شديد وحياة مشتركة شاملة وقد هزت المكتشفات الأوساط  
المسيحية والغربية ورجال الآثار حيث وجدت أدراج وإطمار ، ومخطوطات  
متنوعة وقطع من النقود الوفيرة ، والأواني الطبخية والجرار الفخارية ،  
كما عثر على مختلف أسفار العهد القديم ما عدا سفر ( استير ) فضلاً عن

بضعة آلاف من المخطوطات المتنوعة ذات القيمة التاريخية والأثر العظيم :

ويقول الباحثون : ان الرومان ربما هاجموا تلك الجماعة حوالي ٦٨ أو ٧٠ قبل الميلاد ( بالتاريخ المعتد الآن ) وقضوا عليها وذلك عندما انقضت جيوشهم على أريحا بقصد أخماد فتنة اليهود التي اضطرمت اذ ذاك .

ويبدو ان تلك الجماعة التي سكنت فوق تلال قمران قد أخفت كتبها الدينية المقدسة بسرعة في المغاور املا في ان تعود اليها بعدما تستقر الأحوال غير انه على ما يبدو لم يتح لاحد منهم العودة لاستعادة ما أخفوه من محفوظات .

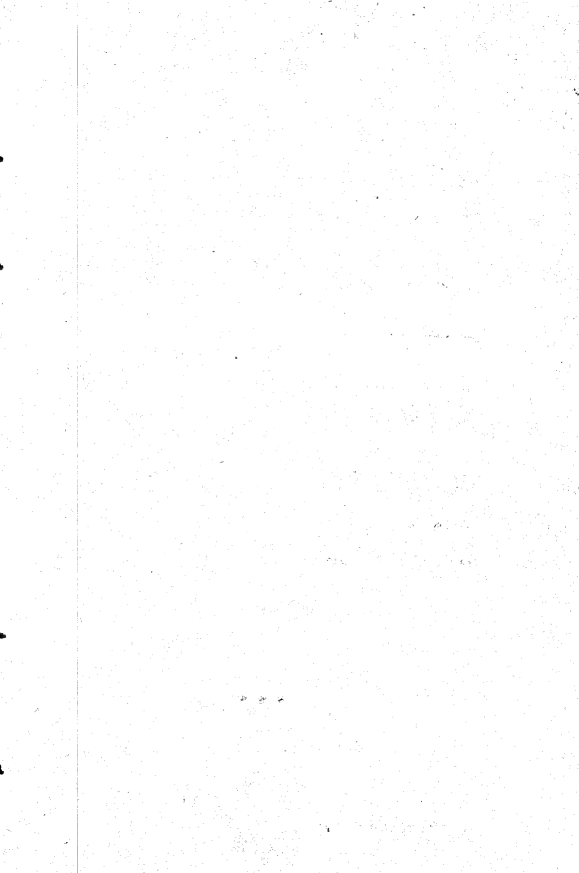
هذا مجمل ما عرف في شأن كهف قمران التي نشرت الصحف من بعد انها قدمت حقائق جديدة تؤيد فهم القرآن للسيد المسيح رسولا ونبيا الى بني اسرائيل .

وقد تجددت الدعوة في الغرب الى النظر في نصوص العهد القديم التي لا تتفق مع الحقائق التي قدمتها هذه المكتشفات .

كذلك فان بعثة دولية للآثار اكتشفت في منطقة مناجم الملك سليمان بصحراء النقب ان المصريين عاشوا في هذه المنطقة منذ ٣٢٧١ عاما وبناء على هذا صرح البروفيسور بينوروتنبرج أحد علماء الآثار بأن هذا الكشف يتطلب اعادة النظر في العهد القديم .

ولم تمض على ذلك الا سنوات قلائل حتى ظهر القس المسيحي ( بايك ) الذي نشرت صورته مجلة تايم الامريكية على غلافها في ( ١١ نوفمبر ١٩٦٦ ) مع بحث مطول تحت عنوان انقلاب او ثورة اجراها القس المسيحي بايك ( وقد اعلن بايك ان المسيح نبى وليس الها ولا ابن الاله ويبدو انه اعتد في ذلك على الوثائق التي ظهرت في مغارة قمران بخليل انه قصد بعد ذلك الى هذه المنطقة فاقام بها فترة منقبا وباحثا حتى قضى نحبه وقد الفت زوجته كتابا معروفا عن تجربته هذه ) .

\*\*\*



## كهف الرقيم بعد كهف قمران

وبعد أن اذن الله بالكشف عن كهف قمران الذى وصل اليه الراعى بطريق الصدفة المحضة تحقق كشف الرقيم الذى شغل المسلمين طوال تاريخهم وتعددت تفسيرات العلماء عن أماكن مختلفة ظنوا أنها هى التى أشار إليها القرآن الكريم . ومنذ عهد الواثق فى القرن الثانى الهجرى والمسلمون مشغولون بهذه القضية فقتد بعث الخليفة العباسى العلامة المشهور محمد بن موسى الى بلده أفسوس بآسيا الصغرى من بلاد الروم لزيارة الكهف الذى قيل - يومها - أنه حفظ رفات الفتية الذين ورد ذكرهم فى سورة الكهف .

وقد منح الامبراطور البيزنطى ميخائيل الثالث البعثة الاسلامية التى كانت تتألف من هذا العالم ومن معه تفويضا خاصا لزيارة الكهف وبعث معهم دليله الخاص لارشادهم لموضع الكهف وقد أشار بعض المفسرين الى أن يكون الكهف فى دمشق ، أو فى البلقاء قرب عمان ومنذ سنوات طويلة كان أحد الباحثين الاثريين الفرنسيين ( كليمانت جابو ) الذى كان قنصلا لبلاده فى بيت المقدس ١٨٦٠ كما يقول الأستاذ حسن فتح الباب قد زار المكان الذى دل عليه سكان البادية وأكد أنه موقع الكهف الذى تحدثت عنه المصادر الاسلامية والمسيحية على السواء ، وله كتاب فى هذا ضمنه عددا من الصور ومنهم بطريرك السريان فى دمشق الذى أورد ابيانا من الشعر السريانى القديم تحكى قصة أهل الكهف وذلك من الأدلة على اعجاز القرآن الذى أورد المعلومات الدقيقة عنهم وقد حملت الاخبار فى الاخير اكتشاف كهف الفتية الذين آمنوا بربهم وغروا من عسف الامبراطور الرومانى ( اقلديانوس ) فى قرية الرقيم على مقربة من جنوبى عمان بالاردن ( المسافة بينهما سبعة كيلو مترات ) وهى القرية التى أصبح اسمها الرحيب وأعلن الأستاذ محمد تيسير ظبيان أن الدراسة التاريخية والاثرية التى استغرقت أكثر من عشر سنوات داخل الاردن وخارجه قد أفضت الى الكشف عن موقع الكهف فى قرية الرقيم .

وقد عثر فى داخل الكهف على نقوش وأدوات زينة ونقود العهد البيزنطى فى القرن الثالث بعد الميلاد وهو العصر الذى عاش فيه أهل الكهف ، كما عثر على أعمدة المسجد الذى أقيم على الكهف بعد موت أصحابه والذى ورد ذكره فى القرآن ، كما عثر على سبعة قبور وقبر ثامن للكلب الذى تبع الفتية الى الكهف ( ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ) .

كما عثر على سبع جلاجم بشرية وجمجمة حيوان فى القبور المكتشفة

ثبت أنها جحمة كلب ، كما عثر على فجوة داخل الكهف ( كوة عليها غطاء  
حجرى مثقوب ) فلما رفع الغطاء إذا به ينفذ الى داخل الكهف حيث توجد  
فجوة يبلغ طولها حوالى أربعة امتار وعرضها ثلاثة تقريبا بما يطابق عبارة  
القرآن الكريم وقد اشار بعض الباحثين الى أن بناء المسجد والأعمدة كان في  
العصر البيزنطى وذلك مطابق لما جاء في القرآن من أن الفتية قد استيقظوا  
بعد ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا وكانوا قد أوو الى الكهف في العصر الرومانى  
الوثنى وقاموا في العصر البيزنطى .

\* وقد طابق كهف الرقيم ذلك الوصف الذى جاء به القرآن عن الفجوة  
التي لا توجد في كهف أفسوس بتركيا ويرى محمد تيسير طليبان أن كهف  
أفسوس لا يطابق ذلك الوصف المذكور في كتاب الله .

وهكذا تتوالى الكشوف التي جاء ذكرها في القرآن وتقدم لمن كان له  
قلب أو الفى السمع وهو شهيد حجة جديدة على صدق القرآن وأخبرته  
البالغة في أن يكون المصدر الوحيد للتاريخ القديم وذلك بعد أن تبين زيف  
كثير مما أورثته التوراة المكتوبة بأيدي الأحرار والرهبان وخاصة فيما يتعلق  
بحجب رحلة سيدنا إبراهيم الى مكة ووضع القواعد من البيت مع إسماعيل  
وفي أكنوبة « السامية : لغة وجنسا » وفي كثير من دعاوى مبطلية وهكذا  
يؤكد القرآن أنه جاء مصدقا لما بين يديه من التوراه والإنجيل كما جاء مهيئنا  
على هذه الكتب ومصححا لما كتبه الأحرار والرهبان .

\*\*\*



## حول علاقة شارلمان وهارون الرشيد

تجدد الحديث في هذه الرواية المشبوهة التي وردت في بعض كتب التاريخ العربى الحديث عن علاقة بين هارون الرشيد وشارلمان . . وقد تبين من المراجعات التي أجريتها في الدوريات القديمة أن هذا الموضوع كان مثار جدل منذ أكثر من خمسين عاما حيث كتب الأستاذ زهدى البداية في مجلة الهلال المصرية يتساءل عما إذا كانت هناك حقا علاقات بين هارون الرشيد وشارلمان . . ويقول : راجعت الاصول التاريخية العربية كالطبرى وابن الأثير وأبو الفداء وابن خلدون وابن خلكان والمسعودى والنسبوى فلم أجد ذكرا للعلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان ، ولم أر لذلك ذكرا في الكتب المتأخرة نقلًا عن التواريخ الامرنجية .

قال العلامة كلينكوز : الذى اعتمد في بحثه على الاصول اللاتينية : انه لم يكن هناك علاقات بين هارون الرشيد وشارلمان وما هذه العلاقات التي نسبت اليه الا خرافات اخترعتها عقول الرهبان والمؤرخين في القرون الوسطى وقد أثبت كلينكوز قوله هذا بعدة براهين دامغة منها أن المرجعين الأصليين لتاريخ الرومان في هذه الفقرة لا يذكران ذلك وأن ذكر العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان كانت لعدم فهم هذين الكتابين فهما صحيحا .

لقد ذكر كتاب Lavi de Charlmagne تسع بعثات بين شارلمان وبطربرك القدس ولكن هذا لا يستنتج منه انه كانت هناك علاقات بين هذين الملكين .

ويقول الباحث : لقد تدرجت هذه الاسطورة حتى قامت بدور هام في تاريخ القرون الوسطى وأصبحت فيما بعد حقيقة تاريخية مثبتة اقتبسها المؤرخون وبنوا عليها قصصا وحكايات غير صحيحة .

وان أول من ذكر العلاقات بين هارون وشارلمان هو القديس جول وهذا اخترع قصة الهدايا التي تبودلت وزعم هذا الزعيم عام ٩٢٥ ميلادية أى بعد موت شارلمان بمائة وأحد عشر سنة واعتمد على كتاب حياة « شارلمان لاجينرد » وعلاوة على ذلك جعل شارلمان حامى الاراضى المقدسة ولعل جول هذا أساء فهم ما كتبه اجينرد .

وقد كتب الراهب رشنو بعد جول يثبت ما كتبه جول وزاد عليه قصة أخرى وهي أن أحد أمراء الشرق توجه الى أوربا يحمل شظايا من الصليب المقدس والكأس التي شرب بها المسيح لشارلمان .. ولكنه مات في جزيرة كريت قبل وصوله الى شارلمان .. « وهذه خرافة أخرى » !

وغاية الراهب رشنو من ذلك الادعاء هو اشتهاار صومعته التي تحتوى على شظايا من الصليب والكأس المذكورة .

وفي عام ٩٦٨ كتب الراهب ( بنوا ) اعجب من هذا كله فقد زعم أن شارلمان زار القبر المقدس ووهب لهارون الرشيد الأراضي المقدسة وجعله حاميها لها ولم تمض على هذه القصص الخرافية فترة حتى أصبحت حقائق تاريخية لا غبار عليها عند عدد من المؤرخين .

### يقول زهدى الدايه :

ولعل القارئ يعجب بما كتبه المؤرخون في القرون الوسطى عن هذه العلاقات ، فاتهم بخطوا فيها خبط عشواء ( اعتادا على هذه النصوص الزائفة ) .. ومن هؤلاء سيسيون ١٦٣٩ ومزرى ١٦٧٩ ، ذلك أن المؤرخين من جيل الى جيل اعتمدوا على ما كتبه غيرهم ولم يستكفوا ان يزيديا من عندهم امورا أخرى ..

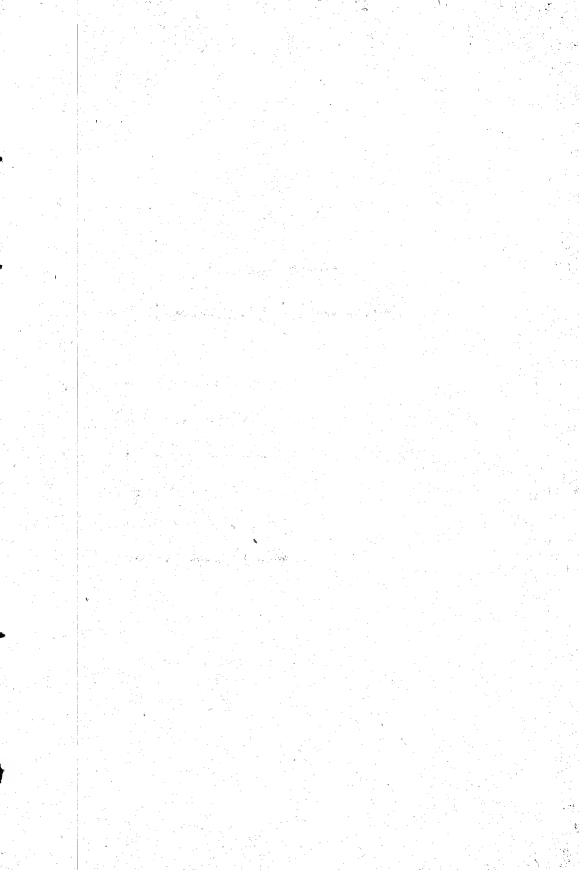
وقد انكر العلامة كلينكوز على كلينر زعم سريرتشر وأثبت باختصار ان اضطهاد المسيحيين في ذلك الزمن جعل البطريرك الاورشليمى يستعطف شارلمان . والمؤرخون ينفون حدوث اضطهاد للمسيحيين ، وقد أرسل تيودسيوس البطريرك الاورشليمى ٨٩٦ .. يمدح عدل العرب .. وربما لان البيزنطيين والامويين في الاندلس كانوا اعداء لشارلمان وهارون الرشيد .. هذه العداوة ربما قربت بين الرشيد وشارلمان ، وبما أن الاصول العربية لا تذكر شيئا البتة عن العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان وبما أن الاصلين الوحيدين لحياة شارلمان وهما لا يذكران الا تسع بعثات بين شارلمان والبطريرك اذن ترجح ترجيحا عليا صحيحا أن البطريرك — لا هارون الرشيد هو الذى وهب القبر المقدس لشارلمان وأن شارلمان لم يكن حاميا للأراضي المقدسة .. وأن ذكر المفاتيح والساعة والفيل وما أشبه ما هي الا خرافات اخترعتها عقول الكتاب في القرون الوسطى لغاياتهم الشخصية او لتعظيم شخصية شارلمان ، وهؤلاء الكتاب لا نقف بهم أى ثقة علمية صحيحة .

هذا ما نشر منذ خمسين عاما عن علاقة الرشيد وشارلمان وهو مطابق لما أورده المصادر المعتمدة من عدم وجود هذه العلاقة أصلا وحق أن يرفع هذا الكلام من كتب التاريخ التي تدرس في بعض البلاد العربية .

## الباب الخامس

# الحضارة الإسلامية

- ١ - فضل الحضارة الإسلامية .
- ٢ - مشعل الحضارة يعود .
- ٣ - الإسلام يسبق الطب الحديث .
- ٤ - شمس الله تسطع على الغرب .
- ٥ - مستقبل الحضارة الإسلامية .
- ٦ - حقائق عن الحضارة الإسلامية .



## فضل الحضارة الإسلامية

من اعظم الصيحات الخوية التي ايقظت الفكر الغربى وحولت تياره نحو الاعتراف بفضل الحضارة الإسلامية بعد فترة طويلة من العقوق : هو ما كتبه توماس كارليل في كتابه الابطال عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في باب « البطولة في صورة النبوة » ..

ثم جاء كتاب حضارة العرب لجوستاف لوبون فانصف المسلمين والاسلام وان كان في صميم رايه في الدين ليس على ما يحب المسلمون بل انه نفسه لم يكن مؤمنا بالمسيحية ، وتلك خلة نجدها في اكثر الباحثين الغربيين وفي المستشرقين ، ولعل مما يؤخذ على جوستاف لوبون نسبته هذه الحضارة الى العرب وتسميتها باسمهم مع انها حضارة اسلامية ويرجع هذا الى غلبة فكرة العنصرية التي طافت ريحها بأوروبا ثم تأثر بها الشرق من بعد ..

● يقول جوستاف لوبون : للاسلام وحدة الفخار بانه اول دين قال بالتوحيد المحض الخالص وبانه اول دين نشر اتباعه ذلك التوحيد في اتحاء العالم فالاله الواحد المطلق الذي دعا اليه الاسلام منزّه عن شريك له مهيمن على كل شيء ، وتشتق سهولة الاسلام من التوحيد المحض ، وفي التوحيد سر قوة الاسلام . والاسلام ادراكه سهل ، خال مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض . ولا شيء أكثر وضوحاً وأقل غموضاً من أصل الاسلام . فانك اذا اجتمعت بأى مسلم من أى طبقة رأيت يردد لك أصول الاسلام في بضع كلمات وهو بذلك على عكس غيره ممن لا يستطيع الحديث عن الدين من غير أن يكون من علماء اللاهوت والجدل .

وقد ساعد وضوح الاسلام ما أمر به من العدل والاحسان على انتشاره في اتحاء العالم وبذلك نفس يرس انتشار كثير من الشعوب للاسلام . ومن الذين كانوا تابعين لحكم القياصرة فأصبحوا مسلمين حين عرفوا اصول الاسلام كما نفسر به السبب في عدم تحول أية امة بعد ان رضيت الاسلام ديناً ..

ويقول جوستاف لوبون في موقف الاسلام من الأديان الأخرى :

والاسلام من أكثر الديانات ملائمة لمناحي العالم واكتشافاته ومن أعظمها تهذيباً للنفوس ودعوة الى العدل والاحسان والتسامح ..

والبونية وان قامت جميع الأديان الشرقية على فلسفة تراها مضطرة الى التحول حين تبدو للجموع وهى لا شك دون الاسلام تأثيرا فيها ، وتأثير دين محمد في النفوس اعظم من تأثير أى دين آخر ، ولقد دخلت دولة العرب في التاريخ ، ولكن الدين الذى كان سببا في قيامها لا يزال ينتشر ، والسهولة التى انتشرت بها شريعة الاسلام في العالم شاملة للنظر ، والمسلم حيث يمر يترك دينه وخلقه ، وقد بلغ عدد اتباع النبی الملايين الكثيرة في البلاد التى دخلها تجار العرب بقصد التجارة لا بقصد الفتح ، كبعض اجزاء الصين وافريقيا وآسيا الوسطى وروسيا ، وقد اعتنقت هذه الملايين الاسلام طوعا لا كرها ولم نسمع أنه ارسل جيش مع اولئك التجار البشرين لمساعدتهم وفي الهند لم يوفق مبشرو البروستانت على الرغم من مظاهرة حكومتها لهم وفي الصين حيث اعترف المبشرون بفشلهم يكتب الاسلام اتم الفوز ومع ما أصاب حضارة العرب ، لم يمس الزمن دين محمد الذى له الآن من الفوز ما كان له في الماضي ولا يزال ذا سلطان كبير على النفوس وهو في ذلك على خلاف الأديان الأخرى التى تخسر كل يوم شيئا من قوتها ..

● وتحدث جوستاف لوبون عن عدل الفتح الاسلامي فقال ان العرب وهم اعدل من الكثيرين من اقطاب السياسة في الزمن الحديث ، كانوا يعملون جيدا ان النظم الواحدة لا تلائم شعوب الأرض قاطبة ، وكان من سياستهم ان يتركوا الأمم حرة في المحافظة على قوانينها وعاداتها ومعتقداتها . كان يمكن ان تعمى فتوح العرب الأول ابصارهم فيقتربوا من المظالم ما لم يقتربه الفاتحون عادة ويسينوا معاملة المفلوبين ويكرهونهم على اعتناق دينهم ونشره في أنحاء العالم ولكن الخلفاء السابقين الذين كان عندهم من العبقرية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الأخرى أدركوا ان النظم والأديان ليست مما يفرض قسرا فعملوا الكثير من الشعوب وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فاضين عليهم سوى جزية زهيدة في مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بينهم ، الحق ان الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، ورحمة العرب الفاتحين وتسامحهم كانت من اسباب اتساع فتوحهم واعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التى رسخت وقاومت جميع الغارات وبقيت قائمة . وأشار جوستاف لوبون الى معاملة عبدة بن الجراح لأهل حمص فقد رد عليهم ما جباه منهم باسم الجزية عندما بلغته حشود الروم في اليرموك قائلا : « سكتنا عن نصرتمكم والدفع عنكم فانتم على أمركم » ..

وغادر مدينتهم منسحبا بجيشه ، مما دعا أهل حمص للقول :

لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والضييم . ولندفع جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ..

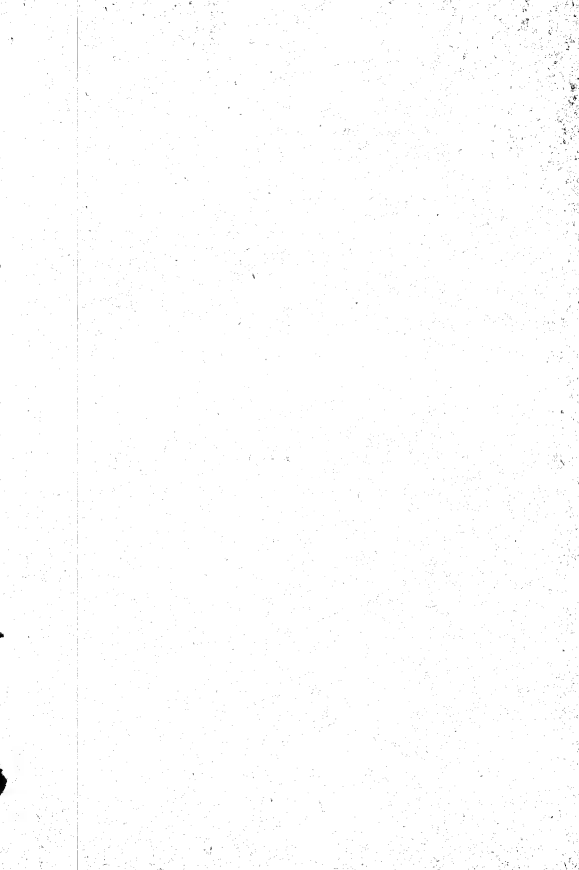
وقارن جوستاف لوبون بين تصرف المسلمين هذا في عدله ورحمته وسماحته وبين تصرف بريطانيا واستعمارها ..

وقال أن اللورد ملبورن رئيس وزراء بريطانيا في عهد الملكة فكتوريا القريب من عصرنا هذا سنة ١٨٤٠ قد خاض هذا الرئيس السياسي مع الصين

« حرب الأفيون المشهورة » فآدار عليهم المدافع من سفنه الحربية ومن النقاط التي ارتكز عليها في السواحل نصبت عليهم شواظا من النيران بلا رحمة ولا هوادة فأحرقت المدن والمنازل والمساكن بها فيها من الشيوخ والنساء والأطفال حتى أكرههم على قبول هذه التجارة المحرمة في بلادهم ليربح كل سنة من هذا السم القاتل ومن تلك الضحايا البريئة ١٥٠ مليونا من الجنهات ، وقد بلغ ضحايا المخنن لهذا السم كل سنة أكثر من نصف مليون شخص ( أى ٦٠٠ ألف ضحية ) ..

وقال جوستاف لوبون : الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ، أن الإسلام هو الذى أعطى المسلمين هذه الرحمة ، وهذا التسامح ونحن رأينا صورا مختلفة مثل حرب الأفيون وأقسى منها حروب الاستعمار الحديث وأشد منها ظلم الصهيونية وقسوتها وحبها للدماء والعدوان والابادة ..







## مشعل الحضارة يعود

### مرة أخرى في ايدي المسلمين

الاستاذ علمين الكمال المؤرخ الاسلامي التونسي بقيه من جبل رائد من اولئك الذين عاشوا، يتلمذوا تراث الاسلام وما كتب عنه ، وهو منذ خمسين عاما يواصل قراءة ما كتب علماء الغرب ومستشرقوه عن ( الاسلام والغرب ) التقينا به في المكتبي الاسلامي بالجزائر شخصية طليقة حافلة بالمعلم مزودة بالوثائق ...

يتحدث عن دور المسلمين في الحضارة العالمية حديث الباحث المتمكن : المسلمون اخترعوا الصفر والأرقام ، وابتدعوا الجبر والمثلثات ، وعلموا سلفستر الثاني ، واذفونش العاشر الذي اخذ حساباته الفلكية عن أبي الزرقال واخذ الموسيقى عن موسيقى العرب . والرومان لم يعرفوا النوبة الدبوية التي عرفها المسلمون ولا اخترعوا الساعة التي اخترعها المسلمون للصلاة وبالبضبط العباس بن فرناس المتوفى عام ٨٧٣ ، فقد صنع الميقاته ( اسم آلة من الوقت ) او « الميقاتة » ومنها المنقلة بالتونسية اى الآلة ، وقصد بها معرفة اوقات الصلاة وكتب عليها او بالأحرى على لسانها :

الا اننى للذين خسر اداة

اذا غاب عنكم وقت كل صلاة

ولم تر شمس بالنهار ولم تر

كواكب ليلا حالك الظلمات

واهداها للخليفة محمد بن عبد الرحمن الاموى بقرطبة ، والعباس بن فرناس هو بربرى من تاكلنا بالانطلس ، فهذا البربرى الذي ارادوا ان يفرنسوا او ينصروا اخوانه هو الذى اخترع الساعة للصلاة وهو اول من اخترع البلور الصناعى . وطارق بن زياد الذى فتح الانطلس بربرى ويوسف ابن تاشفين الذى اعاد فتحها وعبد المؤمن بن على الكومى الذى اعادت دولته فتحها ثانية كلاهما بربرى فمقارنكم صعبة ومختلة ، ولا نصيب لها من الحقيقة ...

ويقول : ان الغربيين يقولون ان المسلمين عاجزون عن العلوم الرياضية والعقلية والفلسفية ، بالمعجب ، رمثى بدائها واشلت . من اخترع الصقر ،

والمنازل القيمة في الأرقام والمظلمات والخوارزمية والجبر ، والساعة ، وبيث الإبرة ، ودفة السفينة ، والاسطرلاب والخريطة البحرية من اكتشاف الدورة الدموية ، والتلقيح ، ومن فصل الطب عن الصيدلة ، من ابتداع علم الاسرة التجريبي ، من اكتشاف العطور والصابون ، وصناعة السكر ومن نشر بأوروبا تربية نودة الفز ، والارز والقطن والفرانج والليمون ، والاشجار الغالية المثمرة ، من كانوا اساتذة الفونس العاشر والبابا سلفستر الثاني الذي أسس أول جامعة طبية في أوروبا ومن ترجم كتب العرب في الطب والفلك والنبات الى اللاتينية . من استنبط القهوة ونشرها مع السكر ، والحصان العربي في أمريكا ، من اخترع المدفع والأسلحة النارية والبلطة التي حافظت على اسمها العربي في اللغات الأوروبية بالاسبانية والفرنسية بل من اعجب ما يكون انى كنت أبحث عن اشتقاق كلمة لوزنج الفرنسية وهو شكل هندسي يسمى بالعربية ( المين ) او « اللوز » ، فمعظم معاجم الاشتقاق ذكرت انه اشتقاق مجهول فبحثت في الانكليزية فجاء في القاموس انه : أولا مقطر حبات بشكل لوزي مخلوطة بعقار لعلاج السعال ثانيا : يطلق أيضا على الشكل الهندسي المعروف ، وأذن هي لوزينج الجاحظ في كتاب البخلاء ، في قصة الرجل المصاب بالسعال ، والذي كان بخيلا ، فوصف له اللوزينج فاستثقل المؤونة ، ووصف له ماء النخالة يخصوص حسوا فغشى بحمد الله ، وذكرت قصة اللوزينج لأحد كبار التونسيين ، فسكت وكان لسان حاله يقول « الله يحبس علينا العقل والدين » ونحن في المشرق نقول « الله يحفظ علينا العقل والدين » . ثم خرج ورجع بعد لحظات ويده عليه مكتوب عليها بالانجليزية « لوزينج كه » أي الكحة ! فاندھشنا كلنا وأخذت أنا العلبة أولا ، لاني كنت مصابا بالسعال ، وثانيا : لاني عثرت على هذا الاشتقاق فايدته العلبة ... كيف يقال بعد هذا ، أن الاسلام خال من العلوم ، وعاجز لغة وتأسيسا وذھنية عن الاتيان بها ، والاجادة فيها . . ولكن قرن ونصف ثزن من التعليم الاجنبى ، ومن محاولة قتل العربية ، ومن تعطيل التعليم الاسلامى ومن تجهيل أبناء الاسلام بحضارتهم وأجادهم يفعل هذا وأكثر . ولكن لم نلتب ان وجدنا كتابا مسلمين باللغة العربية أضعاف نظائرهم بالفرنسية والانجليزية ، فالاسلام لم يشأ أن يموت لانه لا يمكن أن يموت ، واخذ يشعر بعظمته غسما في نظر نفسه ونظر خصومه . .

وهكذا يمضى الأستاذ عثمان الكمال فيفصل القول وعنده رصيد ضخم من التراث العربى .

وكان في الطريق يحدثنا عن « الرباطات » القائمة فوق الجبال : تلك الرباطات الممتدة على سواحل البحر الأبيض المتوسط من دمشق الى الدار البيضاء التي بناها المسلمون ليرقبوا منها تحركات الغزاة ويرابط بهذه الرباطات المسلمون يتبادلون الاقامة فيها طوال العام ، وفيها ينسخون الكتب ويعبدون الله ، فإذا ما ظهرت مركب رصدوها ثم اطلقوا الحوام الزاجل الى الأمير والى قائد الجيش الى كل مركز من مراكز المراقبة ليكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة الخطر ، ولعلنا اذا عرفنا أن الحرب بين المغرب وأسبانيا استمرت ثلاثمائة عام قبل الاحتلال الفرنسى للجزائر وبعد سقوط الأندلس ما عجبنا حين رأينا رباط مدينة ( بجاية ) فوق الجبل ما زال قائما كالعلم .

ويحدث عثمان الكمال .. ويفصل القول ، ويراجع آراء كتاب الغرب الذين أولوا هذه الرباطات اهتماما كبيرا ..

ويحدث عثمان الكمال عن الدور القادم للإسلام والمسلمين ويرى أن هذا الطور بدأ عام ١٩٤٥ وبه تحول العالم الإسلامي من التوريد الاقتصادي إلى التصدير الاقتصادي ومن طلب المواد الخام الضرورية إلى تصديرها بما في ذلك البترول الذي هو العامل المادي في كل نهضة إسلامية : مادية واجتماعية وثقافية . فالمعالم الإسلامي نكب أولا ، إذ تحول من التصدير إلى التوريد فإذا انتقل من التوريد إلى التصدير فقد تحولت دفة السياسة الاقتصادية لفائدته وهي أم السيادة كلها . وتبقى بعد ذلك السيادة الثقافية ، فهذه تحتاج إلى إيمان بها يدفعنا إلى معرفتها بترجمة ما كتبه الأوروبيون عنها وزهد فيه المسلمون ، ويتأسس كراسي في الجامعات الإسلامية ، موضوعها : تاريخ العلوم والفنون عند المسلمين وتأثيرها على أوروبا وأمريكا .

لقد انتبه المسلمون على دوى الجبر ، والرياضيات ، وبخار السفينة ، وأزيى الهاتف ، والماع البرق ، وقرقعة السيارة ، وهزير الطائرة ، وضفير الباخرة ، فاندعش المسلمون وما طالت بهم الدهشة ، بل منهم من لم يأخذ اجازته كاهل الأندلس فاستقروا خلال القرن السابع في ترجمة كتب الأسبانيين في المنفعة « محمد بن غانم النواثي » وكتب الجبر وكتب الأدب وغيرها .. وهكذا ظهرت بشائر الطور الخامس الذي هو طور رجوع المشعل للمرة الثانية للمسلمين فترجموا بالمغرب والجزائر ، وتونس ومصر والشام ، ونهضت الهند الإسلامية التي لم تشأ أن تنام ، وتركيا التي أخذت ( تعسيلة ) فقط ونهضت إيران ، ونهض العالم العربي كله نهضة جبارة ، فترجم وأسس الصحافة والمسرح ، والجمعيات والمكتبات والمناخ والحكومات الدستورية ، والجامعات والمعاهد ، لكن غف في ساعده الاستم ، متى بلغ البنيان يوما أشده ، إذا كنت تبنيه وغريك يهضم ، وظهر في القرن الماضي بناء الفكر الإسلامي في الإصلاح : الإمام محمد بن عبد الوهاب ، الأمير عبد القادر ، خير الدين التونسي ، جمال الدين ، ومحمد عبيد وهذه كلها عناصر تمهيدية للطور الخامس الذي سيبدأ فعلا باستقلال العالم الإسلامي . عندئذ رجعت للإسلام سيادته الترابية بعد جهاد وطني بطولى مجيد مرير ، وسيادته السياسية ، والاقتصادية والثقافية ..

أما الأدوار السابقة فهي كما يراها عثمان الكمال :

في الطور الأول : ( شرقي ) ظهر الفينيقيون والسرامطة ، والحيثيون والمصريون والبربر والعالم الأسود .

وفي الطور الثاني ( غربي ) : ظهر اليونان والرومان فتعلموا عن العرب والفرس ، وجاء الرومان .

وفي الطور الثالث : جاء الإسلام فأسس أولا دولة الدين ثم دولة السياسة والإدارة .. والقضاء والحكم ، ثم دولة العلم والأدب والفن والتقنية التي نشر

سماؤها ووزع أصولها ومبادئها ، فالعالم القديم ، ودولة الدين بنفسها هي دولة علم اسلامي انتشاري وتوزيعي ومقيس عليه ، فأول كلمة في القرآن هي فعل الأمر من مادة ( اقرا ) « اقرأ باسم ربك » فالقرآن الكريم هو المؤسس للتعليم الإجباري بأذن الرب الكريم سبحانه وتعالى . ثم ان الاسلام أسس علومه من لغة وبلاغة ونحو ومعالج لفهم القرآن والحديث ، ثم أسس العلوم القرآنية والحديثية ، ثم أسس العلوم الميكانيكية اللازمة لاداء فرائضه ، كآلات التوقيت من مزولة ومرملة ، وساعة وآلات نقل الحجاج بحرا بواسطة السفن من بوصلة ودفة سفينة واسطرلاب وخريطة بحرية وعلوم ملاحية وقيس اراضى وعلوم عدد وحساب وجبر ومثلثات لمعرفة الفرائض في الموارث وللمعرفة قيس الاراضى ومسالك الحج ، كما درسوا الفلك لمعرفة مسالك النجوم والأهلة التي يرصدون بها مداخل الشهور في حسابهم الهجرى المبني على النظام القمري .. ونبغوا في الموسيقى والمعمار ، والرسم والنقش واخترعوا وسائل الثقافة المادية التي هي الكاغد والتجليد والطباعة الخشبية منذ العهد الاغلبى الرستمي ، والادريسي ونشروا كل ذلك في أوروبا ، وجلبوا مزروعات جديدة من الشرق مثل النارج والقراصيا ( حب الملوك ) ، والأشجار المثمرة الغالية ، والزهور مثل البيلك والوسن ، والباسمين والخليل ، وجلبوا العقاقير والأدوية مثل الزعفران والفلفل الأسود والسكتجين ، والقرجة ، وابتدعوا الكيمياء الزراعية فصنعوا السكر والعطور ، والمستقطرات ، والصابون ، والغوالي وجلبوا زراعة الأرز والاسبارج ، والأرضى شوكى ( الخرشوف ) ونبغوا في المعمار ، فابتدعوا القبة والزليج ( القاشاني ) ، والقوس العربية وقوس الجب ، والمقرنس والسقف الخشبي المرمع ، والفؤارة ، والبستان الاسلامي المجتاز والقمريات ، والتوريق والنقش ونشروا ذلك في أوروبا وأمريكا ثم اقبلوا على ترجمة معظم كتب التراث القديم من هندي وايراني وسرياني واكسوري ، ونبطى ويوناني وروماني ، وبربري وفينيقى وعبراني في العلوم والرياضيات والهندسة والفلسفة والعلب والفلك ، والزراعة وأشغال الزى ، والموسيقى والسحر والطلسات والأدب والتخصص الشعبى « انظر الفهرست لابن النديم وبروكلمان » فعادت الثقافة العربية بذلك ثقافة عالمية ، وصارت المصادر العربية هي مصادر العالم والعلوم ..

ودام هذا الدور من القرن الخامس الى القرن العاشر أى من القرن ١٢ الميلادى الى القرن السابع عشر ، فعل ذلك ابن خلدون بالاضافة الى التاريخ فوضع العلوم الاسلامية والنقد التاريخى وتصنيف العلوم والبيداوجيا .. وفعل ذلك بالاضافة الى الجغرافيا الشريف الادريسي ، وابن فضل الله العمري ، وفعل ذلك فى الأدب النويرى فى نهاية الأدب وفى العلوم الانسانية والادارية والدبلوماسية ، القلقشندى فى صبح الأعشى ، وابن منظور فى اللغة فوضع لسان العرب ، وابن سيده فوضع المخصص وفعل مثل ذلك سرو الدين التيجانى فى الفلك والجيولوجيا والجغرافيا ، والأحجار والمعادن والحيوان والنبات والكيمياء والفيزياء والموسيقى ، فوضع سرور النفس بمدارك الحواس الخمس . ثم انتقلت علوم المسلمين الى أوروبا ، ودام ذلك من القرن السابع الميلادى الى السابع عشر ، ثم أخذوا ( اجازة ) قرنين نبعت خلالها علوم المسلمين لدى الأوربيين وترعرعت وزادوا فيها كثيرا واخترعوا واكتشفوا «

وذلك هو الطور الرابع : رجوع المشعل للمرة الثانية الى الواجهة الشمالية من البحر المتوسط . ثم ها هو المشعل يعود مرة اخرى الى المسلمين .

وهكذا امضى عثمان الكعاك ليلته معنا الى مطلع الفجر يتحدث عن الدور الذي قام به الاسلام للحضارة العالمية ، وما ينتظرهم اليوم ، وقد عاد المشعل مرة اخرى اليهم ..

ونحن نرى حقا تبشير هذا الدور .

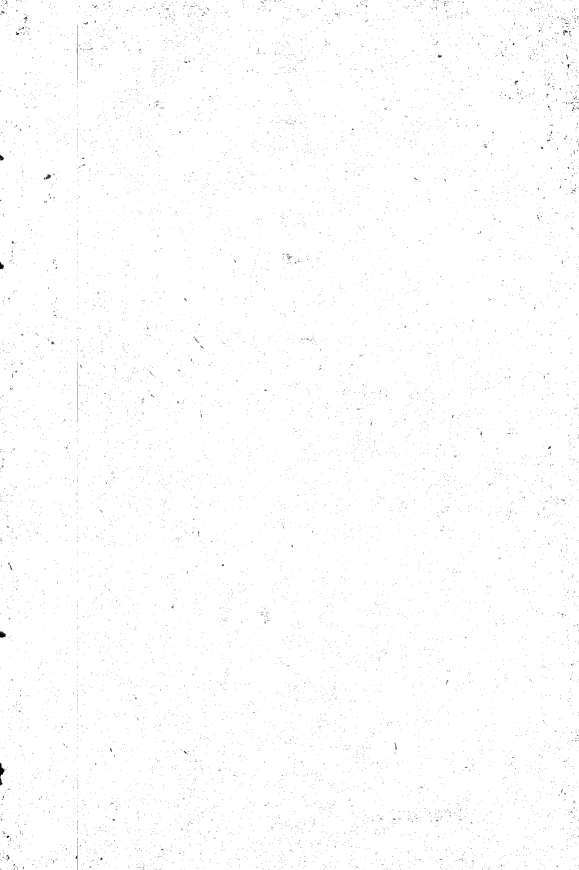
\*\*\*

### هذه الأمة

يقول توينبي :

« اننى اغبط أبناء المجتمع العربى لما تضيفيه عليهم الأمة العربية انه في داره ما هام في بلاد عربية اسلامية ، فالعراقي والمصرى او النجدى او الحجازى او المراكشى او التونسى ، لا يجد فرقا في الجو الاجتماعى وروح الحياة العربية وعقليتها السياسية بين الرباط وتونس والجزائر ، والقاهرة وجدة ودمشق وبغداد والبصرة » ونقول وهذه هي وحدة الثقافة وهذه الأمة مصدرها الوحيد هو الاسلام ..

\*\*\*



## الإسلام يسبق الطب الحديث

بإلف عام في اعلان فساد الخمر

حدثني الدكتور احمد غلوش فقال : كنت في هلسنكى عاصمة فنلندا في صيف ١٩٣٩ مندوبا عن مصر لدى المؤتمر الدولي لمكافحة المسكرات ، وكان بين البحوث التي عالجها المؤتمر بحثان علميان احدهما ( هل الخمر تساعد حقيقة على تدفئة الأجسام اiban البرد ؟ ) .

وهذا ما يزعمه الكثيرون من الناس فيعمدون الى شرب الويسكى وغيره من المشروبات الكحولية قصدا الى وقاية انفسهم من برودة الجو ، والثاني ( هل تفيد الخمر التي تحتوى على عقاقير مقوية في تقوية الجسم وذلك من أنواع الكينا الحديدية ) التي يكثر تجارها من الاعلان عن فائدتها في حصول من يتعاطونها على القوة والتخلص من الضعف ؟ .

فكان قرار اللجنة الاولى : ان الدفاء الذى يشعر به من يتعاطى الخمر لهذه الغاية دفاء كاذب مضلل مخادع وليس دفئا حقيقيا صحيا ، كذلك الذى يحدث من تعاطى الأعذية المفيدة . وذلك لأن الدفاء بالخمر يرجع الى ان كحول الخمر من شأنه ان يمدد الأنابيب الشعرية التى تحمل الدم الى سطح الجلد في الوجه واليدين فيكون من اثر هذا التمدد ان تلك الأنابيب الشعرية وهى المروق تستجيب لها في الأحوال العادية فيبدو عند ذلك وجه شارب الخمر حمرا يكاد صاحبه يتصبب عرقا من فرط ما يشعر به من الدفاء والحرارة وهو في هذا واهم مخدوع لأننا اذا وزنا حرارة جسمه وهو على تلك الحالة لوجدناها هبطت من درجة ٣٧ الطبيعية لكل انسان الى ٣٦ او ٣٥ درجة واحيانا اقل من ذلك فهذا الفرق قد ضاع على المسكين باشعاعه بفعل الهواء البارد المحيط بالجسم وعلى ذلك فان المؤتمر ينصح الناس بالكم عن تعاطى الخمر لتدفئة أجسامهم ويعهدوا الى حفظ حرارتهم الطبيعية بالمالبس الدافئة وبالأغذاء المفيد .

فأردت التعليق بأن النبى محمد صلى الله عليه وسلم نبى المسلمين اعلن

هذه الحقيقة بعينها قبل اكتشاف أمريكا بألف عام وهو رجل أمي لم يقص في الدراسة الطبية ولا التجارب الصحية يوما واحدا وانما كانت تعاليمه وليدة الوحي من عند الله . ثم ذكرت ترجمة الحديث الشريف و خلاصته ان وفدا من الاعراب قدم عليه وسأله عن شراب يتخذونه من القمح والشعير أو الذرة يستعينون به على مقاومة برد بلادهم الشديد فسألهم الرسول هل ذلك الشراب واسمه ( المزر ) وهو مثل ( البوظة ) عندنا أو ( البيرة ) عند الافرنج سألهم : هل هذا الشراب يسكر ؟ فقال قائلهم : نعم ، انه يسكر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تشربوه فهو حرام ، قالوا : ولكنه يدفئ اجسامنا ويقيها من البرد ويعيننا على تحمله .. قال النبي صلى الله عليه وسلم : هو لا يدفئ ولا يقي من البرد ولا يعين عليه ولا يعين على شيء قط ..

فكان سرور السامعين في المؤتمر عظيما حتى انهم لدى انفضاض الجلسة كانوا يتراحمون على ويطلبون ان املئ عليهم ما سمعوه منى فكانت الأحاديث تدور حول تدأوى الجسم وتقويته بتعاطى انواع ( الكينسا ) الحديدية التي كثيرا ما يعمد الى تعاطيها اولئك الذين تستهويهم الدعاية التجارية المغرضة لهذه المشروبات فكان الحاضر وهو كبير أطباء مستشفى غيبنا وهو يعد من الأطباء العالمين ، قال : ان كل شراب اسابه الضرر كله هو الحال في هذه المشروبات اذ انها تحتوي على ( ٤٠ في المائة ) من الكحول لا يمكن ان تنفيد الجسم في شيء واذا املتت بعض الفائدة فان ضررها اكثر من نفعها بكثير وخير ان يريد ان يتقوى بالمقاتير الطبية مثل الكينسا ونحوها ان يتعاطاها بدون الضرر كان يغليها أو ينقعها ثم يشرب فقيعها أو ما يغليه منها فيحصل على فائدتها كاملة بثمن رخيص جدا لا يذكر بجانب ثمن المشروبات الحديدية التي يعلن عنها ، ثم ختم المحاضر اقواله بأنه ثبت للجنة الصحة الاجتماعية ان الخمر داء لا دواء وان الرجل الوحيد الذي يفسد من الخمر هو صانعها وبائعها والمتجر بها ، أما متعاطيها فهو الفريسة والضحية لما يستهلك منها .

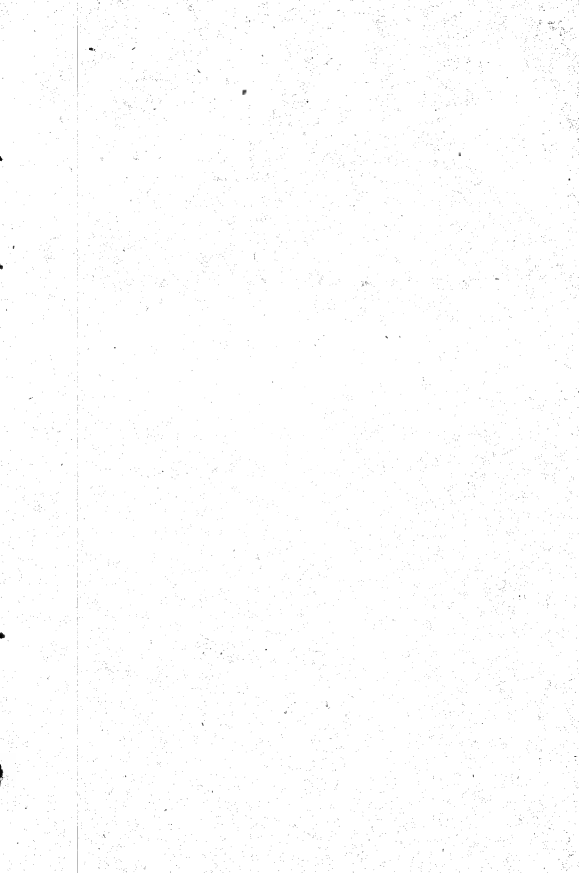
وهنا طلبت الاذن في الكلام للتعليق على ما ذكره المحاضر ، فقلت : وهذه معجزة ثانية كشف عنها هذا المؤتمر على ما ذكره المحاضر لنبي الاسلام صلى الله عليه وسلم فقد جاء اعرابي ينوب عن قومه وسأله عن شراب يصنع من الخمر ويستعملونه للتداوى فهل هو حرام ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو حرام ما دام مصنوعا من الخمر ويحدث السكر . فقال الاعرابي : ولكننا نستعمله للدواء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو داء لا دواء فاجتنبوه ولا تقربوه .

كان الدكتور احمد غلوش من علامات حركة اليقظة في الشرق ، فقد حمل لواء الدعوة الى محاربة المخيمات العقلية اكثر من سبعين عاما ، يقول :



كنت أطارده أصحاب الحانات ، كلما أغلقت حانة فتحوا غيرها ، فإذهب  
الى المسئولين لأغلقتها ، وقد حوربت من الانجليز لوقفى من معركة الخمر  
اتخذونى عدوا لهم وكانوا يقولون اترك المسكرات حتى نرتيك ، فاقول لهم :  
لن اتركها ابدا وأعيش فقيرا فى ظل عقيدتى ، لقد كنت سببا فى اصلاح أسر  
ورد زوجات . جاءت مرة امرأة من فضليات النساء والدموع فى عينيها قالت :  
ابنى محمود ينفق ثلاث جنيهات كل ليلة مع أصحاب السوء ويرجع مخمورا  
وذهبت اليه وسهرت معه واستطعت أن أحوله عن خطئه ، وقال : اننى تبت  
على يدك وقد كان لى من بعد اتبع من ظل . كان يرجع بيته مخمورا والفجر  
يؤذن فأصبح يخرج ليصلى الفجر وكانت لحية الدكتور غلوش فى أوروبا موضع  
تقدير ، وقد لفتت اليه الأنظار ، وكان يصلى فى كل مكان مهما كان غاصا  
بالناس فكانوا يسألونه عن الاسلام وهذا ما حفزه الى أن يؤلف كتابه  
( دين الاسلام ) بالانجليزية ومنذ ١٩٠٥ والدكتور غلوش يحمل لواء الدفاع  
عن الاسلام وتخريم الخمر .





## شمس الله تسطع على الغرب

قالت الدكتورة سجريد هونكة صاحبة كتاب : ( شمس الله تشرق على الغرب ) في الإجابة على سؤال : لماذا عادت إلى انصاف حضارة الاسلام ؟ :

اثناء دراستي في الجامعة وخلال تحضيرى لاطروحتى تنبعت عن كتب تاريخ الشعر العربى القديم وتأثيراته القوية على الشعر في أوروبا عامة والشعر الفنائى خاصة ( المقصود بالشعر الفنائى فنون المدح والرثاء وغيره ) هذه التأثيرات التى انعكست في اتباع شعراء القرون الوسطى وفي شعر جوتة ( ديوانه الشرقى العربى ) .

وديوان طوق الحمامة وقد نقل إلى عدة لغات وانطلاقاً من دراستي لشعر العرب وقفت وقفة طويلة على العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة في عصور النهضة فوجدت مرقاً شاسعاً بين مكانة المرأة العربية في مجتمعها وبين مكانة أختها الغربية في مجتمعها آنذاك . ففى الوقت الذى كانت فيه المرأة الغربية تتمتع باحترام الرجل لها وتقديره لها وإقراره بحقوقها كانت المرأة في الغرب عنواناً للخطيئة كما بشرت بذلك الكنيسة الكاثوليكية وبالتالي كان عليها أن تعيش في أرهاق دائم من الرجل . من هذه الناحية بالذات كان موضوع كتابى السابق « الرجل والمرأة » متطرفة فيه إلى الدور الذى حققه الاسلام في هذا المضمار ، كل هذه الأمور جعلتني أركز اهتمامي على الثقافة العربية والأدب العربى وكل مظاهر حضارتكم ، وعيماً بحثت عن كتاب جامع شامل يوضح هذه الأشياء ويجمع تلك الحقائق التى لمستها أثناء دراستي هذه فلم أجد ، وقد لمست التهميد في أخفائها وطمسها عبر القرون من قبل الكنيسة الكاثوليكية وغيرها من الجهات الغربية التى كانت تعمل بوجهي من تعصّبها الأعمى .

## فضل العرب في الحضارة

وأثناء إقامتي في المغرب مع زوجي وزيارتي للقطار العربية دفعتني إلى وضع كتابي هذا . لقد تحاهل الأوروبيون فضل العرب والمسلمين في بناء حضارة الإنسانية وهو أحد الأسباب التي دفعتني إلى وضع كتابي هذا ولو اطلعت يوماً على كتب التاريخ التي يتداولها تلامذة المدارس في أوروبا لوجدت أن ذكر العرب كشعب وحضارة وثقافة يرد باختصار في مرات ثلاثة معدودات .. تحصر العلاقة بين أوروبا والعرب :

## اولا :

الخطر الذي كان يشكله العرب في اسبانيا على اوربا ووصول الجحافل العربية الى قلب فرنسا وموقعة بواتيه بقيادة شارل مارتل الذي اصبح قديسا لاتخاذ اوربا من خطر البربر ( المسلمين ) .

## ثانيا :

الحروب الصليبية التي كانت تهدف الى احتلال البلاد العربية وليس الى حماية الاراضي المقدسة ومقاومة العرب لهم وتقذفهم في البحر .

## ثالثا :

خطر العثمانيين الذين وصلوا الى ابواب فيينا عاصمة اوربا والأوروبيون لا يفرقون بين العرب والعثمانيين .

## موقف الكنيسة الكاثوليكية

أضف الى هذا موقف الكنيسة الكاثوليكية أمام الفلاسفة المسلمين ومحاولتها في القضاء على نفوذهم وتأثيرهم في اوربا في حملات تعصبية عنيفة بالإضافة الى الترسبات المتراكمة في عقول الأوروبيين والنتيجة عن صراع قديم .

تلك هي العوامل التي دفعت الدكتورة سجرید هونكة الى انصاف حضارة الاسلام بذلك الكتاب الرائع الذي ترجم مرتين الى اللغة العربية منذ سنوات والذي يعد واحدا من الأعمال الطيبة التي ردت اعتبار حضارة الاسلام بعد أن فرض الغربيون عليها ( مؤامرة الصمت ) أكثر من ثلاثمائة عام .

## استقلال الشريعة الإسلامية

وكان الفضل في فتح هذه ( السكوة ) الصغيرة الى « توماس كارليل » وجوستاف لوبون والعالم درابر ثم اتسعت الدائرة وجاء العلماء التجريبيون فاعترفوا بأن العرب هم الذين قدموا لهم المنهج التجريبي الاسلامي في نفس الوقت الذي كان التجريبيون ( طه حسين ومحمود عزمي وغيرهم ) . . يتغنون في الصدور الاسلامية أن العرب والمسلمين ليسوا الا أتباع لحضارة اليونان ثم جاءت طائفة رجال القانون في فرنسا وألمانيا وإيطاليا ليعترفوا بأن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة تامة وأنها قدمت للإنسانية عطاءات سخية وتكشف من بعد في دراسات المسلمين والعرب أن كثيرا من القوانين الغربية مستمد من الشريعة الإسلامية وأن قانون نابليون نفسه مأخوذ من مذهب مالك في نفس الوقت الذي كان التجريبيون في بلادنا ( لطفى السيد وعليه عبد الرزاق وسلامة موسى ) يقولون أن الشريعة الإسلامية مأخوذة من الفقه الروماني أو أن يقول طه حسين أن المسلمين ليس لهم فكر سياسي

أو قول على عبد الرزاق أن الإسلام دين روحى بينما كان الأوروبيون يقولون أن الإسلام دين ودولة وأنه منهج حياة ونظام مجتمع .

ثم جاءت الموجة الأخيرة حين أعلن برنارد شو أن أوروبا والغرب لن يجدوا أمامهم سبلا إلى مجتمع كريم إلا حين يأخذون شريعة الإسلام ، وأن النبی محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان حيا لاستطاع حل معضلات المجتمعات الحديثة في جلسة واحدة .

ثم توالى اعترافات النصفين الغربيين بينما ظل دعاة التغريب والغزو الثقافي والمستشرقون على صلقتهم وكذبهم وتضليلهم .

### التربية وفضل المسلمين

بل إن بعض الشباب المسلم ذهب ليحصل على أطروحة في التربية فقال له رجال الجامعة إن كل ما عندنا عن التربية أنها أخذناه من ابن خلدون والمبدرى وابن سينا .

### ولقد تبين للكثيرين جملة من الحقائق :

١ — أن الإسلام وليس سقوط الدولة الرومانية الغربية هو الذى أدخل البشرية في العصر الوسيط .

٢ — أن الأمم الأوروبية التى تنصرت في القرن الثالث والسادس من ميلاد المسيح قد بقيت كذلك في غفوتها طوال عشرة قرون ثم تيقظت من نحو أربعة قرون فقط بينما نهض الإسلام بمعتقديه وأقام حضارته الباهرة منذ القرن الأول للهجرة فلم يكن الإسلام سبب تأخر المسلمين ولم تكن المسيحية سبب تقدم أوروبا فقد كانت الأمم الأوروبية مثل الإغريق والرومان من أرقى أمم الأرض قبل اعتناق المسيحية .

### المنهج التجريبي للمسلمين

٣ — أن المسلمين قدّموا للغرب المنهج التجريبي الذى بنى به عصر النهضة ، وهدم مذهب أرسطو الذى كان مذهباً نظرياً تأملياً عاق أوروبا عن التجريب حتى هدام المسلمين اليه ، فلما جاء الغربيون إلى الشرق كان همهم أن يقدموا للمسلمين مذهب أرسطو ودعا لطفى السيد وطه حسين إلى هذا المذهب غاشين به امتهم ذلك لأن المسلمين من قبل نهضة أوروبا كانوا قد كشفوا عن زيف مذهب أرسطو .

٤ — أن النضالات الوطنية الأولى قد انطلقت من تحت راية الجهاد

في سبيل الله واستمدت أصولها من منهج الاسلام . كان الاسلام في اغلب هذه النضالات رمزا للمقاومة الروحية والثقافية ضد الاحتلال والاستعباد الاستعماري وكان الضمان لاستمرار وحدة اللغة والثقافة وكانت تتجسد فيه كل القيم الثقية التي لم تكن متوفرة في ظل الاستعمار .



### وحدة الثقافة العالمية فكرة مرغوة

ولذلك فان الدعوة المدعاة اليوم بالتأثير والتأثر باطله تماما وانه لا سبيل لان يقبل المسلمون فكرة ( وحدة الثقافة العالمية ) التي تريد ان تصهرهم وهم في مرحلة الضعف والنمو في حضارة مشعلطة تمر بمرحلة الازمة والتحلل ، ان عبارة وحدة الثقافة العالمية هي عبارة خلاصة المظهر براقعة الصورة ولكنها تخفي من وراءها طابع ( الاحتواء ) الذي يستهدف اذابة كل الثقافات الانسانية في بوتقة الفكر الغربي المسيطر الآن فهي دعوة الى تسييد الثقافة الغربية على ثقافات الأمم ولاسيما الثقافة الاسلامية التي تسود افريقيا وآسيا . ومن حسن الحظ ان وحدة الثقافة العالمية تتنازعها الآن قوى كثيرة غربية وماركسية وصهيونية . واذا كانت هذه الدعوات تتصارع وتحاول ان تفرض نفوذها في المناطق التي تتصل بها فانها تعد في مجموعها موجهة بالأغلب الى احتواء الثقافة الاسلامية لأنها هي الثقافة الوحيدة القادرة على استقطاب الانسان بعد ان تهاوت وفسدت مختلف الايديولوجيات والمذاهب التي حاولت منذ قرنين او ثلاثة ان ترسم للانسان مثلا أعلى ومنهج حياة .



### الفكر الاسلامي القرآني

وما يزال الفكر الاسلامي القرآني المصدر مرجوا لجولة قريبة يقدم للبشرية هذا المنهج الكريم الذي يسعد النفس الانسانية ويقدم لها مطامحها الروحية وحاجاتها المادية على هدى وبصرة وفي توازن كامل ومواعمة تامة وسوف يظل الفكر الاسلامي مكانا عن وجوده وكيانه وذاتيته حتى لا يقع في برائن احتواء الثقافة العالمية . وسيظل قادرا على العطاء للانسانية في نفس الوقت .

لقد استطاع الفكر الاسلامي في القرن الرابع والخامس الهجريين ان يحطم قيد الاحتواء الاغريقي وان ينتصر عليه وذلك بفضل الحذر واليقظة ازاء خطر الاحتواء والاذابة .

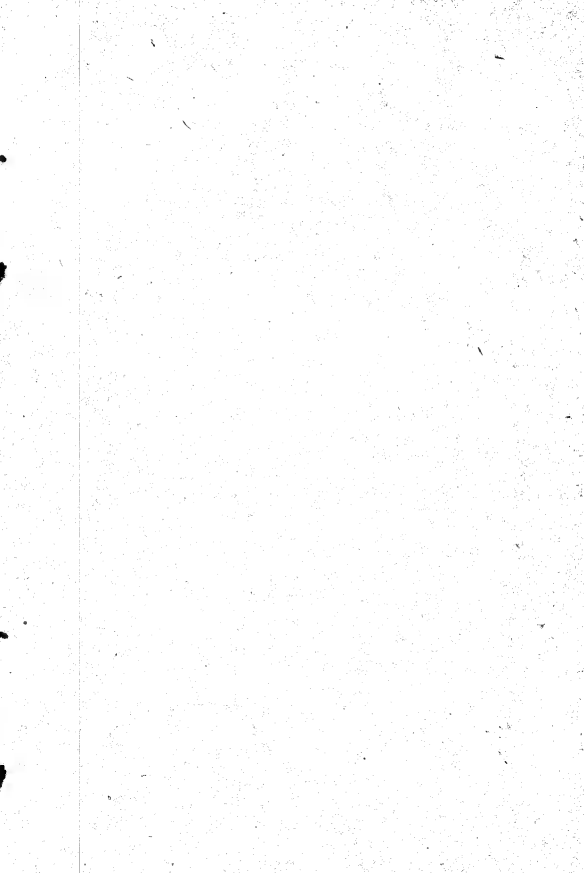
## لا بد للفكر الإسلامى أن يبقى

أن هناك صيحة تحذير عامة صدرت من عدد من المفكرين المسلمين تقول :  
بأننا نفقد أصالتنا تدريجيا ونتنازل عن الصفات المميزة لنا يوما بعد يوم  
نتيجة غزو ( أسلوب العيش الغربى ) لنا وسيطرة قيم وأفدة على مفاهيمنا  
وسلوكلنا .

ويرد الباحثون ذلك فى الأغلب الى عدم القدرة على استيعاب الفروق  
الدقيقة بين الروح العامة للإسلام فيما يتشابه أو يتعارض مع روح الفكر  
الغربى وطوائعه الوثنية أو المادية أو الإباحية .

وإذا كللت بقايا آثار النفوذ الغربى ما زالت قائمة تفرض القوانين  
الوضعية ونظام التعليم الغربى والأسلوب العلمانى فى مجال المجتمع والتعليم  
والأسرة ومن نتيجة كل ما أصاب المجتمعات الإسلامية من تحلل ، أقول ،  
إذا كان كل هذا قد وقع فإن الخطر قد أصبح محيطا الآن بأخر هذه الحصون  
وهو الفكر الإسلامى حيث تجرى محاولة احتوائه فى إطار الأممية وأذايته  
فى القوى العالمية وهذه هى الأمانة وهذا هو التحدى .

\*\*\*





## مستقبل الحضارة الإسلامية

يقف المفكرون الغربيون من الحضارة الإسلامية موقف خصومة تصدر عن محاولة تزييف المفاهيم أمام أهل الإسلام ، وافساد عقيدتهم في تاريخهم وقيمهم ، حتى يشكوا في مقدرتهم الخاصة وفي عملهم الدائب للخروج من أزمة التخلف وامتلاك أراذلتهم وتحكيم كتاب ربهم ولكن أحدا منهم لا يستطيع أن يقول كلمة حق ، مثل تلك التي قالها برناردشو حين تنبأ بأن الغرب سوف يخضع للإسلام بعد مائة عام وبعض ما قاله كارليل وجوستاف لوبون وجوته وقد وقف توينبي من الإسلام في أخريات أيامه موثقا عادلا في ضوء ما يعرف من أطوار الأمم وتاريخ الحضارات . وإذا كان قد عجز في صلب دراساته الضخمة عن أن ينصف الإسلام لأنه كان يصدر عن عقيدة غربية مسيحية تريد أن تعلى شأن الغرب المسيحي وحضارته في مواجهة حملات اليهودية التلمودية التي قادها ماركس وشبنجلر وماكس نوردو فإنه يقول في كتابه الأخير الذي نشره قبل وفاته بقليل :

يقول : مستقبل الحضارة الإسلامية متوقف على هذه الأثرية المؤمنة بتراثها والتي زادها الصراع مع الغرب حيوية ونشاطا والمؤمل أن هؤلاء الأثرية سوف يوجهون الطاقة العربية للخلق والإبداع والنمو وبالتالي إلى تجديد شباب الحضارة العربية والعمل على إحلالها محل اللائق في الحضارة العالمية .

أن مستقبل الحضارة العربية لا يتوقف على ( الرجعى الانعزالي المنكمش ) ولا على المنفع المائع المتلد ، أنه يتوقف على الأثرية المطلقة من الجماهير الواعية التي تدرك ذاتها وتميل على تقوية نفسها لصد السيطرة الغربية والتحرر من الاستعمار بأوسع مظاهره والعمل على تنمية حضارتها الذاتية .

أن الثقة بالنفس التي تميز بها العرب لم تصل إلى حد التعصب الأعمى أو المغرور أو إلى روح العزلة شأن الحال عند بعض الغربيين فقد تميز العرب بالقدرة على الاختلاط بالآخرين والتعاون مع من لا يريد تحديهم أو العمل على إذلالهم .

أن العرب لا يعيشون في فراغ روحى وحضارى لأن تراثهم الحضارى الغنى بمؤسساته ونظمه وتقاليده وأفكاره يملأ روحهم ويكون ثروة عظيمة إذا أحسن تنميتها وتوجيهها فاتها ستعين على فرض مستقبل زاهر على أن

أهمية التراث في حياتنا الحضارية لا يكون بالجهود عليه بل في محاولة تنميته وتطويره ليكون قوة حيوية ملائمة للحياة الجديدة بما تواجه من تحديات وأن هذا التطوير ينبغي أن يقوم به العرب أنفسهم بوعي وإدراك وهذا هو السبيل الذي مكن للعرب في الماضي من تكوين دولتهم العظيمة التي دامت قرونا ، وهو السبيل الذي إذا اتقن تنظييه سيضمن للعرب مكانتهم في المجتمع الإنساني في المستقبل ثقة في النفس وسعة في الصدر ومرونة في الفكر وعمقا في البصيرة وتعاوننا ببناء .

ولا ريب أن دعوة توينبي هذه لحياء التراث بل هذا المفهوم كله إنما انتزعة المؤرخ الكبير من مفهوم حركة اليقظة كما ينادى بها اليوم أهل القرآن ودعاة المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية ولا ريب أن المسلمين اليوم مطالبون بتحقيق ثلاثة أهداف رئيسية لا سبيل إلى اتبعائهم لحمل لواء الحضارة من جديد إلا بها . .

أولا : بناء التعليم والتربية على منهج الإسلام .

ثانيا : تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا ، في كل جوانب الحياة : الحدود ، الزكاة ، الغاء الربا ، أخلاقيات الإسلام .

ثالثا : حماية الأسرة الإسلامية من التدمير ، وبناء المجتمع على أساس العقيدة ولا ريب أن المذاهب الاجتماعية المعاصرة تحاول أن تدمر هذه القيم الثلاث .

وعندما يصبح المسلمون مصدرا جديدا من مصادر إسعاد البشرية بعد أن بقيموا المجتمع الرياني الذي قال ( جيب ) أنه سيحقق القضاء على الفردية المسرعة والجماعية الشرسة وقال ( توينبي ) أنه سيحقق القضاء على العنصرية الخطيرة والخمر والموبقات .

ولقد أشاد توينبي إلى جوار ذلك بالأخوة البشرية التي يحققها المسلمون في مجتمعهم فقال : انني لأعجب أبناء المجتمع الغربي بما تضفيه عليهم الأمة العربية من وحدة حتى يشعر العربي أنه في داره ما دام في بلاد عربية إسلامية فالمعراقى والمصرى والنجدى والحجازى والمراكشى والتونسي لا يجد فرقا في الجو الاجتماعي وروح الحياة العربية وعقليتها السياسية بين الرباط وتونس والجزائر والقاهرة وجدة. ودمشق وبغداد البصرة ونقول وهذه هي وحدة الثقافة أساس وحدة الأمة ومصدرها الإسلامى .

\*\*\*

## حقائق عن الحضارة الإسلامية

هناك جملة حقائق عن اثر الحضارة الإسلامية في التقدم المعاصر لا يمكن تجاهلها :

أولا : يرجع الفضل الاول في نجاح فاسكودى جاها ورحلاته الاستكشافية ومن مدرسة الخرائط التي قامت في جزيرة ميورقة معتمدة على جهود العرب فيه الى ما افاده من المراجع الجغرافية العربية التي ترجمت في اسبانيا السابقة وفوق هذا كله فقد كان نليله الذي قاده من شرق افريقيا وأوصله أمنا الى الهند هو الملاح العربى المشهور : احمد بن ماجد .

ثانيا : تفوق الفزالى على ديكرت في نقطتين :

اولاهما : أنه حدد العلم اليقيني قبل أن يتقدم في اختبارات وإبحاثه حتى يكون التحديد ميزانا صادقا يزن به العلم اليقيني من غيره .

ثانيتهما : هي أن تعريف ديكرت للعلم اليقيني في ضعف بل ما يدعو الى الشك اذ جعل معيار صدق المعرفة وضوحها ونسى أن الوضوح امر نسبي ..

ثالثا : عظمة الدور الذى قدمته الحضارة الإسلامية في الأندلس والذي نقله الغربيون حتى يصفه أحد الكتاب الغربيين : لا تترك عظمة المسلمين العلمية حتى تدرك الروح التى كافحوا بها في سبيل العلم وقد عدت المعارك التى خاضها العرب ضد الفرنجة في الأندلس وحدها ٣٧٠٠ معركة وأن أمة تكون أيديها مغلوله بثلاثة آلاف وسبعمئة معركة ثم لا تنسى رسالة العلم المقدسة بل تبلغ بالعلم ذروة الرقى والتقدم : لأمة عظيمة حقاً .

رابعا : أعلن الدكتور الطبيب موريس بوكاى بعد دراسات طويلة قام بها لكل من التوراة والإنجيل والقرآن تبين له بما لا يقبل جدلا ولا نقاشا : أن القرآن هو الكتاب المنزل من السماء وأن آياته الكونية لا تصادم أى حقيقة علمية وأن صدقه في هذه النظريات تؤكد أنه وحى من الله أنزله على خاتم الرسل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

خامسا : عظمة التراث الاسلامى . يقول هاملتون جب :

باستظاعة العرب ان يفاخروا غيرهم من الامم بما فى ادبهم من جوامع  
الكلم التى تحمل سمو الفكر وامارات الفتوة والمروءة وما لا مثيل له . والى  
التأليف عند العرب يأتى من الایجاز الذى كان تركيزا بالتقطير . ثم كيف  
ننسى بعض قصائد المتنبى وهى كالأسهم صيغت من حكم خالصة نسمو قدرا  
على مجلدات . كيف ننسى ان العرب قد وضعوا فى مجال العلوم الرياضية  
والكيمياوية من الاصطلاحات الدقيقة ما يسير اليوم فى خط متواز مع أحدث  
الابحاث فى العلوم . يقال هذا عن ظاهرة جوامع الكلم فى الأدب العربى  
وظاهرة الایجاز فى القرآن ويقال هذا لمن يزعمون ان الأدب العربى لا يحمل  
عيونا كثيرة مثل الالایزة فى اغريق . ويقال لمن يبحثون عن ظاهرة التفاصيل  
فى الآداب اليونانية حتى يقول جب . ان عدد الأبيات الشهيرة بها تحمله  
من ثروة لا يعدو فى الالایزة مائة بيت وما يتبقى بعد ذلك ليس الا حشوا  
وتطويلا وتصنعا .

\*\*\*

#### آخر الملبود

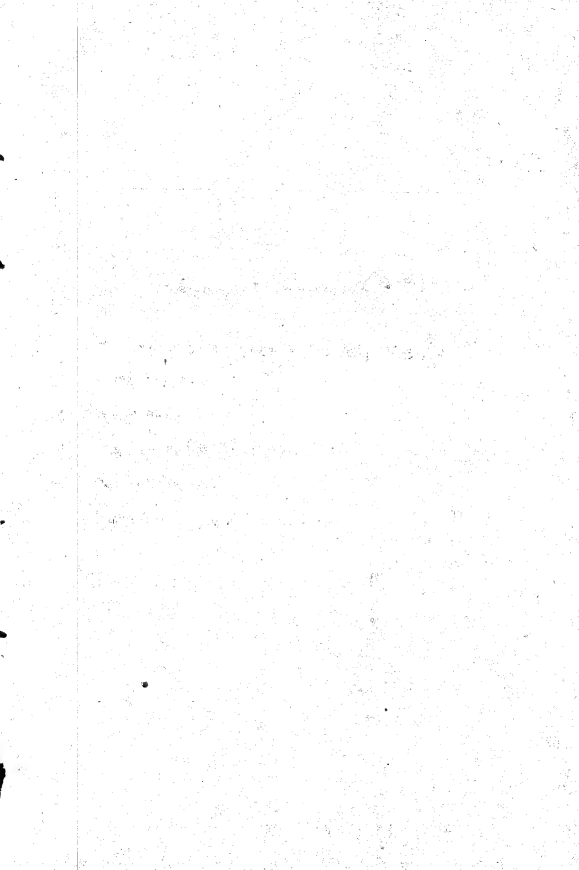
هناك بون شاسع وعميق بين الناجحين والعظماء فى مفهوم البطولة  
فالعظماء هم الذين قدموا لأمتهم اضافة حقيقية على طريق التقدم فى حياء  
وتواضع دون ان يبهزمهم عملهم أو يستعلوا به أو يطلبوا له اجرا أو جزاء  
وربما لم يعرف جيلهم قدرهم ولا فضلهم وربما عاشوا حياة خشنه مغبورون  
بينما كانوا يعملون من أجل اسعاد أمتهم التى تجاهلت قدرهم . . اما النجاح  
فهو شهرة ومال ونفوذ وزحام وذلك كله بريق قصير الأجل يستمر اعواما  
ولكنه ينطفىء ولا يبقى الا الجهد الحقيقى القائم على الايمان بالله وانكار الذات .

\*\*\*

## الباب السادس

# عظمة الإسلام

- ١ - هل آن للبشرية ان تعرف وجهتها الى الدين الحق : الاسلام
- ٢ - مستقبل الاسلام .
- ٣ - الرسالة الجامعة .
- ٤ - تبليغ الاسلام لاهل الغرب بلغاتهم .
- ٥ - اليوم اكملت لكم دينكم .
- ٦ - لا تطلع الشمس كل يوم الا على مسلم جديد .



## هل آن للبشرية أن تعرف وجهتها الى الدين الحق : الاسلام

هل آن للبشرية أن تعرف طريقها الحق الى المجتمع الأمثل وتؤمن بان هذا المجتمع لا يوجد الا في اطار الاسلام ، لقد عرفت البشرية المجتمع اليوناني والروماني والفارسي والهندي وعرفت المجتمع الغربي الحديث الذي شكلته الفلسفة اليونانية والقانون الروماني والمسيحية الغربية .. كما عرفت العهد الاسلامي الزاهر الذي لم يسبق له مثيل . ثم مضت فترة ، وبقي عليها الآن أن تعود الى تجربة « المنهج الاسلامي » من جديد وهو المنهج القادر وحده على العطاء . تستطيع تجربة رجل دخل الاسلام أن تعطينا شيئا خاصة اذا كان هذا الرجل مثقفا يعيش عصره وفكر عصره وله اتصال واسع بالاديان والثقافات والابدولوجيات المعاصرة ويعرف تجربة مجتمعه الأوربي الغربي الذي أجهدته السعى في سبيل الوصول الى الحقيقة .

والواقع أننا لا نبحث عن اسم هذا الرجل ، ولا عما اذا كان قد أسلم حقيقة ولكننا ونحن نراجع تحول فكره نجد لديه من عمق النظرة ما يجعلنا ندهش لحسن الفهم وسلامة الرؤيا والقدرة على الوصول الى مرفأ الأمان ولا يكون هذا الا بهدى الله سبحانه وتعالى .

يقول هذ الرجل الذي نقدمه :

ان أبرز ما يمثله القرآن : ذلك الائتنام الباطني بين تعاليمه الأخلاقية وتوجيهاته العملية وان الله بمقتضى القرآن لم يطلب خضوعا من جانب الانسان بل خاطب عقله انه لا يقف بعيدا عن مصير الانسان بل انه اقرب اليك من حبل الوريد ، انه لم يرسم أى خط فاصل بين الايمان والسلوك الاجتماعي ولعل أهم ما في الأمر انه لم يبدأ من الحقيقة القائلة بأن الحياة كلها مثقلة بنزاع المادة والروح وأن الطريق الى النور يتطلب تحرير الروح من قيود الجسد وإن كل شكل من أشكال انكار الحياة وامانة النفس قد قضى عليه النبي في احاديث مثل ( لا رهبانية في الاسلام ) وان ارادة الانسان في أن يحيا لم يعترف بها الاسلام كغريزة ايمان مثمرة فحسب بل لقد خلع عليها قداسة كقداسة القضية الأخلاقية المسلم بها أيضا . لقد رأيت امامي شيئا يشبه بناء هندسيا كاملا يتم عناصره بعضها ببعض بطريقة متناغمة لا نافل فيه ولا يفتقر الى شيء : اتزان وسكينة يضفيان على المرء شعورا بأن كل ما في نظرات الاسلام وقروضه هو في محله .

أن ليوبولد فابيس رجل أوربي يهودى مفروض أنه موسى العقيدة وكان عليه وهو يبحث عن الله وعن دين الحق أن ينتقل مباشرة الى المسيحية انتمى في الأصل آخر رسالات بنى اسرائيل ونبياها آخر انبياء بنى اسرائيل والانجيل تنمى للتوراة التى انزلت على موسى والزبور الذى انزل على داود ولكن هذه النعمة التى تتردد فى كلماته تدل على أنه كره هذا الانتقال لانه لم يجد فى المسيحية ما يرضى نفسه ، بل لعله قد احس بأنه سوف ينتقل الى عقيدة مجهدة للعقل الحديث الذى يقوم على فهم الأمور فهما أساسه العلم والقياس والتجربة فأين يذهب ، وماذا يمكن أن يعطى هذا العقل الغربى الحديث الذى لم يعد يقتنع الا بشيء لا يتعارض مع العلم ولا يفضل الروح عن الجسد ولا يلغى ارادة الانسان ولا يفصل بين التعاليم الأخلاقية والتوجيهات العملية ، ان ديننا ما لن يستطيع أن يعطى هذا كله غير الاسلام . ولذلك نجد ليوبولد فابيس يقول :

وقف رجل منذ ثلاثة عشر قرنا وقال :

لست سوى بشر ولكن الذى اوجد الكون قد امرنى أن احمل رسالته اليكم فلكم تعيشوا بصورة تتلاءم والخطة التى ابدع بها العالم امرنى أن اذكركم بوجوده وقدرته على كل شيء وعليه بكل امر وبأن اضع أمامكم منهاجا للسلوك فاذا قبلتم هذا التذكير وهذا المنهج فاتبعوني .

ان النظام الاجتماعى الذى بسطه كان تلك البساطة التى لا تتماشى الا مع العظمة الحقيقية .

ويجد ليوبولد فابيس فى الاسلام مفهوم الجماعة بدلا من مفهوم الفردية فى المسيحية الغربية التى يعيشها قومه .. أن خالقهم قد أبدعهم بحيث يتمين عليهم أن يعيشوا فى جماعات لكى يرضوا المبدأ الكامل لحاجتهم الجسدية والمعنوية والعقلية . وبالاختصار فانهم محتاجون بعضهم الى بعض واستمرار الفرد روحيا يتوقف على ماذا كان يحصل على المعنوية والتشجيع والحماية من أولئك الذين من حوله والذين يتوقعون منه هذا التعاون نفسه هذا الاعتقاد المتداخل نفسه كان السبب فى أن الدين فى الاسلام لم يمكن فصله عن الاقتصاد والسياسة فهو ينظم العلاقات الانسانية العملية بطريقة تمكن كل فرد من ان يلقي اقل قدر ممكن من العقبات واكبر قدر ممكن من التشجيع فى انهاء شخصيته .

وهذا ما بدا أنه مفهوم الاسلام من وظيفة المجتمع الحقيقية لذلك فان نظام الاسلام لم يختص بالشؤون الروحية فحسب . بل زود اطارا لكل نشاط فردى واجتماعى ايضا . انه لم يبسط مفهوم الإصلاح الفردى فحسب بل عرض ايضا مفهوم المجتمع العادل الذى يجب أن يوجد ذلك الإصلاح . كذلك فقد قدم الاسلام نظاما للحقوق الفردية والواجبات الاجتماعية أخذ فيه بعين الاعتبار حقيقة التطور التاريخى . لقد شملت الشريعة الاسلامية الحياة من جميع وجوها المعنوية والجسدية والفردية والاجتماعية . ولقد وضعت جميع مواد الشريعة الاسلامية لصالح أعضاء المجتمع كلهم بالتساوى



بون تمييز بين الولادة أو العنصر أو الجنس ( الذكر والأنثى ) أو الولاء الاجتماعي السابق فلم يحتفظ بحقوق خاصة لمؤسسى المجتمع أو لذريته من بعده ، وإن الرفيع والوضع بالمعنى الاجتماعي للكلمة تعبيران لا وجود لهما كما أنه ليس هناك وجود لمفهوم الطبقة فجميع الحقوق والواجبات والفرص تنطبق بالتساوى على جميع المسلمين .

كذلك فإنه ليس هناك من حاجة لإيمان كاهن للتوسط بين العبد وربّه ذلك لأن الله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يعترف بولاء غير الولاء لله ورسوله ، وليس هناك من عصبية « ليس منا من دعا إلى عصبية » وليس منا من قاتل في سبيل العصبية ، وليس منا من مات في سبيل العصبية .

فالاسلام قد فرض مجتمعا سياسيا أهمل الانقسامات التقليدية إلى قبائل وعناصر . لقد كشف الاسلام للعالم عن مؤسسة سياسية يكون فيها وعى الله الباعث على سلوك الانسان العملى والأساسى الوحيد لجميع المؤسسات الاجتماعية ، وكذا فإن الاسلام قد افتتح فصلا في تطور الانسان فهو أول مجتمع أيديولوجى مكتشف مقابل مجتمعات الماضى المغفلة والمحدودة جنسيا وجغرافيا ، لقد واجه الاسلام وأحيا مغفلة لم يكن فيها متسع « للقومية » ولا حقوق مكتسبة ولا طبقية ولا كنسية ولا كهانة ولا نبيل وراثى .

وفى الواقع لا مناصب وزارية على الاطلاق .

أهم مميزات هذه المدنية الجديدة ، ميزة فرزتها بالكلية عن جميع الحركات الأخرى في تاريخ الإنسانية — هى أنها قد نظرت إليها ونشأت عن موافقة إرادية من الناس الذين كان يعينهم أمرها .

لقد قامت على عقد اجتماعى خالص : هو المصدر التاريخى الحقيقى للمدنية الإسلامية هو :

« أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »  
أنى لم أكن أوؤمن بأن الانسان الفرد كان بحاجة إلى الخلاص ولكى كنت أوؤمن بأن المجتمع الحديث كان بحاجة إلى الخلاص .

شعرت أكثر من أى وقت مضى بأن عصرنا هذا بحاجة إلى أساس أيديولوجى لعقد اجتماعى جديد بحاجة إلى إيمان يجعلنا نفهم بطلان الرقى المادى من أجل الرقى نفسه ، ومع ذلك يعطى الحياة الدنيا حقها إيمان يبين لنا كيف يقدم توازنا بين حاجتنا الروحية وبذلك ينقذنا من الهلاك الذى نندفع فيه برعونة وتهور .

إن الناحية التى أعجبتنى فى الاسلام منذ اللحظة الأولى هى :

فقدان تقسيم الحقيقة إلى أقسام جسدية وروحية والتأكيد على العقل كطريق إلى الإيمان .

وهكذا نجد كيف أن الاسلام ما زال الى الآن هو الأمل الوحيد أمام البشرية لتجد فيه نفسها بعد أن نمر العلم كل مفاهيم التفسيرات البشرية للأديان والعقائد ، لقد جاء عصر العلم ليكون آية جديدة من الله لتنسف آخر قواعد العقائد المبجلة التي كانت تدعو أصحابها الى الإيمان أولا ثم الاقتناع .

لقد جاء الاسلام اليوم كالضوء الساطع أمام طريق العلم الصحيح وأمام الدعوة الى استعمال أسلوب التجربة والعقل ، على أنه العطاء الوحيد الذي يعطى النفس البشرية أشواقها بعد أن دمرت المذاهب المادية روحها ومزقت عواطفها وأشاعت الخراب في حنايا النفوس بالهزيمة والشك واليأس والتشاؤم القاتل والغربة والغيثان والاحتلال ، ومبصر ذلك كله هو تقسيم الحقيقة الى أقسام جسدية وروحية وإلى مادة ونفس وقلب وعقل ، ودنيا وآخر ، وإنكار الروح والنفس والقلب وكل ما هو غيب ، هذا الانقسام الخطير هو مصدر أزمة الانسان المعاصر ولا سبيل الى القضاء على هذه الأزمة الا باعتراف العقيدة التي تجمع بينهما في حقيقة واحدة . ان هذه الانشطارية هي مقتل الحضارة الغربية والانسان الحديث ولا سبيل له ولا للبشرية كلها الى أن تحقق كيانها وتعيش المجتمع الأمل الا بأن تلتئم ذلك في « الاسلام » فهو وحده المنار السامق القائم على بحر الظلمات يهدي كل من اتجه صوب ضوئه وليس ما يقوله ليوبولد فابيس الذي عبر هذا الموج المتلاطم من مفاهيم النحل والأديان والعقائد البشرية الضالة المضلة الى الاسلام وآمن بأنه ( برقا النجاة ) الا خطأ واحدا من عدة خيوط كتبها الكثيرون ممن هدامهم الله الى الحق ومن آمنوا بأنه لا طريق للبشرية الا صوب الدين الحق .

يقول ليوبولد فابيس : كنت شابا أوروبيا ناشئا على الاعتقاد بأن الاسلام وكل تعاليمه لم يكن أكثر من طريق فرعي لتاريخ الانسانية غير جدير بالاحترام من الناحيتين الروحية والأخلاقية وأنه كذلك لم يكن يوضع في المنزلة نفسها بل لم يكن ليقتارن بالدينين اللذين يعتبرهما الغرب جديرين بالنظر اليهما نظرة جدية : المسيحية واليهودية . بهذا الانحراف الأوربي الغامض ضد الدين الاسلامي بدأت رحلتى ، لقد كنت فريسة لتلك العقليّة الثقافية الغربية المستغرقة في ذاتها التي طالما تميز بها الغرب في جميع الأزمنة ، والآن قد اقتنعتى بملاحظاتى الخاصة وتجربتى الواسعة بأن رأس الغربى العادى كان يحمل صورة مشوهة بالكلية عن الاسلام وأن ما رأيته في صفحات ( القرآن ) لم يكن نظرة عالية غير ناضجة ، بل على العكس وعيا للالة كثيفا يعبر عن نفسه بتقبل عاقل للطبيعة التي هي من صنع الله : تلازم متناغم بين العقل والدافع الضعى ، بين الحاجة الروحية والحاجة الاجتماعية ، لقد كان واضحا عندى أن تأخر المسلمين لم يكن ناجما عن أى نقص في الاسلام بل من عدم عملهم هم أنفسهم بتعاليمه ذلك لأن الاسلام الحق هو الذى حمل المسلمين الأولين الى أعالي الذروات الثقافية بتوجيه طاقاتهم كلها نحو التفكير الواعد كوسيلة جيدة لفهم طبيعة خلق الله وبالتالي لفهم ارادته . ان الاسلام لم يطلب اليهم قط أن يؤمنوا بعقيدة يتعذر فهمها . والحق أنه ما من عقيدة كهذه يمكن أن توجد في رسالة النبی . وهكذا فإن التعطش الى المعرفة الذى يتميز به تاريخ المسلمين الأول ، لم يحمل ، كما حمل في سائر أنحاء العالم على أنه يؤكد ذاته في صراع مؤلم ضد الإيمان وبالعكس : لقد انبثق من ذلك الإيمان وحده .

لقد أعلن النبي العربي أن طلب العلم غريضة على كل مسلم ومسلمة وبالطريقة نفسها عكفوا على الكيمياء والفيزياء والفسبولوجيا وعلى سائر العلوم حتى قدر للعقيدة الإسلامية أن نجد فيها أخلد آثارها وهم في بنائهم ذلك الأثر لم يفعلوا أكثر من اتباع عظيمة نبيهم في كثير من أحاديثه :

« من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » .

ويمضي ليوبولد فابس ليفرق بين مفهوم الإسلام ومفهوم النحل والاديان في مجال النفس والأخلاق فيقول : أن الإسلام دون الأديان يعتبر روح الإنسان بمثابة ناحية واحدة من شخصيته وليست ظاهرة مستقلة ، وبالتالي فإن نمو الإنسان الروحي في نظر الإسلام مرتبط ارتباطاً لا انفصام له بجميع نواحي طبيعته الأخرى . أن الدوافع الجسمية جزء متمم لطبيعته فهي ليست نتيجة أي خطيئة أولى ، ذلك المفهوم الغريب على تعاليم الإسلام ، بل قوى إيجابية وهبها الله للإنسان فيجب أن يتقبلها وأن يفيد منها بحكمة على أنها كذلك . ومن هنا فإن مشكلة الإنسان ليست في كيف يكتب مطالب جسمه ، بل كيف يوفق بينها وبين مطالب روحه بطريقة تجعل الحياة مترعة وصالحة . أن جثور هذا التوكيد الإيجابي للحياة الإنسانية إنما توجد في النظرة الإسلامية القائلة بأن الإنسان مفعور على الخير . وبخلاف الفكرة المسيحية القائلة بأن الإنسان يولد مكسواً بالخطيئة الأولى أو العقيدة الهنوسية القائلة بأن الإنسان منحط ونجس أصلاً ويجب أن يتغير عبر سلسلة طويلة من التناسخ نحو الكمال بخلاف ذلك كله يقول القرآن الكريم :

« ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » .

أي في حالة من الطهارة لا يمكن أن تفسر إلا عن طريق السلوك السيء من بعد « ثم ردهناه أسفل سافلين ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

ويقول في تصوره للإسلام والمسلمين :

لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الإسلام عظيماً بل لقد كان الإسلام هو الذي جعل المسلمين عظماء ، إلا أنهم ما أن أصبح إيمانهم عادة وانقطع عن أن يكون متهاجاً في الحياة حتى خبت تلك القوة الدافعة للخلافة التي كانت من وراء مدينتهم وأفسحت المجال إلى الاسترخاء والانحطاط الثقافي .

ويعصور ليوبولد فابس موقفه من رحلة العبور بين الأديان :

في السنوات السابقة عندما أصبحت قانطا من دين آباءى وإجدادى فكرت في المسيحية بعض الشيء ، لقد كان مفهوم المسيحية عند الله في نظري اسماً وأفضل إلى حد لا نهاية له من مفهوم العقد القديم بيد أنه كان هناك عنصر واحد من النظرة الدينية المسيحية كان يتقص من عالميته : هي تمييزه وتفرقه بين الروح والجسد بين عالم المعتقد وعالم الشؤون العلمية وبسبب من افتراق المسيحية الباكر هذا عن جميع النزعات والميول التي تهدف إلى

توكيد الحياة والمساعى الدنيوية فقد شعرت أنها كانت قد انقطعت منذ زمن طويل من أن تقدم قوة أدبية أخلاقية دافعة الى المكنية الغربية فقد ألف اتباعها الفكرة القائلة بأنه لم يكن من شأن الدين أن يتدخل فى الحياة العملية ، لقد احتفوا بأن ينظروا الى المعتقد الدينى نظرتهم الى تقليد مسكن لم يقصده به أن يغذى أكثر من معنى غامض للفضيلة الشخصية وخاصة الفضيلة الجنسية فى الرجال والنساء أفراديا ، وكان يساعدهم على هذا المعنى اتجاه قديم جدا اصططنته الكنيسة لم يحدث اتباعا لمبدأ الفصل بين ما لله وما لقيصر فى حقل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية أيضا تغيير يذكر ، فقد كانت نتيجة ذلك أن السياسة والتجارة المسيحيين قد تطورتا فى اتجاه مختلف كل الاختلاف عن ذلك الذى كان المسيح قد دعا اليه . لقد فشل الدين الذى اعتنقه الغرب بسبب من عدم تزويده أتباعه بارشاد ثابت مقرر فى شؤونهم الدنيوية فى ما كان فى رأى يندوا أنه رسالة المسيح الحقيقية وأنه فى الحق المهمة الرئيسية لكل دين أن يبين للانسان لا كيف يحس ويشعر احساسا وشعورا صالحين فقط بل كيف يحيا حياة صالحة أيضا ويشعور غريزى فإن دينه قد خيب أملة ، وبطريقة ما فقد الانسان الغربى خلال القرون كل ايمانه بالمسيحية وبفقد هذا الايمان فقد الاقتناع بأن الكون انما كان تعبيرا لقوة واحدة منظمة وأنه لذلك كان يشكل كلا عضويا واحدا وبسبب منه أنه فقد هذا الاقتناع فهو يعيش الآن فى فراغ روحى وأخلاقى .

لقد رأيت فى ترك الغرب التدريجى للمسيحية وانصرافه عنها ثورة ضد ازدهار الحياة التى بشر بها بولس والتى أبهت قديما جدا وتماها جدا تعاليم المسيح وكيف اذن يستطيع المجتمع الغربى أن يستمر فى ادعائه أنه مجتمع مسيحي وكيف يستطيع أن يزوج دونها ايمان ثابت أن يتقلب على أزمته الأدبية والأخلاقية الحاضرة .

لقد تبلور اقتناعى الفطرى بأنه ليس بالخيز وحده يحيا الانسان ، الى الاقتناع العقلى بأن ( عبادة التقدم ) لم تكن أكثر من عوض سقيم مبهم عن ايمان قديم بالقيم المجردة ، اخترعه اناس فقدوا جميع قدراتهم الداخلية على الايمان بالقيم المجردة . اننى لم أفهم كيف أن ايا من الأنظمة الاقتصادية الحديثة التى أثبتت من هذا الاعتقاد المضلل الخادع تستطيع أن تشكل أكثر من مسكن لبؤس المجتمع الغربى وشقاقه .

هذا هو تحليل كاتب غربى عاش التجربة وهو يرى قومه صرعى قد هزمتهم محاولتهم الخروج عن الدين الحق وبناء حضارتهم على قواعد من الأهواء المادية والشهوات والمطامع ، وما يمكن لحضارة أن تقوم الا على الأساس الصحيح ، ولقد نسقت كل الحضارات السابقة بسبب معارضتها لغواميس الكون وسنن الأمم والحضارات . وليس أمام الحضارة من سبيل وأمام البشرية من طريق الا طريق الله : الى المجتمع الربانى القائم على الاخاء البشرى والرحمة والتوحيد والعدل المطلق : فهل أن للبشرية أن تعرف طريقها الحق الى مرفأ الأمان ، نرجو . .

## مستقبل الإسلام

« سيعيد التاريخ نفسه مبتدئاً من الشرق ، عوداً على بدء ، من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية في الصدر الأول للإسلام . وستظهر هذه القوة التي تظهر في تماسك الإسلام ووهنته العسكرية ، وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها » .

هذا ما يقوله الكاتب الألماني « باول شمتر » في كتابه ( الإسلام : قوة الغد العالمية ) وتدكتب المؤلف كتابه هذا في الثلاثينات ولكن حقائقه النافذة بدأت هذه الأيام تشكل واتما حقيقياً في مجتمع العالم الإسلامي من حيث علامات القوة التي أشار إليها ، وفي مقدمتها ( التفوق البشرى ) .

وكيفما يكن هدف الكاتب الذي ينبه قومه الى ما يجب عليهم ازاء تنامي قوة المسلمين فان المسلمين قد كشفوا عن صدق طويتهم في مواجهة الأحداث ، فأعلنوا انهم لا يستهفون شراً او نكراً للحضارة البشرية بل يعلنون بروح الإسلام سباحة وكرماً وانهم عندما توكل اليهم مقاليد الأمور فانهم يضربون المثل على الخلق الرفيع والاخاء العالمى ..

كذلك فان المسلمين حين يملكون ارادتهم ، فسوف يكونون أداة أمن وأداة سلام واخاء ، فاذا اتاحت لهم فرصة العمل في مجال التكنولوجيا والعلوم — اوهم في طريقهم الى ذلك — فسويوجهونها لخير البشرية كلها سبلحة ورحمة ..

وقد بدأ المفكرون الغربيون في الحديث عن مدى مساهمة العرب في الحضارة العالمية المعاصرة . ويشير « جاك بيرك » الى مدى الجهد الذى تتطلع اليه البشرية من مشاركة العرب فيما أسماه « النواحي الإبداعية في النهضة الصناعية العالمية » ولا ريب ان عدداً كبيراً من أبناء العرب والمسلمين هم الآن مشاركون فعلاً في أعظم إنجازات التكنولوجيا والعلم في العالم الغربى وعندهم كبير ، وهم من أذكى الباحثين وأعظمهم ايماناً بروح العلم الأصيل ، والخلق الرفيع .

وحين تنتقل التجارب العلمية الى الساحة العربية الاسلامية فسوف يرى الغرب نموذجا جديدا ، وغريدا في الجمع بين المادة والروح ، والعلم والخلق والمثالي والواقعي ، وسوف يعيد المسلمون الى الوجود مفهوم الحضارة الاسلامية الصادق القائم على العدل والرحمة المتحرر من اذلال الشعوب او استعبادها ، او تدميرها او اغتصاب مقدراتها .

ويقول جاك بيرك : ان تعداد العرب سيصل بعد خمسين عاما الى ٢٢٠ مليون نسمة على الأقل . ويقول : ان ذلك سيحقق قوة كبرى للسلام والامن والكرامة البشرية .. ويعرف المسلمون ان ( عدو البشرية ) اليوم الحاقد الذي يحاول ان يقف في وجه الخير والرحمة والسلام انما هو « يهود » الطامع في ان يحصل على تحقيق هدفه في السيطرة على البشرية واذلالها ، ولكن ذلك بمقاييس التاريخ وبموازين العلم وبمفاهيم الحضارات والامم ، امر لن يكون ، وسوف يصرع الحق باطل المبطلين .

ونحن نعرف ان القوى التلمودية الصهيونية تحاول تزيف ارادة المسلمين والعرب في استعادة مكانهم الحق في هذا العالم ، وهو مكان سلام ورحمة واخلاق ، وان هذه القوى تبث روح الاستسلام والسلبية والهروب من نضال الحياة وتعيد اثارة الشبهات القديمة في وجه الفكر الاسلامي الاصيل القائم على التوحيد سواء بالفلسفات المادية او الفنونسية او ما اتصل بمذاهب الوجودية والهيبة وغيرها .. ولكن الفكر الاسلامي سيظل قادرا على المقاومة والدحض ، والتزييف لكل ما يلقي في ساحته من شبهات واوهام ، وقد اصبح واعيا منذ وقت لذلك الخطر ، مقاوما لتلك التيارات ، مؤمنا بان الاقتباس والاخذ من حضارات الامم له ضوابط وقوانين تقوم على كلمة واحدة هي : المحافظة على الاصاله والتكامل في النظرة .

يقول الاستاذ احمد ابو طالب الابراهيمي في تجربة الجزائر لمواجهة خطر الغزو الثقافي : « ان اصدقائنا في اوربا يصعب عليهم ان يدركوا كيف يمكن للشخص الواحد عندنا ان يكون متمسكا بالتراث والتقاليد من جهة ومدفوعا بروح النهضة من جهة اخرى » .

وكانهم يريدون ان نختار أحد الأمرين : اما ان نستوعب الحضارة التقنية مع التناكر لثقافتنا او نتمسك بثقافتنا وحدها مع ما يترتب على ذلك من خطر الزوال او الفناء .. والحقيقة ان اوربا مخطئة بعدم تمييزها بين الحضارة العالمية والثقافة الأوروبية ، وهذا هو ما اشار اليه ( بول ديكور ) حين قال : ان الحضارة تنمى لدى الأفراد نوعا من الشعور بقيمة الزمان ، وهذا الشعور هو اساس التحصيل والتقدم . اما الطريقة التي تنمى بها الشعوب ثقافتها فلا تعتمد على قانون التحصيل والتقدم بل على قانون الوفاء للتراث من جهة والخلق والابداع من جهة اخرى » .

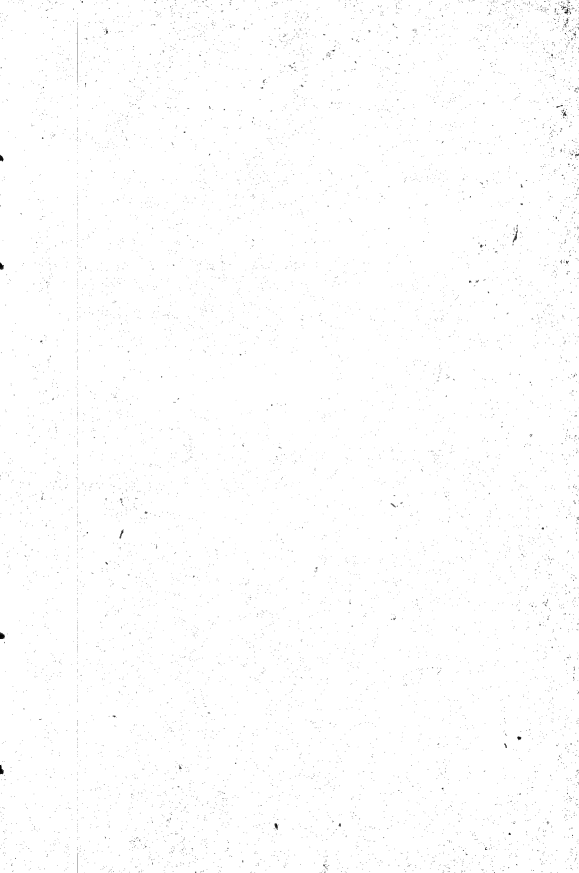
ولا ريب أن المسلمين يؤمنون بأعظم قاعدة في فكرهم وهى التكامل بين القيم ، ولا يرون للعلم والتكنولوجيا سيطرة على الفكر ، بل أن العلوم يجب أن تطابق مفهوم الإيمان والأخلاق والتقوى . ونحن نعرف مدى خطورة استعلاء النظرة العلمية أو العقلية على الحضارة الحديثة . وقد أصبح مقرا الآن في نظر كثير من الباحثين سلامة هذا المفهوم الإسلامى التكامل ..

ويندد ( جاك بيرك ) بقفزة البعد التكنولوجى عن الأبعاد الأخرى للمجتمعات الغربية : ( البعد العقدى ، والخلقى ، والجمالى ) ويقول : أن القاعدة الإنسانية لتقدم المجتمعات تتضمن كل هذه الأبعاد . وأنه حين يتم تطور بعد على حساب بعد آخر أو بعزل من الأبعاد الأخرى يحصل التناقض الذى يؤدى الى الجمود أو الى القلق والانقسام أو الازدواجية التى نلاحظها فى تصرف الإنسان الغربى الحديث « لذلك فإن التقدم الحقيقى هو التقدم الذى يتم فى نمو هذه الأبعاد مجتمعة بشكل متساو » ويقول : « وليس صحيحا أن التطور التكنولوجى هو الذى يؤثر على الأبعاد الأخرى ، فإن كل بعد له إيقاعه الخاص وطريقته الخاص فى النمو » .

وهكذا نجد الغرب لا يجد مئاصا اليوم من الاعتراف بمفهوم النظرة الإسلامية الجامعة . بعد أن ظلت روح الانشطارية وتمزيق القيم مهيمنة الى وقت طويل .

كذلك فإن المسلمين يؤمنون بوحى من فكرهم الأصيل : أن التقدم يعنى جماع المعنويات والماديات ، وأن مفهوم التقدم المادى الغربى الذى يستعلى على النظرة المتكاملة لا يقره الإسلام حيث لا يضحي المسلم بمعنوية التقدم إزاء ماديته ولا يجعل للتقدم المادى قياد مجتمعه ونفسه .

\*\*\*





## الرسالة الجامعة

من التصريحات الهامة التي صدرت في العصر الحديث : ذلك التصريح الذي أعلنه الدكتور بيرون في المؤتمر الدولي للمعلوم التاريخية الخامس الذي عقده بمدينة ( أوسلو ) عاصمة النرويج في ١٤ آب سنة ١٩٢٩ حين قال : « أن ظهور الإسلام كان خاتمة العصور القديمة وبداية ايقاظ الإنسانية في أول عصورها المتوسطة حيث بدأت أوروبا الغربية مدنية جديدة وحياة جديدة يجب معها اعتبار هذا الحادث العظيم هو بداية عصر جديد » .

ومع الأسف فما زال بعض مؤرخينا لا ينتبهون الى هذه العلامة المميزة على مفترق طرق التاريخ ويجرون وراء متعصبى الغرب الذين يتجاهلون ظهور الاسلام كأعظم حادثة تاريخية في العالم ويتحدثون عن انقسام الدولة الرومانية الى شرقية وغربية .

لقد تقدم الاسلام بعد ذلك شرقا حتى فتح الهند والصين واسبانيا وتسبها كبيرا من فرنسا في سرعة مذهلة أدهشت علماء الغرب حتى أطلقوا على هذه الحادثة التاريخية « المعجزة العربية » ثم كان العلم هو أهم ما أهدت الحضارة الاسلامية وأن ما يدين به علمنا لعلم المسلمين ليس ما قدموه لنا من كشوف مذهشة لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم الى الثقافة الاسلامية بأكثر من هذا ، انه يدين لها بوجوده نفسه . لقد كان المسلم ايجابيا يؤمن بالقدر كحوة للاندفاع والعمل فلا يخشى الا الله ويثور على التواكل ، وينكر الجبر ، ويعتقد انه مسئول وحر كما يعتقد أن الله سخر له ما في السموات والأرض اذا هو قام بدوره بحق .

### ثانيا - باب الاجتهاد مفتوح :

يقول الأستاذ تريوتون أستاذ الدراسات الشرقية والأمريكية بجامعة لندن : ان الاسلام يعطى كلا من العالمين — الدنيا والآخرة — حقهما وفي وسع المسلم أن يعيد النظر في حياته دون أن ينقطع عن الماضي ، وله أن يراجع أحكام المعاملات والشريعة لأن باب الاجتهاد مفتوح لا يزال . والمسلمون

يجتهدون اليوم ليثبتوا أن الانسانية الصادقة والآداب القديسة والعقل السليم تلقى ارفع تعبيراتها في شريعة الاسلام وأحكامه ، ويسلمون على أن واقعهم اليوم ليس على ما يحبون ، وأن الإصلاح ضرورة لا محيص عنها ، لكنهم يصرون على أن الاسلام دون غيره هو الذي يصلح لمطالب النوع الانساني .

### ثالثا - الوفاء بمطالب البدن والروح :

يقول الشاعر الفرنسي لامرتين : في الاسلام قوة كافية أصيلة في الاسلام نابعة من هذا الدين ، هو وحده الذي استطاع أن يفي بمطالب البدن ومبادئ الروح معا ، دون أن يعرض المسلم لأن يعيش في عذاب الضمير الذي يعيش فيه المسيحيون . . هذه عندي هي قوة الاسلام بالنسبة الى الأديان الأخرى ، لقد حدثت ثغرت في المسيحية واختلاف للفرقة ، وحدث بعد قيام المسيحية تشتت حتى أطرحت أطرافها ولم يعد أحد يلجأ إليها أو يعيش فيها ، إنما المسلمون يعيشون بطقرآن وحمد ، أن الاسلام فيه شيء يجعله يختلف لأنه لا يجد الأشخاص : التوحيد والتنزيه هو موضع القوة في الاسلام المؤمن .

### رابعا - تأليف الأجناس البشرية :

يقول هاميلتون جب : أن الاسلام ما زال في قدرته أن يقدم للانسانية خدمة سامية جليلة ، فليست هناك أي هيئة سواه يمكن أن تتجج مثله نجاحا باهرا في تأليف الأجناس البشرية المتناثرة في جبهة واحدة أساسها المساواة . . فالجامعة الاسلامية العظمى في افريقيا والهند واندونيسيا بل وتلك الجامعة الاسلامية الصغيرة في الصين أو في اليابان لتبين كلها أن الاسلام ما زال له القدرة على أن يسيطر كلية على أمثال هذه العناصر المختلفة الأجناس والطبقات ، فإذا ما وضعت منازعات دول الشرق والغرب موضع الدرس فلا بد من الالتجاء الى الاسلام لحسم النزاع .

### خامسا - الانصاف في دراسة الأديان الأخرى :

وفي مجال الكتابة في الملل والأديان : اعترف الباحثون الغربيون للاسلام وأهله بالانصاف .

يقول جب : العرب هم أول من ألف في الأديان والنحل لأنهم كانوا واسعي الصدر تجاه العقائد الأخرى وحاولوا أن يفهموها وينحضوها بالحجة والبرهان ثم انهم اعترفوا بما أتى قبل الاسلام من ديانات توحيدية ويحظى ابن حزم هنا بالنصيب الأوفر .

## سادسا - معطياتهم في مجال القانون :

اما في مجال القوانين فقد اعترف علماء الغرب بفضل الاسلام .  
ففى مؤتمر لاهاي منذ سنوات اشار أحد الباحثين الأجانب أن الامام الشافعى هو أول من وضع نظرية التعايش السلمى وأن ما يقوم به علماء السياسة والاجتماع اليوم بدراسة في ذلك المؤتمر عن التعايش السلمى الحديث لا يختلف في الشكل والمضمون عما ذهب اليه الامام الشافعى ، كذلك أعلن أحد الباحثين الأجانب أن « الماوردى » هو أول من نادى بفكرة التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع والموازنة بين حقوق الأفراد وحقوق الجماعة من غير تضحية أحدهما لحساب الآخر وهو المنهج الذى يمثل مفهوم الاسلام من الرأسمالية والماركسية .. كذلك أعلن في مؤتمر علمى منذ سنوات أن « البيرونى » قدم في كتابه ( الجواهر في معرفة الجواهر ) نظرة الاسلام الاقتصادية في الادخار واكتناز الأموال وانفاقها فيما يتصل بعلم تركها للتداول ( وهذه النظرية هي أم الاقتصاد الحديث ) . وقد بين البيرونى مدى الخطر الذى يترتب على عملية كثر الأموال وقال أن الحركة من ضرورات الحياة كذلك سبق الغزالي الفيلسوف الغربى « سبنسر » في تصويره الدولة أو المدينة بجسم الانسان ، فقد شبه الغزالي الملك بالقلب وأصحاب المهن الحرة بأعضاء الجسم ، والشرطة بعصب الانسان .. والوزراء بحسن الادراك .. والقضاء بالشعور ، كذلك اعترف علماء الغرب بما قدم ابن القيم من اضافات خطيرة في مجال القانون ، فقد قدم نظريات لم تعرفها الدوائر القانونية في أوروبا الا في العصر الحديث من أمثال حرية التعاقد ، ومنع الحيل في الأحكام واحياء أعمال الفضولى المحسن والمحافظة على أموال الغرماء .

وهكذا نجد أن مطالع التاريخ ووقائع التاريخ كلها تشترك في الاعتراف بالدور الخطير الذى قدمه الاسلام للبشرية مغيرا اياها وناقلا لها من عصر الى عصر ، من الجاهلية الى الرشد الفكرى ، ومن ظلمات البشرية الى اضاءة الرسالة الجامعة من تاريخ انتهى جميعه في صفحة واحدة الى صفحة أخرى .

والغرب الآن يعترف — لأول مرة في تاريخه بعد ان اصر مئات السنوات على التجاهل وحجب الحقيقة وعلى مؤامرة الصمت .

تلك الحقيقة هي أن المنهج العلمى التجريبي الذى تأملت عليه الحضارة الحديثة هو من صنع المسلمين وأنه بالضرورة كان منهجا مخالفا لمنهج القياسى اليونانى ، وأن أحد هذين المنهجين قد صرع الآخر وقضى عليه وثبت لى الميدان حتى اليوم ، وذلك هو المنهج التجريبي الاسلامى وأنه مهما قيل بن أن أرسطو وفيثاغورس من قبل أو غيرهما قد تحدثوا في العلوم فإن كل تراث اليونان في هذا الشأن وهو تراث نظرى قياسى — قد نقله المسلمون ، وراجعوه وصححو ما فيه من أخطاء ثم انطلقوا منه الى منهج آخر هو منهج

التجريب الذى قامت عليه الحضارة الحديثة هذا المنهج قد انطلق به المسلمون من اصول القرآن ومن هنا كان اختلاف منهجه أساسا عن اتجاه اليونان .. وكان انتقاله هذه النقلة الواسعة من القياس النظرى الى التجربة العملية . وهذا شيء غير ما كان يقوله بعض كتاب الغرب من أن المسلمين لم يزدوا عن أن حفظوا تراث اليونان ثم سلموه للأوروبيين من بعد ، وكانوا حفظة أمساء ! .

ان هذا القول ليس هو كل الحقيقة ، فان العرب حين قادوا حركة العلم قلبوا موازينه ونقلوه نقلة واسعة من النظر الى التجريب ووضعوه على طريق جديد ، ومن حق شباب العرب والمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتأكدوا من صحته حتى لا تخدعهم تلك العبارات المغلوطة الموجودة في كتب الدراسة والثقافة والتي تحاول أن تثقل من دورهم الكبير ، لقد ذهب بعض الفلاسفة المسلمين شوطا في محاولة وضع المفاهيم اليونانية في اطار الفكر الإسلامى او في وعاء التوحيد الإسلامى .. ولكن هذه المحاولات لم تحقق شيئا وفشلت فشلا ذريعا .. وتبين من بعد أن جهود ابن سينا والفارابى والكندى وابن رشد لم تكن الا امتدادا للفلسفة اليونانية وانها بعيدة كل البعد عن النهج الإسلامى الأصيل .

\*\*\*

## تبليغ الإسلام لأهل الغرب بلغاتهم

كان من أخطر مهام الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، تبليغ الإسلام لأهل الغرب في لغاتهم وكتابات فرنسية وإنجليزية في الأغلب لأنهما اللغتان الساريتان في العالم كله اليوم ، ولقد كانت كتابات أحمد غلوش ويوسف على ومحمد توفيق أحمد من أبرز ما انتفع به في هذا المجال ، وكان على ما كتب غيرهم تحفظات تتعلق بانحراف أو نقص أو موالاة لمذهب غير مذهب أهل السنة والجماعة وقد كانت كتابات المرحوم محمود يوسف الشواربي من أهم هذه الأعمال فقد كتب ثلاث رسائل عن دعوة الإسلام وعن الإسلام في مواجهة الشيوعية .

وقد جاءت هذه الرسائل باللغة الإنجليزية انجازاً طيباً ، فقد استطاع أن ينقل مفاهيم الإسلام في بساطة ويسر إلى النفس الغربية والعقل الغربي فكشف عن مفهوم السلام الذي يعبر عن العقيدة تحت مفهوم التسليم والرضوخ لحكم الله ، وكشف عن فساد إطلاق كلمة ( المحمية على الإسلام ) فليس الإسلام مرتبطاً بوطن أو عصر ، وإبان عن أن المصدر الأساسي للإسلام هو القرآن وأن مفهوم التوحيد واحد في الأديان كلها وهو ما كانت تحمله التوراة والإنجيل قبل أن يدخل عليهما التحريف وأنه لا إكراه في الإسلام بل اقتناع عن عقيدة ، تقوم على النظر والفكر والتأمل لزيد من الإيمان بالله وكيف أن القرآن يقرر وحدانية الله تبارك وتعالى وكيف أن الديانات السابقة كانت تخص أقواماً حسب متطلبات الزمن وقرائنهم الفكرية ولكن لما تقدم الفكر البشري جاء القرآن غاثم الرسالة ووصل بالدين إلى الكمال . وأشار إلى أنه ليس في الإسلام بحث في طبيعة الإله ( لا تفكروا في ذات الله ) والمسلمون يتكلمون في الصفات ولا يتكلمون في الذات .

وتحدثت رسالة الدكتور الشواربي عن موقف الإسلام من مشاكل العالم فقال : أن من أهم المشاكل اليوم مشكلة الثروة ومشكلة الجنس وقد قُتِلَ الإسلام بين تراكم المال وشتى يوم الملكية بصرف النظر عن العوامل المختلفة ، والتفرقة بين الكسول والمجد ، واحترام العمل والعمالة وأعطى الفقراء حقهم بالزكاة ، واحتفظ الإسلام بالتوازن بين الأنظمة الأوروبية وبين سائر النظام الحديدي فلم يتأثر بما تفرضه الحياة الاقتصادية في أوروبا ولا بالنظرية المادية الروسية .

وكشف الدكتور الشواربي عن فساد الشيوعية لأنها تقوم على إنكار وجود الله والإيمان بمادية الحياة ، والغناء الملكية الخاصة وتأميم جميع مصادر

الثروة واستبدال التجارة بالبطاقات والتفكر لكل القيم المثالية والروحية مما يتناقض مع الاسلام الذى يؤمن بالله وبالانسان مستخلفا فى الأرض ، وكيف ان الشيوعية ترى فى الدنيا نهاية حياة بينما يرى فيها الاسلام بداية حياة .

وأشار الى : كيف عالج الاسلام مشاكل المجتمعات ، وجعل من الزكاة مانعا يمنع الفرد من التحكم وجعل حق الارث عاملا هاما فى توزيع الثروة توزيعا عادلا . كما حفظ الاسلام الثروة من الضياع بحجزها عن السفهاء . وكيف ان الانسان ليس له حرية فى الشيوعية وأن الحكومات الشيوعية حكومات دكتاتورية وأن الانسان هناك مجبر ومكره أن ينسى شخصيته . وكيف ان الاسلام درجات والشيوعية طبقات ، وأنه ليس فى الاسلام طبقات وفى الشيوعية ثلاث طبقات : قادة الشيوعية ، والطبقة الوسطى ، والطبقة الدنيا . وكيف أن الطبقة العليا طبقة مغلقة ولا يمكن الوصول اليها ، وكيف ان الفلسفة المادية المضادة للدين وجدت طريقا سهلا الى أوروبا المسيحية .

ويقرر الدكتور الشواربى انه لم توجد فى البشرية حضارة بغير دين ، وأنه اذا تخلفت الأديان بدأت الحضارة فى الزوال .

وأنه لابد لأصحاب الأنبياء من الدفاع عن العالم ضد تهديد الالحاد واننا نحن المسلمين نؤمن بجميع الكتب المقدسة وجميع الأنبياء ونؤمن بأن دين الله واحد .

ولقد اقام الاسلام العلاقات الخارجية مع اهل الأديان الأخرى على المودة وحسن المعاملة لمن لم يخرج المسلمين من ديارهم ، وقد نص ميثاق النبى الى اهل نجران فى السنة التاسعة من الهجرة على هذه المعاني وكذلك ميثاق عمر الى اهل ايلياء ( بيت المقدس ) وموقف عمر بعد فتح مصر .

وقد جعل الاسلام : « الانسان » هو القضية الكبرى .

وقد اشار كينس الى تأثير الاسلام فى المسيحية حين قال : ان الاسلام كان منذ بدايته بتحديا ومعطيا للمسيحية فى آن واحد ، فالمعارف والطب قد بلغت اسهامات عالية فى قلب العصر الوسيط ، ذلك ان لدى المسلمين شيئا متميزا ايجابيا يقدمه للانسان ، وهم يطلبون من الغرب استجابة صحيحة لمواقفهم العالمية ، وان الاسلام فى مقدوره ان يهدى الى الناس من العقائد الصحيحة عن طبيعة الاله والانسان ما يكمل الفهم المسيحى ويكون عوناً قويا لبناء السياسة العالمية بما يتبغى للعالم المسيحى أن يجعل هذه الرسالة اذا كان صادقا وفقا لمثلّه العليا ، والاسلام يتحدى المسيحية ان تغوص الى أعماق تراثها لىكتسب موارد اخلاقية وروحية تعينها على أن تحيا مع المسلمين لا من حيث أنهم اناس فحسب بل اخوة مؤمنون .

كذلك فان الاسلام الغى الادعاء بأن امة بذاتها يمكن أن تكون شعب الله المختار ، وأن الاسلام شمل جميع المسائل الدنيوية : الأخلاق والمجتمع وتوزيع الثروة ، دون أى تفرقة فى الجنس أو اللون وكيف أن نظام الشورى فى الاسلام يختلف عن نظام الغرب الديمقراطي .

وكيف أن نظام الحكم في الشيوعية هو ديكتاتورية مبنية على القوة والاضطهاد وأن الأولاد غير الشرعيين هم سبب كثرة الجرائم في العالم وأن الشعب مسئول أمام الحكومة وليس العكس .

\*\*\*

## معجزة انتشار الاسلام

### بعد معجزة الفتح

ان انتشار الاسلام كان معجزة اخرى اذهلت المؤرخين بالاضافة الى سرعة الفتح التي حققت وصول الاسلام من الصين الى غرب فرنسا في اقل من ثمانين سنة ، يضيف الدكتور حسين مؤنس عن انتشار الاسلام على هذا النحو المثير :

لقد امتلا قلب العربي بالايان فنهض في موجته الكبرى فهدم حائط الايرانيين الهائل في سلسلة من الوثائق الضاربة من كازمة الى نهاوند وهي فتح الفتوح ، وذهب امر بنى ساسان ومرازيهم وزال الحاجز بين الايراني وعامة البشر ودخل الايراني في الاسلام والتقى مع العربي على بساط الولاء والعهد والمودة والاسلام .

ثم جاء قتيبة بن مسلم الباهلي العظيم وهدم الحائط الذي كان يحول بين الأتراك والأيرانيين وزلزل كبرياء زنبيل واحزابه فانساح العرب والأيرانيون في بلاد الترك ودخل الترك أرض الأيرانيين والعرب وجميعهم الاسلام في أسرته الواسعة .

ثم نهض العرب والأيرانيون والأتراك وأزالوا الحواجز التي كانت أمم المغول تنسقر من ورائها وأدخلوهم في الاسلام واجتمع الأربعة بعد ذلك فهدموا سور الجنس والاستعلاء الذي كان أهل الصين قد اداروه على انفسهم ودخل قتيبة ورجاله مدينة كشغر وضربوا خيامهم على شفاف نهر تاريم وسط سلاسل من الجبال كأنها الرواسي الشامخات وتهدمت الأسوار التي كان يعيش وراءها أهل العراق والشام ومصر وهبت عليهم مع الاسلام نسجات العدل والأخاء فأخذوا ينتسبون الى أمة العروبة والاسلام ثم سار العرب في بأس شديد ودخلوا معارك طاحنة مع البربر ، دامت سبعين سنة وصل فيها العرب الى ساحل المحيط الأطلسي وأدخلوا مع البربر وعبروا الى الأندلس فأدخلوا شعبها الأيبيري الأوروبي في أسرته وأصبح مضيق جبل طارق مجرد ممر مائي داخل عالم الاسلام الشاسع ، بعد أن كان حاجزا بين قارتين وعالمين ، وفعل المسلمون مثل ذلك بجبال البرت وهي البرانس الحاجزة بين أسبانيا وفرنسا وأصبحت هذه أيضا مرتفعات داخل دار الاسلام والسلام ، وهكذا أتم الاسلام مرحلة كبرى من رسالته وهي إزالة الحواجز بين البشر وتحقيق التعارف بين الشعوب والقبائل الذي بشر به القرآن واجتمعت هذه الشعوب كلها في أقامة صرح اسلامي واحد .

## حركة اليقظة الإسلامية تكشف زيف الاستشراق

### الفكر الإسلامي منفتح للأفكار البشرية من منطلق القوة والأصالة

لقد استطاعت حركة اليقظة الإسلامية أن تكشف كثيراً من زيف الاستشراق وخطأ رأيه ، ومن أبرز ذلك عجز الاستشراق نفسه عن تصور النفس الإسلامية ، والفعل الإسلامي لأسباب عديدة منها عجز المستشرقين أنفسهم عن فهم البيان العربي لو خلصوا من تعصبهم ، فإننا اجتمعنا الأهواء مع العجز عن الفهم بعدوا كثيراً عن الوصول إلى فهم المسلمين والعرب .

إننا لن نغلق أبوابنا أمام الفكر البشري ، فسمه فكرنا الأساسية انه منفتح ، ولكنه قائم على قاعدته يأخذ ما يزيده قوة ويرد ما سوى ذلك ، ولقد كان المسلمون يؤمنون على مدى العصور : أن الفكر الوافد ما هو الا بمثابة ( مواد خام ) لهم الحق في استعمالها وتشكيلها على النحو الذي يروونه نافعا لهم ، ولهم الحق أيضا في ردها والاستغناء عنها .

إننا مطالبون أن نحى تاريخنا من التزييف وتعليمنا من مادية الفكر ، ونحن في حاجة دائمة إلى التفرقة بين الأخلاق التي هي جزء من الدين وبين التقاليد التي هي من صناعة المجتمعات .

كذلك علينا التفرقة بين مفهوم الإسلام نفسه كما جاء به القرآن وبين التطبيق التاريخي الذي أصاب المسلمون فيه وأخطأوا حيث لا يعد خطاهم حجة على الإسلام نفسه ، بل عليهم أنفسهم .

علينا أن نفرق بين الأصل والوافد ..

علينا أن نؤكد مفاهيمنا في الثقافة والتربية والسياسة والاجتماع والأخلاق والثانيون ، وأن نعرف مكان اللغة العربية منا ، لغة القرآن التي يجب أن نجرى بها على مستواه ولا ننزل عنه إلى العاميات ، أو ما يسمى باللغة الوسطى ، فذلك كله من دعوات الغزو الثقافي ..

\*\*\*

### آخر العالود

عن أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلان إذا آويت إلى فراشك فقل : اللهم اني أسلمت نفسي اليك ووجهي اليك وقوضت أمري اليك والجات ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك آمنت بكتابتك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت .

فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبحت خيراً ( متفق عليه ) .



## اليوم أكملت لكم دينكم

ما يزال الإسلام في مواجهة النحل والأيدولوجيات هو الأمل الوحيد للبشرية لتحقيق انشواقيها الروحية وغايتها المادية وفي مثلين من أخطر أمثلة مقارنات الأديان نجد الإسلام يتميز بالأصالة والإنسانية لأنه رباني المصدر وليس من الفكر البشري . وفي عشرات من الصور والتماذج يتكشف « تميز الإسلام » عن الفلسفات والمناهج والأيدولوجيات والنحل الأخرى ، ولقد كان للإسلام مثله الأعلى القائم على التوحيد الخالص .

يقول الدكتور توفيق الطويل : لم يصور الإسلام المثل الأعلى في إنسان وإنما صوره في الله سبحانه وتعالى وفيه تعالى يجتمع من الكلمات المطلقة أقصى ما يستطيع عقل بشري أن يتصوره « **ولله المثل الأعلى** » ( النحل ) المثل الأعلى في الإنسان المتبذل الزاهد الورع .. وبينما صور نبيثته المثل الأعلى في السوبرمان الطاغية الآتاني المتفطرس المتجبر ، وإذا كانت الرحمة في المسيحية رأس الكلمات وإذا كانت القوة عند نبيثته قمة الفضائل .. فقد جمع الله تبارك وتعالى بين الرحمة والقوة في تعادل وتوازن ، فالله تبارك وتعالى رحيم رحيم منعم محب ودود غفور ، وهو تعالى في نفس الوقت قوى قادر منتقم تهاجر جبار شديد الحساب . وصفات الرحمة في الله تبارك وتعالى لا تطفئ على صفات القوة والجبروت كما أن صفات القوة والجبروت عنده تعالى لا تطفئ على صفات الرحمة والمحبة والغفران ، ولكن أى قوة وإى رحمة تلك التي يتصف بها الله تبارك وتعالى ؟ ، انها ليست الرحمة الوداعة ، المستكنة ، المتخاذلة التي تصدر عن ضعف ، ولا قوة المتفطرس المتجبر الفتاك ، ولكنها قوة الجبار الرحيم الذي ينزل بالعصاة شديد عقابه ويوقع بالمعتدين والفسدين صارم عذابه .

الله تبارك وتعالى هو المثل الأعلى لكل من آمن بالإسلام فمن اهتدى بهدى الإسلام حق عليه الاقتداء بالله ومحاولة التحلى بصفاته الحسنى ما تيسر له ذلك أو ما يقوله الصالحون : « تحقيق الكلمات الإلهية على قدر الطاقة البشرية » الله يأمر عباده بمزاولة حياة القوة والبطش حينما يدعو الداعى إلى القوة والبطش ومباشرة الرحمة فيه تعالى لا تطفئ على صفات القوة والجبروت كما أن الرحمة والحنان حين تمس الحاجة إلى الرحمة والحنان . وهو تعالى جبار قهار منتقم شديد العذاب وهو يصون عباده برد العدوان وإن حرم عليهم أن يبدؤوا بالاعتداء وبهذا ومثله قضى الإسلام على الاستكانة والخضوع والذلة والمسكنة .

ودعا الاسلام كذلك الى الرحمة والحنان والمحبة وبمقدار ما دعا الى القوة والفتك والاعتدال وحذر المؤمن من استخدام قوته في الاعتداء على غيره وان اوجب عليه ان ينهض لرد العدوان والفتك بالاعتداء .

ولا ريب ان هذا المفهوم الذى تعرضه عبارات الدكتور توفيق الطويل قريب من مفهوم اهل السنة والجماعة ، وانه تصوير موافق لمفهوم التكامل والتوازن الذى عرف به الاسلام . فالمسلمون لا يقبلون مناهج الفاندية والتولستوية التى تقول بالسلام الذى هو اثنى بالتسليم كما انهم لا يرتضون بعض مفاهيم النازية والصهيونية التى تقوم بالحرب والابادة . . فالمسلمون يتمسكون باليقظة فى حماية وتعبئة الثغور والاعداد لكل خطر خارجى دون ان يعتدوا ، ويردون العدوان بقوة لكل من يفكر فى الغزو او الاغارة ايماناً برسالة الانسان فى المحافظة على دين الله وارض الله .

وهكذا نجد الاسلام يقدم المفهوم الربائى الاصيل الذى يختلف عن مفاهيم الفكر البشرى الزائف او المحرف عن رسالة السماء الاصلية .

### يقول الدكتور محمد اقبال :

ان ميزة الاسلام الاولى والكبرى انه اكتمل فى عهد الرسول وقيل ان يختار صلى الله عليه وسلم الرفيق الاعلى « اليوم اكملت لكم دينكم » . . بينما الايمان الاخرى اضيف اليها وحذف منها بعد وفاة انبيائها ، وقد تجمعت العقائد المسيحية بعد المؤتمرات التى عقدتها المجمع المسكونية ابتداء من القرن الرابع الميلادى حتى القرن السابع ، وذلك لتحديد طبيعة المسيح « صلة اللاهوت والناسوت فيه » ثم تحديد قانون الايمان المسيحى « خطية آدم - صلب المسيح - عقيدة الفداء » وكذلك سر الثالوث الاقدس وسر التجسد .

### ويقول الدكتور اقبال :

ينبغى ان نوضح الفارق بين التجديد وبين الاصلاح الدينى فى اوربا ، ذلك ان اية محاولة تجديدية كى تبقى فى فلك الاسلام ولا تتجاوز حدوده فانها ينبغى الا تعدل من اصوله ما دام القرآن له صفة التاكيد فيها تناوله من تشريعات وما دام النص قد انتهى برسول الله . ان عدم التثبت فى رواية الانجيل او الاتفاق على رواية واحدة له اثار ثغرات عديدة فدخلت المسيحية آراء ومعتقدات أصبحت على مر الزمن جزءاً من المسيحية ذاتها كهدا الاعتراف وصكوك الغفران الامر الذى اتاح الفرصة لاصلاح لوتر . اما فى الاسلام فان ختم الرسالة الالهية وعلان اكتمال الدين يعنى ان الدين كامل ولا يمكن تغييره او تبديله .

فالمسيحية ليست فيها صيغة واحدة بصدد الاناجيل الاربعة وليس الامر كذلك فى الاسلام ، والمسيحية لم تكتمل عقائدها فى عهد المسيح بينما الاسلام قد اكتمل عقائده واركانه . ومن ثم فليس فى الاسلام مذهب دينى يعدل من اركانه تعديل البروتستانتية للكاتوليكية » .

هذه الحقائق يجب أن تكون واضحة أمام الدعاة المسلمين ليعرفوا الفارق العميق بين الإصلاح الديني الأوربي وبين التجديد في الإسلام ويكشفوا زيف هؤلاء الذين يقولون أن الإسلام يتطور وكيف يتطور دين الله الحق الموحى به وأنها الذي تتطور هي المذاهب البشرية ولأيدولوجيات التي تعجز عن الاستجابة لتغيرات الأزمنة والبيئات .. فقد جاء الإسلام قادرا على الاستجابة لكل البيئات والعصور لأنه جاء قضايا كلية عامة لها اطر واسعة مستفيضة مرنة قابلة لكل تقدم وتغير ما دامت أصولها العامة ثابتة وقائمة .

كذلك فإن الإسلام قدم نظرية المعرفة الإسلامية ذات الجناحين الجامعة بين الروح والمادة وقدم منهج الثوابت والتغيرات وبذلك غاق كل دعوات الفلاسفة التي قصرت عند أرسطو على الثبات وقصرت عند هيجل على التغير ، وكان كل منهما عاجزا عن فهم التكامل الجامع في عالم الكون والحياة والمجتمعات الذي هدى الحق تبارك وتعالى المسلمين اليه بالقرآن حين قدم لهم سنن الكون والمجتمعات والحضارات .

وهكذا نجد أن الفلاسفات والنحل في مفهوم المثل الأعلى وفي معنى بناء المجتمعات قاصرة عاجزة عن أن تعطى البشرية أشواقها الروحية المادية التي لا تجتمع الا في الإسلام والتي تأكل في الماركسية الحرية الفردية وتأكل في الرأسمالية العدالة الاجتماعية ، وحيث لا تجتمع الحرية والعدل الاجتماعي الا في الإسلام بعد ما تبين خداع دعوة العدالة الاجتماعية في الماركسية واستهدافها إقامة رأسمالية الدولة ووضع كل الثروة في يد الطبقة الديكتاتورية الحاكمة ، وسحق المجتمعات .

### التراث والمستشرقون :

قام المستشرقون بدور ضخم في تحقيق التراث .. هذا ما لا نريد أن نفيط المستشرقين حقهم فيه ، ولكن هل كان هذا العمل ذا قيمة علمية حقيقية ..

يقول الأستاذ أبو الوفا المرأسي ، وهو من خبراء التراث الإسلامي :

— لقد اهتم المستشرقون في تحقيق التراث بوضع الفهارس وفهرسة الألفاظ الغربية .. وبجانب هذه الشكليات الكثيرة في تحقيق المستشرقين نجدهم ازاء تحقيق النص — وهو المقصود الأهم في التحقيق — منصرفين عنه صامتين دونه لا يتعرضون له بشيء ، فلا تفسر لعبارة غامضة من عباراته ، ولا إشارة الى مرجع علمي للمؤلف ، ولا ترجيح لنص على آخر عند اختلاف النصوص .. وهكذا يبدو قصور المستشرقين في التحقيق ، ولهم عذرم المقبول في ذلك ..

ولا ريب أن الفهارس تستغرق قدرا كبيرا من الكتاب وتثقله حجما وتكلفة ، ويكون بعضها لا غائدة فيه ، ونحو ذلك مما يعده بعض المفتونين بعمل الأجانب من مزاياهم ، وهو في نظرنا ترايدات لا ضرورة لها ..

نقول : لا ريب أن هذا المعنى يكشف بوضوح عن زيف الادعاء بأهمية عمل المستشرقين في التراث ، فإذا أضفنا الى ذلك أن المستشرقين لا ينشرون الا نوعا معينا من التراث هو الفرق القديمة أو الفكر الباطني أو تراث الشعراء الماجنين أو الفلسفات الغنوصية أو فكر الفلسفة والتصوف الفلسفي ، واعلاء شخصيات مذكورة في تاريخ الفكر الاسلامي كالحلاج والسهوردي ، وابن عربي وأبي نواس وبشار وغيرهم عرفنا أي هدف يستهدفونه ، وإي غرض يبيتونه ، لقد عاش ماسنيون ١٠٠ سنة من عمره يجمع آثار الحلاج ويوردها في رسائل ضخمة ليعيد هذا الفكر المسموم مرة أخرى الى أيدي المسلمين ليفسد مشاعرهم ويزيف فكرهم الاسلامي الاصيل ويبعث فيهم روحا من التحلل .. وكذلك كان عملهم في نسبة ذلك الشعر الوثني والخمري وغيره الى عمر الخيام وهو منه براء لخلق روح الهزيمة والانهيار والتمزق في النفس الاسلامية ..

والى جانب ذلك ، فإن هناك قدرا كبيرا من التراث الاسلامي الحي نراه ممنوعا عن الباحثين المسلمين لا يستطيعون الحصول عليه أو الانتفاع به ، ذلك لان الغربيين سرقوا هذا التراث في فترة من الفترات التي غفل فيها المسلمون عن تراثهم فاستفادوا منه وحجبوا هذه المعطيات عن أصحابها ..

\*\*\*

### منهج التحقيق العلمي الاسلامي

#### كما رسمه ابن تيمية

قال الامام ابن تيمية : ان اصح طرق التفسير ان يفسر القرآن بالقرآن فانها اجمل مكان قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان قد بسط في مكان آخر ، فان اعيانك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له . بل لقد قال الامام الشافعي : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بما فيه من القرآن وحينئذ اذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعها في ذلك الى اقوال الصحابة فانهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختلفوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماءهم وكبرائهم واذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عند الصحابة فقد رجعت كثير من الأئمة في ذلك الى اقوال التابعين كمجاهد بن جبر فانه كان آية في التفسير فانما تفسر القرآن بمجرد الرأي فحرام . عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار .

\*\*\*

## لا تطلع الشمس كل يوم إلا على مسلم جديد

يقول الأستاذ مولود قاسم إن التحدى الذى يواجهه العالم الإسلامى هو أن يبقى هو هو بانيته كاملة . كيف يمكن الإنسان أن يكون ابن عصره مع البقاء على أديم عصره ، ودون أن يصبح نسخة غيره دون أن يصبح مشوها ممسوخا عن ثقافته وعن هذه الأنية التى تكلم عنها ابن سينا وعن هذه الأصالة وعن تقاليده وعن تراثه وعن عناصر شخصيته ومكونات ذاتيته . كيف يمكن هذا ؟ هذا هو المشكل المطروح الآن على البشرية كلها ، على العالم كله ، هذه هي الأزمة وهذا هو العلاج لأزمة الحضارة وأزمة القيم كما يسميها الأوروبيون .

ما هو حلها : « حلها هو هذا ، أن يكون الإنسان ابن عصره ، أى أن يأخذ بآخر اكتشافات العلم . بآخر إبداعات الفن ، بآخر اختراعات الصناعة » بآخر إنجازات الزراعة ، ومختلف أنواع النشاط البشرى . وفى نفس الوقت يحافظ على عناصر شخصيته ويبقى متمسكا بجذوره ملتصقا بأعماق عروقه .

وتلك هي قضية العصر فى كل العالم الإسلامى ، التثبيت بالجذور والتمسك بالأصول . ولكن دون استعلاء أو عنصرية كأن يقول أحدهم أنا ابن حضارة سبعة آلاف سنة كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود وأنا يقول أنا ابن الحنيفية السمحة التى أتتها إبراهيم عليه السلام على أساس التوحيد . وأن يكون هذا النسب عقائديا فكريا لا عرقيا ودمويا .

إن هذا النسب القديم هو الأساس الذى قامت عليه الحضارة الإسلامية واستمدت منه الحضارة الإنسانية أصول العدل والرحمة والتجريب .

إننا نحن المسلمين لا نخضع لمفاهيم الاثنيثيات الضيقة ، أو القوميات الوافدة ، ذلك أن لنا مفهوما أصيلا جامعاً يربطنا بأهل اللسان ( العرب ) وبأهل الوطن والأرض وبأهل العقيدة والفكر دون أن يحدث صدام أو صراع بين هذه الحلقات الثلاث ، بل أن هذه الثلاث تتكامل وتترابط بحيث تحول بيننا وبين العنصرية ، وبين الصراع ، وبين الخلاف ، فإن هذه الأرض قد ربطتها منذ دعوة إبراهيم عليه السلام فكرة التوحيد ومنها امتدت فى الأديان السماوية ثم ختمت فى رسالة الإسلام الجامعة التى أرسلها الحق تبارك وتعالى للبشرية بعد أن أصبحت مستعدة للرشد الفكرى .

ونحن نجد الاسلام اليوم على مشارف القرن الخامس عشر نجد الاسلام يدخل كل قرية وكل قطر وكل بلد وكل امة ، ويصل في تعدادة الى الف مليون نسمة ، ونجد في اوروبا جاليات اسلامية ضخمة في انجلترا وفرنسا والمانيا تكاد تكون في الدرجة الثانية بعد سكانها الاصليين ، وحين يصبح تعداد العالم اربعة مليارات نجد ان المسلمين هم ربع سكان العالم عدداً وهم يأخذون من الأرض ما يعادل نصفها تقريباً . وحين كان المسلمون ٢٥٠ مليوناً كانت المسيحية ٦٠٠ مليون والبوذية ٥٠٠ مليون ثم ظهرت الشيوعية عام ١٩١٧ ونجحت على حساب المسيحية ، ولكن اعداداً ضخمة من الوثنيين دخلت في الاسلام خلال السنوات الخمسين الأخيرة في جنوب شرق آسيا ووسط وشرق وغرب افريقيا حتى قفز رقم المسلمين الى ربع سكان العالم ، بينما توقف تعداد اجناس وعقائد أخرى بل وانخفض ..

فالبوذية قضى عليها ، والمجوسية انتهت ، والبرهمية كذلك انتهت كدين وان بقيت كتراث ، اما الكنيسة الغربية فقد خالفت رسالة الدين واصبح اهلها علمانيير ماديين على دين الوثنية الاغريقية القديمة .

ونجد ان اليهودية الصهيونية الماسونية تحاول ان تحتاح المسيحية في الغرب وتحتويها فلم تبق الله تبارك وتعالى كلمة خالصة الا « لا اله الا الله » التي يحمل لواءها المسلمون . وعلى طول الخريطة الاسلامية نجد الاسلام يكسب كل يوم معتنقين جدد بالملئات وبالألوف في شرق الأرض وغربها وفي أوزيا وفي أمريكا وفي اليابان وما تزال البرقيات ترد من أطراف الكرة تكشف هذه الحقيقة ، وهناك اسلام المتأزمين من مثقنين وقسوس ومثليين وعلماء وفلاسفة لا تتوقف قصصهم . وفي العالم الجديد يقول الدكتور محمد عبد الرؤوف ان الشمس لا تطلع يوماً الا على مسلم جديد ..

وفي العالم الاسلامي تتجدد القوى وترداد الثروة ويتم التفوق البشري ، ويلتئم المسلمون الطائفة والتكنولوجيا بينهما يتناقص غيرهم وتفيض الأرحام في الغرب وما يزال خطر الشيوعية في اندحار وخطر الوجودية في هزيمة .

ويواجه العالم الغربي محنة الانسان وازمة النفس والقلب ودمار التمزق والغربة والقلق الذي يحاصر الحضارة الغربية من كل مكان .

وما تزال النظريات البشرية والأيدولوجيات المادية تصيبها قارعة او تحل قريباً من دارها وتكشف حقائق العلم عن طريق الفلك والتكنولوجيا وتكشف دراسات الحفريات والآثار عن فساد دعوات التطور والنسبية والفرويدية والماركسية والقسانون الوضعي وتضرب الفطرة الانسانية ضربات متوالية لتوقظها لتعرف انه ليس هناك غير ناموس الله وقانونه وسننه في الكون والامم والحضارة وانه ليس هناك غير الدين الحق هو وحده القادر على العطاء للنفوس والعقول والامم والاستجابة لحاجات كل عصر وبيئة .

ويكتب الغربيون اليوم عن عبقرية الحضارة العربية ( وهي حضارة الاسلام ) فالعرب لم تكن لهم حضارة الا بالاسلام الذي مكثهم بالقرآن من

تقديم المنهج العلمى التجريبي للبشرية كلها والاسهام في ميادين الثقافة والعلوم من القرن السابع الميلادى حتى السادس عشر مما استفادت به حضارة الغرب وقامت في شمال البحر الابيض المتوسط على النحو المادى الذى قامت به وحين توقفت حضارة الاسلام عن العطاء ثم هي تعود اليوم لتصحيح للبشرية طريقها بعد ان انحرف بها مؤننا بجولة جديدة سلمية من الدعوة الى كلمة الله الحق يدخل في اثرها ملايين جديدة .

وما تزال الجولة الاولى موضع دهشة المؤرخين وهى جولة الفتح ولكن الجولة السلمية الجديدة ستكون موضع دهشة الأجيال القادمة .. وخاصة وقد زحف الاسلام الى قارتي أوروبا وأمريكا . ومنذ ظهور تلك الموجة من الدراسات الجادة التى يقدمها علماء غربيون منصفون يرون أن الاسلام وحده هو القادر على اعطاء البشرية انسانيتهأ وروحها وأمنها .

هؤلاء علماء الاجتماع الذين يرون أن النظام الاسلامى الاجتماعى هو حلم المصلحين .

هؤلاء علماء النفس الذين يرون منهج الاسلام النفسى هو مصدر السكينة والأمل .

فقد أعلن عدد من علماء الاجتماع منذ وقت ليس ببعيد أن « الاسلام : بوصفه ديناً ومنهج حياة ونظام مجتمع يمثل الحل الأمثل للمشاكل التى تواجه هذا العالم المضطرب . ومنذ شهور أعلن عدد من الأطباء أن الاسلام هو الوثاقية الحقيقية من عدد كبير من الأمراض التى تصيب الإنسان والتى سببها متاعب الحياة والانفعال والقلق . وأن الأخذ بعدد من هذه المبادئ يجعل الإنسان صحيحاً وسليماً حتى يأتى أجله .

وان القلق هو آفة العصر ، وهو الذى يملأ الإنسان بالأمراض وهى السكر والضغط وأمراض القلب وأمراض المعدة ويقلق الإنسان خوفاً من المستقبل ومن الفقر ومن الخوف من الحياة وأول أسباب الخوف هو عبادة الفرد وان يحس الإنسان بأن هناك انساناً مثله يستطيع أن يضر وينفع وأن يعطى ويمنع في غيبة ارادة الله ومن هنا ينشأ الخوف .

أما المسلم الحق فإنه لا يخشى الفد لانه يعمل ويعلم ان الله هو الذى يتولى أمره كله وما يزال الاسلام وأهله حديث المؤلفين والباحثين يكتشفون كل يوم جديداً . وتقول المؤلفة ( كريس ودى ) الاسترالية في مقدمة كتابها ( العقل الاسلامى ) عن ذلك المسجد الصغير عند ساحل استراليا الجنوبي المجابه للقطب الجنوبي وعن العرب والأفغان الذين استهوتهم صحراء استراليا فأتوا اليها بجمالهم قبل نيف ومائة عام فقدموا لاستراليا أفضل خدمات النقل عبر الصحارى المقفرة حتى ظهرت سيارات الشحن والقاطرات فلم يجد الجمالون بدا من أن يتركوا جمالهم تهيم على وجهها في الصحراء ويعودوا الى بلادهم . على أن هذه الجمال بقيت تتناسل في الصحراء الشمالية على ما يبدو فمن سلالتها اختير أربعة قدمتها الحكومة هدية لجلالة الملك خالد .

وتتحدث (كليريس ودي) عن وجود أكثرية في ست وأربعين دولة مستقلة في العالم وقد قفز عدد سكانها من ستمائة وسبعة وأربعين مليون نسمة عام ١٩٦٤ الى ٩٠٠ مليون عام ١٩٧٥ . وفي هذا الكتاب بلغ بها الإعجاب بالاسلام الى حد بعيد ..

هذا الوجه من الثقة التي تراود الانسانية اليوم بأن الاسلام قادر في يوم قريب على الطب لانوائها منذ أطلق برنارد شو قبل خمسين عاما كلمته المعروفة ، ربما كان بعيد الأثر في عنف المؤامرات التي تحاك اليوم للاسلام والمسلمين حتى تحصرهم في وجودهم وتمزق وحدتهم وتبدد ثرواتهم وتحول بينهم وبين تطبيق شرع الله في مجتمعهم ليقدموا نموذجا للمجتمع الرباني الى البشرية ، هذه المؤامرة التي يقودها التغريب والغزو الفكري مسيطرة الاستعمار والشيوعية والصهيونية ، وما تزال قوى الغزو الفكري مسيطرة على التعليم والثقافة والصحافة ، حائلة دون تطبيق نظام الاقتصاد الاسلامي أو التربية الاسلامية أو الشريعة الاسلامية بديلا للنظام الربوي ومناهج العلمانية والقانون الوضعي .

ولعل من أخطر المحاولات التي تجرى : محاولة ضرب الاسلام بالمسلمين ، أي ضرب الاسلام الاصيل ببعض الفرق الضالة والطوائف الدخيلة مثل القاديانية والبهائية والباطنية وكلها تنطلق التوجيه والموعنة من القوى الكبرى وهم يعدونها لما يسمونه ( حرب الاسلام بالاسلام ) هذه الطوائف تقدس زعماءها وترفعهم فوق مرتبة البشر وتشجع لاتباعها من الدين ما لم يأذن به الله مستغلة اسم الاسلام لهدم الاسلام وما تزال الأحمدية في افريقيا والقاديانية في الباكستان رغم قرار الحكومة باعتبارها اقلية غير اسلامية تمثلان قمة التحدي الخطير . ولقد خدع بعض كتاب المسلمين بهذه الفرق — حيناً — فاعتبروها دعوات للتجديد وتابعوا في ذلك دعاءى المستشرقين والمبشرين .

وما تزال عقبات كبرى في طريق الاسلام تحول بينه وبين حمل لواء دعوته الحقة الى البشرية أجعلها الدكتور محمد البهى في سبعة عناصر :

اولا : تقسيم الامة الاسلامية .

ثانيا : الفصل بين الدين والدولة في ممارسة شئون الحكم ( العلمانية ) .

ثالثا : الفصل بين الدين والعلم ( ليس في الاسلام خصومة بين الدين والعلم ) .

رابعا : وسائل الاعلام وسخريتها من اللغة الفصحى ومن القيم .

خامسا : تطلع المرأة المسلمة الى حياة المرأة الغربية واسلوب عملها .

سادسا : التنكّل بين القوى المسيطرة في مواجهة الاسلام .



## سابعا : الفصل بين الحكم والدعوة الإسلامية .

وبعد ، فإنه لا خلاص للإنسانية إلا بكلمة التوحيد ، فعلى المسلمين أن يحملوا لواء دعوتها ويرفعوها عاليا ليكشفوا للبشرية عن هذا النور ، الذى تتطلع اليه العيون الكليية فى كل مكان ، أن المسلمين الذين يبلغون ألف مليون من البشر فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى عليهم مسؤولية ضخمة ليقدموا للبشرية عقيدة التوحيد بمنهجها الاجتماعى الجامع بعد أن تحطمت تلك العقائد والنظم والأيدولوجيات القلقة المضطربة العالجة عن تقديم الأمن النفسى وسكينة القلب .



### اعطيناهم التجريب واعطونا أرسطو

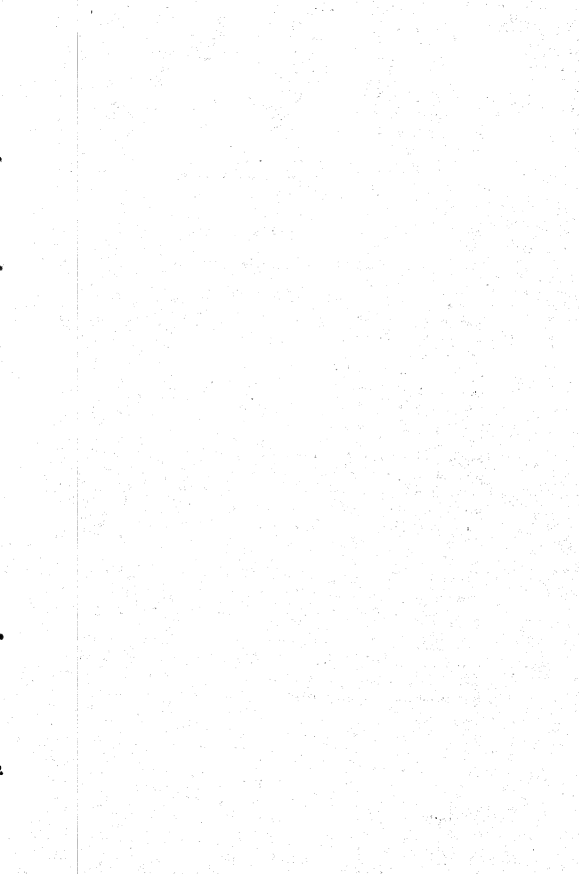
أن المسلمين اليوم حين يطلبون العلم التجريبى وصولا الى التكنولوجيا إنما يطلبون شيئا شاركوا فى صناعته وساهموا فى بنائه وانماؤه وهم اليوم حين ينقلونه الى محيطهم وإلى لغتهم إنما يحققون للعلم رسالته الربانية الأصلية . فان الاسلام له مفاهيمه الخاصة فى استعمال العلم وفى صناعته فهو يجعله لله خالصا بيرا من الظلم ، عادلا شاملا للبشرية كلها لا يمرض به الحياة للأخطار أو يهددها بالدمار وانما يؤدى بها الى الأمن ، فالعلم فى مفهوم الاسلام من أجل الإنسانية كلها أخوة ورحمة ، والتقدم هو بمفهومه الجامع معنويا وماديا وهو مكتول بأمانة الله ووجهته الى الخير والسلام .

وليذكر المسلمون أنهم أعطوا أوروبا المنهج التجريبى الإسلامى ليحييها فلما عادت أوروبا أعطت المسلمين المنهج الأرسطى لتمييزهم ، فلما أخذ المسلمون ( بنصيحة طه حسين وطفى السيد ) عزلهم عن حقيقة الإسلام التى أقامها المنهج التجريبى حين رفض المسلمون منهج أرسطو وحين لم يجد الغربيون الطريق الى العلم الا حين حملوا أرجاتون أرسطو ونقدوه بما لم يزد بها نقده به المسلمون .

ولم يتيبن المسلمون هذه الحقيقة الا منذ وقت قريب فقد كان الكيد يدير لهم حتى لا يصلوا الى الجذور التى كانوا هم أصحابها وبناتها وحيلة الويتها والتى صنعت للبشرية نهضة فى اطار الإيمان بالله والأخلاق والرحمة .

ومن هنا علا صوت الدعوة الكريمة التى حملها مؤتمر العلم والتكنولوجيا الى المسلمين جميعا باعادة صياغة العلوم التجريبية صياغة اسلامية تربطها بالعقيدة وتعمق الوجدان الدينى عند الدارسين وتشعرهم بعظمة الخالق وقدرة المعجزة بما يحقق قوله تعالى : « **أَنَّمَا يُخَشِى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** » وبزيل تلك التفرقة المصطنعة بين الدراسات الشرعية عند البعض من ناحية والعلوم البحتة من ناحية أخرى ، تلك الفرقة التى سرت اليأس من اتخاذ المناهج الغربية فى تدريس تلك المواد بمعزل عن الدين .

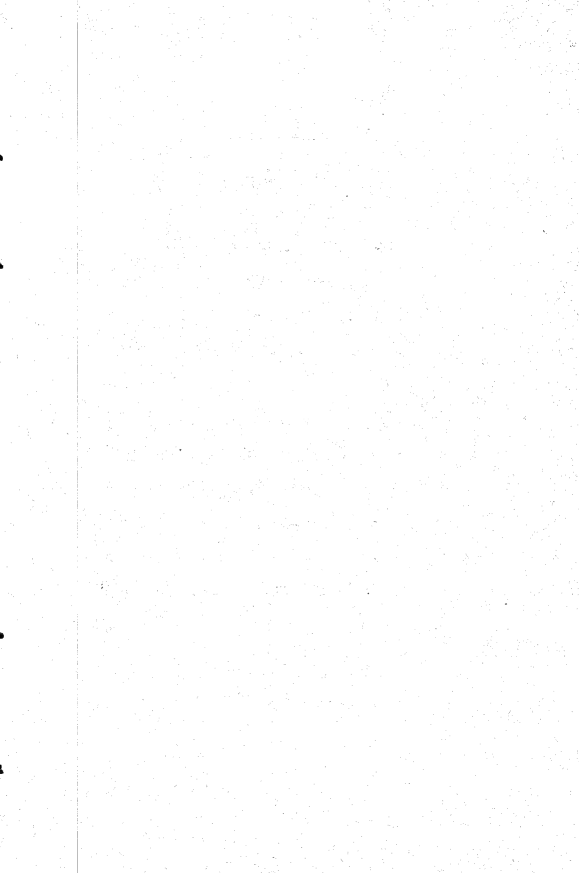




## الباب السابع

### رواد في كل الميادين

- ١ - لماذا كان الخليل بن أحمد هدفا للغريب والغزو الثقافي ؟ .
- ٢ - الإدريسي : استاذ الجغرافيا وليس بطليموس .
- ٣ - البيروني : حقق مسألة علمية وهو على فراش الموت .
- ٤ - ابن ماجد : هو الذي دخل الهند وليس فاسكودي جالما .
- ٥ - طارق بن زياد .
- ٦ - عباس بن فرناس : العربي الأول الذي خلق في الفضاء .
- ٧ - الدورة الدموية : عرّفها العرب قبل أوروبا .
- ٨ - المسلمون رواد الكيمياء ( والطاقة الذرية ) .
- ٩ - المسلمون هم مخترعو الكسور العشرية .
- ١٠ - عروبة دون كيشوت .
- ١١ - المسلمون أول من أطلق الصواريخ .



## لماذا كان الخليل بن أحمد هدفاً للتغريب

لماذا نجد الخليل بن أحمد اليوم هدفاً من أهداف التغريب والفترو  
التفاقي توجه إليه السهام وتوجه إلى عالموده الشعرى ؟ ذلك لأن الخليل  
أعطى الشعر وأعطى النحو وأعطى الموسيقى قانوناً عجيباً ما زال موضع  
كراهية وحقد خصوم اللغة العربية الذين يدعون إلى ما يسمونه كسر  
النص ، فهم من أجل ذلك يحملون عليه ويسخرون منه وهو سائق المكانة  
لا تهزه هذه الكتابات المحرفة .

وليس هذا شأن الخليل بن أحمد وحده ولكن سهام التغريب والفترو  
التفاقي لم تدع أدبياً صحيحاً أو شخصية ممتازة في الفكر الإسلامى والأدب  
العربى إلا حاولت النيل منه ، فعلت ذلك في المتنبي وفي الغزالي وفي ابن  
تيمية . . في نفس الوقت الذى حاولت فيه أن تعطى من شأن الشعوبيين  
والمارقين أمثال بشار بن برد والحلاج وأبى نواس وابن الراوندى . وكذلك  
تمى قد نسبت إلى عمر الخيام العلامة التجريبى الكبير شعراً يحض على  
الفساد والخمر . .

ومن أجل هذا غان علينا أن نكون حريصين أشد الحرص على حماية  
هذه الشخصيات الكريمة من هذا الاتهام ، وأن نحرر فكرها وحياتها ونكشف  
عن وجه الحق فيه .

إن الخليل بن أحمد عمرو بن تميم الفراهيدى أخرجته البصرة كما أخرجت  
عدداً كبيراً من أعلام الفكر الإسلامى ، درس الفقه واللغة على أبى أيوب  
السجستانى ورأى الفززدق فى صباه كما تلقى على عاصم الأحوال والعوام  
ابن حوشب ولقد ذهب فى شبابه إلى بلاد الروم مجاهداً للدفاع عن ثغور  
الإسلام . . وقد أحب علماء العربية والنحو وأمضى ثلاث سنوات يجلس  
إليهم فيسمع منهم ولا يشترك معهم فى الجدل والمناظرة . وقد عاصر شيخ  
العربية عمرو بن العلاء ، وحضر مجلسه وكان قد مضى على عمرو أكثر من  
خمسین سنة يدرس اللغة ، وقد أغراه بعض أصحابه أن يجادله وينتصر  
عليه فيتحدث عنه الناس ويرتفع اسمه ، ولكنه رفض ذلك وأثر أن يظل  
بمنزلة التلميذ مهما بلغ به العلم . وكان الخليل محباً للوحدة راغباً فى الصحراء  
يخرج من المدينة إليها حيث يتفرد بنفسه ويدير فى عقله أفكاراً ومعانى كانت  
إرهاصات لانشائه قواعد النحو وضوابطه .

ذلك انه بدأ يضع « قواعد جديدة » فيه لم يكتشفها أصحاب العربية ، ولم يلبث ان انقطع عن الناس كلية ، يخرج في الصباح الى الصحراء فلا يعود الا في الغسق ، يسير على غير هدى وهو من خلال ذلك يدون شيئا في صحيفة معه . ولم تلبث التهويمات ان تكشفته له عن شيء واضح ناصع وصفه في قوله :

« ان ابا الأسود الدؤلى ضبط حركات الحروف من فتح وضم وسكون بوضع نقاط بأعلى الحروف أو أسفل منها أو عن يمينها أو شمالها وقد اخلطت النقاط المميزة للحروف بالنقاط المميزة للكلمات وقد أردت ان أسهل على الناس بان أوجد ما يضبط به الناس الكلمات دون الحاجة الى تغيير الحروف ودون ان يضطربوا من كثرة النقاط واستعمالها ، والأمر الذى خطر فى بالى هو أن أرسم فوق كل حرف صورة حركة المد التى تقابل حركته فان كانت حركة الفتح وضعنا الفاء صغيرة ، وان كانت الضم وضعنا واوا صغيرة وان كانت الكسر وضعنا ياء صغيرة . فلما أذاع الخليل طريقته استقبلها الناس — كمعادتهم دائما عند استقبال كل جديد — بوجوم بالغ ، وقالوا : هذه بدعة وخروج عما ألف الناس .

وقد دافع الخليل عن طريقته حتى اقتنع الكثير من مخالفيه وكانوا قد خافوا على نص القرآن ان يتغير بهذا البدعة . ومضت فترة من الزمن فاذا الخليل يخرج على الناس بشيء جديد . ذلك انه بينما كان يسير فى السوق سمع اصوات المطارق على الطشوت .. هناك اكتشف سر الموسيقى واصلها ، ولم يقف عند هذا بل قاده ذلك الى وضع اصول علم العروض ..

قال الخليل — ان هناك ثلاث نقرات :

الاول : دقة وسكون ( تن ) .

الثانية : دقتان وسكون ( تتن ) .

الثالثة : ثلاث دقات وسكون ( تتنن ) .

وقال ان هذه النقرات اذا تتابعت وتداخلت كونت الموسيقى ، وان اختلاف تداخلها وتتابعها هو الذى يولد اختلاف النغمات .

ومضى الخليل يتصل بأهل الغناء واستأذهم ابو رافع ، ومضى يعيىش فى الحائهم ويفشى مجالسهم ومعه لوح يكتب فيه رموزا لا يفهمها أحد سواه ، ولم يلبث ان قال كلمته الخالدة ( السكون فى الشعر هو السكون فى الموسيقى ) .

وأداء ذلك الى أن يصل الى العروض ، فقد كان الشعر العربى قبله لا ضابط له فمضى يحصر اصول الانغام والتواقيع موقنا بأنه سيبسط

وضع مقاييس الشعر ، وكان في خلال تأملاته تلك يعكف في منزله على بئر وقالوا انهم كانوا يدخلون عليه الدار فلا يرون منه الا قامته . أما رأسه فقد أخفاها في فوهة البئر ، ويسمونه بخرج أقوالا لا معنى لها يكررها ، ويقررون منه فيرون رأسه وقد تدلى في البئر منقوش الشعر . فلما سئل في ذلك قال : ان مقاطع الشعر تظهر واضحة في الصدى الذي يحدثه البئر . وانتقل بعد ذلك إلى مرحلة أخرى من عمله هذا ، حيث رجع إلى أشعار العرب ، فأخذ يقطعها معتبرا الحرف الساكن آخر المقطع ، وقابل بين المقاطع وانتهى من ذلك بوضع أصول الشعر والنظم ..

« حصرت الانعام ومقاديرها ، وأتواعها فضممت كلا إلى نوعه ثم حصرت أوزان الشعر العربي بتوفيق الله تعالى لا أفكر في حصر الفاظ اللغة العربية بشكل علمي تام كامل لا يغادر منها فيه لفظ » .

هذه هي الفكرة البارقة التي كانت تملأ نفسه والخواطر التي تدور في أعمائه وهو في طريقته من البصرة إلى خراسان ليعيش في ظل صداقة حبيبة لنفسه في شخص « الليث بن مظفر بن سيار » .

ثم لم يلبث أن وضع مقومات هذا العمل الضخم ورسم خطوطه وترك امره إلى الليث الذي أتته وهو كتاب « العين » الذي يعد دائرة معارف ضخمة وضع مقدمتها الخليل .

فلما أتم بحثه قصد المسجد الجامع وعرضه على الناس : ذلك هو « علم العروض » الذي اندهال الناس عليه لتعلمه فوقف نفسه على انهامه للناس .

ومن قوله في ذلك ان العرب قد استخدموا التفاعيل الثماني عشرة بجرا مع انها تعطى أكثر من ذلك حين تجتمع وتركب .

ومضى الخليل يركب بحورا جديدة ويخرج بها شعرا من أوزان جديدة .. هذا العمل الضخم ينظر اليه الماركسيون ودعاة التغريب في سخرية ، وهو دليل على عجزها عن فهم أصالة هذا الفكر أو تقدير عمل العاملين في مجال البحث ، وهذا شأن التافهين الزائفين . ولما كان قولهم يناق الأصاله والنظرة وتقدير العلماء ومنهم حقائق الأمور فانه فاسد تضرب به وجوههم ويرد عليهم ولا يستمع لهم فيه الا التافهون الفارغون .

أما حياة الخليل فلم تكن صفوا كلها ، كانت حياة قصيرة يملؤها ورع عجيب لا يقبل عطاء أحد مهما كان ولا يريد أن يكون خائما للسلطين والأمراء حتى قالوا : « انه أقام في حصن من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين » !! وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال ، وأية خلقه انه رفض أن يكسب سنوات يستمتع في حلقات العلم تون أن يشارك في الجدل .. يقول سفيان الثوري : من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فليُنظر إلى الخليل بن أحمد .

كُنَّا وصفه أبو حاتم بقوله :

قد صاغبه الله من تبر ومن ذهب  
وصاغ راحتته من عارض عطل

وقد كان سمح الوجه ، صافي الذهن ، عبقريا ، لا يعادى احدا ولا يتشقى  
بل يتغاضى دائما ويتسامى عن صفات الأمور .

كانت لآية ذهنه اللامح ، أنه يحاول أن يستخرج من الظواهر اصولا  
تجمع في قانون واحد . وبلغ من ورعه وزهده وقناعتة عما في أيدي الناس قوله :  
« لا غلق على بابي فما يجاوزه همى » .

رفض دعوة أمير الأهواز وفارس « الأمير سليمان بن حبيب المهلبى »  
الذى بعث اليه بهدية في مائة ألف درهم ويدعوه الى أن يقدم اليه فيلزمه  
ويناديه ويؤدب اولاده .

رفض الخليل الفقير الذى لم يكن في بيته ثمن كسرة من الخبز هذا العرض  
وقال لرسول الأمير :

أرى هذه الكسرة من الخبز ، أنها زادى الوحيد ولكنها كافية لسد رمقى ،  
وما دام عندي منها فليست بحاجة الى سليمان .. أما هذه الدراهم الكثيرة  
فعند الأمير من الشعراء من هم في حاجة اليها .

وكان لهذا التصرف اثره البعيد في نفوس طلابه ، وتحدث به الى الناس  
في البصرة ولكنه لم يكن لينظر الى ذلك بل كان يربأ بنفسه أن يكون عبدا  
لأمير ، ويرفض أن يبيع علمه وعزته وعقله بالمال .

كانت نظرته الى الحياة أعمق من أن يكون عبدا للمال ، وكان يحتقر  
الظواهر ويمتنع التجميل . ومن شعره قوله :

الرزق عن تسدر لا الضعف ينقصه  
ولا يزيدك فيه حول محتال  
والفقر فى النفس لا فى المال تعرفه  
ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال  
ويقول :

« أكمل ما يكون الانسان عقلا وذهنا ، اذا بلغ ثلاثا وستين سنة . وأصفى  
ما يكون ذهن الانسان فى وقت السحر » .

ولقد خرج الخليل في أيامه الأخيرة من البصرة الى خراسان بدعوة  
من تلميذه الليث بن المظفر أمير خراسان يشيعه ثلاثة آلاف رجل ساروا معه  
حتى بلغوا « المريد » فأوقفهم وخطب فيهم بما يشبه الاعتذار عن خروجه .



ثال :

« كانت هذه أيام سد فيها باب المعاش ، وتضرر الأهل والولد ، وكثر اللوم فلم يثنى عن عزمى إلا دعوة رجل صالح عالم قصد أن يوفر لى الراحة فى الشيخوخة بأجر انتقاضه على علمى ، فيسهل العيش على الأهل » .

وكان الليث بن المظفر كاتبها وعالما ، وقد تلقى الخليل بالحنافاة والتكريم ، ولكن الخليل كان مشغولا بحصر تراكيب اللغة والفاظها فيما عرف بعد بكتاب ( العين ) الذى كتب مقدمته ومنهاجه وتركه الليث بعد أن قال له : لقد شخت يا بنى ولم يعد عندى من الحيل والقوة ، وأبدى استعداداه لقراءة كل ما يحرقه ، ويجيب على كل سؤال ، وقد أهداه الخليل مذكراته وملاحظاته وتقييداته من اللغة ليستفيد بها .

وقد حصر فى كتاب العين لغة العرب ثم لم يلبث أن هتف به هاتف الحج ، فسافر الى مكة وقصد منها الى البصرة التى استقبلته مكرمة اياه .. حيث اقام بتيه ايامه .

وفى هذه الفترة التقى بتلميذه « سيبويه » الذى كان يكتب كل ما يقوله والذى كثر ترده على مجالس الخليل حتى أحبه وقال له : « مرحبا بزار لا يمل » .

وكان يسأل الخليل ويسأل ، ويكتب فى الواحه ، وقد وجد فيه ما لم يجده فى تلاميذه حتى قيل أن الأمر بلغ بينهما الى حد أن كانا يتكلمان فلا يفهم أحد ما يقولان ، وقد جمع سيبويه أقوال استأذه فى النحو وأخرج مصنفا هاما ..

ومن تصانيفه : العين فى اللغة والعروض والشواهد والنقط والشكل والنغم .

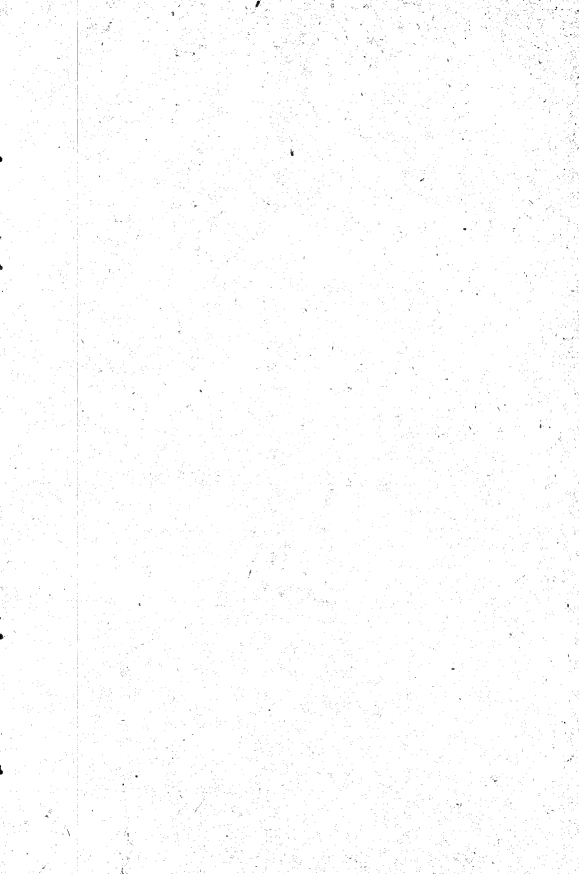
ثم جاء ختام حياته متنقيا مع طبيعته العالمية الحاذقة ، المندفعة الى البحث والى تجميع الأصول : ذلك أنه رأى الجارية تخاصم البائع وهى تطالبه بدراهم أخذها منها بهفالتنه اياها ، فأراد أن يقرب نوعا من الحساب تمضى به الجارية الى البائع فلا يمكنه ظلمها ويدخل المسجد وهو يعمل فكره فى ذلك فاصطدم رأسه بالسارية الضخمة فوقع وأحدث صوتا شديدا وانقلب على ظهره وتدرج الى الأرض مضرجا بالداء .

وكانت هذه نهاية الرأس المفكر الذى أخرج للناس علما وفكرا سيزل أثره باقيا ما بقيت العربية .

فلما اجتمع الناس حوله قال عبارته الأخيرة :

« لا تبكوا فوالله ما فعلت فعلا أخاف على نفسى منه .. وكان لى فضل فكر صرفته الى وجهه وددت بعد ذلك انى كنت صرفته الى غيرها وما علمت ، انى كذبت متعمدا قط وأرجو أن يغفر لى التأول » .

توفى عام ١٦٠ هـ ، بعد أن عاش حياة خصبة عريضة .



## الإدريسي : أستاذ الجغرافيا وليس بطليموس

**نصف مليون درهم مغربي + ثلاث سنوات + ١٥٠٠ صفحة عن الشريف الإدريسي : أول عمل موسوعي كبير : في كتابين أحدهما للأستاذ محمد بهجة الأثري والثاني الدكتور أحمد سوسة :**

قدمت خارطة الإدريسي في أكثر من ألف صفحة وتتضمن زهاء ( ٣ ) آلاف مادة ( وذلك في صورة معجم جغرافي تاريخي . حرر الأستاذ الأثري أسماء الأقاليم والمدن والجبال والبحار والبحيرات والأنهار من التحريف الموجود في الخارطة ووضع كل اسم في مكانه الصحيح ونطقه الصحيح فضلاً عن عرض ما طرأ على المدن من ازدهار واندثار مع ذكر ما كانت عليه قبل الإدريسي ويعنده .

أعربت نقابة المهندسين العراقيين التي قدمت هذا العمل عن اغتباطها بنشر هذه الدراسة عن الجغرافي العربي الأشهر الشريف الإدريسي الذي رفع اسم العرب عالياً بكتابه ( نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ) وكان من مصادر اكابر الغرب والشرق للمكانة العلمية التي أحرزتها أمتنا العظيمة في مضمار المعرفة وكان الشريف الإدريسي قد طبع خارطة العالم التي وضعها للملك النورماني ( ريتشارد الثاني ) في العصر الوسيط وقرعها في كتابه ( نزهة المشتاق ) سبعين قطعة وشرح ما فيها من أعلام الأقاليم والمدن والجبال والأنهار والبحيرات والبحار واصفاً وذاكراً للمسافات بين مدن العالم المعروف يومئذ من أوروبا وآسيا وأفريقيا .

ثم قام المستشرق الألماني ( كونراد ملر ) فاستخرج هذه القطع السبعين من كتاب الإدريسي ووحدها في شكلها المجمع ونشرها ملونة ومكتوبة بالحروف اللاتينية حتى نقلها إلى العربية الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي إلى اللغة العربية محققين لأعلامها مستدركين على المستشرق الألماني وتولى مجمع بغداد طبعتها عام ١٩٥٠ ثم أعيدت اليوم بشكل أجمل وأروع .

وهذا العمل يكشف عن مدى قدرة هذه الأمة على العطاء وعلى طاقاتها الحيوية الهائلة والدور الفريد الضخم الذي قامت به هذه الأمة في بناء الحضارة العالمية ، فهذا الشريف الإدريسي الذي أرسل بعثات من عدد من الخبراء الموثوق بهم إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب فيعود

كل مبعوث بوصف ورواية لما سمع وتصوير لكل الأقاليم التي مر بها وتقوم هذه الأعمال التمهيدية حوالى خمسة عشر عاما واستنادا إليها يضع الإدريسي لوحة الترسيم والكرة الفضية للعالم ومرتمسات وخارطات تفصيلية كثيرة بحيث يجيء كتابه آية في الكمال بالنسبة الى عصره بفضل الإدريسي ومن سبقه ومن تبعه من العلماء . فكان هذا العمل هو المستند الأول لعلموم العصر الحاضر في هذين المجالين .

والشريف الإدريسي بهذا العمل كان استاذ الجغرافيا الذى علم أوروبا هذا العلم وليس بطليموس ( شأنه في ذلك شأن ابن خلدون في التاريخ والاجتماع ) وقد دام الشريف الإدريسي معلما لأوروبا ثلاثة قرون لم يكن لأوروبا مصورا للعالم الا ما رسمه الإدريسي . هذا ما يقوله الباحثان الفرنسي جوتييه . ولد الإدريسي بمدينة سبتة المغربية عام ٤٩٣ هـ - ١١٠٠ م ورحل الى قرطبة ليتلقى العلم فيها وقام بعدها برحلاته الجغرافية وغيرها شمال إفريقيا وغيرها من البلدان .

ودخل الإدريسي صقلية حوالى ٥٣٣ هـ - ١١٣٨ م بدعوة من الملك روجر الثانى الذى طلب منه تأليف كتاب نزهة المشتاق فظل الإدريسي خمسة عشر عاما في جهد متواصل لى يكمل تأليف موسوعته الجغرافية وليرسم خارطة مرفقة بالكتاب مع صياغة كرة أرضية من الفضة .

بالاضافة الى هذا العمل الضخم : الف الإدريسي كتاب ( روض الأنس ونزهة النفس ) ولف كتاب ( الجامع لصفات اشبات النبات ) وأورد فيه ذكر أنواع المفردات من الأشجار والحيوانات والمعادن .

\*\*\*

### آخر العالود

يقول محمد قطب :

على الانسان ان يزكى نفسه ولا يذنبها بان يجلو فطرتها فتتهدى الى الله خالقها وتستمد منه التوجيه ، وحين يحدث ذلك تصبح هذه الذرة الضعيفة النائية الغائبة اقوى عنصر على الأرض واضخم طاقة .. هذه النفحة الالهية فى الانسان تهتدى الى الله بالفطرة ما دامت سليمة ، والانسان هو الذى يوكسها ويغشها فلا ترى سبيلها اليه .. وحينئذ تنحرف وتضل وتحدث كل انواع الظلم لنفسه وللآخرين وكل انواع الفحش وكل ألوان الفساد ..

\*\*\*

البير ونى : حقة مسألة عالمية وهو على فراش الموت

ما تزال صور التاريخ الاسلامى تكشف عن عظمة هذه الأمة وتقدم قدرات عالمية من هذه النماذج : هذا الرجل العظيم هو البيرونى .

روى ياقوت بن النيسابورى ان قاضيا من اصحاب ابي الريحان البيرونى قال : دخلت على ابي الريحان وهو يجود بنفسه . وقد حشرج نفسه وضاق صدره فقال لى فى تلك الحال :

— كيف قلت لى يوما شيئا عن حساب الميراث القادمة .

قلت له اثباتا عليه : اى هذه الحالة ؟

قال لى : يا هذا ، اودع الدنيا وانا عالم بهذه المسألة . الا يكون خيرا من ان اخليها وانا جاهل بها ؟

فاعدت فلك عليه وحفظه وعلمنى ما وعد .

وخرجت من عنده وانا فى الطريق سمعت الصراخ .

فلك هو البيرونى العالم المسلم الذى عرف بآثره الضخم الذى تركه فى علم النظائر والذى ما زال حتى اليوم باقيا مفضلا عن كتابه عن الهند الذى ظل مرجعا يستقى منه الكتاب والمؤرخون اكثر من ثلاثمائة عام .

كان طبيبا وفلكيا ورياضيا وجغرافيا ومؤرخا وعالما بالطبيعيات وله مشاركة فعالة فى الفلسفة والعلوم اللغوية والأدب والشعر والفقه .

كما عرف بتعدد فنون العلم وبالمساهمة فى تقدم هذه العلوم .

عاش للعلم متصرفا الى التصنيف ، قيل انه كان لا يكاد يفارق القلم يده والنظر عينيه والفكر قلبه ، وقد حرص على قراءة ثقافات الأمم الأخرى من مصادرهما الأصلية دون الاعتماد على الترجمات . ولذلك درس السريانية والعبرية والسنسكريتية يقول ياقوت انه ذكره فى الأديباء لأن الرجل كان أدبيا لغويا له تصانيف فى ذلك . أما سائر كتبه فى علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فاتها تفوق الحصر ، رأيت فهرسها فى وقف الجامع فى نحو الستين

ورقة وبخط مكتنز . وقد عرف من بعد أن كتبه تبلغ بين مطبوع ومخطوط مائة وثمانين كتابا .

ويقول عنه لويس ماسينيون :

لقد فهم البيروني تمام الفهم الدور العالي للغة العربية بوصفها بين اللغات السامية — أهم لغة حضارة — وأدرك مقدرتها على التركيز والتجربة وتركيبها عن طريق الاشتقاق بدلا من الزوائد وقيمتها في توحيد المتكلمين بها .

ويقول عنه آرثر ايهام بوب :

البيروني من أبرز العقول المفكرة في جميع العصور ، يتميز بالصفات الجوهرية التي تخلق العالم ، وأنه لفي الإمكان تجميع عدد كبير من الاقتباسات عن مؤلفات البيروني كتبها منذ ألف سنة وهي تسبق كثيرا من النماذج والمواقف العقلية التي تفترض اليوم أنها حديثة .

هذا شيء من رأى العلماء والباحثين في هذا العلامة الإسلامي الكبير الذي ظل تاريخه ونفله محجوبا إلى عهد قريب حتى كشف عنه الباحثون الأوروبيون : ولد في ضواحي خوارزم — سبتمبر ٩٧٣ م — ورحل إلى جرجان في شبابه والتحق ببلاط أميرها قابوس بن وشمكير الملقب بشمس المعالي وقد اتصل الود بينه وبين ابن سينا .

الف كتابه ( الآثار الباقية من القرون الخالية ) وأهداه إلى شمس المعالي : الكتاب يبحث في تقاويم الأمم القديمة وأعيادها ومواسمها ومقارنة ذلك بعصر المؤلف .

عاد إلى خوارزم فعاش في بلاط أميرها أبو العباس المأمون بن محمد ، ثم لما استولى محمود سبكتكين على خوارزم أخذ في الأسرى ثم استبقاه السلطان لعلمه وأخذ معه إلى بلاده . ودخل أبو الريحان الهند مع السلطان في فتوحه في تلك البلاد التي استمرت إلى عام ١٢٠٤ وكانت فترة إقامة البيروني في بلاط غزنة أبرز فترات نشاطه العلمي وأكثرها إنتاجا .

بحث في كتابه ( الآثار الباقية ) الذي ترجم للإنجليزية عام 1٨٨٧ عن الشهر واليوم والسنة عند مختلف الشعوب والأمم القديمة من آشوريين ويونانيين إلى وقت البيروني وهو أول مبحث للأشهر الفارسية والعبرية والهندية والتركية بين كيفية استخراج التواريخ بعضها من بعض .

وله كتابه الخالد : « تحقيق ما للهند من مقولة معقولة في العقل أو مرذولة » أهداه السلطان مسعود بن محمود الغزنوي عكافاه نظير كتابه حمل قيل مع راحه من الفضة الخالصة ، ولكن البيروني اعتذر عن قبول الهدية في شتم وأباء وقال أنه لا يحتاج إلى شيء في الدنيا بعد كتابه هذا . ويعد من أكبر أعمال البيروني : ما قام به من تعديل في رسم الأرقام الحسابية العربية وهي الأرقام الهندية التي أدخلها إلى العربية وهو صاحب الفضل

الأول في ابتكار الكسر العشري فضلا عن ابتكاراته الأخرى وهو أول من وضع أصول الرسم على سطح الكرة وإن أحدا لم يعرف ذلك قبله .

وكانت له في تقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية وعلم المثلثات وفي علم الضوء قواعد هامة ، وله معادلة مشهورة باسم ( قاعدة البيروني ) توصل اليها باستخراج مقدار محيط الأرض وسجلها في كتابه ( الاسطرلاب ) .

وآلف كتابا ضخما في الحجارة ، وصف فيه عددا من الأحجار والمعادن وشرح قيمتها التجارية والطبية ووضع القاعدة التي تنص على أن الكثافة النوعية للجسم تتناسب مع حجم الماء الذي يرفعه . وتوصل الى طريقة لحساب تكرار لضعف العدد دون الانجاء الى عمليات الضرب والجمع الطويلة الشاقة . ووضع قاعدة لأسباب خروج الماء من العين الطبيعية والآبار الارتوازية بطريقة الألوان المستطرفة ، وقال أن وادي نهر السند ربما كان في وقت ما قاع بحر .

وهذا ايضا حديث الى الشباب عن أجداد تاريخهم وعظمة تراثهم وفضل الاسلام على الحضارة الانسانية .

\* \* \*

### فشل نابليون

#### ونجح خالد بن الوليد

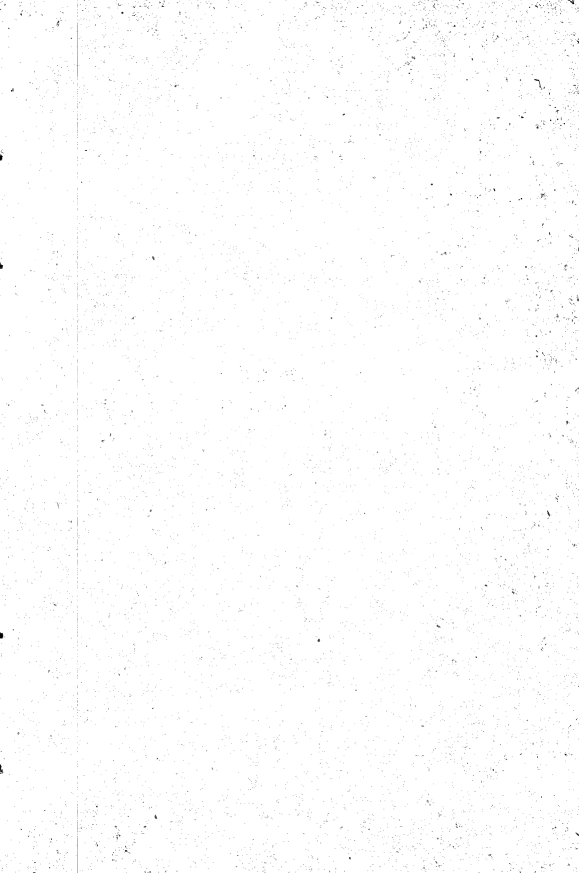
درست معاهد الاستراتيجية العسكرية العالمية وجه المقارنة بين قائدين بينهما أكثر من ألف عام : بين خالد بن الوليد ، ونابليون بونابرت ، وكانت النتيجة لصالح خالد بن الوليد . .

كان مجال الدراسة حرب الصحراء ، فقد سارت قوات خالد من الحيرة الى وادي اليرموك في الشام فقطعت ٥٦٠ ميلا في ثمانية عشر يوما . . بينما قطع نابليون المسافة بين القنطرة وغزة وهي لا تزيد عن ١٥٠ ميلا في مدة خمسة وعشرين يوما . ونجح خالد في مهمته وانتصر في معركة اليرموك نصرا حاسما وقضى على أركان الدولة الرومانية . وفشل نابليون فلم يستطع فتح أسوار عكا .

قالت الدراسة : أن ذلك يرجع الى صلابه جنود خالد الذين كانوا يقاتلون من ايمان وعقيدة بينما لم يكن لجنود نابليون هدف أو ايمان ، كذلك نجح خالد لفكسك جنوده بالنظام ( الضبط والربط ) بينما سرت الفوضى في جيش نابليون .

وقد اتخذ روميل بعد ١٢٠٠ سنة نفس القرار الذي اتخذه خالد بن الوليد في اختراق الصحراء بالقوات الميكانيكية .

وأشاد مونتجيري ببطولة خالد وصلاح الدين وفشل نابليون لأنه لم يقطن الى المعاني التي حققت نجاح خالد بن الوليد .





ابن ماجد : هو الذى دخل الهند وليس فاسكودى جاما

« لا تتوكل الحزم ، والحذر كل الحذر من قول الجهال والبياحين .. وربما اتكأ المغرب وأنت في ظلمة الأسود مفترضا على أول آفته طول الليل بريح طيب ومجراتك الواقع ويعتجب السمك بالكوس فالحذر الحذر من مثل ذلك وهما ستون باعا على راسي نائوهما فلا تدخلن في أقل من ذلك إلا عند ربح التلبات .. وكل غيبة أحسب حساب ربحها وموسمها فان المرء عذو ما جهله ولا تخف من الريح والموسم ولا تنزعج من كلام الركاب والبحارة » .

هكذا كتب شهاب الدين أحمد بن ماجد « أسد البحر » في كتابه الفوائد بعد أن طوف بالبحار وبلغ ستين سنة ، ولكن ، هل توقف عن العمل ؟ لقد وصل فاسكودى جاما الى ملندي باحثا عنمه ثم اصطحبه فكان دليله الى اكتشاف الهند .. ولولا أحمد بن ماجد ما استطاع دي جاما أن يقطع هذه البحار الخائضة . كان أبوه وجده ملاحين شهيرين في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي .

يقول في مذكراته : « .. ان جدى كان نادرة في البحر وقد أخذت علم الرجلين مع كثرة التجربة » وقال ان بحر القلزم — قلزم العرب — وهو البحر الأحمر ، فيه نواذر وحكمة لم يذكرها الا من جربها لأنه على طريق الحاج وقد كان جدى محققا ومحققا ولم يقر لاحد فيه » ..

وقد ولد ابن ماجد في ( نجد ) وجرى تلقيبه بأسد البحر ، وينسب اليه اختراع الابرة المغناطيسية ، وقد اعتمد عليه الأسطول البرتغالى حيث سمر هذا الأسطول من ملندة على ساحل أفريقية الشرقية الى تاليقوط على ساحل الشاطئ الغربى لشبه جزيرة الهند ، وقد أشار في مذكراته : ان من اختراعه في علم البحر : ( تركيب المغناطيس على الحك بنفسه ) . وقال : ولنا فيه حكمة كبيرة لم تودع في كتاب . وقال المؤرخون ان وصفه للبحر الأحمر لم يسبقه اليه سابق ، ولم يجازاه فيه أحد من مؤلفي علم الملاحة من الأوروبيين الذين كانوا يزاولون الملاحة الشراعية ..

ويقول ابن ماجد في مذكراته : ان أول من ركب البحر نوح عليه السلام وسفينته اسمها ( هراب ) . وقد تكلم عن الطوفان وموضعه والمكان الذى رست فيه السفينة ووصف السفن في جميع سواحل البحر في جميع الأقاليم التى قسمها نوح بين اولاده .

ويقول : أن كل من من فنون البحر له أصل : أما المغناطيس الذي عليه  
المعتمد ولا تتم هذه الصنعة إلا به وهو دليل على القطبين فهو استخراج  
داود ، أما منازل القمر وبروجه فهي من تصنيف دائيال عليه السلام .

ويسبك أحمد بن ماجد تجاربه في توجيهات ، يقول : على الزبان  
أن يعرف المنازل والأخنان والمسافات والبائيات والقياس والإشارات ،  
وحلول الشمس والقمر ، والرياح ومواسمها ، ومواسم البحر وآلات السفن  
ومطالع النجوم ومغاريبها وطولها وعرضها ، وممرها ، كما ينبغي أن يعلم  
جميع البرور وإشارات كالتين والحشيش والحيات والحيتان ، والرياح  
وتغير الأمواه ، ومد البحر وجزره ، ولا يطلع في مركب لا يطاع فيه ،  
ولا مركباً يغير اعتداده ولا في موسم ضيق . وينبغي للمعلم أن يعرف الصبر  
على التواضع ويترقب بين العجلة والحركة عارفاً علماً بالأشياء عزاً فثاقاً  
لين في قوله ، عادلاً لا يظلم أحداً ، مقيماً على الطاعة ، متقياً الله تعالى ،  
لا يغضب التجار على حقوقه إلا على شيء وقع فيه القول . كثير الاحتمال  
على الهبة « ١٠ هـ .

ولد حوالي ١٤٣٢ م وفي عام ١٤٩٨ م اكتشف الهند مع فاسكو دي جاما ،  
تعد كتاباته أعظم أبحاث علم البحر التي اعتمد عليها الغرب الحديث .

يقول الأستاذ بترتون الانجليزي أنه وجد البحارة في عدن عام ١٨٥٤  
يترحمون على ابن ماجد مخترع الابرة المغناطيسية .

ويقول جيمس برنسيت : أن ذكرى ابن ماجد ما زالت حية في الهند  
وفي جزر مالديف في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وهم يعتمدون  
على القواعد الـ ( ٥ ) التي وضعها في علم الملاحة .

أن فاسكو دي جاما الرحالة البرتغالي قد عمل هو وجماعته على استهواء  
الريان العربي ( ابن ماجد ) ليرشداهم إلى الهند عن طريق البحر .. وقد  
توصلوا معه إلى هذه الغاية بأن أسكروه المعتقد من المدام ( ويعتقد أنهم  
سقوه الخمر خدعة ) فقد كاد أحمد بن ماجد بشلاً عالياً من أمثلة الخلق  
الإسلامي الرفيع ..

يقول زكي باشا : وصل البرتغاليون إلى الهند عن طريق رجل من العرب  
عليم بترك البحار وله في هذا العلم تاليف قيمة « ابن ماجد » .. وكان ذلك  
كله غير معروف إلى أهل أوروبا حتى أتاح لي الحظ أن أكتشف عن هذه المسألة  
الخطيرة في محاضرة ألقيتها عام ١٩١٢ ونشرتها في المقتطف ..

لم يصل دي جاما إلى الهند بطريق الصنفة بل الحقيقة أنه اهتدى  
بمعلومات ذلك الريان البحري العربي بعد أن أسكروه بالمعتقد .. وقد استغاث  
أهل الهند بالغوري سلطان مصر فصنع المراكب الجريبة في بولاق ، وأرسلها  
قطعة على متون الجمال إلى السويس وهناك ركبها أهل الدراية البحرية  
من المصريين ثم قام الأسطول المصري فدفن أسطول البرتغال عن مدينة عدن

وكان له في بحار الهند وقائع مع الأسطول البرتغالي نال فيها الظفر وكل  
الفخار ... الخ .

وفي هذا ما يدفع القول بأن العرب لم يكونوا يعرفون آخر حدود أفريقيا ..  
ذلك أن فاسكو دي جاما اعتمد على ملاح عربي في الالتفاف حول رأس الرجاء  
الصالح ، فقد غادر فاسكو دي جاما لشبونة في ٨ يوليو ١٤٩٧ وطاق حول  
الرأس في ديسمبر ، ثم أخذ في ارتداد شرق أفريقيا غرست سفينته في موزامبيق  
عام ١٤٩٨ وأسر من زنجبار . ليس ذلك عن طريق الصدفة ، ويقول زكي  
باشا : كان أكبر ما اندهش له البرتغاليون هو تلك الحضارة الإسلامية  
الزاهرة التي كانت سائدة في غرب أفريقيا ، وقد كان هذا الأمر موضع غرابة  
لأنهم كانوا يعتقدون أنهم سوف يقابلون شعوبا متوحشة ، وكواخا حقيرة  
من الطين وزنوجا يرتدون قطعا من القماش تستر عوراتهم » .

ولقد واجهت أفريقيا بعد ذلك مؤامرة التمزيق حين سيطر عليها الأوروبيون  
من كل لون وملة .. وحاولوا القضاء على حضارتها العربية الإسلامية  
العريقة ونشروا دعائهم المبشرين تحت اسم الكشوف الجغرافية كذبا وضلالا  
ومع ذلك بقيت أفريقيا عليها على الإسلام ولم تتوقف عن الدخول في دين الله  
أفواجا ، حتى قال أحد المستشرقين :

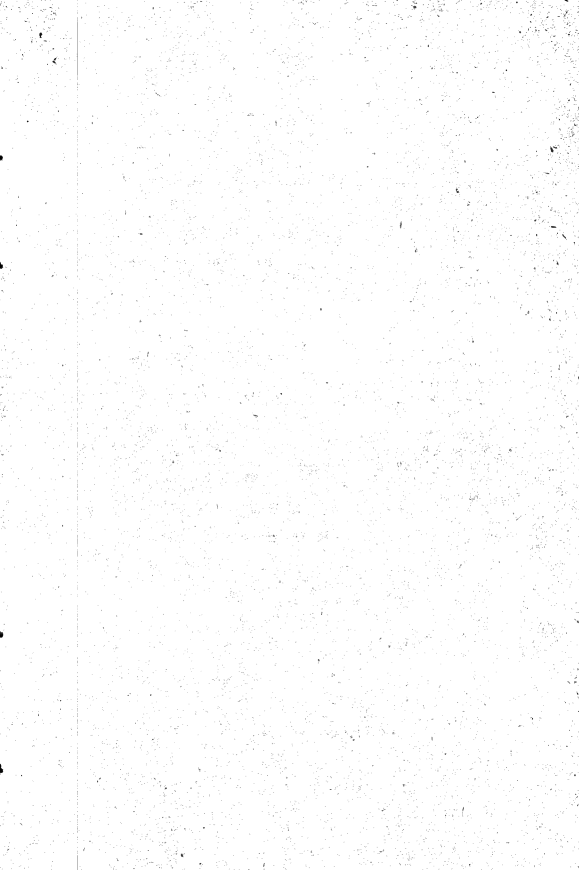
« متى دخلت قبيلة من السودان في الإسلام اختفت عنها في الحين الوثنية  
وعبادة الشيطان ، وعبادة البشر وأكل لحم الإنسان ، وتقديم الضحايا البشرية  
وقتل الأولاد والسحر ، وصاروا يرتدون الثياب ، وحلت فيهم النظافة وشعروا  
بالعظمية ، واحترام النفس ، وصار قرى الضيوف عندهم من الواجبات  
الدينية ونذر شرب المسكرات وحرم القمار والرقص المنافي للعفة ومفوضي  
اختلاط الجنسين وصارت طهارة العرض من أعظم الفرائض ، وذهبت البطالة  
والكسل ، وحل العمل والكسب محلها وتغلب النظام والزراعة على الشقاق  
وحزمت القسوة على الحيوان والعبيد وتعلموا الشعور بالإنسانية . »

\*\*\*

### الشعر في سيرة ابن هشام

كشف الدكتور سامي مكي العاني في بحثه عن الشعر في سيرة ابن هشام  
عن حقيقة خطيرة طالما أخفاها طه حسين والمستشرقون ومن لف لفهم  
من أن المسلمين حببوا شعر الجاهلية أو شعر خصوم الإسلام وواووه ،  
وتدل الدراسة أن سيرة ابن هشام ضمت مجموعة كبيرة من الشعر ما لا يقل  
عن أربعة آلاف بيت معظمها من الشعر الإسلامي .. هذه الأشعار موزعة  
بين ١٨٦ شاعرا لا يزيد عدد الجاهليين فيهم على العشرين شاعرا ..

وقد تجاوزت أشعار بعض الشعراء الإسلاميين مئات الأبيات ، فغنيوا  
حسان بن ثابت المسكنة الأولى في كثرة شعره فأوردت له ٧٣٠ بيتا ،  
وكعب بن مالك ٤٣٢ بيتا ، والعباس بن مرداس السلمي ٢٠٠ بيت . وأورد  
لأبي قيس بن الأسلت وبجير بن زهير والنايفة الجعدي كذلك أورد من الأشعار  
الجاهلية لأمروء القيس والأعشى وأمية بن الصلت ، وقد أورد ابن اسحق  
في سيرته كثيرا من الشعر المعارض للإسلام والذي يقال من أصحاب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان قد أهمله ابن اسحق في سيرته ..



## طارق بن زياد

أجرى الباحثون مساجلات واسعة في الأيام الأخيرة حول طارق بن زياد  
فاتح الأندلس وتاريخه وانصببت هذه المساجلات حول عدة موضوعات  
أهمها :

## ١ - الخطبة .

## ٢ - أحراق طارق للأسطول .

أولا : مجمل القول أن الواقدي ( المتوفى ٢٠٧ هـ ) والبلاذري ( المتوفى  
٢٧٩ هـ ) وابن الحكم ( المتوفى ٢٥٧ ) والطبري ( المتوفى ٣١٠ ) وابن الفوطية  
الأندلسي ( المتوفى ٣٦٧ ) لم يذكروا شيئا عن أحراق طارق للأسطول  
ولا عن الخطبة .

أما المراجع التي تعرضت لأحراق الأسطول والخطبة فهي نفح الطيب  
للمقري ، وقد عاش المقري بعد فتح الأندلس بتسعة قرون في حين أن المؤرخ  
التونسي المعاصر له ابن دينار في كتابه ( المؤنس في أخبار إفريقية وتونس )  
لم يتعرض لذكرهما .

ثانيا : أكد ابن الحكم مدى يقظة طارق وحذره قبل مهاجمة الأندلس  
وأنه كان يولي خط الرجعة اهتماما خاصا فيما لو حصل ما لا تحمد عقباه  
حتى أنه حين مر بجزيرة في البحر خلف فيها نفرا من جنده .

كما تجمع المصادر على أن طارق بعد انتصاره الأول قد أرسل في طلب  
النجدة ( جنوب قرطبة ) فأمده موسى بن نصير بقوات قوامها خمسة آلاف  
مجاهد تمكن بها طارق من خوض المعركة الثانية باتليم أشبيلية فبلغ الخبر  
( لذريق ) فزحف اليهم من طليطلة فالتقوا به في موضع يقال له شذرونة  
فقتل لذريق ومن معه .

ثالثا : الذين يرون أن الخطبة منتحلة يقولون أن المراجع التي ذكرتها  
تختلف في رواياتها لنص الخطبة وأن ما جاء فيها مخالف للأهداف الحقيقية  
للفتوحات الإسلامية مثل قول الخطبة .

( واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرغى إلىد طويلا

وقد بلغكم بما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسن من بنات يونان الرافلات  
في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيقان المقصورات ) .

وان هذه العبارات تتعارض مع مفاهيم الاسلام .

رابعاً : يرد الآخرون بأن من المراجع التي تعرضت لاحتراق الأسطول  
والخطبة غير المقرئ في نفح الطيب : صاحب الإمامة والسياسة وهو من القرن  
الثالث الهجري ، وريحانة الألباب للمراغي — القرن السادس — واستفتاح  
الأندلس لعبد الله بن حبيب وابن خلطان — القرن السابع — وتحفة الأندلس  
لابن هذيل — القرن الثامن .

خامساً : ان خطبة طارق شك فيها كبار الباحثين أمثال شكيب  
أرسلان وعبد الله عنان والدكتور أحمد هيكل كما شك فيها الدكتور عبد الكريم  
كريم ، قال شكيب أرسلان : تلك الخطبة الطنانة التي لو حاول مثلها  
قس بن ساعدة أو سحيان بن وائل لم يأت بأفصح ولا بأبلغ منها . ولقد بت  
أفكر ملياً في أمر هذه الخطبة وأقول في نفسي : هذا لغز من الغاز التاريخ .  
وقد بنى الأمير شكيب شكه على أن طارق بربري والخطبة عربية وقال الأستاذ  
عبد الله كنون : ان انطباع البربر بالطابع العربي أمر واضح ففى وقتنا هذا  
نجد الأهازيع شعراء وأدباء انطبعوا بالطابع المغربي العربي .

و قال الدكتور أحمد هيكل : ان أسلوب الخطبة من أساليب العصر  
العباسي .

\*\*\*

## عباس بن فرناس : العربي الأول الذى خلق فى الفضاء

احسنت بلاد المغرب عندما احيت ذكرى « عباس بن فرناس » بمناسبة مرور مائة عام بعد الألف على وفاته بوصفه الرائد الأول فى عالم الطيران ، هذا الرائد المسلم العربى المغربى الذى التحق بالانكلس .

ومن الحق للمغرب وللعرب ان يفخروا بهذا الرجل الذى فتح الطريق الى هذه الانتصارات الرائعة التى بلغها علم الطيران التى كانت تجربة عباس بن فرناس هى المحاولة الاولى التى عكف عليها علماء الفضاء اواخر القرن التاسع عشر عندما بداوا فكرة الطيران الى الفضاء ومنها كان معرفة الخطأ والصواب .

يقول الدكتور عبد الهادى التازى ان شخصية عباس بن فرناس ذات جوانب عديدة من الصفات والأخلاق الحميدة التى جعلته يتبوأ مكانة سامية فى المجتمع الذى كان يعيش فيه ، وقد التحق بالبلاط الأموى فى قرطبة فعاش ثلاثة من الخلفاء ( الحكم بن هشام وولده عبد الرحمن وحفيده محمد ) حيث شارك فى مجالس العلماء والشعراء والادباء ، كما شارك فى المبارك التى وجهت لمقاومة التمرد والتواطؤ على الدولة الاسلامية بالانكلس .

وقد كان له شعر حفلت به عيون الأدب العربى ، منها ما وصف به قصر الرصافة عندما جنده الأمير محمد عبد الرحمن وقصيدته الرائعة هى تلك التى حيا بها الملك محمد بن عبد الرحمن حين انتصر على أوديتو ملك ليون حفيد الفرستو الثانى الذى شجع المتمردين فى طليطلة وانتصر المسلمون عليها عام ٢٩٠ هجرية فى معركة اطلق عليها وادى سليط ومن ذلك قوله :

ومختلف الأصوات مؤتلف الزحف	لهوم الفلا ، عبل القسائل ملطف
إذا أومضت فيه الصوارم خلقتها	بروقا تراءى فى الجهام وتستخفى
كأن ذرى الأعلام فى سيلانه	فراقده يم قد عجزن عن القذف
وان طحنت أركانها كان قطبها	مجي ملك نجد شمائله عف
سمى ختسام الأنبياء محمد	إذا وصف الأملاك جل عن الوصف
فمن أجله يوم الثلاثاء غزوة	وقد نقص الصباح حل عرى السجف
بكى جبلا وادى سليط فأعولا	على النفر العيدان والعصبة الغلف

هذا عباس بن فرناس صاحب التجربة الأولى فى الطيران ، الذى لم ينسه

الباحثون العرب وفي مقدمتهم العلامة أحمد تيمور باشا الذي كتب منذ مطلع هذا القرن في مجلة المقتبس يقول :

«هما نسيئا فلن ينسى التاريخ أبا القاسم عباس بن فرناس الحكيم الأندلسي كلما ذكر زبلن وسنجر واضرابهما فإن من يرجع البصر في صفحاته يجد بين من خصهم الله بمواهب في استخراج العلوم واستنباطها اسم هذا الحكيم معروفا بالغرائب والمدهشات فهو أول من استنبت بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة ، وصنع الآلة التي تعرف بها الأوقات على غير رسم ومثال ومثل في بيته الساء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها تمثيلا يخيل للناظر أنه حقيقة فقال مؤمن بن سعيد الشاعر يداعبه :

سماه عباس الأديب أبي القاسم ناهيك حسن رائتها . وهو الذي احتال في تطير جثمانه فكسا نفسه الريش ومد جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتياط في وقوعه فتأذى في ظهره لأنه لم يعمل له ذنبا ولم يدرك أن الطائر إنما يقع على زيمه . وفيه يقول الشاعر المؤمن بن سعيد :

تطم على العنقاء في طيراتها إذا ما كسا جثمانه ريش تشعم

فمرى من ذلك أن الرجل كان من أسبق الفائزين بالطيران من بنى الإنسان ولا يفض من اختراعه لقصره في الشاؤ البعيد فذلك شأن كل مشروع في بدايته وحسبنا أن ينتحلي هذه الصناعة مع ما مر عليهم من القرون لم يزالوا دون الغاية المطلوبة منها إلى اليوم أفلا يكون من الاتصاف التنويه بذكر هذا النوع .

وهكذا فإن أحياء ذكرى عباس بن فرناس في المغرب يجد صدق في نفوس مفكرى العرب والمسلمين جميعا فهم لم ينسوه وقد كتبوا عنه في أكثر من مناسبة .

إذا كنا نذكر من المغرب القديم ابن فرناس فإنا نذكر من المغرب الحديث عبد العزيز الثعالبي الرجل الذي كان من أول الناهضين بالفكر والوطنية في تونس الخضراء حتى مات شهيدا على أثرها .

\*\*\*



## الدورة الدموية : عرفها العرب قبل أوروبا

يقول العلامة جورج سارطون في كتابه مقدمة تاريخ العلم أن ابن النفيس قد اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل أن يعرف ذلك ( ميخائيل سرفيت ) الأسياني بمائتين وخمسين عاما ، وقد عرف العرب لابن النفيس فضله في ذلك بينما سرفيت الألماني أحرق علنا في جثيف بأمر المصلح الديني ( كلن ) .

وابن النفيس ( على بن حزم القرشي ) هو كبير أطباء مصر في مستهل القرن السابع ولد في دمشق ( ٦٠٧ هـ - ١٢٦٠ م ) ودرس الطب على مذهب الدين الدخوار ثم رحل إلى القاهرة وتولى إدارة أكبر مستشفياتها ( البيمارستان المنصوري ) الذي أنشأه قلاوون . وصار عميدا لمدرسة الطب ، ورجع فجأة إلى الشام حيث توفي عام ٦٨٧ هـ ، الموافق ١٢٨٨ م ، وقد راجع ما كتب في القانون لابن سينا ، وقد عارض ما أشاعه ( جالينوس ) من أن الدم ينتقل إلى الجانب الأيسر عن طريق ثقب دقيقة لا تراها العين ، فبين ابن النفيس في كتابه شرح تشريح القانون ، أن الدم ينتقل من الجانب الأيمن للقلب إلى الرئتين أولا ، وهناك يخالط الهواء في الحويصلات الرئوية الدقيقة ، فتصلح أمره ويعود إلى الجانب الأيسر من القلب بعد ذلك .

فيعتبر ابن النفيس أول مكتشف للدورة الدموية الصغرى ، وأول من عرف وظائف الرئتين والأوعية الدموية التي تصلهما بالقلب ، وبالشعيرات الدموية التي بين الشرايين والأوردة الرئوية ، وهو الأصل الذي ترجم عنه حرفيا ونسبه إلى نفسه بعد ذلك بثلاثة قرون ميشيل سرفيه في إيطاليا والأصل الذي تجاهله ولهم هارفي الانجليزى عندما أعلن اكتشاف الدورة الدموية عام ١٦٢٨ . ولابن النفيس مؤلفات كثيرة في الطب هما شرح تشريح القانون والكتاب الشامل في الطب الذي أتم فيه .

وقد أشار الدكتور عمر غروخ إلى أن جورج سارطون : عندما بدأ كتابة مؤلفه الضخم مقدمة تاريخ العلم عام ١٩٢٧ . كان يعتقد أن كل تراث العالم موروث عن اليونان غير أنه لمسا ولج باب البحث والتنقيب تجلت أمامه حقيقة حدثت إلى تعديل راية فسارح إلى تغيير تصميم الكتاب وأنبرى لدراسة العربية فأتاه مكبا على دراستها عدة سنوات ثم أعلن أن العالم مدين للعرب بالمحافظة على التراث اليوناني أولا وبما أضافوه عليه من مبتكرات علمية ونظرية ثانيا . وينقله مع تلك الزيارات المبكرة إلى الغرب ثالثا . وقد بين أن اللغة العربية كانت دون جدال : لغة العلم والفلسفة والتجارة من القرن التاسع إلى القرن

الثانى عشر . وحفظت هذه اللغة تراث العالم العلمى وحافظت عليه ونقلته حتى الصين شرقا الى الانطلس . .

ويقول جورج سارطون فى كتابه مقدمة لتاريخ العلم :

« نحن نعلم ان اصول العلم الغربى — لا اصول الدين والفن فحسب — شرقية مصرية وبابلية وايرانية ، ولقد برهنت ان ثلاثة قرون على الاقل ( من القرن التاسع الى القرن الحادى عشر ) شهدت تفوق العلوم عند العرب .

وقد ظل امام العرب والمسلمين مجال متسع الاكتاف ليجرى فى ميدان العلوم الرياضية والطبيعية وعلى الاخص فى البصريات . . ومع ان علماء الاسلام والنصرانية واليهود قد استقوا فى هذا الميدان وتشابهت جهودهم الا انهم كلهم قد شربوا من معين واحد هو كتاب : « المناظر » لابن على بن محمد الحسن البصرى المعروف باسم ( ابن الهيثم ) .

اما اعظم جغرافىي هذا العصر بين المسلمين وغير المسلمين على السواء فقد كان الملك المؤيد ( ابا الفداء ) صاحب حمة فقد وصف فى كتابه : تقويم البلدان ، خطوط الطول وخطوط العرض على وجه الدقة او على وجه التقريب وكذلك كثر المؤلفون من المسلمين فى التاريخ الطبيعى وتفوقوا على غيرهم ثم اهتموا بالتطور خاصة حتى قادمهم الى البحث فى طبقات الارض فاصابوا فى كثير من الملاحظات كالمسمودى والبيرونى . ومثل ذلك كان شأن العرب فى الطب والتشريح وعلم وظائف الاعضاء . اما ابرز الاكتشافات فى علم وظائف الاعضاء خاصة ، فقد قام بها المسلمون فى سورية او فى مصر .

اما التشريح فقد كان فى اوروبا النصرانية ممنوعا البتة ، فاذا جئنا الى الاسلام راينا ان صناعة التشريح قد بلغت الذروة وخصوصا فى المغرب ، وما يقال عن الطب والتشريح عامة يقال عن امراض العين خاصة ، فان المسلمين كانوا لا يزالون حتى القرن الثالث عشر قادة العالم فى امراض العين . وكان المؤرخون المسلمون فى ذلك العصر كثارا فى مقدمتهم القلقشندى والمقرئى وابو الفداء والنويرى وسواهم ممن كانوا على جانب عظيم من الاهمية والشهرة مع كثرة عددهم .

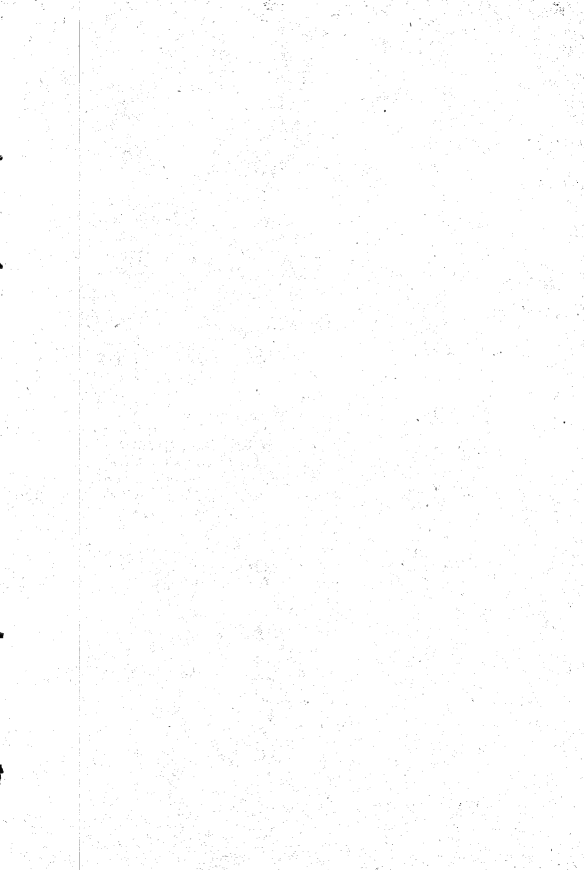
\*\*\*

## المسلمون رواد الكيمياء : والطاقة الذرية

احتل العالم المتبدين بمرور مائة عام على وفاة اسكندر فون هومبولدت العالم صاحب كتاب ( كوسموس ) أو الكون الكبير .. وقد أشار في كتابه الى دور المسلمين في العلوم فقال : ان جملة تأثير العرب في العالم المتبدين في حقل العلوم الطبيعية كان في تقدم الكيمياء فبظهور العرب على مسرح التاريخ بدا حقل جديد في العلم ، في عالم الغرب الا وهو الكيمياء .

ويقول الدكتور محمد يحيى الهاشمي معلقا : تطورت الكيمياء العربية وكان لها أبطال مشهورون : كالرازي والطبراني والجلدي ، وغيرهم .. كما يحدثنا ليو الافريقى ، فقد بقيت الكيمياء في اسبانيا تحت قيادة العرب حتى سقوط غرناطة وانتقلت بعد ذلك الى فارس وعلى طريق اسبانيا وايطاليا وخاصة صقلية التي حفظت التراث العربى مدة طويلة ولجت هذه الصناعة اوروبا حيث نشأت نواة الكيمياء الحديث عندما اهدته من تراث فكرى قيم كان مصدرا لانتاج ادبى وفنى وروح ديناميكية وحركة تهدف للسيطرة على الكون وتلبجوه الماده حيث نجد آثارها اليوم في الطاقة الذرية والصواريخ الموجهة عبر القارات والكواكب الاصطناعية ونفاجا اليوم بان عالم النفس الشهير ( يونج ) يرى في جملة اكتشافاته تفسيره الكيمياء القديمة بأنها ( اللاوعى البشرى ) من نواحي الشخصية والهدف الاسمى الانسانى في تكريم جوهر الانسان ورفع شأنه في هذا الكون .. هذه الحقيقة قد عرفها علماءنا من قبل فقد ألف الغزالي كتابا بعنوان : « كيمياء السعادة » وكلمة الكبريت الأحمر أى الاكسجين كانت معروفة في القرنين ١١ و ١٢ الميلادى .. وقد جاء ذكر ذلك في كتاب فتوح الغيب لمعد القادر الجبلى المعروف بالكيلانى بأنه كان يستعمل في مواضعه الكبريت الأحمر كرمز معروف على مدلوله الكيمائى وانتقاله الى النفس البشرية .





## المسلمون هم مخترعو الكسور العشرية

كان هناك شبه إجماع على تظليل الحقيقة ، لقد اعلنوا واذاعوا مرات ومرات وسنوات بعد سنوات ان ( سيمون ستيفن ) هو الذى اخترع الكسور العشرية وقال جورج سارخوان : لم يسبق سيمون ستيفن احد الى اختراع الكسور . كان لاختراع الكسور العشرية اثر بعيد في تقدم الرياضيات . وسيمون ستيفن عالم رياضى اوروبى توفى ١٦٢٠ م غير ان الحقيقة لا بد ان تنكشف ولو طال الزمان . فقد اعلن بول كولى الالمانى عام ١٦٤٨ ان اختراع الكسور يجب ان ينسب الى العالم الرياضى :

غيلت الدين جهشيد الكاشى :

الذى عاش حوالى ١٦٠ سنة قبل ( سيمون ستيفن ) وتوفى ١٤٢٠ وله مجموعة من الرسائل منها رسالة الوتر والجيب واستخراج ثلث القوس وكتاب الزيج الخافانى وزيج التسهيلات والرسالة الكاملة او سلم السماء الذى يبحث في اجرام وابعاد الكواكب والسيارات وله الرسالة المحيطة التى حدد فيها النسبة بين محيط الدائرة وقطرها والمسماة بالحرف (ط) ثم له كتابه هذا الذى كشف فيه عن عمله في اختراع الكسور العشرية واسمه ( مفتاح الحساب ) وقال الباحث الغربى ان الكتاب موجود في ثلاث مكاتب في أوروبا : لندن ، لندن ، جامعة بريستون في الولايات المتحدة .

وهى الرسالة التى اطلع عليها بول كولى ، وقد ذكر الكاشى في مقدمة رسالته انه قد اخترع الكسور العشرية ليسهل الحساب للأشخاص الذين يجهلون الطريقة الستينية . ويذكر في المقدمة أيضا اختراعه للكسور الاعشارية وطريقة تحويل الكسور الاعشارية الى الستينية وبالعكس . وقد أشار الاستاذ رضا ايرانى الذى نقل هذا البحث الى العرب ان الباب السادس في كتاب الكاشى هذا قد توج بهذه العبارات :

في تحويل الأرقام الستينية الى الهندية وبالعكس صحاحا وكسورا وتحويل كسورها الى مخرج آخر ، ومعرفة الكسور التى وضعناها على قياس الكسور الستينية ولنتقدم هذا لما استخرجنا نسبة المحيط الى القطر في رسالتنا المسماة بالمحيطية وبلغنا الكسور الى التاسعة وأردنا ان نحولها الى الرقوم الهندية لئلا يعجز المحاسب الذى لم يعرف حساب النجمين أخذنا

كسر المحيط من مخرج عشرة آلاف مكررة خمس مرات — وهذا عدد مجرد — فكثما قسمنا الواحد الصحيح عشرة أقسام ثم كل قسم منها عشرة أقسام وهكذا بالغا ما بلغ قسمنا الأقسام الأولى أعشارا لكونها كذلك والثانية ثلثي الأعشار والثالثة ثلث الأعشار وهكذا بالغا ما بلغ ليكون مراتب الكسور والصاحح على نسبة واحدة على قياس حساب النجمين وسميهاها بالكسور الأعشاري .

طبق الأصل من صفحة ٨٥ من مخطوطه جامعة برنستون .  
ومن هنا يستنتج أن غياث الدين الكاشي قد اخترع الكسور العشرية قبل ستيفن بأكتر من ١٧٥ سنة وبين فوائد استعمالها وطرق الحساب بها .

\*\*\*

### كتاب جديد أثار ضجة الصهيونية العالمية وكشف زيفها

الكتاب اسمه « تطبيق الخديعة » .

المؤلف : آرثر بوتر .

يقول المؤلف في كتابه أنه لم تكن هناك سياسة ألمانية تستهدف إغواء اليهود وأن ملايين اليهود الأوروبيين لم يتعرضوا لنزوح متعمد في معسكرات الاعتقال النازية وإنما مات كثير منهم من جراء الأمراض والجوع أو جرى نكلهم نحو المشرق .

يقول : أن تأكيدات اليهود بحدوث تلك المذابح المزعومة كانت من وضع زعماء الصهيونية العالمية سعيًا للعاطف مع سياسة نقل اليهود إلى فلسطين .

أحدث الكتاب عاصفة كبيرة لأنه كشف زيف الصهيونية العالمية واحتجت الجالية اليهودية على إدارة الجامعة وعلى المؤلف ذاك لأن هذه الخديعة كانت ولا تزال من دعائم الحركة اليهودية العالمية التي تبنى عليها مقرراتها التي تستلب بها الأموال الألمانية وليس هذا الكتاب بلول كتاب من نوعه فقد صدر أكثر من بحث في هذا الصدد مؤيدا بالأوثاق والأسانيد .

\*\*\*

### سكان العالم

يقول تقرير جديد لإحصاء سكان العالم : بلغ سكان الكرة الأرضية في مارس ١٩٧٧ حوالي أربعة آلاف مليون نسمة .

من المتوقع أن يرتفع هذا الرقم إلى ستة آلاف و ٩٣٧ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٠٠ ، ذكر التقرير أن قارة آسيا هي أكثر المناطق اكتظاظا بالسكان في العالم حيث بلغ عدد سكانها حوالي ٢٢.٦ ملايين نسمة عام ١٩٧٤ وهو رقم يمثل أكثر من نصف المجموع الكلي للسكان في العالم ، أشار التقرير إلى أن قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية تأتيان بعد آسيا في عدد السكان حيث بلغ عدد سكانهما ٥٥٠ مليون نسمة ، ثم أوروبا ٤٧٠ مليون نسمة ، وأفريقيا ٣٩١ مليون نسمة .

## عروبة دون كيشوت

دون كيشوت من أصل عربي :

أشارت الصحف العالمية أن الرواية الأسبانية دون كيشوت لها أصول عربية إسلامية ويرجع ذلك إلى أن مؤلفها ( سرفنتيس ) أشار أنها من تأليف مؤرخ عربي فُكر اسمه ولقبه بالأسبانية ( سيدى هميثى بنجيلي ) الذي رأى فيه الكثيرون اسمه العربي ( سيدى حمادة بن أنجيلي ) .

وتقول الدراسات أنه من غير المستبعد أن يكون سرفنتس قد عثر على الأصول العربية التي حملها العرب معهم إلى أسبانيا مع فتوحاتهم لها بالحرب والهجرة منذ أقدم العصور إلى وقت الهجرات الفينيقية إليها وإلى قرطاجة في تونس منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد لحين اكتمال الفتح العربي لها في القرن التاسع الميلادي . وما صاحب هذا الفتح الأخير من هجرة شاملة للتراث والمؤثرات العربية .

وتقول هذه الدراسات أن رواية دون كيشوت تعد إلى اليوم أوسع الكتب طبعا في الغرب بعد الإنجيل ، كتبها سرفنتس المولود بمدينة قشتالة العربية عام ١٥٤٧ عن أصل فُكر أنه عثر عليه مكتوبا بالعربية فأسند إلى أحد الموريسكين أو الخليط العربي من أبناء المسلمين الذين بقوا في أسبانيا بعد انتهاء الحكم العربي ترجمة لرواية من العربية إلى الأسبانية ثم أعاد هو صياغتها بعد أن وضع يده بحق على فكرة لها جذورها الضاربة في الفكر الأسباني وهي فكرة ذلك القروي النحيل الذي تخطى الخمسين يعكف على قراءة الكتب الصفراء التي تسرد وقائع الأبطال الجوالين المغامرين من الفرسان الذين يخرجون مستهدين الدفاع عن الضعفاء ونشر العدل .

ولا ريب أن الأدب العربي قد ترك آثارا بعيدة المدى على الأدب وخاصة على الأدب الأسباني وأن جماعة ( التوبادور ) التي ظهرت بعد خروج المسلمين من الاندلس لتكشف بوضوح عن ذلك الطابع — الرقيق — الذي تركه الأدب العربي في النفس الأوربية وفي الكتابات الأوربية . . . روح الوفاء والحنان كما شهد بذلك مؤرخو الأدب . ومن هنا كانت رواية سرفنتيس دون كيشوت مثلا على ذلك الرجل الرحيم الشهم الكريم الذي يعطى دون أن يأخذ ، والذي يسارع إلى النجدة ويبدل كل ما يملك في سبيل عطاء المحتاجين والفقراء : ذلك هو طابع رواية — دون كيشوت — التي هي في ضمير روحها عربية إسلامية ، حتى ولو لم تثبت صلتها بكتاب عربي فان

سرفيتس يكون قد تقمص تلك الروح العربية الاسلامية وكتب بها هذه القطعة .

ولقد كان اثر الأدب العربى واضحا فى أشياء كثيرة ونتاج كثير فى هذه الفترة وما بعدها مثل جسيم دانتي التى ثبت أن مؤلفها قرا - رسالة الغفران - لأبى العلاء المعرى .

ولم يقتصر اثر الاسلام والثقافة الاسلامية على الأدب بل امتد الى كل العلوم التجريبية والاسبابية وهذه شهادة بريفولت العالم الانجليزى المعاصر فى كتابه ( بناء الإنسانية ) لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن ثماره كانت بطيئة النضج . ان العبقرية التى ولحتها ثقافة العرب فى أسبانيا لم تنهض فى عنفوانها إلا بعد مضى وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام . ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد الى أوروبا الحياة بل أن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بعثت بلكورة اشعتها الى الحياة الأدبية ، فانه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية من مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة فان هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون فى نشأة تلك الطلقة التى تكون ما للعلم الحديث من قوة ممتازة ثابتة وفى المصدر القوى لازدهاره أى فى العلوم الطبيعية وروح البحث العلمى .

\*\*\*

### أسطول صلاح الدين

من أهم مواقع الحروب الصليبية : معركة بحر عيذاب ، وقد اهتم المؤرخون وأوردوها فى تفاصيل واسعة ، أوردها ابن جبير ، وابن الأثير ، وابن شداد وسبط وابن الجوزى وأبو شامة وأبو الفداء وابن الوردي وابن خلدون والمقرئزى . وخلصتها أن صاحب الكرك الفرنجى أنشأ أسطولا قسبه الى فرقتين ، فرقة أقامت على حصن أيلة تحاصره وتبضع أهله من الوصول الى الماء ، وفرقة سارت الى عيذاب تقطع الطريق وتهاجم السفن الاسلامية المتجهة الى الأراضى المقدسة ، وقد نذب صلاح الدين قائده المبرز ( حسام الدين لؤلؤ ) فتحرك على رأس أسطول ضخم وهاجم الفرنجة فتوجه أولا الى الفرقة التى تحاصر أيلة وهزمها ثم قصد الى الفرقة الثانية التى كانت عازمة على دخول مكة والمدينة فهاجمهم وانتصر عليهم ولما هربوا الى البر منهم وقتل قسما كبيرا منهم وأسر قسما آخر .

### هامش اليوميات

قال عبد الكريم ابن أبى العوجاء عندما قتله محمد بن سليمان والى مكة :  
أما والله لئن قتلتمونى لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال  
وأحلل بها الحرام ، ولقد فطركم يوم صومكم وصومتمكم يوم فطركم .

وكان عبد الكريم ابن أبى العوجاء مانويا يؤمن بالتناسخ ويميل الى مذهب الرافضة .  
( البيرونى : الآثار الباقية )



## المسلمون أول من أطلق الصواريخ

في كل يوم يقين للمسلمين فضل جديد في قصة العلم والتجريب . وما زلنا نذكر الكلمة التي ألغاهها الدكتور محمد عبده اليماني وزير الاعلام السعودي امام رواد الفضاء وهي اصدق رد اعتبار للعلم الاسلامي في مجال السبق والريادة التي قلم بها علماء المسلمين في مجالى الفلك والكواكب وصولا الى القمر .

وتجئ الدكتور سجرىد هوئكه فتكشف هذا السر : سر الريادة الاسلامية للصواريخ فتكشف عن أول مرة استعملت هذه الصواريخ حين استعملها المغول في الانتصار على الصينيين عام ١٢٣٣ م وتسجل ان المهندس المسلم هو الذى استعان به المغول في صنع هذه الصواريخ وكسب هذه الحرب تقول :

لقد ثبت ان الفكرة الخاصة بلطلاق قتابل على طريق قوة متفجرة من البارود هي فكرة صينية ، وقد نفذت عام ١٢٣٣ م في معركة نشبت حول ( بين كينج ) بين الجيشين الصيني والمغولي . وهو عبارة عن سهام تطلق مادة محترقة تحقوى على ملح البارود وحوالى ١٢٧٠ م استخدم المغول نفس السلاح مستعينين بقوة التفجير الناتجة عن ملح البارود وللمرة الاولى في تاريخ الحروب نجد هذه الصواريخ تلعب دورا هاما في كسب المعارك او فك الحصار المضروب كما وقع فعلا عند القضاء على الحصار المضروب حول مدينة - فان تشينج - ويفضل هذه الصواريخ انتصر المغولي - كويلاي خان - على الصينيين وقضى على مقاومتهم . لكن هل انتصر المغول على الصينيين دون اى مساعدة اجنبية او كان للمغول حليف فمن هو هذا الحليف الذى استغاث به - كويلاي خان - واجابة الى رجله واعانه على القضاء على الصينيين ؟ يحدثنا المؤرخ رشيد الدين حديثا يثير دهشتنا فهو يذكر في سياق كلامه عن السلطان العربى في بغداد انه علم من حاشيته ان السلطان استجاب الى طلب - كويلاي خان - وامر ان يرسل اليه المهندس الذى حضر من بعلبك ودمشق وانبأ هذا المهندس وهم - ابو بكر وابراهيم ومحمد - بنوا بمساعدة الفنيين الذين رافقوهم سبع آلات كبيرة وتوجهوا بها الى المدينة المحاصرة فهل سبق ان ساهم المهندسون العرب في فك الحصار المضروب حول مدينة ( بين كينج ) عام ١٢٣٢ ايضا وهل هذا السلاح العجيب الذى استخدم هو بعينه الذى استخدمه القائد المصرى فخر الدين صديق فردريك الثانى عند ضرب جيش الامرنج وملكهم لويس

عام ١٢٤٩ حيث دارت رعى المعركة الصليبية للحملة الخامسة واستخدم فيها القائد المصري فخر الدين نيرانا عربية جديدة .. وقد أثار هذا السلاح الحديد الخوف والفرع في صفوف الصليبيين ، حتى أن المؤرخين الأوروبيين يذكرون أن كل مرة كان يطلق فيها الصاروخ المصري يشعر ملك فرنسا بخيبة عظيمة . رب ضارة نافعة . فقد تكثرت أوروبا ضد العرب المسلمين وشن المسيحيون حربا لا هوادة فيها مما اضطر سلاطين الإسلام إلى تجنيد العلماء العرب في القرن الثاني عشر الميلادي وبخاصة أولئك الذين يهتمون بالدراسات الكيماوية وأرسلوهم إلى مصانع المفرعات حيث نجحوا في إيجاد مادة مفرقة كاوية حارقة وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر تمكنوا من خلق مادة مفرقة دافعة للصواريخ واستخدموها في حرب المسلمين ضد الصليبيين .

ففى كتاب الحرب لحسن الرماح وبعض المؤلفات الأخرى الخاصة بالحروب فى ذلك نجد ذكر كثير من المواد المفرقة والأسلحة النارية وهى نبض يندفع تلقائيا ويحرق . وهى تطير نافثة اللهب . وهى تحدث صوتا مثل الرعد وهكذا : فالعرب هم أول من صنع لغما تقذفه الصواريخ .. وأن هذه المعلومات قد وصلت إلى بعض علماء أوروبا وفى مقدمتهم روجريكون ، البرتومى مجنوس ، فومر بولشتنت ، وقد يكون الأخير هو الذى اتصل أثناء تجوله بذلك الذى يدعى أنه مخترع البارود ، وهو برتولو سيفرز وأخبره عن ذلك الاختراع العربى ثم انتقلت النظرية إلى التجارب العملية التى هزت كيان العالم .

هذا ما أورفته الدكتور سجرىد هونكه فى كتابها شمس الله تشرق على الغرب فى هذا المجال ، ولما كانت - الصواريخ - اليوم هى أخطر تقدم علمى تكنولوجى فقد لزم أن يعرف النور الذى قام به المسلمون فى هذا المجال .

### كلمات مضيئة :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسين البصرى يقول :

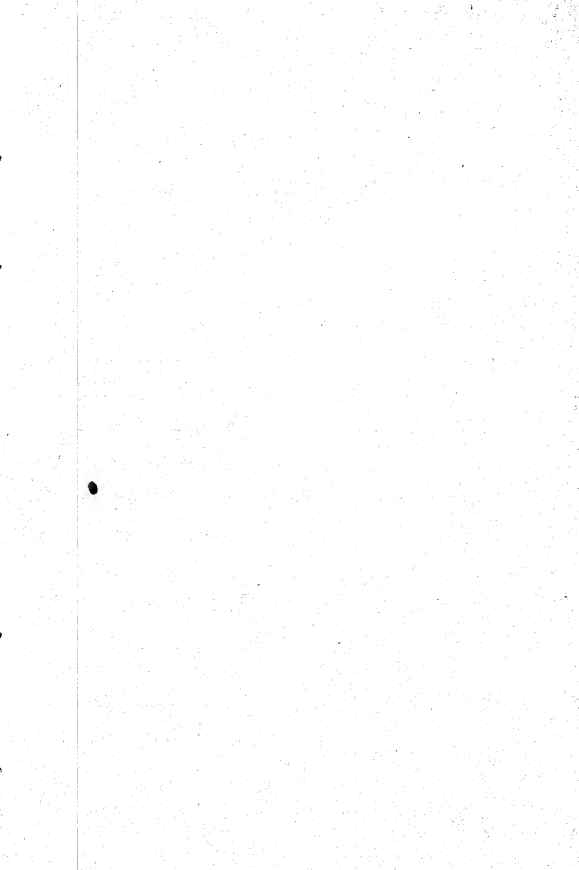
اجمع لى أمر الدنيا وصف لى أمر الآخرة :

فكتب إليه يقول : أما الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن أضغاث أحلام ، من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فإذا زللت فأرجع وإذا تدمت فاقطع ، وإذا جهلت فاسأل : وإذا غضبت فامسك ، وأعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه .



## الباب الثامن رجال على طريق الأصالة

- ١ - رجل من مكة .
- ٢ - رجل من الهند .
- ٣ - ابو الطيب المتنبي .
- ٤ - عبد المحسن الكاظمي .
- ٥ - أنا عضو في جامعة المسلمين : احمد تيمور .
- ٦ - رجلان آثما بمسئولية الكلمة .
- ٧ - رجلان من الدعاة .
- ٨ - الرافعي والرافعيون : شهداء الكلمة .
- ٩ - الرافعي واعجاز القرآن .
- ١٠ - الرافعيون .
- ١١ - حقائق عشر في حياة اقبال .
- ١٢ - وانت ايضا : فهمت خطأ عن الاسلام .
- ١٣ - الدكتور محمد حسين هيكل .
- ١٤ - فتى الاحقاف .
- ١٥ - الرافعي : مدررة الاسلام .



## رجل من مكة

رجل من مكة المكرمة قاوم المؤامرة ضد القرآن الكريم .. ونجح ،  
 ذلك هو عبد العزيز بن يحيى الكنانى الذى هزته المؤامرة ضد القرآن  
 فى بغداد أبان حكم المأمون فترك بلده وانفجع مجاهدا فى سبيل الله ليخاضم  
 هؤلاء المدعين بخلق القرآن ، ولم يخف أن تتخطفه الأحداث قال : اتصل  
 بى وأنا فى مكة ما ابتلى به الناس فى بغداد ، وكيف استطال عليهم بشر  
 الرئيسى وليس على المأمون وخواص مملكته فاطال همى هذا الخبر واطار  
 نومى فخرجت من مكة متوجها الى ربي اسأله سلامتى حتى قدمت بغداد ..

وخطر لى أن اتف بعد صلاة الجمعة فى جامع الرصافة وأرفع صوتى  
 بمخالفة المعتزلة وتسفيه آرائهم ، وطلب محاجتهم ، فان اشهارى نفسى  
 على هذه الصورة يحول دون البطش بى قبل مناظرتى واستماع اقوالى  
 ولم يكذ ينتهى الامام من الصلاة حتى سمع الناس من الصف الاول حيا  
 المنبر صوت رجل مكى الزى وحجازى اللهجة واقف على قدميه ينادى بأعلى  
 صوته وابنه ، وكان قد اقامه عند الاسطوانة الأخرى .

الأب — ما تقول فى القرآن يا بنى ؟

الابن — كلام الله منزل غير مخلوق يا أبت .

فارتاع الناس لهذه المحاولة وهربوا على وجوههم خارجين من المسجد  
 فأسرعت الشرطة فاحتلوا عبد العزيز وابنه ، احتلبها الشرطة وجعلوا  
 يعدون بهما عدوا شديدا وأيديهما فى أيديهم يمنة ويسرة حتى وصلوا به .

قال : يا عبد العزيز ، ما حملك على ما صنعت بنفسك .

قال : طلبت القرية الى الله ورجوت الزلفى لديه ، ما أردت الا الوصول  
 الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه رجاء تأدية حق الله فيما استودعنى  
 من العلم والفهم فى كتابه وما أخذه على وعلى العلماء من البيان .

قال عبد العزيز : فأخرجونى انا وابنى بين يدى الخليفة وجعلوا يعدون  
 بنا فى شوارع بغداد على وجوهنا حتى وصلنا قصر الخلافة فدخل رئيس

الشرطة على المأمون وبقيت أنا وابنى فى الدهليز واقفين على أرجلنا ، فأطال  
ثم خرج الى حجرة له ، وأمر اعدائه بالحضارى .

وحدد له يوم الاثنين فحمل الى دار الخلافة ..

وسئل عما اذا كان لم يزل مقيما على رايه ..

فقال عبد العزيز انه ما خرج من بلده مكة الا لاقامة الحق . وكان قد  
صدر امر الخليفة الى اقاربه من اشياخ بنى هاشم ان يركبوا الى قصر  
الخلافة يوم الاثنين لشهود المناظرة والى الفقهاء والقضاة الموافقين للمعتزلة  
على مذهبهم والى سائر المتكلمين والمناظرين ان يحضروا والى القواد والأولياء  
ايضا لاحداث الهيبة فى نفس عبد العزيز ، قال عبد العزيز : ثم اذن لى  
بالدخول الى الخليفة فدخلت ، ثم لم ازل اناقل من دهليز الى دهليز حتى  
وصلت الى الحاجب صاحب الستر الذى على صحن دار الخلافة ثم  
ازاح الستر وتقدم الى خدام القصر فأخذوا بيدي وعضدى وجعل جماعة  
منهم أيديهم فى ظهري وعلى رقبتى وطفقوا يعدون بى عدوا شديدا فى صحن  
الدار فنظرنى الخليفة المأمون من بعيد فسمعت صوته يقول : خلوا عنه ،  
خلوا عنه ..

فخلوا عنى وقد كاد يتغير عطفى من شدة الفزع ومن كثرة ما رايت من  
انواع السلاح الذى ملا صحن القصر ، وكنت قليل الخبرة بدار الخلافة  
وما رايتها قبل ذلك ولا دخلتها .

قال المأمون : ادخلوه وقربوه .

قلت : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

قال : وعليك السلام ورحمته وبركاته .

ثم قال : ادن منى .

فدنوت منه ، وكرر حتى وصلت الى الموضع الذى يجلس فيه المناظرون  
ويسمع كلامهم ..

وقد لاحظ المأمون ما أنا عليه من الخوف والرعدة وما قد نزل بى من  
الهلول . فجعل ينظر الى من طرف عينه وأنا انتفضض وأرتعد .. فأحجب  
ان يؤنسنى ويسكن روعى فتكلم بأشياء كثيرة وهو يريد ايناسى وتسكين  
اضطرابى .. وحدثنى وأراد ايناسى وازالة الوجشة عنى ، فأنشط للكلام  
والمناظرة . وبالفعل ذهب ما كنت فيه من الجزع .

**وجاءت المعونة من الله :**

فتوى بها ظهري واشتد قلبى واجتمع قهوى .

قال : يا عبد العزيز : انه قد بلغنى ما كان منك وقيسامك فى المسجد الجامع وقولك : « ان القرآن كلام الله غير مخلوق » بحضرة الناس وعلى رؤوس الخلائق ، وما كان من مساعلتك ان يجتمع بينك وبين مخالفيك لتناظرهم فى مجلسي ، ثم استمع منك ومنهم .. وهانذا قد جهعت المخالفين لك لتناظرهم بين يدي واكون انا الحكم بينكم ، فان ظهر الحق اتبعناك وان تكن لهم الحجة عليك والحق معهم عاقبتناك ، وان استقلت واستغنيت اقلناك واغنيناك ، ثم اقبل بوجهه على بشر المريسى ، وقال له : يا بشر قم الى عبد العزيز فناظره وانصفه . فوثب بشر من موضعه كالأسد يثب الى الفريسة فرحا فانحط على ووضع ركبته وفخذه الأيسر على فخذي الأيمن فكاد يحطمه وغمر على بقوته كلها .

فقلت له : مهلا ، ان امير المؤمنين لم يأمرك بقتلى ولا بلطوى وانما امرك بمناظرتى وانصافى ، فصاح به المأمون وقال : تنح عنه يا بشر ، وكرر ذلك عليه حتى باعده عنى . ثم اقبل المأمون على وقال : يا عبد العزيز : ناظره على ما تريده واحتج عليه ويحتج عليك وتساله ويسالك وتناصفا فى كلامكما وتحفظا الفاظكما ..

ودخلا فى الجدل وافاض عبد العزيز بن يحيى الكنائى ، وأبلغ وهز نفس المأمون وأزعج بشرا بحجته القوية ، وأخذ يسرد النصوص استدلالا على مذهبه وما فتح له بشر بابا الا سده ، وما أثار له مسألة الا حفضها وما قدم له بيانا الا كشف زيفه ثم انقلب سائلا بعد أن كان مسؤولا فاقف بشر وأعجزه ، وعاد مساعطته وعاد اخراجه وفتح الله له من النور والقوة والقدرة ما هز نفس المأمون حتى اوقفه .

قال عبد العزيز : قد جئت بالحجج ورضى بشر واصحابه بالضجيج وقطع المجلس ومحاولة التملص والخلاص ولا خلاص من الله حتى يظهر الحق ويزهق الباطل .

وكلما ذكر بشر دليلا نقضه عبد العزيز بأدلة من القرآن حتى كانها كانت آيات القرآن كلها مرسومة تحت عينيه ..

وظل كذلك حتى قال له المأمون : أحسنت يا عبد العزيز . وأمر له بعشرة آلاف درهم فحملت بين يديه وانصرف فوزعها وأخذ ولده وعاد الى مكة وقد أدى حق الله عليه .

\*\*\*





## رجل من الهند

منذ قرن ونصف استشهد الإمام أحمد بن عرفان  
مجدد دعوة الإسلام في الهند

عندما رُحفت قوى الاستعمار على العالم الإسلامى كانت تظن أن هذا العالم قد همد وضعف ولم يعد قادراً على المقاومة وإن الأمر لا يعدو سنوات طويلة حتى ينتهى الإسلام وقد أشار إلى ذلك عديد من كتّاب الغرب الذين أشاروا إلى أن السر في بقاء الإسلام هو عزله وزعموا أنه عندما يصطدم بالحضارة الغربية فإنه سينطوى وينهار ويؤول . بل لقد حدد البعض أن ذلك سوف لا يتجاوز قرناً من الزمان . وقد جاءت الأحداث لتثبت زيف هذا الادعاء فإن الإسلام عندما واجه الأزمة ودخل في مرحلة الصراع سرعان ما استيقظ وقاوم وحدث نفسه وحارب بالأجساد المتراسة . عندما عدم السلاح والتحديد بل واخذ هذه القوى من أعدائه وضربهم بها .

\* لقد واجهت الجماعة المؤمنة التى ربها السيد أحمد بن عرفان فأحسن تربيتها ، واجهت الاستعمار البريطانى فى قوته ونفوذه بأن أقامت دولة إسلامية على منهاج الكتاب والسنة فى الحدود الهندية الشمالية الغربية تشتمل على يشاور وما جاورها من البلدان والقرى وما لبثوا أن نفسخوا الحدود الشرعية وطبقوا النظام الإسلامى ، ومن ثم ألجأ عليهم الاستعمار القبائل المجاورة من غير المسلمين فاصطدموا فى معركة حامية استشهد فيها الإمام أحمد وصاحبه الشيخ اسماعيل وكبار رجالها — ٢٤ ذى القعدة سنة ١٢٤٦ هـ ..

\* وكان هذا صورة من صور كثيرة لما قام به المسلمون فى سبيل تحرير الهند وكان مقدمة لثورة ١٨٥٧ م التى تزعمها المسلمون وجاهد فيها رجال الإمام أحمد بن عرفان الذين ظلوا قائمين على الحق باذلين النفس والنفيس بالرغم من مطاردة الاستعمار البريطانى بقسوة ، فصادر أموالهم وأملأهم وحاكمهم محاكمات طويلة عريضة .

\* ولكنهم صمدوا حتى كانت ثورة ١٨٥٧ م التى قدم فيها المسلمون ارواحهم فداء لكلمة الحق ، والتى هزت الاستعمار البريطانى .

\* ولا يزال الإمام أحمد بن عرفان مثلاً عالياً للطولة الإسلامية ، والزعامة القادرة ، فقد حمل لواء التربية الإيمانية — على حد تعبير حفيده العلامة

السيد أبو الحسن الندوى — التى ما زالت قائمة بالحق بين المسلمين خلال قرن كامل ، وما تزال هذه النماذج الكريمة التى نراها اليوم هى من اعداد هذا الامام الجليل الذى وضع اصول التربية الاسلامية وبناء شخصية المجاهد المسلم والمتقن المسلم .. وما تزال هذه الشخصية مضيئة للشباب المسلم فى الهند وباكستان فهى بحق كانت تستمد خطوها من شخصية الرسول الاعظم متأسية به راغبة فى أن تسلك منهجه وتستن سنته .

✽ وما يزال المجتهدون فى كل دور ، والمريون فى كل جيل والمصلحون فى كل بلد رشحا من رشحات هذه التربية والدعوة وظلا من ظلالها الفحاء .

✽ ولد فى صفر سنة احدى ومائتين و الف ببلدة ( رائى ) فى زاوية جده السيد علم الله النقشبندى البريلدى ، نشأ عبدا مؤمنا قواما ذكرا لله تعالى ولم يكن اسمه هذا بالله واقباله على الآخرة الا مصدر شوقه الى الجهاد فى سبيل الله والعمل فى سبيل احقاق الحق .

— ولما قصد الى الحجاز سنة سبع وثلاثين ومائتين و الف كان ذلك بمثابة الشرارة ، انه لم يلبث أن دوى بنفیر الجهاد وخرج فى أصحابه سنة احدى وأربعين الى افغانستان يحرص المؤمنین على الجهاد وقد بعث أصحابه الى كابل وكاشغر وبخارى ليحرضوا ملوكها على الشركة والاعانة فتابعه الناس على الجهاد وولوه عليهم واجتمع تحت لوائه الوف من الرجال وزحف على بتجاب .. ففتح الله سبحانه على يده بلادا فأجبا السنة وأمات الشرك ، فأزعج ذلك خصوم الاسلام وحاولوا أن ينالوا من دعوته بنسبته الى دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب .. فما زالوا يؤلبون عليه حتى كانت معركة ( بالاكوت ) فنال فيها الشهادة هو واخوانه فى الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وأربعين ومائتين و الف .

✽ أما الصورة التى حفظها التاريخ فهى صورة المؤمنین بوعد الله ، المستشهدین فى سبيل اعلاء كلمته ، المضحين بأنفسهم لينالوا نعمة الاستشهاد فى سبيل الله ، فما زالت قصتهم واعمالهم حديثا يروى وصفحة لم تظو وروحا عاليا يرف حول أولئك الأتصار الذين ثبتوا من بعد حتى اشتركوا فى المعركة الكبرى ، وما زالوا قائمين على الحق جيلا بعد جيل .

✽ ذلك أن ما أنخله الامام أحمد بن عرفان وأحياء هو روح الجهاد الذى قد زوى لونه وخفت صوته ، يقول فى ذلك العلامة السيد أبو الحسن الندوى :

✽ كان السيد قد ملكته فكرة الجهاد فى سبيل الله وتحرير المسلمين من المغتصبين واعلاء كلمة الله واعادة مجد الاسلام واستولت على مشاعره واعصابه ، واصبحت له الشغل الشاغل ، والهـم الوحيد فكان أكثر حديثه عنه وأكبر اهتمامه به واعظم اعتناؤه بما يعينه على ذلك .

\* وشغف بالتربية الحربية والرياضات البدنية منذ ريعان الشباب ، كان أكثر لعبه وتسليته بالمعارك الحربية التي كان يقيمها مع أقرانه وأترابه ، من غلمان قريته ، ودخل في جيش القائد المسلم الشهير نواب مير خان مؤسس إمارة تونك الإسلامية وخاض معه معارك فاصلة ، ليتبرن على قيادة الجيوش ، وليحقق أمنيته في إجلاء الغاصبين .. وإقامة حكومة إسلامية شرعية .. ثم كان لابد أن يدخل الإمام في مرحلة العمل : « **انفروا خلفا وثقلا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** » ، وقد رعى أخوانه ورجاله على الجهاد فتسابق الناس إليه ، ونفخ في بوق الجهاد والهيب جذوة الإيمان والشوق إلى الشهادة وقد تواتر عن سوء حال المسلمين في بنجاب فبدأ بها على أن يتقدم منها إلى الهند التي أصبحت مطية ذلولا للإنجليز ، وكانت هذه المنطقة هي الحدود الشمالية بين أفغانستان وبنجاب .

\* ولم يلبث أن أقام دولة إسلامية جدد فيها صورة العصر الأول وطبق فيها أحكام القرآن وبذات صورة مجتمع كريم ، يقوم على البر والحب والرحمة .

فأخاف الاستعمار ذلك واضطرب له ، وكان حفيا أن يزيل هذه الصورة خوفا من تكرارها واستمرارها .

ودافع الإمام عرغان وأصحابه عما قاموا عليه إيمانا بحق دينهم عليهم ، ولم يكن موته واستشهادهم إلا حياة طويلة لفكرهم ودعما عميقا لدعوتهم :

**« احرص على الموت توهب لك الحياة » ..**

\*\*\*

### كلمات مضيئة

روي معن بن زائدة قال :

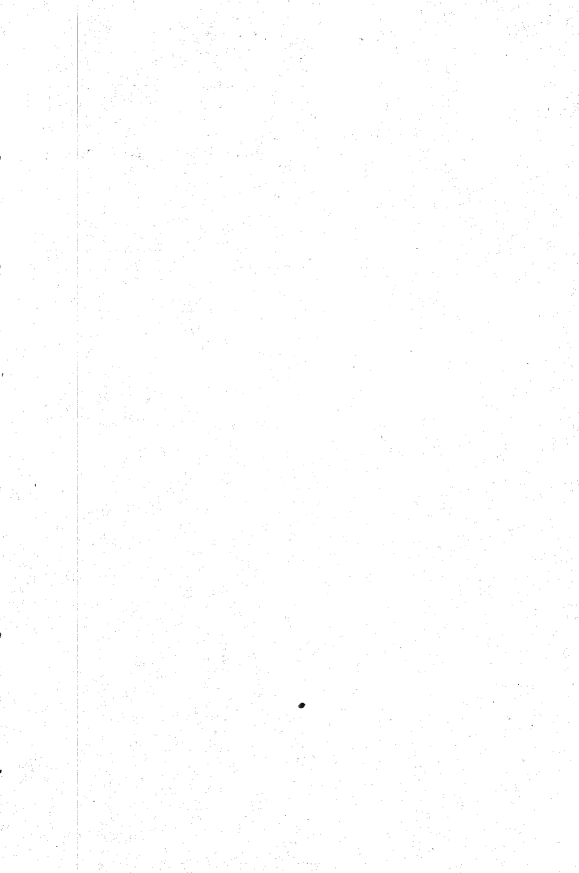
لما هربت من المنصور خرجت من باب حرب ، بعد أن أقمت أياما ، وخففت لحيتي ، وعارضي ، وليست جبة صوف غليظة قال فتبعني أسود متقلد سيفي حتى إذا غبت عن الحي ، قبض على خطام الجمل فأناخه ، وقبض على وقال :

— أنت معن بن زائدة ؟ قلت : يا هذا اتق الله ، أين أنا من معن ، قال : دع هذا فانا والله أعرف بك .

قلت :

هذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور إن جاء بي فخذوه ولا تسفك دمي . قال : هاته ، فنظر إليه ساعة ثم قال :

إن الناس قد وصفوك بالجوهر فإخبرني ، هل وهبت قط مالك كله .. قلت لا ، قال : فنصفه ، قلت : لا ، قال : فثلثه ، قلت لا . حتى بلغ العشر فاستجيب ، فقال : ما ذاك بعظيم ، أنا والله رجل ورزقي عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار وقد وهبته لك ووهبتك نفسك لجودك الماثور بين الناس ولتعلم أن هناك من هو أكثر جودا منك .



## أبو الطيب المتنبي

قالوا عن المتنبي : انه رجل ملأ الدنيا وشغل الناس .

وقد كان واحدا من شعراء العصر الأول الذين تجدد فكرهم في العصر الحديث ، أمثال : المعري وابن الرومي ، وقد أحرز المتنبي القدر العلى في تجديد فكره فقد كتب عنه ( شروحا ودراسات ) بطرس البستاني ونصيف اليازجي وأبراهيم اليازجي وعبد الرحمن البرقوقي .

وقد ظهر نص ديوان المتنبي في القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ - ١٨٦٦ مع شرح العكبري والواحدى والبديعى وذلك بعد أن طبع ديوان المتنبي قبل ذلك في الهند ( كلكتا ) ١٢٣٠ هـ ١٨٢٤ وتوالت الطبعات هناك ودخل ديوان أبى الطيب جميع نواحي العالم الاسلامى الذى أصبح معروفا من المغرب الى الجزيرة العربية والهند ، ثم جمع الأستاذ الراجكوتى بكلية عليكرة مقاطع للمتنبي غير موجودة في طبعات الديوان الأخيرة .

وقد قام الشاعر المصرى المجدد للشعر الحديث (محيود سامى البارودى ) فاستشهد في مجموعته ( المختارات ) بنحو ثلاثمائة بيت للمتنبي ولم يلبث توفيق البكرى أن كتب بحثا عنوانه ( مناقب المتنبي ومعانيه ) ونشره سنة ١٨٩٣ في مجلة المقتطف .

وتوالت بعد ذلك طبعة أخرى ترجمت للمتنبي : محمد المرصفى ، وجرى زيدان ، وأحمد السكندرى ، وأحمد حسن الزيات .

وقد قال شوقي في مقدمة الطبعة الأولى للشوقيات سنة ١٨٩٨ .

« معجز المتنبي لا يزال يرفع الشعر ويعليه ويفرى الناس فيجدهد ويحييه وحسبك أن المشتغلين بالقرض عموما والمطبوعين منهم خصوصا لا يتطلعون الا الى غباره ولا يجدون الهدى الا على مناره » .

وقال حافظ ابراهيم : واكثر التامل في شعر أبى الطيب ، فاذا شعره حى يتقرز ولم أر في الشعراء نفسا اعلى من نفسه ، ولا طريقا الى المعالى اقصر من طريقه وخير شعره ما كان في الحكم والأمثال ولو سلمت اقواله من ذلك التفاوت ولم يكن أسلوبه عاقا لأساليب اللغة العربية لكان اشعر شاعر في الاسلام .

وكتب عن المتنبي : أحمد ضيف وجاءت مقالات كامل كيلاني تصور علاقة  
أبي الطيب بابن خالويه وأبي فراس في حلب ، ثم جاء ما أشار إليه زكي  
مبارك في النثر الفني وكتب فؤاد أفرام البستاني : أبو الطيب المتنبي : الرجل  
والشاعر ، وكتب دريني خنبة : أشعر شعراء العرب .

وجاءت كتابات محمد كمال حلمي : حياته وخلقه وشعره واسلوبه .  
ومقالات العقاد التي نشرها بين بعد في كتابه مطالعات وكتب المازني عن ديوان  
أبي الطيب وأخلاقه نشرت في كتابه : حصاد الهشيم وكتب شفيق جبري :  
كتابه ( المتنبي ) وكتب محمد الأسمر فصولا في مجلة السياسة الأسبوعية  
سنة ١٩٣٠ كان هذا الفيض في تقدير شخصية المتنبي دليلا على سمو هذا  
الشاعر وأصلاته وصدق مفاهيمه وخاصة فيما يتصل بمقاومة الغزو الذي  
كانت تقوم به الدولة الرومانية على حدود بلاد الاسلام ولذلك فقد فاز بالقدح  
المعلى بالنسبة للشاعرين : المعري وابن الرومي .

لقد كانت ميزة ابن الرومي في آرائه الحقيقة للمعاني واسلوبه المحكم ،  
وكان المعري قد برز بمفاهيم الفلسفة ولما حاول أمثال طه حسين وغيره  
أن يصوره بصورة الشك في الألوهية وقد تضارب شعره في مجال العقيدة  
وكانت هذه إحدى المحاولات لإبراز الشعراء والكتاب الذين يمكن أن تفيد  
آثارهم الأجيال الجديدة المسلمة .

أما المتنبي فقد أعطى العرب والمسلمين مفهوما كريما ، مفهوم الأصالة  
ومفهوم الشهامة والاباء والخلق ، ومن هنا كان لابد أن يهاجمه الاستشراق  
بعنف وأن يدعو رجالهم من دعاة التغريب إلى تدمير هذه الشخصية فقدم  
أولا بلاشير فأصدر كتابه عن المتنبي سنة ١٩٣٥ هاجم فيه بعنف هؤلاء الذين  
كتبوا عن أبي الطيب وهاجم المتنبي نفسه فقال : « أن شهرة المتنبي في الأوساط  
الأدبية في دمشق والقاهرة وتونس صادرة عن ينبوع آخر ، هي تلك المؤثرات  
القومية والعربية الشاملة التي تحمل المسلمين على أن يتقربوا في « شرق »  
القرن الوسطى عن رجال يقابلون بهم رجال الغرب يجعل من « مادح »  
أمراء سورية ومصر وفارس ممثلا للعبقرية العربية منتصبا تجاه العبقرية  
الأجنبية أو غير العربية وهكذا يظهر المتنبي بمظهر ( فيني ) أو جوتة بل بمظهر  
نيتشة شرقي يبرهن بمقدرة باهرة عن المساواة الثقافية في بلاد هي اليوم  
تحت وصاية أوروبا الفكرية والسياسية .

وتكشف هذه العبارات ذلك الحقد الغربي الاستشراقي المستعلى  
الذي يكره أن تنبعث النهضة في العالم الاسلامي من جديد عن طريق شاعر  
كالمتنبي أو عالم كابن تيمية .

وكانت دعوة بلاشير إلى كتابهم في العالم الاسلامي لذبح المتنبي ،  
وتقدم الدكتور طه حسين فذبح المتنبي في كتابه مع المتنبي . كيف ذبحه ، لقد  
أعلن أن المتنبي لقيط وليس له أب .

وكبرت كلمة تخرج من فمه . فما أقمى هذا الاتهام وهذا الشك . ولم يمت

طه حسين الا بعد أن ظهرت براءة المتنبي بصور عدد من الدراسات كشفت  
عن أن المتنبي هو ابن أمام عظيم .

لقد كشفت الدراسات المتعددة التي ظهرت أخيرا وكان إبراهيم العريض  
أول من كشف هذه الصفحة ثم ( محمود الملاح ، وعبد الجبار البصري ) .

ولكن لماذا أخفى المتنبي نسبه ؟!

يقول عبد الجبار البصري : لعل الظروف السياسية وتقلبات الحكم  
والضراع الرهيب الذي عاشه المتنبي رافضا أو مؤيدا عن غير اقتناع . وغربته  
عن أرض الوطن كما عاشها أبوه كانت وراء إبهام هذا النسب عن قصد  
وحذر تحت ضغط الظروف التاريخية التي أحاطت به وبالحركة الشيعية  
التي ارتبط بموقفها السياسي المعارض والرافض للحكم . والذين يتبعون  
سيرة المتنبي في آلاف الدواوين والمجلات التي وضعت عنه لا يستبعدون  
شيئا في هذا النطاق ، فقد كانت حياة المتنبي هروبا دائما متواصلا ، ومنفى  
بمتقلبات بين بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب ، وقصور كافور الأخشيدي  
في مصر ، وعند ابن العميق وعضد الدولة في بلاد فارس الخيل والليل  
والبيداء : وفي حله وترحاله الطويلين ورغم مآث الحاسدين الذين تصدى لهم  
وهجهم فاستغلوه ولم ينجح أحد من النيل من مكانته الشعرية الفذة  
وما فرضه من شهرة وخلود .

ذلك أن أبا الطيب ولد وعاش في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية  
العربية واستطاع في ذلك العصر الذي شهد قميا في الأدب والشعر أن يبنى  
لنفسه قمة تفرد عليها وشمخ وأجبر خلانه وأعداءه وكل الأجيال التي جاءت  
من بعده ، على الاعتراف بعظمته وإنشاده والتفنى بأبياته كما لم تنشر  
أو تغن أبيات شعر من قبل .

غير أن هذه الآيات الخالدة والتي ألهمت الناس عن تتبع أصله ونسبه  
لم تمنع الضباب الذي تطاول على محتده من أن يلف نهاية حياته ويفلغها  
بالكثير من الغموض .

وأكثر الأسئلة الحاحا في هذا المجال : مقتل المتنبي . يقول ابن خلكان :  
مقتل ( المتنبي ) وابنه محمد وغلame مفلح بالقرب من النعمانية في موضع  
يقال له الصافية وقيل حبال الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد  
وبينهما مسافة ميلين وقال اليازجي بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي  
من سواد بغداد وفي ديوان المتنبي المخطوط ( ١١٠٢ ) فخرج عليه بحد جرجريا  
من سواد بغداد .

وقد تعددت الأقوال والأمكن .

ويروى قصة مصرعه صديقه ابن نصر محمد الجبلي قال : كان أبو الطيب  
قد هجا « ضبة » بن يزيد العتيبي بقصيدة أولها ( ما أنصف القوم ضبة وأمه

القرطبة ) فغضب لذلك فأتك بن ابن جهل الأسدي خال ضبة وتوعد بقتل المتنبي . وحدث أبو نصر بذلك وكان المتنبي قد انصرف من بلاد فارس متوجها الى العراق يقول أبو نصر : وافى المتنبي ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والطيب والتجملات النفسية والكتب الثمينة متلقيته وانزلته دارى ولما أمسينا قلت له :

يا أبا الطيب على أى شيء أنت مجمع .

قال لى : أتى مجمع على أن اتخذ الليل مركبا لأن السر فيه يخفى على . قلت له والرأى أن يكون معك من رجال هذا البلد الذين يعرفون المواضع جماعة يمشون بين يديك الى بغداد . فخطب وجهه وقال : لم قلت هذا القول ؟ قلت : لقائس بهم ؟ قال : لها والجرار فى عنقى فما بى الى مؤنس غيره . قلت : الأمر كما تقول والرأى فى الذى أشرت به عليك .

فقال : تلويحك ينبىء عن تعريض وتعريضك ينبىء عن تصريح فعرفنى الأمر وبين لى الخطب . . قلت : أن هذا الجاهل فأتكا الأسدي كان عندى منذ ثلاثة أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن اخته ( ضبة ) وقد تكلم بأشياء توجب الاحتراز والتيقظ ومعه نحو العشرين من بنى عمه قولهم مثل قوله .

قال : والله لا أرى أن يتحدث الناس بأنى سرت فى خفارة أحد غير سفى . ثم ركب فكان آخر العهد به ولما صح عندى خبر قتله وجهت من دقنه ودفن ابنه وغلبنه وذهبت دماؤهم هدرا . .

\*\*\*



## عبد المحسن الكاظمي

ما رأيت كاتباً وصف الكاظمي رحمه الله كما وصفه إبراهيم عبد القادر المازني حين قال : ظل الكاظمي رحمه الله يقول الشعر نصف قرن أو يزيد والناس يترعونه ويكبرونه ويعجبون به ، ويقولون هذا شاعر العرب وبقيّة السلف الأول ولا يخطر لهم أن الانسان — ولو كان شاعراً — يقات بشيء آخر غير الفناء . وقد أقيمت في مصر وحدها مائة حفلة وحفلة لتقديم زيد أو عمرو من رجال السياسة أو الحرب ممن سيمضون وينسون ويبقى ذكر الكاظمي ، وكان الكاظمي يدعى إليها ، ويستدرج فيها إلى الكلام فيقول ويستحث فيفيض ويستزاد فيهبض ويسبح ثم ينقلب إلى بيته ناشف الريق ، جاف اللسان موجع القلب مطوى الأضالع على الكمد الوحيد الذي تغنيه العبارة عنه ويفترضة أباه إذا هم بالجهر به . وقد كان هو أولى بالتكريم وأحق بالتعظيم ، وأخلق بالمؤازرة والاسعاف وأنه لمن الغريب أن ينهض الشرق الآن ينهض الكاظمي ويعظم ذكراه بعد موته وفي حياته ما أولاه اللقطة المسعفة ، وماذا يبالغ الكاظمي الآن ، ما احتفاله بما يعمرو ذكراه ومن مات فقد استغنى عن الدنيا والاتصاف أيضاً .

والحق أن عبد المحسن الكاظمي نموذج رائع من شعراء العرب في فترة الثلاثينيات من هذا القرن وقد عني به الأستاذ عبد القحوص الأنصاري صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل حين ألف عنه كتابه المشهور ولقد تمت بدراسة هذه المرحلة من الأدب العربي المعاصر في مختلف أجزاء الوطن العربي فيها رأيت شاعراً شديداً حقيقة وهز نفسي على النحو الذي فعله الكاظمي الذي ترك وطنه العراق وأقام في مصر عزوفاً عن المطامع حتى ما استطاع أحد أن يخدعه ورفض أن يذل لكي ينال عطية ما ، وعاش مع ابنته — رباب الكاظمي — حريصاً على الأباء والكرامة والشرف ، ولكنه ما يمتنع عن أن يشترك في أي مهرجان ، فهو حاضر ، ما أن يدعى ويقف حتى ينفض ذراعه جنبه ثم يمضي إلى المائدة من الأبيات كما فوقها دون أن يتوقف ، وهو في شعره مثل رائع البيان والبلاغة وحسن الأداء .

وتحدث الكاظمي يحكي عن تلك القدرة الخارقة في الشعر يقول : بدأت المطارحة وبنى ستة عشر عاماً نظمت قصيدة عربية عدد أبياتها خمسة وخمسون بيتاً وقد بلغ من الأمر أنني عندما نشرت أول قصيدة لي لم ينسبوا لي ونسبوا لي أدب كبير ولكن لم تمض مدة حتى ظهر اسمي وانتقلت الآية فصار الناس ينسبون لي كل ما يستحسنونه من الشعر الذي لم يعرفوا نائله . ومن شعره الرائع قوله :

أرق إذا قيل العراق وأثنى  
 واشتهق أن قيل الشام وأزهر  
 واطرق أن قيل الحجاز على جوى  
 وأعجب إذا ما قيل مصر وأبهر  
 منى النفس أن يلقى العراق وغيره  
 من الخبر ما يهوى وما يتخير  
 إذا نحن وحننا القلوب فلم ينل  
 إذا ما غدت أجسامنا تتعثر  
 وما نزعات العرب مرئى حالم  
 يعبر فيها ما يشاء المعبر  
 ولكنها آمال قوم تضامنوا  
 بنصر ومن يمشى مع الله ينصر

\*\*\*

### صلاح الدين في تقدير قادة العرب

تحدث كثيرون من كتاب الغرب عن صلاح الدين الأيوبي وبالرغم من كل أساليب الكراهية والخلاف التي نشرها عنه فإن صلاح الدين استطاع بعلمه الذي استمد أسلوبه من جوهر الإسلام أن يكون موضع تقدير المؤرخين والباحثين غير أن القائد العسكري البريطاني (مونتجمزي) عندما يتحدث عن صلاح الدين الأيوبي فإنه إنما يعني حكمة صلاح الدين العسكرية والحربية بصفة إنسانية يقول : كان صلاح الدين حاكماً قديراً ومسلماً ورعاً واستراتيجياً بارعاً . أنه بنى قوته بانتظام وعن طريق المواعظ الذكية وأعد رعاياه للجهاد أي الحرب المقدسة ضد الصليبيين مما جعل الصليبيين في خطر دائم لم يشعروا به من قبل .

إن صلاح الدين هو الذي يحكم سوريا ومصر في عام ١١٧٤ م وهكذا كان رجاله في الشمال والجنوب يعملون وفقاً لخطة واحدة مشتركة ، وتعرضت خطوط الإمدادات التابعة للصليبيين لتهديد الأسطول المصري وكان ثمة خلافات بين قادة الصليبيين الذين نهبوا إحدى قوافله . وزحف صلاح الدين عبر الأردن حيث أباد قوة تضم ١٣٠ رجلاً من فرسان الصليبيين وفرض حصاراً على قلعة طبرية ، ودعا بعض القادة الصليبيين إلى التقدم والزحف ل فك الحصار المفروض على القلعة ولكن القائد الصليبي ريمون قدم نصيحته التي كانت تلخص في أن مثل هذا الزحف سيؤدي إلى الوقوع في الكمين الذي نصبه صلاح الدين الذي تتفوق قواته في العدد كما أن الجنود الصليبيين سيعانون العطش لأن الحرارة شديدة ولم يستمع بقية القادة إلى نصيحته بالتزام موقف دفاعي وفي يوم ٣ يولية ١١١٧ قاد (جى دى لوسيجنان) القوات الصليبية إلى إبشع كارثة وهي (معركة حطين) عند التلال الغربية لبحيرة طبرية .

## أنا عضو في جامعة المسلمين

عندما يؤرخ لحركة اليقظة الإسلامية في العصر الحديث : يأخذ « أحمد تيمور » حيزا كبيرا في هذا التاريخ فقد استطاع بنفوذه وجاهه ان يعين على انشاء الجماعات الإسلامية التي قاومت التبشير والاستشراق ونفوذ التغريب والغزو الثقافي بعد سقوط الخلافة العثمانية في مصر . واستطاع ان يمكن للسيد محب الدين الخطيب في اصدار مجلة اسلامية اسبوعية هي مجلة الفتح في وقت لم يكن ذلك ميسورا ، في نفس الوقت الذي استطال فيه دعاة التغريب وظهر كتاب الشعر الجاهلي لطفه حسين والاسلام واصول الحكم لعلي عبد الرازق وفتحت صفحات جريدة السياسة ومجلة الهلال والمصور لسلامة موسى ، محمود عزمي ، واسماعيل مظهر وغيرهم للدعوة للبهائين والتغريب ومحاربة اللغة العربية والاسلام . لم يجد امثال مصطفى صادق الرافعي والخضر حسين وعبد العزيز جلاويش مجالا للدفاع عن الاسلام لولا ذلك الجهد الذي بذله هذا الرجل لذي كلن ينكر ذاته ويعمل في صمت من اجل الدفاع عن الاسلام .

وكانت جمعية الشبان المسلمين هي الركيزة الاولى للعمل الاسلامي الكبير الذي جمع الشباب المسلم تحت لواء لا اله الا الله محمد رسول الله هذا الرجل الذي كان ينفق كل ما يحصل عليه من اطيانه وارضه في سبيل الله ، ينفقه على الأسر المحتاجة الفقيرة وعلى شراء كتب التراث الاسلامي واعادة طبعها وتصويرها بعد ان سرقت وهجرت ارضها ، فهو دائب على تصويرها ودفع المبالغ الطائلة في سبيل ذلك وقد حملت اليه نواذر المخطوطات من الآستانة والمغرب والحجاز واليمن والشام والعراق وظل النساخ ينقلون اندر كتب التاريخ والادب واللغة والجغرافيا من المكتبة الظاهرية في دمشق والخالدية في بيت المقدس ، كما استنسخ بالفوتوغراف مجموعة عظيمة من الخزائن الكبرى في باريس وروما وفيينا والآستانة وغيرها حتى من خزائن الفاتيكان نفسها .

ذلك هو أحمد تيمور :

## أنا مسلم عربى اللسان

عندما عرض عليه الاشتراك فى الجمعية الطورانية قال : أنا عربى اللسان . عاش حياته محافظا على تاريخ رسائله ومؤلفاته بالتاريخ العربى وشجع كل دعوة للدفاع عن العربية والإسلام وقاوم التيار العدائى الذى واجه لغة الضاد وأنفق وقته فى العمل النافع للثقافة والإسلام فاستنسخ عددا من الكتب فى خزائن مكتبات أوروبا والقسطنطينية بالتصوير الشمسى . واستقال من الرابطة الشرقية بعد ظهور كتاب الإسلام وأصول الحكم ومؤلفه من أعضائها ، تتلمذ فى مطلع شبابه على العلامة حسن الطويل وقرأ عليه طرفا من الفلسفة القديمة وصحب الشيخ الشنقيطى فقرا عليه المعلقات السبع ودواوين العروض وبعض الرسائل اللغوية وأجرى تحقيقا علميا فى التاريخ الإسلامى والخطط المصرية والحديثة والعمران عند العرب وله مؤلفات فى أعيان القرن الثالث والرابع عشر . كما صحح لسان العرب والقاموس المحيط وغنى بفتح التصوير عند العرب ولعب العرب . وأعد معجم اللغة العامية والأمثال العلمية وترجم المهندسين العرب وأعد فهرسا لخزانة الأدب التى ألفها البغدادى .

حرص على اقتناء نوادير الكتب وخاصة المخطوط منها حتى بلغت مكتبته ١٧ ألف مجلد منها ٢٥٠٠ مخطوط . وكان ينفق كل ما يصل الى يده من المال فى شراء هذه النوادير من مختلف مكتبات العالم .

وكان يعتقد خلقته فى درب سعادة وعين شمس والطمية أو ذهبية فى النيل ومنزله فى قويسنا ، تضم البارودى وإسماعيل صبرى ومحمد عبده وظاهر الجزائرى ومحمد كرد على وعبد المحسن الكاظمى .

صور شارع الخليج المصرى قبل ردمه وصوره من جميع جهاته .

كما زار بقايا دار ابن لقمان التى سجن فيها لويس التاسع ملك فرنسا بحراسة الطواشى صبيح فى اغارته على مصر المعروفة بالحرب الصليبية النابغة . استقدم الكتب من الأسفانة وسوريا والعراق والمغرب . وكلما وقع فى يده كتاب مخطوط عمل له فهرسا يبين أبوابه وفصوله ويبين الغريب والنادر منه .

قال : اننى لا أعرف من السياسة الا مادة ساس يسوس التى أراها فى المعاجم . فاذا ذكرت الحكم بخير أو بشر فأتىها أنكرها من الوجهة العلمية فقط .

يقول : أننا فى حاجة كبيرة لألفاظ عربية تغنيها عن الدخيل لهذا نرحب

بكل لفظة فصيحة ترادف أقرب لفظة دخيلة بل أن النظر في وضع هذه الألفاظ من أهم ما يجب أن تشغل به المجامع اللغوية أن لم يكن أهمها كلها .

وفي كتابه ( التذكرة التيمورية ) اتخذ تيمور أكثر من سبعمائة موضوع رعوس مباحث لهذه المسائل .

يقول : خرجت من المدارس بعد تلقى العلم وأنا في سن العشرين وقد علق بالعقيدة شيء من آثار التربية بهذه المدارس . إلا أني كنت مولعا منذ الصغر بالاسلام ومحاسنه ومطالعة السيرة النبوية ومناقب الخلفاء .

فكان ينشر صدرى لأشياء وينقبض لأشياء ، تقع فيها شبهات ثم كنت أعرض ما يظهر لى من مكارم الشريعة ومقاصدها على ما عليه الناس من البدع والمحدثات التي تمسكوا بها وجعلوها من الأصول الدينية فأجد التناقض والتصادم فصرت أتردد على كثير من علماء الأزهر وغيرهم لعلى أجد عندهم مخرجا فأراهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات حتى كدت أحكم بأنها من الدين حتى أرشدنى بعض الأصحاب الى حسن الطويل فأخذت في السؤال عنه فكانوا ينفروننى منه حتى بالغ بعضهم ، ثم سميت في الاجتماع به وسألته القراءة عليه والتعلم من علمه فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق وأعدت عليه الصرف بتوسع وعلوم البلاغة ولما رآنى مجدا قرر لى درسا ثانيا بعد العشاء كما نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها وأنا في كل هذه المدة أستوضح ما أشكل على فيطه لى فكان اجتماعى به ومصاحبتى إياه من أكبر نعم الله على فى دينى وكثيرا ما كان يقضب منى ويؤثبنى اذا رأى منى تهاونا فى الصلاة ، وكنا نذهب الى ضيعتنا فى قويسنا أو الى حلوان نقضى الوقت فى مطالعة واشتغال حتى فى حالة المشى والتنزه كنت أحمل الكتاب معى وأسمعه فيه فيقرر فى المسائل ونحن سائران .

وهكذا جدد أحمد تيمور فكره وفق مفهوم الاسلام بعد أن تعلم فى صباه فى المدارس الفرنسية والارساليات . وكان نه اتصال بالأستاذ طاهر الجزائري علامة دمشق وانستاس الكرملى علامة العراق والشنقيطى علامة شنقيط — موريتانيا الآن — يتلقى منهم ويستفيد وظل مثابرا على ذلك حتى أصبح الحجة فى اللغة والأثرىات والتاريخ .

وقد كتب فى صحف عصره فصولا مطولة : كتب فى المؤيد والضياء والمقتبس والمقطم والأهرام والهلل والزهراء والهداية الاسلامية ، كتب عن السفن الاسلامية ، المهندسون الاسلاميون ، التصوير عند العرب ، الدافع والمكاحل عند العرب ، لعب العرب ، ساعة عربية فى زمن المستنصر العباسى ، الطربوش ، صحح لسان العرب والقاموس المحيط ، الكرات العربية والأرضية

والفلكية ، أسماء الكلاب عند العرب ، الرتب والألقاب ، نواير المخطوطات  
وأماكن وجودها . كما كتب عن أعيان القرن ١٣ و ١٤ .

وقد تسلمت دار الكتب المصرية مكتبته بعد وفاته : ١٧ ألف مجلد  
منها ٢٣٩٠ لغة و ٢٦٧٥ أدب و ٤٩٥٦ دين ورحلات و ٣٩٧٤ لغات ومعاجم  
و ٤٢٧٣ تاريخ وبلدان واجتماع . ومجموعة من المؤلفات والوثائق بخط مشهورى  
العلماء من القرن السادس الى القرن العاشر الهجرى . بالإضافة الى الآلات  
الفلكية والأواني الصينية والخزفية ومحابر المشاهير وأقلامهم وصور  
صلاح الدين والجزائرى والأفغانى وحسن الطويل . وما من كتاب من هذه  
الكتب الا وله عليه تعليقات .

وهو الذى اكتشف أن نابليون حمل معه من المصاحف الكوفية المخطوطة  
على الرق ما يبلغ ٢٢٧ مصحفاً ما تزال حتى الآن فى دار الكتب الأهلية  
فى باريس .

وقد فكر نور الدين مصطفى فى تأليف الجمعية الطورانية من غير المصريين  
من أرناؤوط وجركس وترك وكرد فلما عرض عليه قال : أنا عضو فى جامعة  
المسلمين وائى ولدت عربى اللسان وتأديت بأداب القرآن لأن الأرناؤوطى  
ليس بطورانى والجركسى ليس بطورانى بل انهم كلهم نشأوا فى مصر عربا  
مسلمين لا يعرفون غير العربية لغة والإسلام ديناً .

\*\*\*

## رجلان آمنّا بمسئولية الكلمة

يمثل المرحوم أمين الرافعي قمة الايمان بالحق والصلابة في أدائه أزم، جاتحات النظم والعدوان وهو في سبيل أن يقول الكلمة خالصة لله دون مواربة أو مداجاة دفع الثمن غاليا من صحته وصحيته وحياته ولكنه بقي رمزاً عالياً من رموز التضحية الحقة فقد اضطر أن يعارض « سد زغلول » وسعد في قمة عظمتة السياسية ونفوذه الألبى على الجماهير ولكن ذلك لم يرد أمين الرافعي عن كلمة الحق يجهر بها ويصدع دون أن يخشى ذلك السيل الدافق من المظاهرات المعادية التي سلطت عليه تحطم جريدته حتى دخلت هذه القوى الكاسحة فإذا هي آراء رجل واقف في محراب الصلاة لا يخاف غير ربه فاضطرت هذه الجحافل إلى التراجع لأنها وجدت رجلاً لا يباع ولا يخوف ولا يفترى بالقليل من لماعة الدنيا .

يقول الدكتور محمد حسين هيك : كنت عند أمين في مكتبه أيام كان مختلفاً مع سعد باشا في نظرية المفاوضات وفيما نتحدث اتبل جهاة من الطلبة تقدم إليه أحدهم قائلاً :

أنا قد جنناك لقبين لنا ما يضر البلاد من هذا الخلاف الذي بينك وبين سعد فالناس جميعاً يعرفون فيك الاخلاص والصدق وفي الانقسام مضرة ..

قال أمين الرافعي : ان الذي وهبني قلمي وعقلي أوجب على أن لا أقول إلا الحق ، وما أصدق أن الحق يمكن أن يضر ، وإنما الضرر كل الضرر في الدعوة إلى ما ليس بحق واتباعه وساتباع السير في خطئي أيا كانت النتائج وما أتراجع عنها حتى يفصل رأسي عن جسمي ..



وقع الخلاف بين سعد زغلول وأمين الرافعي واشتد منذ خطب سعد زغلول خطبته التي أعلن فيها أنه أصبح يقبل استئناف المفاوضات مع بريطانيا دون أن يفكر في ( تعديل الأساس ) الذي ينبغي أن تقوم عليه المفاوضات ، وهو إلغاء الحماية البريطانية ورفع الأحكام العرفية وقبول الانجليز للتحفظات المصرية وكلها أمور قال بها سعد قبل تولي الحكم ثم رجع عنها بعد ذلك ..

وقد تعرض أمين الرافعي من أجل ذلك للأخطار الشديدة في حياته

وخصه وجريته ، وقد أثر الفقر والاضطهاد في سبيل كلمة الحق ورفض في سبيل ذلك الكثير من رغبات السياسة الذين كانوا يحاولون اغراء بان يضعوا تحت تصرفاته ما يشاء من الأموال في سبيل مساهمتهم في مبادئهم .. وكان سعد بالرغم من خلافه معه يرجع اليه كقفيه ومقاتوني ضليع وهو بالرغم من خلافه مع سعد كان اول من طالب باعادته من منغاه حين نفى ..

ولم يكن هذا هو موقفه الوحيد ولكنه كان موقفه الذي ختم به حياته ، ولقد كان خلال حياته كلها مصرا على موقف الرجولة والايمان دون أن يضع في تقديره أي خسارة مادية .. ولما قامت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ كان أمين الرافعي يصدر جريدة الشعب ولما علم أن الانجليز يعدون اعلانا لاتقرار الحماية على مصر بدعوى زوال السيادة التركية ولأن هذا الاعلان سيفرض على كل الصحف أن تنشره لأنها واقعة تحت الاحكام العرفية . ولما كان أمين الرافعي لا يقبل أن ينشر في جريدته مثل هذا القرار الأسود ، ولذلك فانه عمد الى جريدته فأغلقها حتى لا يضطر الى نشر هذا الاعلان وما يتبعه من قرارات عسكرية وبلاغات حربية . أغلق جريدته وهي في أوج عظمتها وفي قمة الصحف ذيوها ، لذلك لم يلبث الانجليز قليلا حتى اعتقلوه وزجوا به في السجن أحد عشر شهرا ولم يدل كل ذلك من ايمانه وعقيدته وما كانت الحرب العالمية تنتهي حتى اصدر جريدة الاخبار وكان موضع تقدير رجال السياسة العالمية وكانت له مواقف غير معروفة للناس ، لم يقبل أن يشير اليها ولم تعرف الا بعد وفاته ، وقد أشار الدكتور فارسي نمر الى حادث وقع له يدل على اعتداده وتواضعه عن ذكر ما أسداه لوطه من فضل ذلك أنه لما قامت الحركة الوطنية عام ١٩١٩ نذبت صحيفة التيمس صحفيا كبيرا من شيوخ الصحافة الانجليزية الكاتب المعروف لدى المصريين اذ ذاك ( السير فالنتين شيرويل ) لبحث المسألة المصرية ومطالب الوطنيين وكان صديقا للدكتور نمر رئيس تحرير المقطم ، وطلب اليه أن يعرفه بثلاثة من المصريين المشتغلين بالحركة الوطنية لأنه يريد أن يحدثهم حتى اذا اقتنع بحجتهم ووجاهة مطالبهم سعى في بلاده الى قبولها فكان المصري الاول الذي خطر ببال الدكتور نمر هو المرحوم أمين الرافعي فخطبه في ذلك ورجاه أن يختار الاسمين الآخرين ليذهب معهما الى السير شيرويل بفندق الكونتنتال وقد ذكر الكاتب الأجنبي ما لقي من أمين الرافعي من ذكاء وقوة حجة واقناع وانه لذلك سيؤيد المطالب المصرية .

وهكذا كما وصفه المازني بأنه كان من اصحاب الأمانة الصحفية وكانت الأمانة في الصحافة عنده الا يقبل فيها اغراء ولا يراعى الا ولا نسبها ولا كسبها ولا مغنما فلم يخدعه زخرف الدنيا ولا مالها ولطالما عرضت عليه المناصب فكان يقول : ان مهمتي الوحيدة في هذه الأمة أن أقول ما اعتقد وان أقوله في الصحافة ، وعاش صحفيا لا يعرف في الصحافة غير الدعاية ولا يعرف في الدعاية الا الطريق القويم بلا مواربة ولا غيوض ولا ابهام ولا مجاملة ، وكان يحرق ويصحح وينقذ ويراجع كل ما يكتب في جريدته حتى الاعلانات انتقاء كلمة واحدة لا تنطبق على يقينه ومعتقداته والمرض ينحت في جسمه نحنا ، والسقم يزيد فيه يوما فيوما .



وصفه محمد توفيق دياب بأنه وقف من حصن مبادئه على صخرة صلبة عالية لا ترتفع إليها مجريات الحوادث الواقعة ولا يجذبها ما يجري به الوادي الخصيب على العاملين من خيرات ونعم ، كلا ولا يزحزحه خطب ملم أو عاصفة كاسحة .

أما عبد العزيز جابوش فهو نموذج رائع للأصالة الإسلامية والتصميم والصمود في الاستمساك بكلمة الحق لا يخاف ولا يخشى إلا الله .. كان عنيفا إذا أحب وعنيفا إذا أبغض ، لم يكن رجلا سياسيا فيه مكر السياسة ودهاؤها بل كان صادق الإيمان مع نفسه قوى العاطفة يرى أن الدين والوطن فوق كل شيء ، مات وليس عليه غير جبينه وليس في بيته قرش ، لقد كان الطريق مفتوحا أمامه لأن يكون علما ومثريا ولقد بلغ أرقى المناصب وتركها غير أسف ليعمل في مجال الصحافة المليء بالمتاعب والأشواك بينما يلتبس الطامعون الطريق المفروش بالورود فلا يعادون الانجليز ولا يقولمون الاستعمار ، أما هو فقد عاش خصما لبريطانيا عنيف الخصومة .. وقد تعلم بها وأبغى في أرضها سبع سنوات ، وإذا به يتجه لعنفه يمضي في الأرض مهاجرا طريدا ، كانت خصومته لبريطانيا بالغة . وكان يرى أنها تخذع العرب والمصريين جميعا .. وأن وعودها لهم كاذبة . وقد صدقت الأيام بعد الحرب الأولى نبوءته فقسمت بريطانيا البلاد العربية بعد أن أعطت موافقتها إبان الحرب باتامة الدولة العربية ، وقد واجه الشيخ جابوش خصومه بروح الاستعلاء على الحقد والارتفاع عن الكيد .. فأذا كانوا قد حققوا عليه فقد ساعد أسرهم بعد عودته وكاثوا يضربون خصومتهم له ويظهرون قلقهم .. ولكنه كان إذا خاصم صارح ، وهاجم ، وكان ظاهره كباطنه « كتاب مفتوح » يؤمن بأنه حارس لا يفقد سلاحه وخفي لا ينام ..

ولقد كان مفتشا للغة الإنجليزية في مدارسنا وهو معلم ، ولقد ألف كتاب مترجم المترجم : أول كتاب اهتدى به المدرسون للترجمة بين العربية والإنجليزية ، ولقد دخل فصلا من الفصول مرة فظننه المدرس قد أخطأ الطريق وقال له : هذه حصة اللغة الإنجليزية ، فأمسك الكتاب وقرا القطعة الإنجليزية في فصاحة وترجمها وسأل التلاميذ والمدرس حتى دهشوا ، فلما سئل قال : أنا مؤلف هذا الكتاب الذي تعلمونه وتعلمونه ..

وعندما رموه بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية صحح مفاهيمهم وقال : لو كان الذين رموني بهذه التهمة ممن يعقلون لعرفوا أن الشرق برمته كلمة واحدة لا يسلم منه جزء إلا بتناسكه هو وغيره ولا يمكن لأمة مهما بلغ عددها أن تنفوز إلا إذا اعتصمت بأختها المشاركة لها في خصائصها .. وفي كل ما اتهم به كانت الحقيقة تكشف عن نفس كريمة حتى وصفه صادق عنبر بحق أنه كان كالحصن المنيع ترتد عنه حملات خصومه قبل أن تبلغه لأن بينه وبينها سدا من ثبالة قصده .. رفض الوظيفة ورفض أن يرسل من سجنه خطاب اعتذار ليفرجوا عنه ، وقبل وسام الشعب ، لم يكن تابعا لأحد غير معتمد على أحد سوى الله تبارك وتعالى ، وكان لهذا غريبا ومستغربا ولا يتقبله الناس بالبساطة .

\*\*\*

ويقول الأستاذ المازنى اتصلت اسبابى به وعرفت أن أكثر ما تصل إليه يده يذهب في سبيل المعوزين ، وأن دائرة جهاده لا يحدها القطر المصري ، وليس من حقي أن أنشر ما طواه الموت مما عرفته عنه بعد أن خلطتني به الأيام ، الشيخ الشاويش أنه كان امرأة لو شاء أن ينعم بالثراء ويقضى حياته في ترف لين لكان له ذلك فقد كان في تركيا صاحب حول وطول وكانت له كلمة مسبوعة ورأى مطاع وكانت أمه خزانة الدولة ينفق منها كيف يشاء ومع ذلك رحل إلى ألمانيا وليس معه قرش واحد ، واضطر في جملة ما اضطر أن يحتطب في الغابات ليكسب رزقه ويقتات كأجمل عامل فقير .. وكان رجلا لا تهده المتاعب ولا تؤنسه السنائس فكان في تركيا ينام على ظهر جواده بين الثلوج المترامية بلا ككل وكان ربما نجحت الوشاية به فيضطر أن يختفى في بدروم بيت أياما عديدة لا يذوق فيها أكثر من اللبن ودارت الأيام ففر من تركيا فقيرا معدما لا يملك قوت يومه وكان في مصر لا يفتأ ينتقل بين السجن والبيت واحتفل به الشعب مرة وجر مركبته بدلا من الجياد فلما آب من تركيا للمرة الأخيرة ورشح نفسه لمجلس النواب حصبه العامة في الاسكندرية بالحجارة والجاؤه إلى المسجد العباسي ، عمل في جريدة الاخبار يدفع بالمقال إلى مثلى وأنا في مرتبة أبنائه قبل أن يبعث به إلى أمين الرافعي فيبدو لي وجه اعتراض أفضى به إليه فينتسم ويقول :

صدقت .. ان عذرى انى كالغريب .

ويمزق الورقات غير آسف ولا مستنكف . وكان تواضعه هذا يروغنى ويسحرني لأنه أدل على سمو النفس وبساطتها وسعة الروح وسماحتها ..

وكان عقله لا يكف عن التفكير في عمل صالح . ولم يكن يصرفه عن ذلك إلا أنه لا يكاد يجد القوت الا كفافا ، وأنه عائش لا يدرى كيف ؟ سألته : هل تعرف كم قرشا في جيبك .. فضحك وقال : لا والله .

قلت : جرب لترى ، قال وهو يبتسم : لا تفضحنى ..

قلت : لست خيرا منك ..

حضرته يوما من رجل سوء رأيته يطمئن إليه ويأمنه فلم يحذر لان الاسترابة بالناس لم تكن من خلائقه فقلت له مشفقا من عواقب هذه البساطة : انك سريع التصديق وأطيب قلبا مما ينبغي وعندك ان في نفس كل انسان عنصرا ملائكيا وان العطف والثقة تظهراته .

كان طبيعته رجلا حالما وبارادته رجلا عمليا ، وكان تعادل هاتين القوتين هو الذى يبقيه متزنا ، وكانت تغلب ارادته أحلامه فيعمل بسرعة واحكام وقد تظهر طبيعته بارادته فتراه انقلب أشبه شيء بالشاعر يفكر في عطف وحسو .. وعاش عمره موزعا بين طبيعته وارادته ، أحلامه أحلام نفس شغافة حساسة تعرف الدنيا وتزهدها فيها ولا ترى الفرد الا في الجماعة ..

## رجلان من الدعاة إلى الله

من هؤلاء الدعاة إلى الله الذين ذهبوا إلى أقصى الأرض رجلا لا ينسأهما تاريخ الدعوة الإسلامية .

كم من الدعاة الذين يحملون لواء ( لا إله إلا الله ) ويذهبون به بعيدا في آفاق الأرض يحملون إلى الناس كلمة التوحيد ما أكثرهم في القديم وما أكثرهم في هذه العصور ، وما الصنيقي وعبد الرشيد إلا نموذجا لهؤلاء الأبرار الذين وهبوا حياتهم في سبيل كلمة الحق .

أما « عبد العليم الصديقي » فقد كان ثريا له تجارة ضخمة وله أرباح وافرة ينفقها كلها في سبيل الله وكان ينفق ماله ووقته في منطقة جنوب شرق آسيا يدعو أهلها إلى الإسلام وتمضي السنوات الطوال على هذا العمل ويرسل من يدخلون في دين الله إلى مكة المكرمة في موسم الحج حتى يثبت قلوبهم برؤية الكعبة ولقاء المسلمين من كل مكان .

ولقد ذهب إلى الصين واليابان داعيا الله مبشرا غير متكل — كما يقول — في مهمته إلا على الله الذي وفتى لهذا العمل غير مبال بأعدائى الذين يترصون به ويقيمون العرائيل في سبيلى . يقول : غادرت الهند وطلعت بالبلاد الصينية مبشرا بالإسلام ثم سافرت إلى الجزائر اليابانية وقد هدى الله على يدى الله الحمد عددا من اليابانيين الذين قالوا لى أن الدعوة الإسلامية لم تصل إليهم وأن منهم من لا يعرف أن الإسلام دين الهى وما كانوا يعرفون إلا المسلمين المنتشرين بينهم وكانت له رحلات إلى شرق أفريقية وجزائرها : دار السلام وموزنبيق ومدغشقر وجزائر القمر وسيشل حيث يعمل دعاة النصرانية هناك بنشاط عظيم ويدهم المغريات والأموال ينفقونها على الأهالى لسحبهم إلى المسيحية .

أما الشيخ عبد الرشيد إبراهيم فقد ذهب إلى سيبيريا ثم توغل في قلب آسيا ، ومنها إلى الاستاتة والمانيا ولتوانيا وموسكو يقول : رأيت موسكو عبارة عن جسد بلا روح ، وجدت أحد الأصحاب في موسكو ونزلنا بداره ثم حققت أحوال المسلمين فوجدتهم سحقوا بشكل رهيب حيث قتل جميع أغنيائهم وجميع عائلاتهم كما أغار البولشفيك على جميع الكنائس وسلبوا منها كل شيء .

وزار في سيديا مدينة أومفا ومدينة ثارا ثم هبط إلى التركستان الصينى حيث يوجد ١٢ مليوناً من المسلمين الأتراك . ثم يقول : وتوغلت في بلاد الصين

ووصلت بكين بعد أن قطعت ٦٤٠٠ كيلو مترا وتقدمت منها الى لارى دستوق وعنت الى موسكو ، أما أحوال المسلمين في روسيا فهي أظلم ما يكون وإذا استمروا على هذا المآل خمسة عشرة عاما فلا مشاحة انه يزول الاسلام من روسيا تمام الزوال وقد جمع الروس ٨٠ ألف طفل من أطفال المسلمين وأرسلوهم الى ولاية ( المورجون ) التي لا يوجد بها مسلم واحد ليربوا هناك تربية بولشفية .

هكذا كان دعاة الاسلام يقطعون الارض جيئة وذهابا يبلغون رسالة ربهم لا يخافون شيئا . كان عبد العظيم الصديقي ينطلق من الهند الى اليابان وعبد الرشيد ينطلق من استانبول الى روسيا الى سيبيريا ولقد جاء الرجلان الى الحجاز والى مصر ورآهم أهل جيلنا وتحدث اليهم ، رأيت الصديقي في المدينة المنورة عام ١٩٤٦ يحكى للاستاذ حسن البنا مشاقه ومتاعبه في الدعوة ويحاول أن يجد حلا لهؤلاء الذين يسلمون ويقدمون الى الأراضي المقدسة . أما عبد الرشيد فقد قام برحلته بعد ١٩٠٥ الى البلاد الاسلامية واليابانية وكان قد التقى بجمال الدين الافغاني قبل ذلك ولبث نحو نصف قرن في نشر الدين الاسلامي . واشترك مع انور باشا في حرب طرابلس ، ولما قامت الحرب الاولى ١٩١٤ ذهب الى جبهة القوقاز مع الجيش العثماني ثم ارسل الى المانيا للاتصال بالأسرى المسلمين فيها كما ذهب ايضا الى اليابان وبنى مسجدين في مدينة من مدنها وصدقت له توتعات جمال الدين الذي توقع بسقوط دولة القيصرية . يقول : توغلت في بلاد الصين ووصلت بكين بعد أن قطعت ٦٤٠٠ كيلو متر وتقدمت منها الى لارى دستوق . وكان قبل ذلك قاضيا في سيبيريا في محكمة لاطلاعه على نيات القيصرية الخفية ضد المسلمين فسافر الى استانبول وطبع رسالة في نقد السياسة الروسية على المسلمين . ومن اليابان ذهب الى كوريا والصين وسنغافورة وجزائر ما وراء الهند ولما عاد الى الاستانة من أسفاره ١٩٠٩ نشر رحلاته في مجلدين كبيرين وكان في أحاديثه عجايب فقد جمع عشرات التجارب والرؤى والقصص والأحداث . كان يتحدث باستفاضة عن جماعات المسلمين ويصف أدواءهم وأدويتهم ، وله عجائب الأسفار وغرائب الأوطار وصفه الشاعر التركي محمد عاكف في شعره فقال :

كان يبيض قلبه في جبينه تحيط لحيته الطاهرة الناصعة وعمامته البيضاء الشاهقة بجهته الواسعة ووجهه الذي يرف عليه ضوء الصباح كما تحيا الهالة بالبدر . سبحان الخالق المعبود ما هذه الصباحة وهذه المهابة ما هاتان العينان ، بل الشهابان السماويان اللذان يحرقان الإدراك بشعاع واحد منهما واهما لهذه الحزمة النورانية الجاثقة من عينيك .

تلك لمحات عن الدعوة الى الله الذين قدموا حياتهم وأموالهم لله فما أحب الينا أن نرى اليوم هذه الصورة مجددة .

### المستشرق وآية واحدة من القرآن :

يقول الأستاذ كامل كيلاني فيما روى لي من ذكرياته .. كنت مع الأستاذ فنكل وهو من المستشرقين وكانت بيني وبينه صلات أدبية وثيقة

وكان يأخذ برأى في كل المشاكل التي تقابلها في الأدب لما يعتقده في من الصراحة ، غنى ذات يوم همس في أذني ، قال خبرني عن رأيك بصراحتك المعهودة ، أمن يعتقدون أعجاز القرآن أتت أم لعلك تجاري جمهور المسلمين الذين يلتفتون ذلك كائرا عن كابر . وابتسم ابتسامة كل معانيها لا تخفى على أحد . وهو يحسب أنه قد ألقى سهما لا سبيل الى دفعه فابتسمت له : كما ابتسم لي . يقول الأستاذ الكيلاني : قلت : لكي نحكم على بلاغة أسلوب بعينه يجب أن نحاول أن نكتب مثله أو نظده فلنحاول ليظهر لنا أئحن قادرون أم عاجزون عن محاكاته وقلت : فلنجرب مثلا أن نعبر عن سعة جهنم فيما نحن قائلون : فامسك بالقلم وامسكت به فكتبنا نحو عشرين جملة متغيرة الأسلوب يعبر بها عن هذا المعنى .

فقلت له مبتسما ابتسامة الظاهر الواثق :

الآن تتجلى لك بلاغة القرآن بعد أن حاولنا جهنما أن نحاكه في هذا المعنى .

فقال : هل أدى القرآن هذا المعنى بأبلغ مما أدبناه فقلت : لقد كتبنا أطفالا في تاديبه : فقال مدهوشا : وماذا قال ؟ قلت :

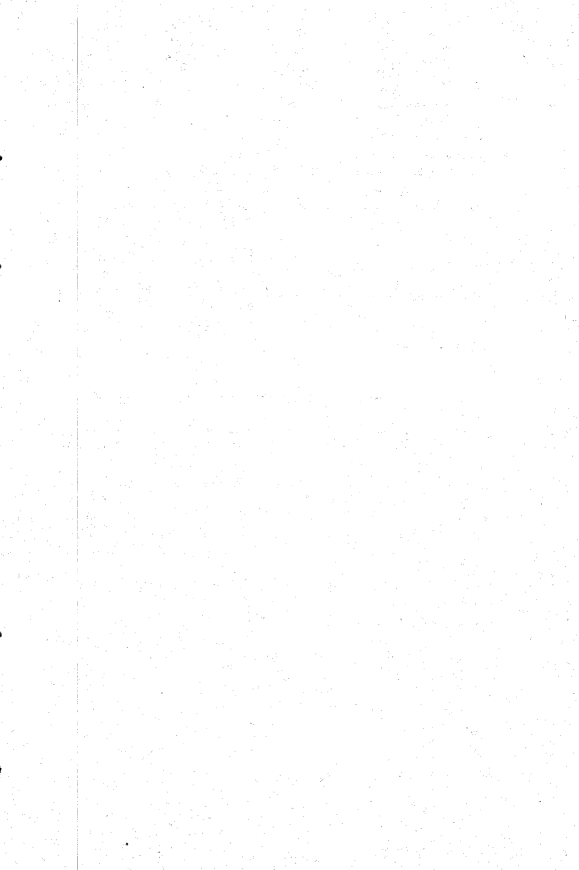
« يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » .

فصعق أو كاد وفتح فاه كالبله أمام هذه البلاغة المعجزة وقال : صدقت نعم صدقت .

كان كامل كيلاني صغير الحجم ، وافر العبقرية حتى أطلق عليه أحمد شوقي أمير الشعراء عبارة « عقرب الثواني » وقد اعتبر كامل كيلاني رائد أدب الأطفال في الأدب العربي المعاصر ، وقد بدأ في إنشاء ( مكتبة الأطفال ) عام ١٩٢٩ ودأب على إتمامها حتى أكمل منها نحو ألف قصة لم يطبع منها في حياته سوى مائتي قصة .

ولد بحى القلعة بالقاهرة في ٢٠ أكتوبر ١٨٩٧ وحفظ القرآن في الكتاب ثم التحق بمدرسة أم عباس وانتقل منها الى المدرسة الوطنية وكان من طلاب الجامعة أبان الفترة الشعبية قبل أن تصبح رسمية . وكان على وشك أن يسافر الى أوروبا كما سافر طه حسين وزكي مبارك وغيرهما وقد التحق بالأزهر بعد انتسابه للجامعة المصرية واشتغل بالتدريس في المدرسة التحضيرية ليعلم الإنجليزية والترجمة ، وعمل في وزارة الأوقاف وسكرتيرا لرابطة الأدب العربي وأمضى الكيلاني وقتا طويلا من حياته في التأليف والترجمة وتحقيق النصوص الأدبية وشرحها غالف ملوك الطوائف ، ومصارع الخلفاء وشرح ديوانى ابن الرومى وابن زيدون وأبو العلاء ثم انصرف الى أدب الطفل حتى وفاته ١٩٥٩ .





## الرافعى والرافعيون : شهداء الكلمة

كان الرافعى يرى أن عليه واجبا هو عليه اقدر وبه أجدر أن يكون للدين الاسلامى حارسا ونصيرا وللفة القرآن حاميا وظهيرا ينفث فيها روحا من روحه ويرد اليها مكلتها ويخوذ عنها اعداءها فلم يجترىء مجترىء من أهل الزيغ والضلال على لفة القرآن أو دين الاسلام الا وتصدى له وكشف عن خبيثة نفسه ونقد مفترياته وأبطل ادعاءاته ببراهينه الدامغة وعبراته اللاذعة واسلوبه العربى الرصين ..

وإذا ذكر الرافعى ورد على ذهن توا : أشهر الرافعيين : مصطفى صادق الرافعى صاحب وحى القلم ومدرسة الاسلام الذى جاهد خصوم القرآن واللغة العربية ، ووقف كالطود الراسخ أمام تلك المحاولات الخطيرة التى كانت تستهدف حرب الكلمة .

ولكننا لا ننسى فى هذا المجال أمين الرافعى صاحب الاخبار والصحفى المسلم المجاهد الذى مات وهو يحتضن اللواء حتى لا يسقط من يده « وعبد الرحمن الرافعى مؤرخ الحركة الوطنية فى مصر .

أما مصطفى فكان علما على درء تلك المحاولات الخطيرة التى استهدفت لفة القرآن ، وهو الرجل الأعزل الذى وقف فى وجه طه حسين أماما بعد عام ومرحلة بعد مرحلة دون أن يتوقف وكتابه ( تحت راية القرآن ) خير شاهد على مقاومته لحملة طه حسين الظالمة على القرآن وتلك الحملات التى فجرها لطفى السيد الذى كانوا يطلقون عليه ( استاذ الجيل ) على اللغة العربية ، ومن عجب أنه قاد هذه الحملات وهو فى مطالع الشباب عام ١٩١٣ على صفحات البيان التى كان يصدرها عبد الرحمن البرقرقى وكانت كلمته فى مواجهة لطفى السيد ودعوته الى العامية من أقوى ما عرف عن الرافعى من كلمات ومن أصدق ما وجه الى هذه الدعوة المبذلة الضالة .

ولقد كان الرافعى أماما فى اللغة وأميرا للبيان حتى غدا أمثال الأب انستاس الكرملى يوجهون اليه الرسائل فيقول الكرملى فى رسالته :

الى فخر بلغاء المصريين الأستاذ الجليل مصطفى صادق الرافعى رفعه  
الله الى أعلى مقام .

أبدا كلمتى هذه بتأدية عبارات الشكر الصادق للهدية التى أطرقتى

بها وانت تابعة بلغاء مصر على ما اعتقده من صميم القلب وأحسن دليل لذلك انى اقتصيت جميع مؤلفاتك وزينت بها خزانتى ، فأرئو الى مطالعتها الفينة بعد الفينة ، كلما أردت ان أنزه نفسى وأطربها وأريحها من متاعب الحياة ، اذ حل عندى ( وحى القلم ) محلا رفيعا لما حوى من مختلف الموضوعات التى جاءت بأفصح عبارة وأبلغها ، بل تتحدى كل كاتب ان يأتى بضرعها لا سيما ان اغلبها لم تبر على خاطر من سبقنا فى الكلام ، لهذا اعتبرت دائما الاستاذ الرافعى — جاحظ العصر — وابن مقفعه أو بديع زمانه ، وقد نصحت للكثير من أبناء العراق ان يطلعوا ما كتبت أو تكتبه ، اذا ما أرادوا الجرى ، فالسابق فى ميدان الفصاحة والبلاغة ورفيع الإنشاء . ( ١٩٣٧ ) .

وليس العبرة فى ان تكون هذه معركة صامتة بين العقاد والرافعى ولكنها تمثل تيارا فيه من الأصالة والتكامل والإيمان العميق لمفهوم الإسلام فى هذه السنوات الباكورة من العقد الثالث الميلادى لهذا القرن وقبل ان يشتغل العقاد بالدراسات الاسلامية التى بدأها بعد وفاة الرافعى بسنوات .

ومن عجب ان نرى العقاد ينشر فى المقتطف رسالة ( أو من بالأدب ) فينبى له الرافعى فى العدد التالى لينشر رسالة تحت عنوان ( أو من بالدين ) فيقول : لا ثقة لى بمتخلى لا دين له ، فان الخلق يصله بحظ نفسه أكثر مما يصله بواجبات الناس ، ولا بفيلسوف ملحد لان الفلسفة تمزجه بالمادة أكثر مما تمزجه بالانسانية ، ولا بعالم جاحد لأن علمه لا يغفر جحده ولا بمصلح ينسلك من الدين لأن اصلاحه صورة من غروره ، أولئك لا يدرون أنهم لا يرون ولا يستطيعون الا ان يروا العالم فى حدود اغراضهم الصغيرة الفاتية ، اذ كان كل منهم يتناول الكون من حيث يجب هو لا من حيث يجب عليه . ثم يفسر الأشياء فى جزء منها لا فى مجموعها ، ويعتبر الزمن عمرا كعمر الفرد وهو تاريخ الوجود كأنها داخله فى الحد مع أنها لو حدث لبطلت ان تكون غاية ذلك أنه لا تسو حياة الفرد الا اذا كان جزءا من كل ، ولا يجتمع الكل الا اذا كان تاما فيها هو كل به فهو لا يموت ولا ينظر الى الغاية ، وفكرة الكل هذه لا يصدرها ولا يستوفى معانيها الى الخارج حدوده الذاتية الا — الدين الصحيح — اذ هو خروج بالفرد أبدا الى خارج حدوده الذاتية الصغيرة ، خروج بالفرد من شهواته التى تفصله عن غيره الى واجباته التى تصله بغيره ، وانتراع له من ذاتيته الى انسانيته ، ودفع بالانسانية نفسها الى الكل الذى هو اسمى .

لن تطاق الحياة الا اذا تبذلت فاتخذت لها اسلوبا غير اسلوبها الآتى من تركيب المادة . وانما صراع الأرض كله حول اقامة هذا الأسلوب الجديد أو هدمه وترميمه ، اسلوب الاخلاق والطباع الشديدة التى لا تطيقها الحيوانية فتسميها الإيمان ، كل ما يراد انسانية ، وأكبر هذه الانسانية ان تسد فى الإنسان مسد الدين ويعنى به ، فانها هو فى رأى كطعام أهل الجحيم ، « لا يسمن ولا يغنى من جوع » والطبيعة نفسها تهىء الإنسان للدين بأسلوب غريب هو هذا الحب الذى يخلق فطرة ، ذات أنواع مختلفة متعددة حتى لا يخلو منه أحد فلا معدل عنه ولا محيص .



ويبدو الرافعي في أهابه : داعية اسلاميا مؤمنا بالله والوطن في نشيده  
الذي يهز القلوب :

في ضميري دائما صوت النبي  
أمرا : جاهد وكابد واتعب  
صائحا : غالب وطالب واداب  
صارخا : كن أبدا حرا أبى  
كن سواء ما اختفى وما علن  
كن قويا بالضمير والبدن  
كن عزيزا بالعشير والوطن  
كن عظيما في الخطوب والزمن  
رب بالاسلام قد هديتنا  
رب من نورك قد أتيتنا  
فعلى عهدك ما أحييتنا  
أحرس الكرز الذي وهبتنا  
او أموت دونه موت البطل  
جانبنا أحيانا بقلب من جيل  
نمرا أحيانا بروح من شغل  
جاهدا أحيانا بجسم من عمل

ولقد كان للرافعي شعره الرصين الذي عاش به مع شوقي وحافظ  
وغيرهم في عصر واحد ، ولكنه رأى أن النثر يستجيب في أداء رسالته  
الخالصة للاسلام واللغة العربية والقرآن فانتقل الى ميدان النثر يخلق فيه  
ويعلو ويتصدر .

يقول الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي : لست أظن أن هناك من لا يعرف  
الرافعي بشعره الشاعر النابغ وقد أدى رسالته كشاعر كما أداها غيره  
من فحول شعراء هذا الجيل الذين أحبوا الشعر العربي وأعدوا اليه ماءه  
ورونقه وبهاءه ونبيه أغراضه وسرى معانيه .

ولقد أخرج الرافعي قديما دواوينه الشعرية المنوعة المبتكرة البديعة  
حتى إذا رأى أن المنظوم بطبيعته لا يتسع لتأدية رسالته الشاملة عهد  
الى أخيه المنثور ، وكان المتوقع أن يكون الرافعي شاعرا فحصب ، ولكنه  
خالف المعروف عند جبهة شعراء العربية وأظهر بطلان تلك النظرية  
المتعارفة بيننا والتي قدما المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون من أن الشاعر  
قلما ينبع في المنظوم وقد اختلف الناس في شأن أدبنا الرافعي فمن راض عنه  
كل الرضى ومن ساخط عليه كل السخط وأنت إذا حاولت أن تستشف  
ما وراء هذا السخط رأيت الإعجاب البالغ يتلامح لك ، ولكنه القصور  
والكسل يحمل هذا الفريق على أن يثور ويسخط .

وللحديث عن الرافعيين بقية وما يزال اسم ( أمين الرافعي ) وحديثه  
يرسم نموذجا حيا لخلق الاسلام ولكرامة صاحب القلم .



## الرافعى وإعجاز القرآن

مصطفى صادق الرافعى : امام من ائمة البيان وقلم مجاهد مشروع كالسنان فى وجه التغريب والغزو الفكرى سنوات طويلة منذ بدأ لطفى السيد ( استاذ الجيل ) عام ١٩١٢ يهاجم الفصحى — الى ان مات عام ١٩٣٧ وهو يقاوم مصطفى كمال اتاتورك وطه حسين وسلامة موسى ويدافع عن الاسلام ، فى البيان والرسالة وعلى صفحات البلاغ وكوكب الشرق وذلك تاريخ طويل على شبابتنا ان يتابعه فى كتب المعارك الأدبية ويعتينا منه هنا ذلك الموقف الذى وقفه حيثما دعا سلامة موسى الى فكرته المسمومة حول ميراث المرأة ، فنرى له هذا الراى الحاسم الذى يقف فيه الرافعى موقف المؤمن الذى يستلهم القرآن فيلهمه ، يقول :

ان ميراث البنت فى الشريعة الاسلامية لم يقصد لذاته بل هو مرتب على نظام الزواج منها وهو كعملية الطرح بعد عملية الجمع لاجراء نتيجة صحيحة من العمليتين معا ، فاذا وجب للمرأة ان تأخذ من ناحية وجب عليها ان تدع من ناحية تقابلها ، وهذا الدين يقوم فى أساسه على تربية اخلاقية عالية ينشئ بها طباعا ويعدل بها طباعا أخرى فهو يربا بالرجل ان يطمع فى مال المرأة أو يكون عالة عليها فمن ثم اوجب عليه ان يمهرا وان ينفق عليها وعلى اولادها وان يدع لها رايتها وعملها فى أموالها ، لا تحد ارادتها بعمله ولا باطباعه ولا بأهوائه وكل ذلك لا يقصد منه الا ان ينشأ الرجل عاملا كاسبيا معتبدا على نفسه مشاركا فى محيطه الذى يعيش فيه قويا فى امانته منزها عن مطامعه متهيئا لمعالى الأمور .

فان قلت كما يقول ( سلامة موسى ) ان فى الحق ان تنفق المرأة على الرجل وان تقدم له المهر ثم تساويه فى الميراث قلنا : اذا تقرر هذا واصبح يعمل به بطل زواج كل الفقيرات وهن سواد النسوة اذ لا يملكن ما يمهرن به ولا ما ينفقن منه وهذا ما يتحلباه الاسلام لأن فيه فساد المجتمع وضياع الجنين جميعا ، وهو مقصد بطبيعته القاهرة الى جعل الزواج للساعة واليوم وللوقت المحدد ، ولايجاد لقطاع الشوارع بدلا من ان يكون الزواج للعمر وللواجب ولتربية الرجل على احتمال المسئولية الاجتماعية بايجاد الأسرة وانشأتها والقيام عليها والسعى فى مصالحها .

ومن هنا وجب ان ينعكس القياس اذا اريد ان تستقيم النتيجة الاجتماعية

التي هي في الغاية لا من حق الرجل ولا من حق المرأة بل من حق الأمة ، وما فسء الشوارع وفسء المعامل في أوروبا الا من نتائج ذلك النظام الذي جاء مقلوبا فمن غلطات البيوت المتخربة والمسئولية المتهمة وهن الواجبات التي القاها الرجال عن انفسهم فوقعت حيث وقعت . ثم ان هناك حكمة سامية وهي ان المرأة لا تدع نصف حقها في الميراث لأخيها يفضلها فيه ، بعد الأصل الذي ينهنا اليه الا لتعين بهذا العمل في البناء الاجتماعي اذ تترك ما تتركه على انه لامرأة أخرى هي زوج أخيها فتكون قد أعانت أخيها على القيام بواجبه للأمة وأسدت عملا آخر أسمى منه بتيسير زواج امرأة من النساء . فانت ترى ان مسألة الميراث هذه متغلغلة في مسائل كثيرة لا منفردة بنفسها وانها أحكم الحكمة اذا أريد بالرجل رجل أمته وبالمرأة امرأة أمتها ، فلما اذا أريد رجل نفسه وامرأة نفسها وتقرر ان الاجماع في نفسه حماقة ، وان الحكومة خرافة ، وان الأمة ضلالة فحينئذ لا تنقلب أية الميراث وحدها بل تنقلب الحقيقة .

ويصل الرافعي الى القمة حين يقول :

للمرأة حق واجب في مال زوجها وليس للرجل مثل هذا الحق في مال زوجه . والاسلام يحث على الزواج بل يفرضه فهو بهذا يضيف الى المرأة رجلا ويعطيها حقا جديدا فان هي ساوت أخيها في الميراث مع هذه الميزة التي انفردت بها اتعبت المساواة في الحقيقة فتزيد وتقص اذ لها حق الميراث وحق النفقة وليس له الا مثل حقها في الميراث اذ تساويا . ثم يقول : انه لا يجوز ان يتكلم في حكمة الدين الاسلامي الا اذا كان قوى الخلق فان من لا يكون الشيء في طبعه لا يفهم الا فهم جدال لا فهم اقتناع .

\*\*\*

آخر العمود :

ان الرجوع الى الدين والى تاريخنا يولد الثقة بالنفس ويدفع الى الشجاعة والنضحية وقد فتح العرب الدنيا بفضل ايمانهم وان ثوات الكوماندوز العربية في حرب ١٩٤٨ وكان عددها لا يتجاوز ١٥٠٠ جندي يقودهم عدد محدود من الضباط لا يتجاوز العشرة وعلى رأسهم الشهيد أحمد عبد العزيز لم ينهزم في أي معركة خاضها ضد القوات الصهيونية بفضل تمسكها بالدين وايمانها . ان عامل التطور في نوعية السلاح عامل هام لا يمكن اغفاله ولكن الايمان هو العامل الحاسم الذي يحدد نتيجة أي معركة ، ذلك ان الايمان هو الروح ، وهو الحافز وهو الامل للمقاتل واذا غاب الايمان تحول المقاتل الى جسد بلا روح والى آلة بلا امل .

عبد الرحمن عزام

## الرافعيون

في مدينة طرابلس الشام وقبل قرن من الزمان عرف تاريخ الاسلام تلك الأسرة الرافعية التي كانت تنصدر مجالس القضاء : وعلى رأسها عبد الغنى الرافعى الذى وصفه صاحب كتاب ( نفحة البشام في رحلة الشام ) بأنه مفرد عصره ووحيد دهره العلم المفرد والكوكب الأزهر المنير شيخ العلماء بطرابلس وهو من سلالة الشيخ عبد الرازق الرافعى وقد انتشر بفضل هذا البيت الكريم الى أفاق البلاد الاسلامية والعربية وحظيت منه مصر بثمرة في مجال الفكر والتاريخ والسياسة والصحافة تمثلت في مصطفى صادق الرافعى أمير البيان وأمين الرافعى أصدق من كتب في الصحافة وعبد الرحمن الرافعى صاحب سلسلة تاريخ مصر القومى وفي مقدمتها مصطفى كامل ومحمد فريد . وقد عرف المثقفون العرب والمسلمون كثيرا عن مصطفى وعبد الرحمن ولكنهم لم يعرفوا الا قليلا عن ذلك الرجل الصائد الذى واجه القوى المختلفة اعزل الا من قلبه وإيمانه ووقف يدافع عن الحق دون أن يخشى شيئا وقد وصفه محمد توفيق نياض صاحب الجهاد بأنه وقف من حصن مبادئه على صخرة صلبة عالية لا ترتفع اليها مجريات الحوادث الواقعة ولا يجذبه عنها ما يجرى به الوادى الخصيب على العاملين من خيرات ونعم ، كلا ولا يزعزعه خطب ملء أو عاصفة كاسحة . . وصفه عارفو» بأنه كان طريقته وحده أداء الأمانة الصحفية وكانت الأمانة في الصحافة الا يقبل فيها اغراء ولا يراعى نسبا ولا كسبا ولا غنما فلم يخدعه زخرف الدنيا ولا مالها ولطالما عرضت عليه المناصب فكان يقول ان مهيتى في هذه الأمة ان اتول ما اعتقد وان اتوله في الصحافة وقد ادى رسالة الصحافة بكل أمانة سواء في اللواء أو الشعب أو العلم أو الأخبار أو على صفحات الصحف الوطنية خلال عشرين عاما ( ١٩٠٧ - ١٩٢٧ ) يقول أنطون الجميل : من رأى آمينا مكا على مكتبه من الصباح الى المساء يطالع جميع الصحف الوطنية والأجنبية ويأخذ عنها ما يؤيد عقيدته وإيمانه ويطلع كل مؤلف حديث لهذا الغرض وحده ويحرر ويصحح وينقد ويراجع كل ما يكتب في جريدته حتى الاعلانات انتباء كلمة واحدة لا تنطبق على يقينه ومعتقده والمرض ينحت جسمه نحنا والسقم فيه يزيد يوما بعد يوم .

وقد كان من أكبر أحداث حياته أنه أغلق صحيفة الشعب حتى لا ينشر بنفسه وفي صحيفته اعلان الحماية على مصر ١٩١٤ وقبل أن يند جريدته وأن يعرض نفسه للسجن خلال الحرب العالمية الأولى والبريطانيون محتلون

لمصر ومتحكمون في كل أمورها أغلق جريدته الشعب وهي في أوج عظمتها وفي قمة الصحف ذيوها وعندما أعلن الانجليز ( الحماية على مصر ) بدعوى زوال السيادة التركية لم يلبث أن أغلق صحيفته حتى لا ينشر ما لا يؤمن به مما غرضته السلطة المحتلة على الصحف . وقد اعتقله الانجليز وزجوا به في السجن احد عشر شهرا لم تفل من عقيدته ، وعاد بعد ثورة ١٩١٩ لينشئ جريدة جديدة هي جريدة الأخبار وفي هذه المرحلة دخل في خطر مصارعاته مع السياسة فقد اختلف مع سعد زغلول وهو في قمة زعامته وعارض اسلوبه في المفاوضات مع الانجليز وذكره بمعهود ومواثيق كان سعد قد أعلنها من قبل وضع بها ضوابط للاتصال بالانجليز ثم خرج عنها وكان أمين يعلم مغبة خصوصته لسعد ولكنه لم يبال الا أن يقول كلمة الحق مهما كلفه ذلك من مسئولية .

يقول الدكتور محمد حسين هيكل : كنت عند أمين الرافعي في مكتبه أيام كان يختلف مع سعد باشا في نظرية المفاوضات وفيما نتحدث اقبل جماعة من الطلبة تقدم اليه احدهم قائلا : اتنا قد جئناك لتبين لنا ما يضر البلاد من هذا الخلاف الذي بينك وبين سعد فالتاس جميعا يعرفون فيك الاخلاص والصدق فكان جوابه :

ان الذي وهبني قلمي وعقلي اوجب على ان لا اتول الا الحق ولا اصدق بأن الحق يمكن أن يضر . اتنا الضرر كل الضرر في الدعوة الى ما ليس بحق واتباعه وساتابع السير في خطتي ايا كانت النتائج وما انا براجع عن السير حتى ينفصل رأسي عن جسمي ..

وقد ظلت الاخبار تخرج كل يوم تحمل لواء هذا الرأي حتى اضطرت آخر الأمر الى الاحتجاب ولكنها لم تحتجب الا بعد شهور طوال كان أمين يعمل كل جهده لسبب واحد ذلك انه كان يفرغ لفكرة احتجاب الاخبار .

وكان ذلك مقدمة للنهاية فقد سقط الرجل صريع كلمة الحق ..

وقد كتب في مذكراته يصور هذا الموقف فقال :

اعتقدنا صحة هذا الرأي فأصبح من واجبا المقدس أن نصرح به وندافع عنه الى النهاية لأن من الخيانة أن نكتم عقيدة وطنية ندین بها بل نحن نعلن اننا مستعدون للاستشهاد في سبيلها وسفك آخر نقطة في دينا من أجل الدفاع عنها . لقد تمنا بواجبنا الوطني يوم أن استطعنا الى ذلك سبيلا وكنا عالمين حق العلم اننا ستلاقى في هذا السبيل عقبات شديدة تسلبنا راحتنا وهناغا وقد تودى بحياتنا نفسها كنا عالمين بذلك فلم نتردد ولم ننكس على أعقابنا بل آلبنا على أنفسنا أن نقدم بالارتياح التام كل تضحية لأن الواجب بطبيعته يقتضى هذه التضحية ولما قررت الحكومة الانجليزية بسط الحماية على مصر ابينا كل الإباء أن نكتب كلمة تحت هذا النظام الجديد الا بالاحتجاج عليها وآثرنا اغلاق جريدتنا وعارض الشعب في ذلك وهندنا اذا نحن اتقلناها وطلب منا أن نستمر في اصدارها وان نمسك على النظام الجديد ان لم

نحبذه . هددنا بأشد أنواع التهديد هددنا بالثقى وهددنا بالمشاقق وهددنا باستخدام كل أنواع القوة ضحنا فلم يترزع إيماننا والحمد لله ، بل قلنا لمهديننا أنهم يملكون روحنا ينتزعونها من بين جنوبنا ولكنهم لا يملكون أن ينتزعوا منا مبدانا الذي تلقى الله عليه .

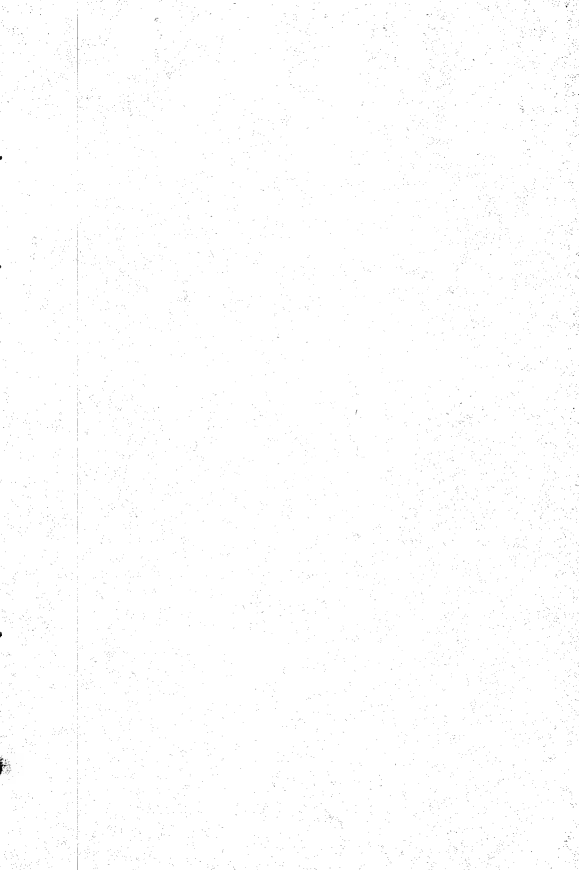
وقد ظللنا مضطهدين أعواما متعددة وادى احتفاظنا بمبدئنا الى تحمل متاعب الاعتقال اشهرا طوالا كل ذلك بقصد التأثير فينا وزعزعة عقيدتنا الوطنية فلم ينالوا منا ماربيا ولم يزحزحونا قيد شعرة عن موقفنا .

ولما كان هذا موقفنا بالأمس فسيكون هذا موقفنا اليوم وغدا وبعد غد حتى تتقطع صلتنا بهذه الحياة طالعت أيامنا أو قصرت فاننا لا نعبأ بحياة نحياتها الا اذا وقفناها على خدمة الوطن وفي سبيل الوطن ولا نعبأ بحياة الا اذا كان قلبنا حرا يكتب ما يمليه عليه الضمير وما يرسمه القلب .

فنحن لا نعبد الا الله ولا نخضع الا لضميرنا ، اما اذا كان معنى الحياة ان الغير يسيرنا واننا نكون آلة في يد كائن من كان فاننا نرفض هذه الحياة ونحتقرها لأننا ما عشنا الا للحرية وما وهبنا حياتنا الا أن نكون أحرارا في عقائدنا أحرارا في أفكارنا أحرارا في آرائنا أحرارا في خططنا .

نقول هذا لأن فريقا من حضرات الطلبة جاءوا إلينا وأراد بعضهم أن نحطم القلم فلا نكتب الا ما يمليه عليه ضميرنا وأراد البعض الآخر أن نكتب ما نشاء ولكن لا ننشر لغيرنا ممن يؤيدون رأينا وكل هذا ضغط على حرية الرأي لم تقبله منهم ولن نقبله ولو تألب علينا العالم بأسره لأننا لو سلمنا تحت تأثير تهديد أو وعيد فقد حكمنا على أنفسنا بأننا عبيد لفكرة غيرنا ومتى كنا عبيدا لفكرة الغير فإن التهديد اذا جاء إلينا من الأجانب خضعنا له وبذلك نصبح أبواتا لغيرنا ولقد كنا ولا نزال وسنبقى الى الأبد معبرين عن ضميرنا وحده ولا نقبل أن نشرك أحدا في الضمير الذي به نحييا وبصوته نسترشد وبإمره نهتدى وفي سبيله نموت » .

هذه صفحة مشرقة من المفهوم الوطني القائم في اطار الاسلام في مرحلة واجه فيها النفوذ الأجنبي من تلك الأتلام المؤمنة بالله الصاعدة في سبيل كلمة الحق التي ما كانت لتراجع أبدا أمام صولة الظلم والاستعمار ومن هؤلاء كان ذلك الجيل العجيب : مصطفى كمال ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش . وكان الرافعيون قادة هذه المدرسة وهذا الاتجاه .





## حقائق عشر في حياة « إقبال »

ما يزال « إقبال » علما على خط واضح في الفكر الاسلامي الحديث لا يمكن تجاهله . وهو خط أصيل مستمد من حركة اليقظة الاسلامية التي بدأتها حركة التوحيد في الجزيرة العربية ، والتي كانت تحاول أن تعالج أكبر المشكلات النفسية والاجتماعية في قلوب المسلمين الهندية وهي غلبة الجبرية والتواكل والعجز عن مواجهة الغزو الفكري الغربي وذلك قضية عالجهما إقبال عن بلاده الهند الاسلامية ولكنها كانت في الواقع ولا تزال قضية العالم الاسلامي كله . وما تزال كلمات إقبال حية نابضة تستثير المشاعر وتهز النفوس حتى الآن . لقد اختار ( إقبال ) أسلوب الشعر للتعبير عن رأيه ولطرح مفهومه في هذه القضية . لقد درس إقبال الاسلام وفهمه فهما عميقا ، وعاش حياة أمته ، وسافر الى الغرب واستوعب الفكر العربي وأفاد من دراسات الاقتصاد والفلسفة في ألمانيا وانجلترا ، ووقف من حضارة الغرب موقف الأصالة والتحرر فهي لم تستوعبه أو تحنوه ولكنه كان قادرا لمعق خلفيته الاسلامية وفهمه لوجود أمته الاسلامية وكيفية الذي له طائفة الذاتي — كان قادرا على إحضار فكرة التبعية الغربية بل أنه كشف عن فساد الحضارة الغربية وعجزها عن العطاء للمجتمع الاسلامي .

وبالرغم من كل ما يؤخذ على إقبال من أنه اتخذ أسلوبا فلسفيا في تقديم مفهومه للإسلام ، إلا أنه لا يؤخذ عليه أنه خرج عن مفهوم أهل السنة والجماعة بحال .

ويمكن القول أن إقبال كشف عددا من الحقائق الهامة :

أولا — كشف عن الدور الضخم الذي حققه الاسلام وحضارته في تقديم المنهج العلمي التجريبي الذي أقامت عليه أوروبا الحضارة الجديدة وقد غاب على العرب تجاهل هذه الحقيقة أو إنكارها زمنا . يقول : لقد كانت أوروبا بطيئة يوما ما في إدراك الأصل الاسلامي لمنهجها العلمي وليس ثمة ناحية واحدة من نواحي ازدهار الأوروبي الا ويمكن أرجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية والعقلية العربية بصورة قاطعة . وتتبدى كل هذه النواحي في كل فروع العلم والبحث العلمي وظروف التجربة والملاحظة والمقاييس التي أدخلها العرب الى العالم الأوروبي .

ثانيا — كان شديد الإنكار على الأفكار الاعجمية التي تسربت الى الفكر

الإسلامي من الفكر الوافد وخاصة في مجال التصوف الفلسفي والتي تغلغلت في أحشاء الجسم الإسلامي على نحو دفع المسلمين إلى الانسحاب من ميدان الحياة وأنطوا على أنفسهم وآثروا العزلة على الحياة الاجتماعية بينما الإسلام دين الجهاد والكفاح والاصطدام بالأوضاع الفاسدة فقد كانوا بالليل رهبانا وبالنهار فرسانا بينما عاد الشرقي المسلم في بعض جهات الشرق إلى الاستكانة مع تصوف البوذية والعجم من جديد .

ويقول : لقد قصد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى انشاء أمة صاحبة .

ويقرر اقبال أن الأمة الإسلامية لم تتأخر ولم تتراجع إلى السلبية القاتلة ( تصوف البوذية والعجم من جديد ) إلا بعد انهيار سلطانها السياسي ودخول القيادات القرطبية الفارسية بمختلف أفكارها الهاربة الداعية إلى الهرب من الحياة والداعية إلى قتل الذات وانفائها ، وكل أمة يصيبها ضعف كالأمة الإسلامية تتبدل أفكارها وتعمل الاستكانة في أعينها وتركن إلى ترك الدنيا وفي ترك الدنيا تخفى ضعفها وهزيمتها في تنازع البقاء . وأن تلك النظريات النشأوية في مختلف الدوائر المنحرفة قد استمدت زادها من الفلسفات اليهودية والمسيحية .

ثالثا - كشف اقبال عن أخطاء التفسيرات التي قدمها الأخبار والرهبان بشأن خطيئة آدم أو افتداء السيد المسيح لخطيئة البشر . ويقول اقبال : إذا درسنا القرآن نجد أنه صحح المفاهيم التي أخطأ النظر فيها قارئو العهد القديم والجديد حين أوضح أن الله سبحانه جعل الأرض مستقرا ومتاعا ومكانا للنسج وتبكيها للعاشق ولم يجعلها لعنة أو ساحة تعذيب سجت فيها البشرية الشريرة العنصر بسبب ارتكابها الخطيئة . ولقد تاب الله تبارك وتعالى على آدم وغفر له . ثم إن عمل الخير لا يمكن أن يكون تسرا بل هو خضوع عن طوعية واختيار للمثل الأخلاقي الأعلى خضوعا ينشأ عن تعاون الذوات الحرة الممتازة عن رغبة ورضى والكائن الذي قدرت على حركاته ميكانيكية الجبرية هو كالألة لا يقدر على فعل الخير .

رابعا - هدم اقبال نظرية وحدة الوجود بكل مفوماتها المنفصلة عن روح التوحيد وقال أن محي الدين ابن عربي فسّر آيات القرآن الكريم على أساس مذهب وحدة الوجود أي جعل مسألة وحدة الوجود عنصرا هاما في الفكر الإسلامي اصطليح به كل شعراء العجم في القرن السادس الهجري وأن هذه الأفكار دخيلة على الإسلام ومأخوذة من الجيتا الهندية وأن شعراء الفرس حين خاطبوا القلب في إثبات وتوكيد وحدة الوجود كانوا أشد خطرا وأعنف أثرا حتى شاعت هذه المسألة بين العامة فسلبوا الأمة الإسلامية الرغبة في العمل ، وهذا ما دعا إليه سبتوزا .

ومن هنا كانت دعوة اقبال في مواجهة فساد المفاهيم الفلسفية الصوفية التي اذاعها ابن عربي والحلاج وغيره لتحريض المسلم من اليأس والتواكل ودفع المسلمين إلى العمل . فقد حاول أن يبعث في شعره روحا جديدة

في العالم الإسلامي ليخرج الشرق العربي والهندي والفارسي من الظلمات الى النور ومن الضعف الى القوة وهو في دعوته يضع العلاج الناجح لمرض العزيمية وضحايا القنوط واليأس وقد كان من أعداء اليأس والتواكل .

خامسا — كان يرى في القرآن الكريم اعبالا وحقائق لا افكارا ، وكان يرى القرآن أوامر ونواهي ، ويعتقد أن كل آية تنطوي على حركة وحياة تدفع المسلمين الى الأمام عن طريق الفتح وأن الاسلام كشف القناع عن اسرار الكون .

سادسا — يرى اقبال أن الاسلام ليس وطنية ولا هو امبراطورية وانما عصبة أمم فهو يعترف بالجنسيات ويعترف بالحدود والحواجز الجغرافية وسواها من باب العلم بالشيء فقط وليس لتضييق الأفق الاجتماعي وتحديدہ وكان يقول : ان اخطر ما يهدد حياة العالم الاسلامي هي الوطنية المنفصلة عن الدين .

سابعاً — دعا اقبال الى وجوب دعم الذات التي تقوى وتعد نفسها لكفاح دائم متواصل لا يعرف اناة ولا هدوءا . ويقول أن الجهاد الدائب هو حافظ الحياة وأن الجهاد في سبيل المقصد اعظم لذة من بلوغه . ان الأتوام المغلوبة هي التي خدعت الأتوام الغالبة عن نفسها وزينت لها فكرة نفى الذات ، على الانسان أن يقدر نفسه حق قدرها وأن يجعلها في المحل الأسمى اذ الانسان اعلى الخليقة والعالم كله مسخر له .

وقد استبد اقبال مفاهيمه من كلمات الله تبارك وتعالى : « ولقد كرمتنا بني آدم » وأن الانسان مستخلف لله في الأرض وقد سخر له تبارك وتعالى قوى الكون . ويقول : ان حرية الانسان تتركز في امور ثلاثة : ( الإيمان — التفكير — العرفان ) والفرد يجتاز كل مرحلة منها حسب قدرته وارادته ويتمص الايمان بالطاعة والرضى بأحكامه ومبادئه وهذه الطاعة مع الانقياد لا تمنع المرء عن السير في جادة ارتقائه الذاتي .

ثامناً — يرى اقبال أن الخطر العظيم الذي يهدد الاسلام هو روح العصية في الشعوب : تلك الروح التي لها دلائل كثيرة في معظم البلاد الاسلامية ، وأن امما مسلمة دعته العصية الى الانحراف عن جمهور المسلمين وأخذوا يفخرون بما كان لهم من تاريخ قبل الاسلام ، وقد اشتد الشعور الجنسي في تركيا ومصر حيث أخذ الناس يفخرون بتاريخهم الوثني القديم بخواقينه وفراعنته .

ويقول : ليس في الاسلام قوميات ولا هو نزعة امبراطورية ، بل هو جمعية أمم .

تاسماً — يرى اقبال أن الرأسمالية والشيوعية هما فرعان من نودحة المادية واسرتان للحضارة الغربية ، احدهما شرقية والاخرى غربية ، يلتقيان في النسب المادى والتفكير المادى والنظر المحدود الى الانسان ..

أن الرأسمالية والشيوعية يلتقيان على الشره والنهامة والقلق والبسامة والجهل بالله والخداع للانسانية . الحياة عند الشيوعية « خروج » وعند الرأسمالية « خراج » والانسان البائس بين هذين الحجرين قارورة زجاج . ان الشيوعية تقضى على العلم والدين والفن ، والرأسمالية تنزع الروح عن أجسام الأحياء ، وتسلب القوات من أيدي العاملين والفقراء . لقد رايت كلتيهما غارقتين في المادة جسمهما قوى ناضر وقلبهما مظلم فاجر .

عاشرا — يقرر اقبال أن الحضارة المعاصرة غير قادرة على اسعاد البلاد الاسلامية واعادة الحياة اليها . هذه الحضارة التي اشرفت على الموت لا تستطيع أن تحيي غيرها . فقد جزت من احسان هذه البلاد الشرقية اساءة من جانبها وكافلت خيرها بشر ، فقد منحها الشام نبيا رسالته العفة والمواساة والرحمة ومقابللة الشر بالخير ، والظلم بالعمو وقد منحه اوروبا — بدورها ومقابل ذلك — الخبر والقمار والفجور وهجوم المؤسسات . ويرى اقبال أن الحضارة ملوثة غير عفيفة .. وقد جردها تلوث الروح من الضمير الطاهر والفكر السامي والذوق السليم فتسلط عليها القلق الدائم ، وهي غير متهيئة لفتح جديد في افكر واشراق من عالم الغيب وهي حضارة شابة بحداثه سنها ولكنها محتضرة تعاني سكرات الموت وان لم تمت حتف أنفها فستفترح وتقتل نفسها بخنجرها .

### آخر المأبود :

لا تزين مقامك على الشاطئ لأن هناك في الأعماق صوت الحياة ، ففص في البحر وصارع الأمواج ، فان خلود الحياة في الجهاد ، أنا صوت شاعر الغد وفاكهتي ليست لهذه السوق ، وان هذا الصوت لقليلة أخرى أنا العاشق والصراخ ايماني وضجيج الحشر معشوقى ، انظر الى نفسك فان قوة الطوفان كامنة فيك . اجعل اشعارك في كل زمان ، لا تخلف الميعاد لأنك لو غيرت نظرتك فالعالم يتغير لك .. ان المسلم ليس يتعبد لأحد سوى الله وهامته لا تنحنى لأى فرعون على الأرض . ان نفسك أيها المسلم هو الدين فان لم تثبت عليه طرت انت من هذا العالم مثل غبار الطريق .

### « اقبال »



## وَأَنْتِ أَيْضًا : فَهَمْتَ خَطَأً عَنِ الْإِسْلَامِ

كانت الأغنية المشهورة في مختلف أجزاء هذه المنطقة الطويلة الممتدة بين ألمانيا وإيطاليا تقول : « أوتخوا » أو ما معناه ( وأنت أيضا ) .

فلما أُرنا المهندس محمد توفيق أحمد أن يتحدث مع الناس عن الإسلام ، اشترى عشرين أو ثلاثين لوحة من السياج وكتب عليها هذه العبارة : ( وأنت أيضا : فهمت خطأ عن الإسلام ) .

وكان المسافر في قطار الشرق لا يخطئ بصره هذه اللوحات المنثورة في المحطات على طول الطريق ، من النمسا إلى زيورخ إلى بادن وغيرها فيعجب لهذه اللوحات التي استهل بها هذا الرجل عمله قبل خمسين عاما يدعو الناس إلى الإسلام والذي ما زال ممسكا بزماله وقد ارتفع فوق السبعين من العمر يعمل في صمت وإخلاص قاصدا وجه الله وحده .

وظلت اللوحات معلقة بعد أن عاد إلى مصر سنوات طويلة ، يرسل باشتراك بقائها في المحطات ، وقد وضع عنوانه ليكتب له الناس ، وكانت سمعته خلال السنوات التي أتتها هناك قد امتدت إلى كل مكان ، فقد كان يمتد الندوات ويلقى المحاضرات ويكتب في الصحف ويطلع الرسائل .

لقد علمت خطأ عن الإسلام : أن كنت تريد أن تعرف الحقيقة فلكتب إلى فلان فاذا أرسلت إليه أرسل لك كتابا صغيرة موجزة وقال لك : أرسل لي أسماء خمسة من أصدقائك ما يلبث أن يرسل لهم بطاقاته وكتبه .

وقد امتد عمله في النمسا والسويد والنرويج وفرنسا ، واليوم نسال فنقول انه وصل إلى أمريكا الشمالية والجنوبية وأمريكا اللاتينية .

نما هذا العمل الصامت الخالص لوجه الله وفي سبيل التعريف بالإسلام وتحرير مفاهيمه حتى جاءت بطاقات الدخول في الإسلام تحمل ٢٦٥٠ وقد كتب إلى مائة ألف من البشر بلغهم حكم التوحيد فكسب منهم أصدقاء وكسب منهم مسلمين ونشأ من خلال ذلك في هذه الأقطار مجتمعات إسلامية صغيرة ، وما تزال الرسائل تحمل له كل يوم مئات يرد عليها ويعالج أمور أهلها ويحل لهم مشكلتهم .

يتحدث المهندس محمد توفيق أحمد فيقول : أسست دار تبليغ الإسلام عام ١٩٢٦ لاعطاء الأجانب فكرة صحيحة عن الدين الإسلامى بلغاتهم الانجليزية والفرنسية واليونانية ورسائلها مترجمة الى اللغات الحية والاسبرانتو والتشيكوسلوفاكية والالمانية والايطالية والاسبانية وهى تنشر مجاناً في جميع بقاع الأرض ، وقد حققت احسن النتائج فان الوف المثقفين في أنحاء العالم قد اقتنعوا برسالة الاسلام الحق ، وفي النية اصدار دليل المسلم مترجماً الى جميع اللغات الحية ليستعين به الأجانب على معرفة تفاصيل الاسلام ودقائقه ، كما أصدر بطاقات في حجم تذاكر البريد تحمل رسومات ذات معنى سام : ومنها بطاقة ذكرى فتح الاندلس وفتح القسطنطينية وبطاقة بيت المقدس .

بدأ المهندس محمد توفيق أحمد عمله هذا في أوروبا نفسها ، حين ذهب اليها طالباً للدراسة فاتصل بالناس وأحس بشوق الناس هناك الى معرفة هذا الحق وكان الناس يتحدثون اليه بمسائلين مستفهمين . هناك شعر بالمسئولية ، وأخذ يعمل ، يستأجر أحياناً قاعات للاجتماعات ، ويعلم عن ذلك في الصحف فيجتمع الناس له من كل مكان ويظل يتحدث بالالمانية عن الاسلام ومفاهيمه الاجتماعية ويجب على الأسئلة ثم يتصل بالصحف التي تنشر له محاضراته كاملة أمثال الدكتور أ. ف. بلو رئيس تحرير جريدة سويسرا الحرة التي كانت تصدر في — بادن — وكان ذلك هو منطلقه الأول الذي عاش له خمسين عاماً وما زال يواصله حتى الآن ، قصة طويلة وذكريات عزيزة تكشف عن صدق وإيمان عميق وعمل متصل ، خالص لوجه الله دون دعاية واضحة .

يقول : مهمتنا الأساسية هي تبليغ دعوة الاسلام ليأخذ العالم بأسره فكرة صحيحة عن تعاليمه البسامية . ويتحدث عن بعض ما صادفه من تضايك كان من أهمها تزويج بنات المسلم المقيم في أوروبا الخمس ، فقد أرسل الى تلاميذه الذين آمنوا بالله يدعوهم الى زيارة أخيه المسلم وخطبة بناته وسرعان ما تحقق تزويج بناته الخمس من هؤلاء المسلمين الأوروبيين . كذلك فقد كتب الى مدير السجن يرجوه أن يغير نظام طعام المسجون المسلم الذي يحرم عليه ديتة أكل لحم الخنزير بعد أن أضرب عن الطعام وكتب الى شيخه .

كتب اليه أحد تلاميذه يقول انه نقل الى مكان بعيد لا يستطيع فيه أداء صلاة الجمعة الجامعة فكتب الى رئيسه يشرح له هذه القضية ويطلب اليه باسم الايمان بالله أن يمكن هذا الرجل من البقاء في مدينة يستطيع فيها الصلاة وتعددت الرسائل بينه وبين هذا الرئيس الذي كان تقاسياً فاذا به يطلب اليه في ختام المرحلة أن يرسل له رسائل الاسلام ثم فجأه بأن أعلن اسلامه هو بينما نقل ذلك المسلم الأول الى مدينة بها مسجد جامع وكانت فرحة مزدوجة .

والمهندس محمد توفيق أحمد صديق قديم للأستاذ العلامة محمد فريد وجدى ، ويقول : عرفته وأنا حدث اذ كان والدى يحكى لنا عن — وجدياته —

مما جعلنا نتعلق بوجودي ونحبه ونقدره ، كان ذلك عام ١٩٥٩ ، وقد عرفت  
وجدى كاتباً وصحفيًا ومؤلفًا وباحثًا ، وكان أول لقاء معه عام ١٩٦٩ ،  
وكان ذلك أمنية غالية منذ سن الحداثة في منزله ، ورأيت مطبعة دائرة  
المعارف التي كان يعمل في هذا الوقت على إصدارها ، وكان رحمه الله  
يعتقد أن الأمم لا يستقيم أمرها إلا بشكائهم أدبية تنزل من عقولها ، وتتحكم  
في أهوائها ، فقد أثبت العلم أن الإباحة كانت دائمًا السبب الرئيسي لكل انحلال  
طرا على المجتمعات القائمة .

فلما أصدرنا مجلة البريد الاسلامي بدأ يكتب افتتاحيتها منذ ظهورها  
حتى قبيل وفاته .

للاستاذ توفيق تجربة واسعة في مجال النباتات وأثرها النافع من متاعب  
الهضم وأمراض المعدة .

ويقول الأستاذ محمد توفيق أحمد أنه تأثر في التوسيم بالإمام الغزالي  
وفي الحديث بالرحوم فريد وجدى ، ويقول : مع ذلك أشعر باستقلال تفكيرى  
غيباً أقرأ لها أو لغيرها . ويحكى المترجم له كيف أنه عندما قرأ إعلان  
فريد وجدى عن دائرة المعارف أخذ يجمع مصروفه ويذخره حتى يتمكن  
من إرسال ثمن الدائرة بالبريد ، وكان رجاءه الى وجدى أن يرسل له بعض  
أجزاء الدائرة مجلدة وحجز بعضها حتى يرسل له جيبها آخر هو غرق  
التجليد ، ولكن سرعان ما وصلت اليه دائرة المعارف كاملة الأجزاء مجادة ،  
مع خطاب رقيق من وجدى يحبب فيه رغبته في المعرفة وحرصه على اقتناء  
الكتب المجلدة حفظاً لها من التلف .

وقال له في ختام خطابه : أرجو أن تعتبر الثمن كله قد تسدد ، ويقول :  
إن هذه الروح المرتفعة عن الماديات قد زادتني تعلقاً بشخص هذا الرائد  
العظيم رحمه الله .

وقد أصدر الأستاذ محمد توفيق أحمد مجلة ( البريد الاسلامي )  
عام ١٩٤٣ وقد جعل أساسها التقوى التي شارك فيها منذ أكثر من عشر  
سنوات قبل ذلك . وإذا كنا اليوم في عام ١٩٧٧ فإن هذا الداعية المسلم  
الصامت يكون قد أمضى أكثر من خمسين عاماً في مجال الدعوة الإسلامية  
في مجالات عجز الكثيرون عن العمل فيها وتحاموها لكثرة متاعبها ومشقتها ،  
لكن هذا الرجل بطبيعة تركيبه النفسى والروحى كان معداً أعداداً رباناً لمثل  
هذا العمل ، بما عرف عنه من صبر وسماحة وإيمان فضلاً عن ذكائه وقدرته  
على مخاطبة العقول والقلوب .

وعندما كتبت دراستى عن فريد وجدى لم أجد من يساعثنى على  
استكمال الفجوات الواسعة في حياته وفكره بعد أن بحث وطال بحثى  
في آثاره ، ولذلك فقد وجهت اليه أكثر من سبعين سؤالاً تفضل حفظه الله  
وأطال عمره بالرد عليها وحقق لى ما لم أستطع أن أحصل عليه وكاننى  
عاشرت فريد وجدى وتحدثت اليه وعرفت جوانب حياته الداخلية والخارجية  
وانى لأرجو أن أنشر هذه الأسئلة واجاباتها كما تفضل بها كاتبها .

ولم يقف امر الأستاذ محمد توفيق احمد عند هذا بل انه تفضل بالبحث عن رسالة محمد فريد وجدى التى كتبها الى مؤتمر الأديان الذى عقد فى اليابان عام ١٣٢٣ هـ وقد استطاع الحصول عليها من صديقه الشيخ مصطفى حسن الجنيدى ثم يقدم هذه الأجابات الرائعة فى أسلوب من التواضع فيقول :

هذه دررشة على السجية مخنوا منها ما شئتم . وهذبوها على منهجكم .

ومن اعجب ما يمثل هذا الرجل الكريم هو انه لا يدخل احدا فى الاسلام الا بعد أن يترك له الفرصة مرة ومرة حتى يصل الى ذلك برضاه وبإقتناعه وبعد أن يعمق فى نفسه ويصل الى القرار .

يقول : طلبونى بالتليفون ان هناك سيدة اوروبية قد جاءت الى البلاد وقرات وسمعت ورات ثم فكرت فى الاسلام فهى تريد أن تقدم من أجل ذلك قال : قولوا لها : اننا نريد أن نراها فى لقاء حر اولا ، فلما جاءت تحدث اليها واعطاها مجموعة من الكتب وقال لها : اقرئى وتهلى وفكرى كثيرا قبل ان تقضى برأى قد ترجعين عنه من بعد أو تظنينه شعورا عاطفيا سريعا ، وترك لها فرصة أخرى استمرت وقتنا حتى قالت هى : الآن وقد تم الاقتناع عقلا وقلبا . هنالك جاءت مصرة على أن تعلن اسلامها . وتلك حكمة الخير وبراعة الداعية الذى يلتبس فى طريق عمره روح الاسلام مقتنيا بالرسول الكريم .

\*\*\*



## الدكتور محمد حسين هيكل

احاب الدكتور محمد حسين هيكل مؤلف كتاب حياة محمد عن تساؤل رده الكتاب عن الأسباب والنواعي التي دفعت هذا الكاتب السياسي الذي كان غارقا في الصحافة السياسية سنوات طويلة رئيسا لتحرير جريدة السياسة والذي كان احد دعاة الألب الفري والحضارة الغربية كيف امكن أن يفلت من هذا النطاق المحكم : نطاق التغريب فيحمل لواء الدعوة الى الحضارة الاسلامية ولا يرى سبيلا لنهضة هذه الأمة الا عن طريق الاسلام .

وقبل أن نورد الاجابة التي تقدمها الدكتور هيكل نقول ان هذا الرجل كان قد نشأ في اطار ( الجريدة ) التي كان يصدرها تربيته ( لطفى السيد ) وأنه تشكل في جو الاستعمار البريطاني والاتطاع والتبعية التي كان يعيشها كبار الملاك للنفوذ الأجنبي وأنه عمل منذ عاد من أوروبا مع أحد الأحزاب السياسية التي كانت توصف بأنها من الاقليات والتي كانت معروفة بولائها للنفوذ الأجنبي .

ولكن : كان الدكتور هيكل يتميز بالرغم من كل هذا الجو بأن له شخصية خاصة كان متطلعا الى مثل أعلى بالنسبة للنهضة في الشرق وكان يدعو الى الاقتباس من الغرب ولكنه لم يكن تابعا او داعيا الى تبعية .

ولذلك نجد له تلك المواقف العديدة التي تجعله متميزا عن تلك الجماعة التي كانت تحمل لواء التغريب وتمعن في التبعية أمثال طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق .

نجده مثلا يرفض أن يقوم ناد دولي للفكر يتبع فيه الكتاب العرب والمسلمون كتاب الغرب ، يقول : ان النتيجة المنطقية من تكليف هذا النادي انما هي أن يصبح الأجانب مسيطرين على الألب العربى وليس هذا الا صورة من النوادى الأخرى التي سعى لاتشائها بعض الأجانب المقيمين في مصر بحجة توثيق العلاقات وكانت النتيجة أن أصبح دارا للاحتفاء بالغربيين وتكريهم دون غيرهم من ادباء البلاد الشرقية . انما أنهم ان يكون هناك ناد للثقافة أكثرية من الأدياب الشرقيين وأن يكون الجميع ممن يكتبون او يولفون باللغة العربية ولو كانت جنسية بعضهم ليست الجنسية العربية .

وهو في هذا يخالف طه حسين صاحب فكرة النادي الدولي ، كذلك فهو يخالفه في موقعين آخرين : في آراء المستشرقين ووجهة نظرهم في الاسلام والعرب ، وفي اثرهم في شئون السيطرة الاستعمارية .

ولقد انزعج طه حسين أشد انزعاج عندما اخذ صديق عمره ( هيك ) بتجه اتجاهها آخر وخاصة عندما هاجم هيك اتجاه طه حسين في كتابه السيرة ووصفه بأنه اتجاه خاطيء حين قال : انه يعلم ان كثيرا من هذه الأساطير التي يرويها انما هي بعض الاسرائيليات التي روجها اليهود بعد عصر النبي متأثرين بحقدهم على محمد لأنه حاربهم وأجلى الكثيرين منهم عن بلاد العرب ومهد بذلك لإجلاء البقية الباقية بعد زمن قصير من وفاته متأثرين بحفيظتهم على المسلمين حفيظة جعلتهم يروجون الأكوف من الأحاديث المكتوبة على النبي ومن القصص التي تنافي تعاليمه منافية صريحة .

ثم تسأل : ماذا يكون هذا الدافع القوي الذي دفع طه حسين الى هذا ؟

وبعد .. فنعود الى اجابة الدكتور هيك على التساؤل عن السيرة في كتابته « حياة محمد » ، يقول :

فكرت في وضع كتاب عن حياة النبي العربي منذ صيف ١٩٢١ وانما دعاني الى هذا التفكير أنني كنت عظيم الثقة بالعلم والطريقة العلمية الغربية وانها ستؤدي بالانسانية الى معرفة حقيقة الكون معرفة هي ملك سعادة الانسانية وظلت ثقتي هذه قائمة حتى أعلنت الحرب الكبرى وكان أكبر رجائي أثناء ذلك أن أسبغ في حياتنا في الشرق صورة من ثقافة الغرب وأدبه وفنه .

فلما وضعت الحرب أوزارها لبثت أنتظر نتائجها العالمية في السلام العام وحرية الشعوب وحقتها في تقرير مصيرها وكانت السنوات كلها توالى بعد الصلح فتفتح عيني على حقيقة بدأت تقوى صورتها عندي حتى بلغت غاية القوة في عام ١٩٢٠ : هذه الحقيقة أن العالم يعاني قبل كل شيء ( أزمة روحية ) دفعت كتاب الغرب وفلاسفته الى التماس العلاج لها في فلسفة الهند الروحية والى جانب هذه الحقيقة لاحظت في اتجاه السياسة الأوروبية ظاهرة غريبة تلك هي نشاط التبشير المسيحي في الأمم الاسلامية وتأييد السياسة الغربية في ذلك الوقت لأتصار الجود . اذ ذاك رايت أن أدرس لملى أجد في حياة النبي الوسيلة لعلاج أزمة العالم الروحية ولاتهاض الشرق نهضة تبعث فيه حياة جديدة لحياة الغرب بعد القرن الخامس عشر .

وبدأت دراستي لكتاب السيرة لابن هشام ثم اطلعت على مؤلف بالفرنسية لأميل درمنج ثم قرأت عدة كتب أخرى اقتنعت بعد قراءتها بأن هذه الدراسة جديدة بأن تهدي العالم كله سبيلا جديدا للحق اذا هي تمت بروح علمي وقد انتهت الكتاب على الصورة التي رجوتها وان كان نطاق البحث قد ازداد وترأى الى أبعد مما كنت اتوقع أنني وجدت في دراسة النبي العربي ودينه وتعاليمه والحضارة التي وضع أساسها ما خلق أمامي عالما جديدا

من عوالم التفكير لم يكن ذهنى متجها إليه من قبل وأعتقد أنى لن أستطيع التحول عن فكرة قاتبة عندى وهى بحث الحضارة الإسلامية بما يمكن للباحث استنباطها من الكتاب الكريم ومن الحديث ومن عهد النبى نفسه .

هذا ما كتبه الدكتور هيكل عن هذا التحول الخطير الذى وقع له ونستطيع ان نضيف اليه ما أورده فى صدر كتابه ( فى منزل الوحي ) وهو اعتراف مكتوب بأنه وجد أن أى أسلوب غير الأسلوب الإسلامى فى بناء هذه الأمة لا يؤدى وأنه جرب أسلوب العودة الى الفرعونية ووجدها عملا فاشلا باعترافه وجرب أسلوب التبعية الغربية ووجده كالبنذر تلقيه فى الأرض فلا ينبت .

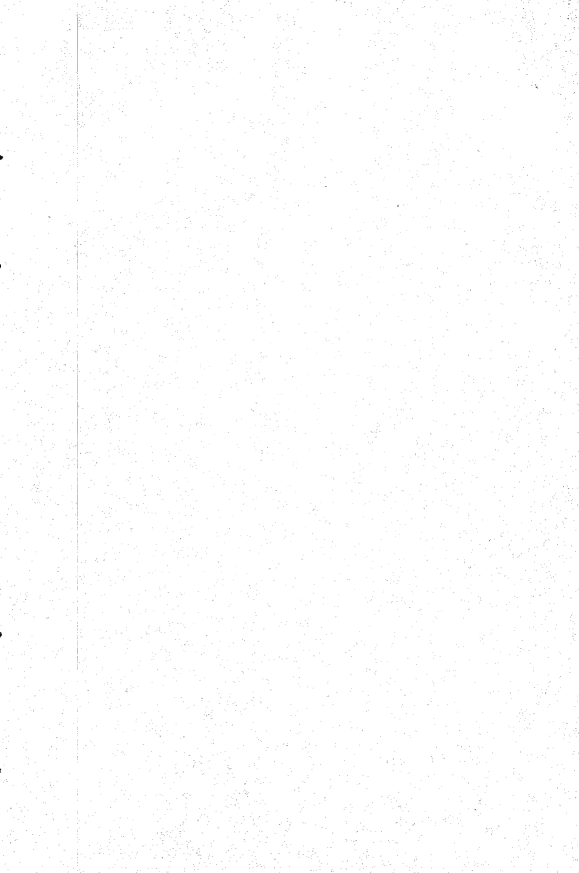
والحق أن هيكل هو واحد من هذه المدرسة التى عادت الى الأصالة بعد أن تبين لها فساد الطريق الذى سارت فيه وأنهم لم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . عاد منصور فهمى واسماعيل مظهر وهيكل ولم يبق على الإصرار غير الدكتور طه حسين .

يقول الأستاذ المازنى : كنت أتصور الدكتور هيكل اجتيا طاب له المقام فأتام ولكنهبقى محتفظا بخصائصه التى جاء بها ولم يناقلم ولكنى كنت أعود الى ما يكتبه فى السياسة فاستغرب ، ذلك أن روحه هى روح المؤمن عميق الإيمان . ومضت الأيام فعرفته وكتب لى الحظ أن اعمل معه وأن اكون احد اعوانه فى السياسة فلما شرع ونحن فى غمرة ثقيلة من المشاغل السياسية ( حياة محمد ) كنت واحدا من القليلين الذين لم يستغربوا هذا الاتجاه ولم يقع منهم موقع المفاجأة بل كنت على يقين جازم بأنه — بفضل استيلاء روح الإيمان على نفسه — أقدر من يكتب عن حياة محمد ، لقد اغتبطت لأن نظرتى لم تخطيء حين اعتقدت من قبل أن فى هذا الرجل كنزا من الإيمان .

وصدق المازنى ولقد كان الدكتور هيكل حقا صادقا مع نفسه فانه سرعان ما اتجه وجهة الأصالة وفارق معسكر التغريب واختلف مع طه وغيره . ولم يضر منه ذلك شيئا .

غير أن هناك ملاحظة صغيرة نوردتها ( للتاريخ ) : ان المنهج الذى اتخذه الدكتور هيكل فى كتابه ( حياة محمد ) بالرغم من انه كان فى ذلك الوقت ضربة للتغريب وفرحة للمؤمنين الا انه لم يخلص خلوصا كاملا من التبعية فقد وقف هيكل عند الاسراء وعند المعجزات موقفا غامضا وكان بدؤه الدراسة من كتاب أميل درمنجم قد أوقفه فى مزالق كشف عنها الكتاب المسلمون فى هذه اللحظة ومن بعد .

\*\*\*



## على أحمد باكثير في الأحقاف

كان نمونجا رائعا من نماذج الشخصية المسلمة في مجال العقل وفي مجال الخلق ، بدأ حياته كما انهما : قوى الذاتية على الصوت عميق الإيمان ، مليئا بالصمود ، جهرا بالحق واضح العبارة ، يعيش في الضوء والوضوح ، ويقول كلمته في صدق الوائق وإصرار صاحب العقيدة . وهو الى ذلك : الرقيق اللمث ، حلو الحديث المليء سماحة ولطافة وعذوبة « البارع النكتة الطلي الفكاكة » فهو شخصية جامعة عقلا آية في الذكاء والفهم وقلمها آية في البراعة في صناعة الفن الأدبي الذي أحبه وتخصص فيه ، فيه أصالة العربي وإيمان المسلم وفيه تلك اللوزنية الصائفة التي تصدر عن الفة بالنفس وحسب للناس ، وصمود في مواجهة خصوم العربية والإسلام بالكلمة الصائفة والقلم القادر والفن الأصيل .

ذلك هو فتي الأحقاف : على أحمد باكثير الشاعر الأديب الذي ودع عالما بعد حياة قصيرة لم تتجاوز الستين ، غير أنها عريضة خصبة بما قدم خلالها من نتاج أدبي بارع ومنوع في ذلك المجال الذي اختاره لنفسه وعمل فيه منذ مطلع شبابه مجودا مؤمنا بأنه في سبيل كلمة الله العليا ، ومن ثم كانت أمانته منذ يومه الأول لمواجهة التحدي الخطير : تحدي الصهيونية بالمرحبة التي كانت لأول مرة تسير في طريق المفهوم الإسلامي الأصيل فنا ومادة ، أسلوبا ومضمونا .

يقول : على أثر حرب فلسطين التي انتهت بانتصار اليهود على الجيوش العربية مجتمعة : انتابني إذ ذاك شعور باليأس والقنوط من مستقبل الأمة العربية وبالخرى والهوان مما أصابها ، أحسست كأن كل كرامة لها قد ديست بالأقدام فلم يبق لها كرامة تصان ، وظللت زمنا أرزخ تحت هذا الألم المعض الثقيل ولا أدري كيف أنفست عنه . ولعل ذهني في خلال ذلك كان يبحث عن الموضوع دون أن أشعر ثم اهتدى إليه ذات يوم إذ تذكرت فجأة تلك الأسطورة اليونانية التي خلدها سوفكليس في مسرحيته الرائعة ( أوديب ملكا ) فأحسست أن فيها لا في غيرها المتنفس الذي أنشدته ولعلكم تعجبون . إذ أي صلة بين نكبة العرب في فلسطين وبين هذه الأسطورة اليونانية ، غير أنني أدركت بعد ذلك سر هذا الاختيار ، ذلك أنني كنت أحسن من أعماق نفسي كأن الذنب الذي ارتكبه العرب في فلسطين والخرى الذي لحقهم من جرائمه لا يوازيه في البشاعة غير ذلك الذنب الذي ارتكبه ( أوديب ) في حق أبيه وأمه والخرى الذي لحقه من ذلك .

وهكذا عبر بالكثير عن نفسه وأحاسيسه بهذه القصة العربية التي كتبها ثم مضى فكتب عدداً من المسرحيات التي عبر فيها عن وجهة نظره وفي نفس الطريق كتب مسبار جحا عن الاحتلال البريطاني وشغل نفسه بالتحديات التي تواجه أمته العربية الإسلامية على أعلى مستوى من الالتزام ، فلم يعرف بالكثير الفن للفن أو اصطناع اللهو في كتابة مسرحيات تدغدغ العواطف أو تثير المشاعر أو ترضى الجواهر ، وإنما كان آميناً على الرسالة والغاية والهدف الصحيح .

وهو يصور مفاهيمه هذه وأمانته لقلمه حين يقول :

« ان في التاريخ العربي مواقف عظيمة رائعة ينبغي ان يعيها الجيل العربي الحاضر حين تصور في صورة درامية مؤثرة ، وشكسبير كتب كثيراً من المسرحيات التاريخية التي استلهم فيها بلاده والمعروف ان التاريخ يربط حاضر الأمة بماضيها ولا حياة لأمة مبتورة الصلة بماضيها . »

والأسطورة عندي أهم من التاريخ لأنها اقدم من التاريخ وأشد امتلاء بالتراث القومي والشعبي من التاريخ ، ولهذا الجأ الى الأسطورة كثيراً لأعالج من خلالها مشاكل عصرنا الحاضر : مشاكل الصدام وعصر الفضاء في ( هاروت وماروت ) ومشكلة الطموح الانساني والقلق لدى الانسان المعاصر في ( غاوست الحديد ) ان الانسان العربي يشترك مع غيره في جميع المظاهر الانسانية ومنها ذلك القلق النفسي الذي يحتاج العالم ، أعالج هذه المشاكل من خلال الذات العربية ، من خلال وجهة النظر العربية ايضاً .

ويقول عالجت القضايا العربية كلها وخاصة قضية فلسطين لأنها قضية العرب الكبرى وكتبت اول مسرحية عن فلسطين ١٩٤٤ شيلوك الجديد قبل النكبة وبعدها ( شعب الله المختار ) واله اسرائيل واخيراً الثورة الضائعة بعد نكسة ٥ حزيران .

وما زالت قضية فلسطين تنتظر العمل الادبي الذي يتكافأ مع خطرها وأهميتها .

ويقول : انا لا أومن بالفصل بين العاطفة والعقل حين نتحدث عن الاعمال الأدبية . فالعمل الأدبي بالضرورة مزيج منهما معا ولا يستطيع الأديب ذاته أن يتحكم في مقدار العاطفة أو العقل في أدبه .

ومن الطبيعي أن تركز الأعمال الشعرية في قضية فلسطين على العاطفة لأن أولئك الشعراء يصفون الجراح الفاترة التي في قلوبهم والرسالة التي يحملها هؤلاء الشعراء هي أن يعمقوا احساس الأمة بالمأساة ويذكروها بأنها قضية حياة أو موت وقضية مصر . الكتاب والسياسيون يستندون الى العقل والمنطق والشعراء يستندون الى العاطفة والوجدان .

هكذا نجد فتى الأحقاف يسير في طريقه : فإذا نظرنا الى مطالع حياته

وجدناه قد نشأ في ( حضرموت ) وبدأ ينظم الشعر في الثامنة عشرة وكان جل اهتمامه بالشعر ، لم يدع ديواناً من دواوين القدمين والمحدثين مما وقع في يده الاقراه :

مثله الأعلى في القدمين « المتنبي » وفي المحدثين شوقي .

وكانت مسرحيات شوقي هي أول ما عرف من الفن المسرحي يقول :

« وكان لذلك اثر كبير في نفسي فقد هزني من الأعياق وارانى لأول مرة كيف يمكن للشعر ان يكون ذا مجال واسع في الحياة حين يخرج عن نطاق ذاتية قائله الى عالم فسيح يتسع لكل قصة في التاريخ أو حدث من الأحداث .. ووجدت رغبة جامحة في محاكاة هذا اللون من الشعر الذي وجده عند شوقي فكُتبت مسرحية شعرية اسمها « همام » أو في غاصصة الاحقاف .

اتمام فترة في الحجاز ، ثم قدم الى مصر ١٩٢٢ قادماً من اندونيسيا عن طريق حضرموت موطنه الأصلي ، جاء في طلب العلم فسكن في ( بركة الفيل ) والتحق بالجامعة المصرية واختار القسم الانجليزي فلما احرز الليسانس التحق بمعهد التربية العالي فحاز شهادته وأصبح اذ ذلك مؤهلاً للعمل مدرساً للغة الانجليزية فاختيرت له المنصورة فأمضى بها اعواماً ثم عاد الى القاهرة فاعلم فيها يعمل بين مجالات التدريس والثقافة . يقول :

« غيرت الدراسة مفهومي للأدب كله فأخذت أعيد النظر في المقاييس الأدبية التي كانت عندي من اثر ثقافتى ، واتجهت الى المسرحية أكثر من اتجاهى الى القصة والاقصوصة والملاحم .

واتصل بالكثير بأوساط الدعوة الإسلامية والثقافة الإسلامية فانصل بالسيد محب الدين الخطيب والأستاذ حسن البنا ومجلة الفتح وجريدة الإخوان ومضى يكتب في الفتح وينشر شعره في ابولو ومسرحياته في جريدة الإخوان .

وكان للاتحاق بالكثير بالقسم الانجليزي في كلية الآداب نتائج ومخاضه فهو قد اختار القسم الانجليزي بالذات دعماً لهوائيه وتأكيداً لذاتية الشعرية اذ أراد دعم ثقافته العربية وكان اختياره للأدب الانجليزي فلما بلغه أنه غنى بالشعر الرفيع أو على حد قوله « كانت غايته ان اصقل مواهبى وأعد نفسي لأكون شاعراً كبيراً . غير أن بالكثير لم يلبث ان وقع في أزمة فكرية اذ أخذ يقارن بين اسلوبه في الشعر الذى ينظمه وبين مناهج الشعر التى يتلقاها مما كانت نتيجة ان غيرت الدراسة نظرتة لمفهوم الأدب كله فأخذ يعيد النظر في المقاييس الأدبية القديمة ومن هنا كانت تقلباته السريعة بين الشعر المرسل والشعر المسرحى وبين المسرحية النثرية التى استقر عندها أخيراً وارتضاها اسلوباً للتعبير عن مشاعره واراته . وقد واجه التحدى الذى فرضه عليه اهد الأساطير الإنجليزية عندما أشار الى أن العربية لم تعرف

الشعر المرسل مضمودى له بالكثير وقال : أما أنه لا وجود لهذا الشعر في العربية فهذا صحيح ، لأن لكل أمة تقاليدها الفنية وقد كان من تقاليد الشعر العربي التزام القافية ولكن ليس ما يحول دون إيجاده في اللغة العربية فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر . فاعرض الأستاذ عنه وأحس هو بأن عليه أن يدحض زعم الأستاذ بالبرهان العملى ومن ثم ينظم شعرا في هذا المجال وهكذا مضى بالكثير يبنى اتجاهه الأدبى ووجوده الفسكورى في أصالة وعق ليكون كما أصبح من بعد بحق : أهلا لحمل رسالة أمته في مجال الانضواء في هذا النهر الجديد الذى ما عرف طريق الاصاله الا على يدى بالكثير .

لقد استطاع بالكثير أن يقبل التحدى من أستاذه الانجليزى وبثبت قدرة اللغة العربية على أدائه فترجم فصلا من شكسبير على هذه الطريقة ( من رواية روميو وجوليت ) .

وفي الشعر : نظم مسرحية اخفانوت وثورته على كهنة آمون على بحر ( المندارك ) وان كان هذا الشعر لم يقابل بالاستحسان مما دفعه لان يقطع بين ( النثر ) هو الاداة المثلى للمسرحية الواقعية وان ( الشعر ) لا يصلح الا للمسرحية الفنية ، وان اصلح الشعر للمسرحية الشعرية هو ( الشعر المرسل ) المستند الى ( التفعيلة ) لا البيت كوحدة نغمية .

ويؤمن بالكثير بأن اللغة الفصحى هي وحدها القادرة على أن تمد الكاتب بالامكانيات الواسعة للتصرف وإيجاد الألوان المنة من التعبير الذى يناسب الشخصيات المختلفة التى يرسها ، وان مثل اللغة الفصيحة مثل الماء الصافى الذى يمكن تلوينه بأى لون تريد ، أما العامية فمثلها كمثل الماء الملون الذى لا يمكن أن يظهر أى لون جديد على حقيقته .

ويشكر بالكثير في اشارات من ذكرياته : صديقه وصديقنا الشيخ حسن محمد كبرى ( الذى ننتهز هذه الفرصة فنرسل له اصدق عبارات المودة والاعزاز ) يقول انه كان يطمعه في مكة على كتب المسرحية دون المام سابق بفن المسرحية بل بأصول التأليف المسرحى وان ذلك كان له اثره في تكوينه .

ولقد عايش ( بالكثير ) ازمان امته وتحدياتها المختلفة : سواء الاستعمار او الغزو الفكرى او الصهيونية ■

وفي الأعوام الأخيرة من حياته اتجه الى تاريخ الاسلام بقوة وأثرا « ملجمة عمر » في عدة اجزاء وكان له تميزه وظهوره في مسابقات وزارة المعارف او الهيئات الثقافية ، كان يدخلها فيفوز بالجائزة مع طبع مؤلفه ، وبلغ من نبوغه المثالى ان وزارة الشؤون الاجتماعية طلبت عام ١٩٤٧ ست روايات في مواضيع معينة وأقامت مسابقة لذلك مصحوبة بمكافأة باهظة فتلقت الوزارة خمسين رواية ولما فحصت اللجنة المختصة ذلك القدر من الروايات اختارت سبعا ولما فتحت غلاف الاسماء ظهر ان بالكثير قد



فاز بروائتين من الروايات الست فداعبته احدى الصحف طالبة من الحكومة منع ( باكثير ) من دخول المسابقات .

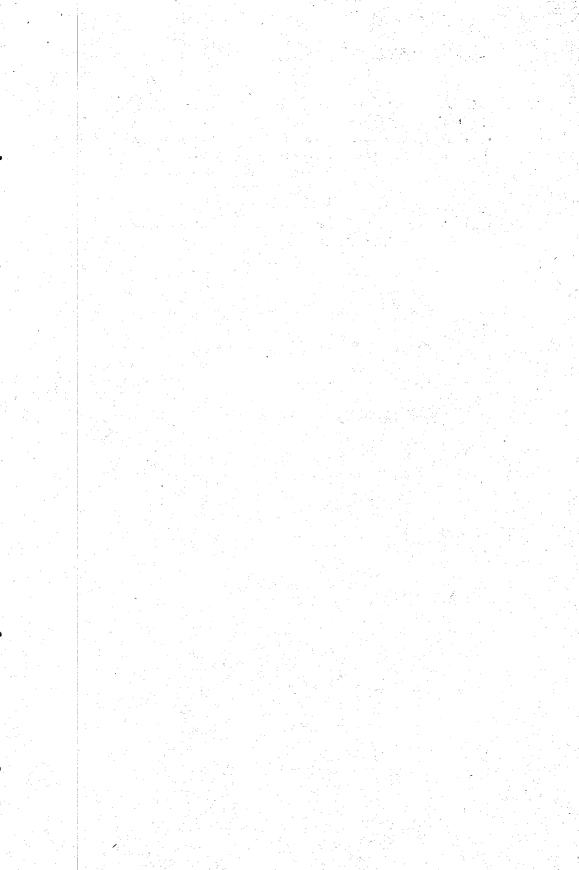
ولما اظل الفكر ظل الماركسية وصار الجو خانقا ، لم يستسلم باكثير ولكنه حاربهم وهاجمهم في مسرحيات منها مسرحية « جبل الغسيل » التي نشرت فصول منها في الصحف ثم توقفت بعد ان انكشف هدفها وقد عابله هؤلاء معاملة سيئة ازعجته ازعاجا شديدا وخاصة حين سيطروا على مجال المسرح والقصة ومنعوا انتاجه ومسرحياته .

ولا ريب ان باكثير ذهب ضحية هذا الجو الخائق الذي قضى على محمد عبد الحليم عبد الله ، والذي انزوى عنه كثيرون نتيجة لاستثراء هذا الطابع الدخيل ، معتمسين بالله حتى انكشفت القبة .

ومن ذلك شعره :

فلا سلمت كتب الجامدين ولا فاز قارئها بالوטר  
صحائف لا روح فيها ولا يلوح بها ذكر خير البشر  
تصور فيها محال الأمور ويترك فيها مهم المصور  
فتلك الجواهر ، أين الرمال فيها ، وأين خسيس الحجر

\*\*\*



## الرافعى مدرسه الاسلام

عقد مهرجان ضخيم للاحتفال بذكرى الأستاذ مصطفى الرافعى فى مدينة طنطا ( ١٩٧٧ ) : وقد تحدث فى هذا المهرجان عدد من الباحثين والكتاب كما اعد كاتب هذه السطور كلمة ضافية كشف فيها عن الدور الذى قام به ذلك الرائد العظيم وأشار الى أن انعقاد هذا المهرجان الكبير بعد مرور أربعين عاما على وفاة الرافعى فى هذه الأرض الطيبة التى شهدت غدوه ورواحه وهذا الحصن العتيق الذى اعتصم به فى معركته الضخمة ليكشف بوضوح عن حقيقة أصيلة هى أن الفكرة المؤمنة التى تقوم على الأصالة لا يمكن أن تموت مهما طال بها الزمن فيما يزال الرافعى حيا فى النفوس بفكره ، وما تزال الآراء التى قدمها فى مجال الفكر الإسلامى والأدب العربى حية مثاقفة ، بل ما تزال العضلات والتحديات التى واجهها الرافعى وكشف عن وجهة النظر الإسلامية العربية فيها قائمة متجددة وما تزال آراؤه وكلماته ذات الأصالة والعمق بمثابة الضوء الكاشف أمام الباحثين والمفكرين والأدباء آراء هذه القضايا .

لقد كان الرافعى فى مقدمة أهل جيله قدرة على التنبيه مبكرا الى التحديات والأخطار التى واجهت الفكر الإسلامى والثقافة العربية تحت أسماء متعددة كالغزو الثقافى والتفريب والشعوبية فى صورة تلك الحملات التى وجهت الى اللغة العربية الفصحى وإلى القرآن الكريم وإلى تاريخ الإسلام وخاصة تلك التى حاولت أن تفرض على النقد الأدبى أسلوبا وافدا يستمد مقوماته من المنهج الغربى الذى يقوم على أساس أن الإنسان أسير المادة والجنس مع تجاهل تكامله فى إطار الروح والمادة ، والقلب والعقل والدين والعلم والدنيا والآخرة وكذلك نجد الأستاذ الرافعى رحمة الله عليه من أوائل من تنبهوا للدعوة التى حبل لواءها صاحب الجريدة فى محاولة لاعلاء شأن اللهجات العامية والكلمات العامية ودفعها لتكون لغة الكتابة وكان هذا العمل خطوة تالية لما قام به ولكوكس وولور وغيرهم من الدعاة الى إحلال العامية مكان الفصحى . فقد كشف الرافعى فى هذا الوقت المبكر ، هدف هذه المحاولة الخطيرة وأشار الى أنها تستهدف القرآن الكريم نفسه ، وتعمل على الفصل بين الأداء العربى فى الأسلوب الحديث وبين مستوى البيان القرآنى من أجل تعميق الفوارق بينهما على النحو الذى يقضى على أسلوب البيان القرآنى ويمزق اللغة العربية الى لهجات اقليمية . كان ذلك عام ١٩١١ م عندما انتفض الرافعى انتفاضا قويا فى وجه هذه المحاولة فكتب مقاله الخطير فى مجلة البيان التى كان يصدرها الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي والتى كان يتولى هو الإشراف على إصدارها وإقرار ما ينشر فيها مما كان يقدمه إليها

أمثال المازنى والعقاد والسباعى وغيرهم . ومنذ ذلك الوقت لم يتوقف الرافعى عن متابعة هذه القضية والوقوف فى جانبها على هذا النحو الواضح الصريح : بل لعله فيها نعلم أول من ربط بين القرآن وبين اللغة العربية فى هذا العصر ، وفهم هذا الهدف الخطير الذى طواه النفوذ الأجنبى وراء الدعوة الى النهضة والحضارة والتقدم حين دعا ولكوكس المصريين الى انخراط العالمية لغة لهم ، مقدما لهم تجربة اللغة الانجليزية التى انفصلت عن اللغة اللاتينية فى دعوى عريضة لفصل اللهجة المصرية عن اللغة العربية سواء بسواء ، وهى خدعة كبرى امتدت مع الاحتلال البريطانى حين دعا خبراء الاحتلال الى التخلص من العربية الفصحى ومن القرآن وأعدوا مناهج الدراسة على هذا الأساس ولقد كان للرافعى من بعد وقفته الواضحة ازاء كل من هاجم اللغة العربية من أمثال جبران خليل جبران وسلامة موسى وغيرهم .

هذا هو الأمر الأول الذى سبق به فى مجال مواجهة التحديات التى طرحتها خطط التغريب والغزو الثقافى وجاء العاملون فى هذا الحقل من بعده ، أما الأمر الثانى فهو القرآن نفسه فقد تناثرت أقوال حول اعجاز القرآن وتردد قول من كان يشر الشكوك حول هذا الاعجاز سواء فى النسخات الخاصة أو فى كتابات غامضة .

ومن هنا كان هذا العمل الضخم الذى قام به الرافعى وهو انشاء كتابه الرصين — اعجاز القرآن — الذى قال عنه سعد زغلول :

( كانه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم ) وقد وجد هذا الكتاب فى ابان ظهوره محاولة خطيرة لتجاهله تحت لواء ما كان يطلق عليه — مؤامرة الصمت — ولكن الأجيال التى تلت من بعد عرفت قدر هذا العمل وعرفت هدفه وغايته ، واستطاع هذا العمل العظيم أن يكشف للأجيال الجديدة عظمة القرآن الخالد ويبين مدى اتساع وعمق وكمال هذا الاعجاز . وفى ميدان ثالث كان سبق الرافعى لأهل جيله من كتاب وأدباء ، ذلك هو عمله الذى يطلق عليه — تأديب التاريخ — فقد قدم فصولا من التاريخ الإسلامى فى أسلوب رائع وبيان خصب ، كشف بها عن عظمة الإسلام وبطولة رجاله ، جدد بهذه الصورة الرائعة من حياة الإسلام وتراثه مواقف وأبطالا ومواقع ، وذلك قبل أن يكتب العقاد وتوفيق الحكيم وطه وهيك ما كتبوه عن الرسول وصحابته ، وقد ظل ما كتبه الرافعى متميزا بذلك الايمان العميق الذى صاغه فى أسلوب العصر بينما وجهت الى كتابات العقاد وهيك الكثير من النقد حول بعض الجزئيات فكان الرافعى رائدا فى هذا المجال . وكان أشد أصالة ومن ثم وفى ضوء هذا كله كان الرافعى هو أول من تصدى لكل المحاولات التى حاولت أن تصيب من اللغة العربية أو القرآن أو تاريخ الإسلام أو ادخال مناهج غريبة على الأديب العربى ، وكان من بين المدافعين أقوى لسانا وأعلى صوتا من كل العاملين فى هذا الحقل ، ذلك لانه كان بطبيعة تكوينه اقدر على ذلك فهو قد كون نفسه فى اطار الإسلام . لقد تعمق فى القرآن والسنة والبلاغة النبوية منذ صباه وجرد نفسه للعمل الخالص لله وهو قبل ذلك وبعد ذلك قد حرر نفسه من القيود التى

قد تحول بينه وبين أداء هذه الرسالة فقد قبل أن يحتجب وراء عمله المحدود وأجره القليل في محكمة طنطا ليكون قادرا على أداء هذه الرسالة وكان في مقدوره أن يعمل في محيط الصحافة في القاهرة وأن يناقش هذه الأسماء اللامعة في صفح الأهرام والبلاغ والسياسة وكوكب الشرق ، وغيرها ، وأن يحصل على المكانة اللامعة والأجر المضاعف ولكنه عزف عن هذا كله لأنه لن يستطيع إذا فعل ذلك أن يقول ما يؤمن به ، لن يستطيع إذا فعل ذلك أن يقول كلمة حرة طليقة خالصة لوجه الله والحق ، بل سيكون مقيدا بحزب أو هيئة أو جهة أو مفهوم ، قد يعوقه عن أمانة التبليغ ويلزمه بشيء من اللباقة أو المجاملة ، وكان يرى أن هذا كله خطر على صاحب الرسالة الذي يقول ما يريد هو لا ما يفرض عليه . ولذلك فقد كان يهاجم خصوم الإسلام واللغة العربية في الصحف المعارضة لهم فإذا انتقلوا إلى تلك الصحف أو غيروا أحزابهم ، هاجمهم في الصحف الأخرى المقابلة لها ، وقد كان على كل حال متيحاً من أن يقول كلمته حرة خالصة لوجه الحق ، دون خشية لأي حائل أو معطل ومن هنا كان موقفه واضحاً إزاء مؤامرة الشعر الجاهلي فقد عرف أبعادها وحمل لواء الدفاع عن القرآن وكشف عن تلك الزيوف والشبهات التي وجهها خصوم الإسلام والعربية إليها وكان كتابه — تحت راية القرآن — هو أقوى تلك المدافعات التي حمل لواءها فريد وجدي ولطفي جبعة والخضر حسين والدكتور الغمراوي .

ولقد كان أسلوبه في الأدب العربي متميزاً بخواصه التي يعرف بها في الأداء ومعاله التي لا يشابه فيها أسلوب آخر في المضمون . وقد عاش على رأس مدرسة جمعت العريان وكامل محمود حبيب ومحمد محمود شاكر ومخلوف ، عرفت بالرصانة في البيان والأصالة في الأداء . وهي مدرسة ما تزال حية قوية ممتدة أبرز معالمها الإيمان بأخلاقيات الأدب وإسلامية الفكرة والارتفاع فوق أساليب الانتحال والتفاني . وقد كشف عن المذهب الإسلامي الذي يقرر أن الفنون والآداب لا تخالف الفطرة فإذا خالفتهما فدعت إلى رغبة من الرذائل التي جاء الدين لمحاربتها فهي بالصورة التي تخالف بها الدين فنون باطلة .

وكشف عن أن هناك فريقاً يريد هدم تلك القومات الأخلاقية ليقيموا حياتهم على أساس الكشف والإباحة . وبذلك فصل الرافعي بين أدب الأصالة وأدب الانتحال . هذا هو مفهوم الرافعي للأدب الذي عاش يدافع عنه ويؤمن به .

وهكذا وضع الرافعي أساس مدرسة الأصالة في الأدب العربي المعاصر ، وربط الأدب بالفكر الإسلامي باعتباره حلقة من حلقاته وحياه من النزعة الوافدة الداعية إلى الكشف والإباحة التي أخذت تنتشر وتفسد القصة والقصيدة والمقالة جميعاً . وكانت المرحلة الخاتمة من حياته ما كتب في الرسالة في تلك السنوات القليلة خصبة وعامرة وقد اختصرت منهجه كله الذي أصبح بين يدي الشباب من بعد ضياء كاشفاً وكأنه ضوء من هدى القرآن ولذلك سمعنا أن الأيدي المتوضئة كانت تحرص على الرافعي وتقرؤه من وراء

الأسوار وخلف القضبان ولقد عايشنا هذا التاريخ منذ قرأنا الرافعي في مطلع الصبا ونحن غدا مبكرا الى ربه فترك مكانه خاليا ونحن حاول العريان التاريخ له ثم أفسد هذا التاريخ وحاول أن يفسر حياة الرافعي وتاريخه تفسيرا ماديا ، ثم جاء مصطفى نعمان البدرى فحصل على درجة العالمية — الدكتوراه — بطروحة ضخمة عن الرافعي — بعد أن حصل على الماجستير عنه أيضا — فاستقصى هذه الحياة وهذا الفكر حتى لم يدع شاردة ولا واردة ، وكنت رفيق رحلته تلك أتابع معه عمل الرافعي الضخم الواسع العميق ، فأرى كيف جاهد في سبيل إرساء قيم الأصالة في الأدب العربي في مرحلة من أدق المراحل حين جاءت رياح التغريب والغزو الثقافي على أيدي أساطين الصحافة وقادة الجامعة واستطاع الرافعي — الفرد المعتزل — الذي كان ما يزال مقيما في طنطا وليس في يده من النفوذ والسلطان الا تلمه وإيانه أن يواجه ذلك كله وأن يترك بصماته على حركة الأدب في هذه المرحلة وأن ينشئ مدرسة مازالت تكافح في سبيل إرساء قيم الإيمان والأصالة والحق .

لقد ودع الرافعي دنيا الأدب مبكرا . ودعها تلب عدد من أعلام جيله : سبق المازني وهيكل والعقاد والزيات وبقي بعض هؤلاء بعده عقدا أو عقدين من السنين يكتبون وتتعرف اليهم الأجيال . ومع ذلك فإن أصالة الرافعي استطاعت أن تقاوم النسيان وظلت آثاره وما تزال تطبع وتقرأ وتتحدى تلك الدعوات المادية الملحدة التي تنكرت للفكرة الإسلامية والأدب العربي والفصحى لغة القرآن وما زالت كتابات الرافعي هي طلائع هذا المجال بالسبق الى كشف الشبهات ومواجهة التحديات ، وبالمعطاء الذي قدمته للباحثين السائرين على الطريق فما تزال القضايا التي واجهها الرافعي قائمة بالتحدي وما تزال المعركة مستمرة وما يزال الرافعي قمة في التعرف على هذا الخطر وكشفه وتقديم الردود الحاسمة في حوض هذه الشبهات وكشف زيفها . وسيظل في أدبه وحياته كالمنار يهتدى به كل سائر على هذا الطريق الى الحق .

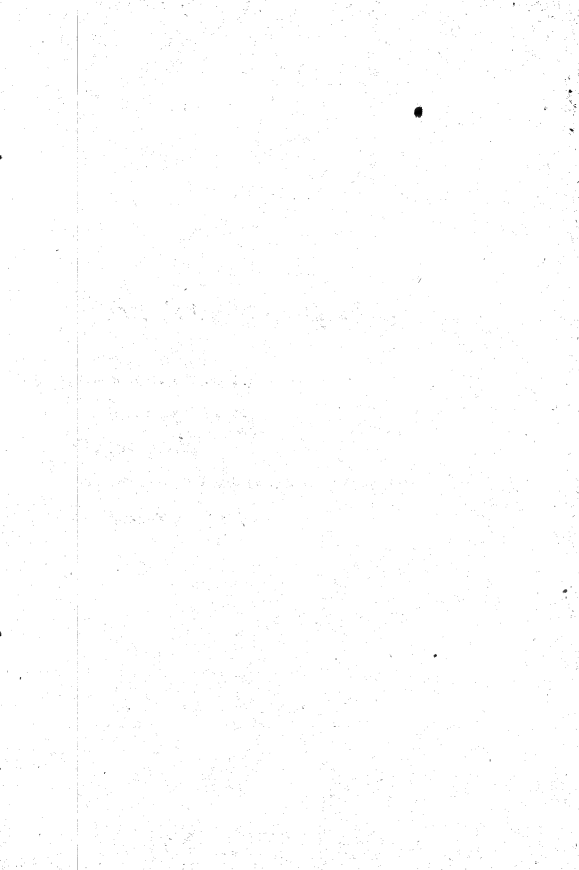
رحم الله الرافعي رحمة واسعة واجزل مثوبته .

\*\*\*

## الباب التاسع

### عندما دخلوا الإسلام كانوا صادقين

- ١ - عندما دخلوا الإسلام كانوا صاعقين .
- ٢ - تجربة اعتناق الغرب للإسلام .
- ٣ - واجب كل مسلم .
- ٤ - ماذا يحدث عندما تدخل المرأة الغربية في الإسلام
- ٥ - الغرب يكشف عظمة الإسلام .





## عندما دخلوا الإسلام كانوا صادقين

كثيرون دخلوا الإسلام من مفكرى الغرب وكانوا صادقين .

من أبرز هؤلاء دكتور عبد الكريم جرمانوس ودكتور خالد شلدريك . وقد كتبوا تجاربهم ومذكراتهم فأشاروا الى أبعاد صورة المجتمع الإسلامى على نحو نجدنا فى حاجة الى التعرف اليه وفهمه ، لانه ولا ريب يعطينا شعورا بالحق الذى نؤمن به والطريق الذى نسمى اليه والأمانة الموكولة لنا .

يقول عبد الكريم جرمانوس الذى جاء عالم الإسلام مشركا وعاد الى بلاذه مؤمنا « الفيت فى قلوب اخوانى المسلمين كقوزا تفوق فى قيمتها الذهب والأحجار الكريمة ، فقد عاشرت مسلمين فقراء ، كانوا لا يحجمون عن أن يقاسموا رفاقهم آخر كسرة يملكونها من الخبز . كم استضافونى فى بيوتهم المتواضعة وأعطونى أعظم شئ فى الوجود انهم منحونى احساس الحب والتأخى ، ولقنوني عمل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان أنس لا أنسى الظروف التى لاقيت فيها كثيرا من فقراء المسلمين الهنود ، وهم يعيشون فى بطون اكواخهم المشيدة من القش ويستضيئون بأنوار الإسلام فتحول تلك الاكواخ فى انظارهم الى قصور وجنات بحيث يحتفرون مظاهر الجاه والثروة ويطاؤونها تحت أقدامهم » .

ويتحدث عن القرآن فيقول : ان القرآن الكريم هو المثل الأعلى لتوجيه الانسان الى الطريق السوى الذى ينتج على كل مسلم غيور الا يحيد عنه قيد شعرة . والمسلم الذى لم يفقه تعاليم دينه فقها صحيحا ، يرى أن القبس الروحى يتأرجح فى قلوب المسلمين جميعا ممن لا ينكصون عن التضحية وبذل الواجب .

والذين ينفون ذواتهم فى ذات الغرض الأسمى ويأخذون على عواتقهم التغلب على كل أمر والتجول فى أنحاء العالم لنشر الدعوة واضهار فضائل دينه ومحاسنه .

ويقول خالد شلدريك : اننى اتخذت الإسلام ديناً بعد بحث وتنقيب .. لم انلق هذا الدين فى أول الأمر من كتبه ، ولكى تلقينه من كتابات الطاعنين عليه . فقد حملنى البحث والتأمل ودرس الديانات الأخرى على البحث فى دور الكتب العامة بالتجول حيث وجدت بها بحثا عن كل دين ما عدا الإسلام ، فان الكتب التى التفت عنه مملوءة بالتعالم والمطامن والغرض

الظاهر .. وزعموا أن الإسلام ليس ديناً مستقلاً ، ولكنه أتوال محرفة عن كتب المسيحيين ، وقد ساطت نفسى :

إذا كان الإسلام لا أهمية له الى هذا الحد . فلماذا هم يبذلون كل هذه الجهود للتحامل عليه ومقاومته وتوجيه المطاعن اليه . وقد وقر فى نفسى أنه لولا أن الإسلام دين يخشاه هؤلاء الناس ويحسبون له حساباً كبيراً لما فيه من القوة والحياة لما بذلوا كل هذه الجهود لمقاومته والطمع فيه وتشويه سمعته .. لذلك عذمت على قراءة هذه الكتب التى كتبت عنه واحداً واحداً .. ولا ريب أن الإسلام لا يخفيه انتقاد منتقديه .. فمنتقدو الإسلام انما يظهرون وجهة نظر خصومه ، وفى هذا مصلحة له وقوة ودعوة والحق يعلو مهما يحاول المبطلون اخفائه .

وليس عندى ريب فى أن الإسلام سيكون يوماً ما الدين الذى يسود العالم أجمع ، وهذا يتوقف على سبب جوهرى ، هو أن يكون المسلم مثلاً حسناً يعلن عن الإسلام ويعرف الأمم به عملياً .

ولما شرعت أدرس عقائد الإسلام بعد أن انتهيت من الوقوف على حقائقه السابقة الذكر وجدت جميع عقائده مقبولة عقلاً ، فمعتيدة التوحيد الخالص التى امتاز بها الدين الإسلامى هى أصح العقائد التى عرفها البشر وهى كاملة فى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وإعلان صفات الكمال لبارئ الكون والاعتراف بجميع أنبياء الله ورسله .

ويقول : اننى كلما ازدت علماً بالإسلام ازدت إعجاباً له وتمسكاً به ، ولا ادعى اننى درست الديانات كلها ولكنى بلا شك وقفت منها على ما نيه مقنع لى .

\*\*\*

## تجربة اعتناق الغرب للإسلام

ما تزال « تجربة اعتناق الإسلام » عند الغربيين تكشف حقائق هامة على المسلمين أن يتدبروها ليعرفوا إلى أي مدى استطاع دينهم الحق أن يعطي للبشرية .

والواقع أنه قد صدرت في السنوات الأخيرة أكثر من مجموعة لمفكرين ومثقفين غربيين أسلموا . وما تزال هذه التجارب والشهادات تترى وهي في كل مرة تقدم شيئا جديدا . وقد أصبح من الضروري دراسة هذه الشهادات واستخراج مفهوم كامل منها يكشف عن مدى ( النقص ) الواضح في الفكر الغربي ومدى حاجة النفس الإنسانية بفطرتها وفي ضوء ما يكتشفه العلم كل يوم من حاجتها إلى الاصالاة في معرفة الله الحق .

يقول الدكتور روبرت بير جوزاف استاذ الفلسفة بالجامعات الفرنسية الذي ألف أكثر من عشرين كتابا في الفلسفة والتوحيد .

اعتنقت الإسلام لأنه هو وحده الدين الذي يجد الإنسان فيه روجه وأشواقه ومستقبله ، وهو دين المعرفة يدعو معتقيه إلى التزود بالعلم والعمل به ولا غرو في ذلك فإن أول آية من القرآن الكريم ( اقرأ ) هي التي جعلت الرسول يقول : « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » ويقول : لم أكتف بدراستي الخاصة في الفلسفة بل كتبت في ثلثي أنواع المعرفة وخاصة في اثبات وحدانية الله خالق كل شيء ومدير كل شيء في الكون الذي يواجه الحضارة المادية اللاحادية التي تكاد تقضى على ما توارثته الأجيال الماضية والحاضرة من تقدم وازدهار . فسلح العلم وحده على شرط أن يستعمل في الخير والبناء لا في الدماء والتخريب . كما بين القرآن الكريم — ولذلك كان الإسلام هو الأمل لأبناء البشرية جميعا للوصول إلى الحقيقة الكبرى وإلى خلاص العالم . فهذا ( التصور الإسلامي للعلم ) كان سببا في إثبات اشراقة الأمل ونور الحق لينير الطريق أمامي ويهديني إلى الصراط المستقيم ويرشدني إلى بر الأمان وينقذني من العذاب الذي كان يدور في نفسي . ولا ريب في هذا الكلام فأنى أعتقد أن الإسلام وهو شريعة الله والحق معناه السلام بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان كبيرة وأولها السلام بين الشخص ونفسه . فالنفس وهي الإمارة بالسوء لا تستطيع أن تسيطر عليها وتوجهها إلى خير الفرد والمجتمع إلا « الشريعة الإسلامية » ومبادئها السمحاء . فالشهادة تعني أن لا طاعة لمخلوق وإن الناس جميعا متساوون لا فضل لعربي على

عجى ألا بالتقوى . فالحرية والمساواة الأفضل مكفولة للجميع والفرق بينهم هو نتيجة عمل كل منهم . واتصال العبد ( مباشرة ) بخالقه خمس مرات فى اليوم زاد يومى يذكره بوجود الخالق ويدعوه الى اتباع ما دعى اليه واجتناب ما نهى عنه . والزكاة توحد بين القلوب وتقضى على الحقد والبغض والحسد فتقرب بين المسلمين وتجعلهم كالبنين المرصوص .

وبعد فان هذا الفكر الذى وصل اليه ذلك العالم الغربى بالاسلام هو فى ذاته ظاهرة جديدة جدية بالدراسة بالاضافة الى عشرات الشهادات التى كشف بها أصحابها من المثقفين « جوهر الاسلام » الحق وهى مما نحتاج نحن الى أن ننظر اليه ليعطى بعض شبابنا المتعلق بأذيال الفكر الغربى تلك الحقيقة التى لا يسمعون الا من مثل هؤلاء الذين هدامهم الله .

\*\*\*

## واجب كل مسلم

ما تزال تجربة الذين دخلوا الاسلام من المثقفين في حاجة الى نظر وتامل منا نحن المسلمين ، ولقد اقام ( روبرت وزلى ) في القاهرة بعد ان فقد كل ما يملك من اهل ومال في بلاده وعمل استاذاً في جامعة الأزهر بعد ان أعلن اسلامه .. فسمى عبد الرشيد الانصارى ..

يقول : اذا اراد العرب ان يتقدموا فان عليهم ان يفرقوا بين ما يجب ان يتعلموه من الغرب وما لا يجب اذ ان كثيرا من علوم الغرب ضار وخطر ، ولقد خسرت الشعوب الغربية الشيء الكثير بقدر ما كسبت خلال نضالها في سبيل التقدم . واصبح المجتمع الغربى مجتمعا غير متزن منسجم مع طبيعة الحياة البشرية ، انه مجتمع مترف ولكنه غير قانع . ويرجع ذلك الى اربعة عوامل : الثورة الصناعية ، الحرمان ، النضال في سبيل المساواة بين الجنسين ( ولعله اهمها جميعا ) فقدان الثقة في الكنيسة المسيحية ، انهم لا يذهبون اليها الا ثلاث مرات ، عند تمديدهم وعندما يتزوجون وعندما يموتون ، ان الشجرة بدون جذور سرعان ما تسقط وهكذا الحال بالنسبة لكل الحضارات مهما بلغت من التقدم .

اما الاسلام فان جذوره مكيئة تمتد في أرض الله القوية المتماسكة واذا درست فانفسا نراه يمتد من هذه الجذور شجرة قوية من الايمان الخالد . ان قوته سوف تحمينا وثمرته هي غذاء لأرواحنا ومنبع قوتنا . لهذا فان على كل مسلم في كل قطر ان يدرس دينه ويفهمه حق الفهم . بل يجب ان يدرس كذلك لغة الدين : الا وهى اللغة العربية . ان اللغة العربية هي جزء من تراثنا كما انها في نفس الوقت هي لغة القرآن .. انها لغة مقدسة حيث أنزل الله بها كتابه الكريم الى العالم ..

ان القرآن واللغة لا يمكن انفصال بعضهما عن بعض لفهم العالم الذى حولنا وبدراستهما تتلاشى الحواجز بين الشعوب ويزول الشك ، ويعرف بعضنا بعضا حق المعرفة ، وعلى هذا الأساس يمكن بناء صرح شامل للعالم الاسلامى والحضارة الاسلامية ، ان جميع المسلمين لهم عقيدة مشتركة ولغة مشتركة وهذان لهما هدف واحد هو الاسلام .

ويقول : ان القرآن ليس اثرا من الآثار السالكة الهادئة تشير الى ماض ميت وانما هو متبع حي للحق ظهر في العصر الاسلامى العربى الذى ورتناه

تراكفا عظيما لنا نفخر به ، ذلك التراث يجب ألا نتركه بسهولة أن كلمات  
القرآن مليئة بالمعاني في يومنا هذا كما كانت بالنسبة لأسلافنا ، انها كلمات  
مليئة بالحكمة بعثها الله الى الناس كافة وبهذه الكيفية فانها تتعدى حدود  
الزمن لانها عندما احكمت احكمت خارج حدود الزمن خالدة صالحة لكل زمان  
بل لجميع الأزمان .

\* \* \*

## ماذا يحدث عندما تدخل المرأة الغربية في الإسلام

ماذا يمكن ان تعطينا هذه الواقعة وخاصة اذا كان قد سبقها مثيلات لها وتعددت حتى أصبحت بمثابة ظاهرة جديدة في أفق الفكر الغربى :

قالت مارشيللا مايكل انجلو وهى ممثلة ايطالية بعد ان أعلنت اسلامها وأصبح اسمها فاطمة محمد عبد الله : ذهبت الى مرسى مطروح فى الصحراء لأمثل فيلما عن الحرب العالمية الثانية .. وفى يوم ما ، رايت مجاميع من الناس تتجه الى مبنى صغير على بابهم يظلمون اخذتهم ليدخلوه حفاة .. تقدمت من المبنى وشاهدت الناس فى صحن المبنى يسىرون فى خشوع ثم يصطفون ليقوموا بشعائر معينة سجودا وركوعا ..

سألت وعرفت ، وكأنت هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها مسجدا والمرة الأولى التى أرى فيها مسلمين يؤدون الصلاة .. شعنتى البساطة فى صلاة المسلمين ، شعنتى البساطة فى البشر أنفسهم فى المسجد ذاته كان الناس باختلاف أعمارهم ومراكزهم وملابسهم يتساوون حفاة يؤدون الصلاة فى خشوع وهدوء ، أحسست ان شيئا ما فى داخلى فى أعماقى يتحرك . شئ لا أستطيع بالضبط ان أحده .. ان أعرف ما هو . لماذا على وجه الدقة ، وجدنتى أسمع لنفسى : انى أريد ان أكون مسلمة مثل هؤلاء الناس . فكرت فى هذا الأمر جيدا ذاك النهار حتى انطوت صفحته ومع الليل ظل فكرى ساهرا ..

وفى اليوم التالى توجهت الى المسجد ، نفس المسجد ووقفت أمامه أراقب المسلمين واتحدث مع بعضهم . كانوا طيبين أنقياء يتحدثون بلألف ولادوران .. أحسست ان ما فى قلوبهم على السفتهم . ومضت الأيام واستقر فكرى على قرار لايد ان أكون مسلمة .. كيف .. هل الأمر بهذه البساطة ، وعدنا الى ايطاليا ..

أسرة يرعاها الأب مايكل انجلو الذى يحمل اسم أشهر فنانى عصر النهضة ، أسرة بسيطة متدينة نشأت « مارشيلان » وسطها حتى تركت جنوا كلها وانتقلت الى روما تدرس فى أكاديمية الفنون .. واستلفت جمالها الأنظار فأصبحت « موديللا » للرسامين ثم مانيكان للأزياء ثم قدمها المخرج المشهور بييترو جريس للسينما وتبأ لها بمستقبل ناجح وعندها عادت مارشيللا الى روما هل ضاعت الفكرة وسط الزحام وهل الهاها الضجيج والمصخب

والأهواء ؟ هي نفسها تقول لا : بل ان هذا الأمر نفسه كان السبب في خلقي مع زوجي .. لقد كرهت المظاهر المادية ، أصابني السأم من الزخرفة والطلاء الذي ليس وراءه شيء حقيقي ، وكان طبيعيا ان يختلفا وان ينفصلا ..

تقول ان القرار قرارى انا وحياتى هي ملكى ، ولأول مرة في حياتى اشعر اننى موجودة . لأول مرة اقرر أمرا مصريا تتوقف عليه حياتى كلها ومستقبلى كله ..

ان احدا من قبل لم يسألنى عن ديانتى .. اى دين تحبين . والآن اختار انا بنفسى . ان الحياة تمر بالانسان عبر فصول من الكفاح مضنية ولقد يمر فصل منها وربما عشرة دون ان يقرر ( شيئا جوهريا ) .. ثم فجأة يتخذ قراره . والواقع ان ذلك لا يتأتى فجأة وانما نتيجة فكرة تتشكل من تجارب ومؤثرات بلا حصر ، سأحاول ان الائم بين دينى وعملى ولكنى سوف أؤدى الشعائر كلها ، سأتعلم العربية وأدرس القرآن وأصوم رمضان وأصلى وأؤدى الحج ، وانا أبحث الآن عن تفسير للقرآن بالفرنسية او الإيطالية ..

يا ايتها السيدة فاطمة ( مارشيل ) سابقا لماذا أسلمت ؟

تقول : البساطة ، الطيبة السامحة ، مشهد الناس الطيبين يدخلون في بساطة الى صحن الجامع المتواضع يصلون في خشوع ، فعل في نفسى هذا فعل السحر حرك كوامن مترسبة في أعماقى ، أحسست انى مسلمة قبل ان اعلن اسلامى . لقد وجدت في دينكم العقل والمنطق ، انتم ببساطة وكما فهمت تؤمنون بالله ورسوله . هذا الرسول بشر مثلنا ، ورجل عادى اختاره الله لينقل رسالته الى الناس ليؤمنوا به ويكتبه القرآن والقرآن دستور ينظم حياة الناس ليعيشوا متعاونين في خير وسعادة وببساطة وبلا مظاهر كاذبة ..

اننى اشعر انى كما لو كنت قد ولدت من جديد ..

اننى انا المسلمة قد خرجت من أعماقى لأعيش تاركة علاقتى بالقديم ، سل الذين عرفونى من قبل ، لقد أدهشتهم السعادة التى أرغل فيها .. ان مسألة اسلامى مسألة تنبع من داخلى وحدى ، هو امر يتعلق بحياتى وحدى وقبل ان اقرر فكرت ودبرت ثم نفذت في صمت .. « ..

\*\*\*

الواقع ان المرأة الغربية هي اصدق حسا واعقق فهما للحياة من الرجل ولذلك فهى قد شعرت تماما بمدى الخطر الذى حاصر المجتمع الأوروبى والنفس الغربية ..

ان كتابات الدكتور لورا غنثيا فاليرى الإيطالية التى جمعتها تحت اسم ( محاسن الاسلام ) وترجمها طه موزى عام ١٩٣٠ لتكشف بوضوح وجهة



نظر المرأة الغربية المثقفة في عظمة الاسلام ثم تجيء بعد سنوات الدكتوراة سجريد هونكه بكتايبها الرائع ( شمس الله تشرق على الغرب ) فتؤكد نظرة المرأة الغربية الى الاسلام ثم تجيء حالات متعددة من الدخول في الاسلام ار الاعجاب به لتوضح هذه الظاهرة وتعمقها ..

اما الكاتبة البريطانية « ايفلين كويله » فقد صورت في كتابها « البحث عن الله » تجربتها الرائعة مع الاسلام وهي مجموعة يوميات كتبها بعد اداء فريضة الحج بعد اسلامها والكاتبة نبيلة بريطانية استطاعت ان تهتدى الى الاسلام عن طريق قراءاتها في ( مقارنات الأديان ) ..

تقول : سألتني كثيرون كيف ومتى اسلمت ..

وجوابي على ذلك انه يصعب على تعيين الوقت الذي سطعت فيه حقيقة الاسلام امامي ، فارتضيت الاسلام ديناً . ويقلب على ظني اني مسلمة منذ نشأتي الأولى ، وليس هذا غريباً اذا ما راح المرء يفكر في ان الاسلام هو الدين الطبيعي الذي يتقبله المرء فيما لو ترك لنفسه . واني لأذكر ايام طفولتي وكيف اني صرغت الشتاء مع والدي في قصر عربي في الجزائر ، وكيف كنت كثيرة الرغبة وانا مازلت طفلة في الذهاب الى المسجد مع بعض الرفاق ، استمتع بها يغمره من حياة لطيفة رائعة ولعمري لقد كنت مسلمة منذ ذلك العهد وان كان هذا مما لم يدر في خلدي .

ثم تناسيت مع الأيام بعد مغادرتي الجزائر صلاتي في المسجد وذهبت الأيام بما كنت قد تلقيته من مبادئ العربية الأولى ، ومضت الأيام وفيها أنا في حوار مع بعض المعارف قلت من غير أن أدري اني من المسلمين ولعمري ما ازال أحرار في الحافز الذي دفعني الى ذلك وما أعلم انني رحت أفكر في الاسلام في كثير أوقايل .

ومهما يكن السبب فهذا نور جديد أضاء لي ما أمامي فكان من الحق على أن اقرأ كل ما يتعلق بهذا الدين الذي ارتضيته لنفسي وكلما أمعنت في القراءة زاد ايماني واعتقادي بأن الدين الاسلامي أكثر الأديان طواعيه وعملية وقرباً من العقل وانه الدين الوحيد الذي يستطيع تفسير النظم الحافزة والبلوغ بالانسانية الى ما ترتجيه وتطلبه من سلام وطمأنينة .

ولقد زرت المدينة المنورة ومسجد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ووقفت باهتة ذاهلة بالكية مسترجمة من خشية الله ، ذلك أن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الأئدة فما بالك بالعظمة اذا انتظمت مع النبوة وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الانسانية وخير البشرية .

رحمك اللهم : رجل تبعث به أمة كاملة وترسل على يديه ألوان الخير الى الانسانية .

ثم مشيت نحو المسجد وكانت الشمس قد اشرقت او كادت وكان النهار

ما يزال باردا زاهيا فلما تلمسنا مدخل المسجد النبوي تولتني رعدة عظيمة  
 وخلصت نعلي وتقدمت أمشي في صحن الجامع أتابع خطوات رفيقي ثم أخذت  
 لنفسى مكانا قصيا صليت فيه ركعتين وأنا غارقة في عالم هو أقرب الى  
 الأحلام ، كان الزحام شديدا حولي والمؤمنون سكوت يصلون والقلوب واجفة  
 والأفئدة خاشعة ولم يكن هناك حوله من يصلى ذلك ان ( محمدا ) منع  
 الصلاة عند قبره ونهى عنها حتى لا يتخذ الناس قبره موطنًا للعبادة ، ذلك  
 انما تكون الصلاة لله وحده جل جلاله وليس في الاسلام صلاة لغير الله  
 ولا قبله غير الكعبة ..

وفي مكة طفت بالبيت وسعيت ولقد تولاني من الخشوع والذهول والتوبة  
 والاستغفار والإيمان ماتولاني فرفعت رأسى الى السماء ودعوت مع الداعين  
 وبكيت مع الباكين .. وطففت مع الطائفين واسلمت نفسى للواحد الأحد  
 وغمرتني روحية الاسلام فتناسيت نفسى وتناسيت كل شيء ..

وهكذا نجد ان الاسلام قد اخذ يزحف الى قلب المرأة الغربية ، ولعل  
 لذلك ما بعده ..

### \*\*\*

وهذه تجربة اخرى جديدة تلك هي فاطمة نرفسكن : تقول ان للإسلام  
 فرصة عظيمة في العالم لأنه يتضمن جميع الصفات التي يتطلبها دين  
 عالمي .. وتستطيع أن ترضى المطالب الروحية والمادية لإنسان هذا  
 العصر ..

وان نظامه الاجتماعي يستجيب للفطرة . وان تعاليمه تخاطب العقل :

١ — بما فيه من مساواة كاملة بين الأجناس .

٢ — من تلك الحرية التي يتيحها الاسلام لأهله .

٣ — الاعتراف بالحياة الدنيوية التي لم يحرم منها المسلم على معتنقيه  
 ما أحل لهم من طبيعتها .

٤ — الاجتهاد في طلب العلم الذي جعله الاسلام فريضة على كل مسلم  
 ومسلمة وانه دعا الى طلبه والسعى فيه وتكبد المشاق في تحصيله .

٥ — المكانة الرفيعة للمرأة المسلمة التي حرص الاسلام على أن يكون  
 لها دورها الفعال في الحياة العامة تسهم فيه بقدر طاقاتها واستعدادها مما  
 يدفع عجلة الحياة الى الأمام .

وبعد : فهكذا تنطلق حقائق الاسلام في شرايين المجتمع الغربي وتصل  
 الى مهد المرأة وإلى قلبها .. ومنها ستصل الى الأجيال الجديدة وسنرى .

## الغرب يكتشف عظمة الإسلام

السيدة عائشة أو : احدى الغربيات المثقفات اللاتي فصح الله لهن باب الإيمان بالإسلام واعترفته ، منذ ستة عشر عاما . والسيدة عائشة انجليزية اسلمت وهى تعمل استاذة فى نيجيريا تتحدث عن تجربتها فتقول ان المرأة المسلمة منحت مساواة روحية وفكرية كاملة مع الرجل وتعال التشجيع كل التشجيع لممارسة دينها وتنمية ملكاتها الذهنية حتى نهاية عمرها .

وفى علاقتها مع الرجال يجب ان يرسى الطرفان حزمة المشية والملبس .

ويتصفان بدستور اخلاقى رائع لا يسمح الاختلاط بين الجنسين . ولا يوافق الاسلوب الاسلامى للحياة على أن يتخذ الشاب له صديقة أو أن تتخذ الفتاة لها صديقا ، كذلك لا يقر حفلات السمر التى يختلط فيها الجنسان والرقص بين الرجال والنساء وتعاطى المسكرات والمخدرات وغير ذلك من مظاهر الاسلوب الغربى للحياة ، والمعروف بأنه يهيب الأوضاع التى لا تتشأ فيها العلاقات المرفولة قبل الزواج واثناء قيامه . ان التربية البريئة فى الاسلام تتم عادة اما داخل نطاق افراد الأسرة او بين جماعات منفصلة من الرجال وأخرى من النساء لا اختلاط بين الجنسين فيها .

وتقول : لا يعتبر الجنس خارج الزواج فى الشريعة الاسلامية اثما فحسب ، ولكن أيضا جريمة يدخل مرتكبها تحت طائلة القانون كجريمة السرقة أو القتل أو غيرها ويوقع العقاب المشروع لها على الرجال والنساء على حد سواء وهو عقاب صارم وفعال . وتحدث عن فهمها لموقف الإسلام من مسألة اللباس فتقول :

تستطيع المرأة المسلمة أن تلبس ما يحلو لها امام زوجها والعائلة وفى وسط صديقاتها ولكن عندما تخرج خارج البيت أو عندما يتواجد داخل الأسرة رجال آخرون غير زوجها وأقرب الأقرباء فى الأسرة فالمنتظر منها أن تلبس رداء يغطى كل أجزاء جسمها ولا يظهر شكلها . ما اعظمه من تباين فى الأزياء الغربية التى تركز عابدة فى كل عام على كشف مفاصل جديدة فى جسم المرأة للنظرات العامة . لقد رأينا فى السنوات القليلة الأخيرة ظهور واختفاء أنواع عديدة من الملابس الفاضحة تحت أسماء « المبنى » ، والميكرو « السروال الساخن » الخ . ولا هدف لها سوى ابراز أو الكشف عن العورات فى جسم المرأة .

ويمكن للمرء أن يلحظ مؤخرًا نزعة مماثلة في ملابس الرجال التي أصبحت ضيقة لدرجة بدت معها وكأنها جلد الرجل نفسه . أن هدف الرداء الغربي أن يكشف أو يعرى جسم الإنسان في حين أن هدف « الرداء الاسلامي » إخفاء أو تغطية هذا الجسم ، على الأقل في العلن ، والآية القرآنية المناسبة المتعلقة بالموضوع هي الآية ٥٩ في السورة رقم ٣٣ حيث يقول تعالى :

**« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ »** صدق الله العظيم .

وعلى ذلك فقد فرض على المرأة الاسلامية أن تلبس عندما تخرج خارج المنزل رداء يغطيها من الرأس حتى القدمين ولا يظهر شكلها ، على أن فرض السلوك المحتشم لا يقع على النساء فقط ذلك أن وصايا القرآن الكريم موجهة للرجال والنساء على حد سواء .

**« قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ أَلَّاهُ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا »** ( الآية ) .

ان الآيات القرآنية تحض النساء على تغطية أنفسهن عند خروجهن من بيوتهن ، وتحث الرجال والنساء على الغض من أبصارهم وأبصارهن والسلوك بالاحتشام الواجب كل أمام الجنس الآخر ، ومن ثم فإن المسلمات يستطعن أن يخرجن لقضاء أعمالهن المشروعة ويمكن لهن أن يضعن في الاعتبار أيضا اضطراب بعض المسلمات للخروج بقصد الدراسة وممارسة بعض الأعمال كالطب والتريض والتدريس ..

وترى السيدة عائشة لو أن الاسلام بذلك قد حفظ المرأة وحفظ الأسرة وحفظ المجتمع جميعا من عوامل الفساد التي يتردى فيها المجتمع الغربي القائم على العري والاختلاط وعلى تعريض المرأة لأخطار الفساد والتردى وتحرير الأسرة المسلمة من اجتماعات الرقص وشرب المسكر ، وتقول في النهاية ان النظام الاسلامي حقق المزج المناسب بين الحرية والطبائفة الذي تبحث عنه المرأة ويفيد المجتمع كله .

\*\*\*

## الباب العاشر

# على طريق الأصالة

- ١ - الطريق إلى الأصالة .
- ٢ - فشل محاولة العلمانية .
- ٣ - عبرتان تكشفان عن فساد الفكر المادى .
- ٤ - رفض المسلمون الذوبان .
- ٥ - كل مؤامرات الفكر جاءت من التشعوبين .
- ٦ - هل يستطيع الفكر الغربى أن يتجاوز .
- ٧ - التفريب فى دراسات الجامعات الاوربية .
- ٨ - متى يتحرر العقل الإسلامى .
- ٩ - لماذا بزوتوكولات حكماء صهيون صحيحة .
- ١٠ - منذ أربعين سنة : كشف التفريب خطته .
- ١١ - الشيوعية وليدة الصهيونية .
- ١٢ - مؤامرة الصهيونية والشيوعية على العالم .
- ١٣ - عبد الحميد وجمال الدين فى تقويم جديد .
- ١٤ - ظاهرة جديدة فى تاريخ الفكر الإسلامى .
- ١٥ - علم النفس الإسلامى وعلم الاجتماع الإسلامى .
- ١٦ - عادوا إلى الحق .
- ١٧ - هؤلاء خدعوا الألب العربى .
- ١٨ - وشهد شاهد من أهلها .
- ١٩ - الشباب والعلم فى المجتمع المعاصر .
- ٢٠ - مأساة المجتمع الغربى .
- ٢١ - وسقطت التجربة الغربية المالية .
- ٢٢ - هذه تجربة المجتمعات العصرية .
- ٢٣ - اليوجا : هذه الاكذوبة الكبرى .
- ٢٤ - هل من من أريوسى جديد .
- ٢٥ - جرجى زيدان : صورة طبق الأصل .
- ٢٦ - طه حسين الرجل الذى سقطت دعواه .
- ٢٧ - أكتوبتان .



## الطريق إلى الأصالة

كانت هذه القضية هي الشغل الشاغل للفيلسوف الجزائري في آخر حديث مع العلامة مالك بن نبي قبل وفاته .. قال : ان سنة الله في خلقه ان المجتمعات المتحضرة تؤثر بعاداتها وانواقها وافكارها وأشيائها وحتى ملابسها في المجتمعات الأقل حضارة ، ولم تغب هذه السنة عن نظر ذلك العقاب الفكري العربي الذي خلق في زمانه في سماء الأفكار . وترك لنا في تراثنا الثقافي شهادة يجب ألا ننساها ، الا وهو ابن خلدون . فهو في فصل من فصوله بل في عنوان أحد فصوله ينص على هذه الظاهرة بطريقته الخاصة المعروفة « فصل في أن المطلوب يقلد دوما الغالب في عاداته » .

فالقرون الوسطى الزاهرة رأت ما نراه اليوم حسب اتجاه الحضارة العربية الإسلامية الآن ، بحيث كان رأى القرون الوسطى وكل مصادر ثقافتها وعلومها عربية وكانت الكتابة العربية مسيطرة على الأوساط العلمية الى جانب اللاتينية الى درجة ان أحد كبار الأدباء الإيطاليين في زمن ما يسمى بالنهضة — وهو الشابوكاتيو — أراد ان يقوم بثورة على اللغة العربية وعلى الكتابة العربية بالذات فقال كلمات — وأنا اسف اذ كانت كلمات حقد لا كلمات عقل تبحث عن وسائل تحرر عقلى ، كلمات متعصب ضد ثقافة اسلامية عربية كانت تفقد عليه وعلى مجتمعه بالأفكار التي لم يكن له ان يتصورها الا عن طريق اللغة العربية . اذن القصة قديمة أولا . وانما تتجدد في عصرنا نحن في زمن نعانى رواسب العهد الاستعماري .. وبينما كان بوكاتسيو لا يرى في الثقافة أداة ظلم أو عدوان ، أداة مميزة عنصرية ، فان من حقنا اليوم ان نرى في الثقافة الغربية على العموم أدوات هيينة ، أدوات سيطرة على العقول ، لأن هذه الثقافات كلها تحمل تلك الروح التي حركت الموجة الاستعمارية في القرن الماضي وفي منتصف هذا القرن بحيث يحق لنا ان نطرح المشكلة في صحافتنا وأدبيتنا ومجتمعاتنا المثقفة ، وحتى مجتمعاتنا السياسية ..

اما السؤال فهو : كيف نتحصن ضد هذا الغزو الثقافي المسلط علينا من حضارة تمخضت في أحشائها الظاهرة الاستعمارية ؟

يجب علينا أولا ان ننهي مرحلة التسكع الثقافي او الفكرى لأننا فعلا نعيش

وننغمس منذ بداية العهد الاستعماري وبداية اتصالنا بالحضارة الغربية في النطاق الاستعماري - نعيش في شبه تسكع فكري يجعلنا معرضين لالتقاط الحابل والنابل من هذه الحضارة . حيث أن الشباب المثقف المحك بالثقافة الغربية لم يكتشف غالبا جذور هذه الثقافة وانما اقتنع بقشورها في أكثر الأوقات . أما انه ذهب لمعاقلها للحصول على الشهادات والعلم فلم تنح له الفرصة للاطلاع على جذور الثقافة الغربية . واما لأنه ذهب لجرد التسلية .

وهذان النوعان من شبابنا المثقف لا يعودان لبلادهما بحصيلة ثقافية يمكن أن تنفيد لنهضة ثقافية ، وانما يعودان الاول بالشهادات التي تمكنه من الحصول على مركز مرموق ، والثاني بحصيلة من التفسخ الأخلاقي تجعله غير صالح لبلاده . المرض الذي نعانيه هو التسكع الفكري . يجب علينا أن نجتهد للتخلص من هذا النوع من التسكع ولا يمكن التخلص الا بتحديد رسالة تكون محور الحياة - على العموم في المجتمع العربي والإسلامي . وعلى الخصوص في حياة كل فرد رجلا كان أم امرأة ، فالشعور بالرسالة وحده هو الذي يستطيع أن يخلصنا من التسكع لأنه يبعث فينا روح الجدية والاجتهاد والأصالة والابتكار والإبداع .

لعل من الممكن أن تتجدد في المجتمع الإسلامي رسالته بحيث يكون كل فرد فيه يتحرك في نطاق شروط معينة تجعله في كل حركة وسكنة من حركاته وسكناته يخضع سلوكه كله لقانون الرسالة .

ومن الممكن تحديد هذه الرسالة من ناحية ان الانسان العربي المسلم يعاني من بين ما يعاني من امراض اجتماعية متنوعة : « ظاهرة التخلف » .

الوسيلة الوحيدة للتخلص من قيود التخلف هي ان نضع في نطاق حياتنا العربية الإسلامية أسس حضارة جديدة وهنا تلمس ما سميت ( الضرورة ) والضرورة تعني بذل كل ما نستطيع من مجهود في سبيل تحقيق شروط الحضارة الجديدة ، ثم اذا لاحظنا أن لكل حضارة : « وظيفة اجتماعية » من ناحية واشعاعا ثقافيا من ناحية أخرى ، امكنا أن نتصور من خلال اشماع حضارتنا المتجددة بفضل اجتهادنا اننا نستطيع تخليص المجتمع العربي نفسه مما يعاني من محن نفسية تؤدي به الى أنواع من الفرار من الحياة ، ابا بالفوضى في حياة الهيبى واما بالانغماس في متهافت الوجودية واما بالتخلص من الحياة عن طريق المخدرات ، او احيانا عن طريق الانتحار ، وليس غريبا ان بلدا كالسويد في مقدمة الشعوب المتحضرة تحتل في الاحصائيات السنوية مكانة الصدارة في احصائية الانتحار . اننا عندما نتحدث عن رسالة انقاذ يجب ان نعتبر اننا سننقذ أولا انفسنا من التخلف او ما نسميه النقصان الحضاري ولا نستغرب اذا قلنا ربما سننقذ ايضا الانسان المتحضر نفسه من افراط حضارى او طغيان حضارى .

فمسؤولية العربي المسلم : هي مسؤولية كبرى بالنسبة اليه في انقاذ نفسه من الفناء او بالنسبة الى انقاذ اخواته الأدميين المعرضين لطغيان حضارتهم الى نوع آخر من الفناء والزوال .



يجب أن ننهى ما أسميه بالتسكع الفكرى لأننا ما دمنا نعيش فى هذه الشحادة الفكرية لا يمكن أن نعود لجذور ثقافتنا كما لا يمكن أن نصل الى جذور ثقافة الآخرين فنبقى من الناحيتين منغمسين فى الشكليات بحيث اذا تمسكنا بديننا نكون دون المثل العليا التى يصبها الاسلام أمام الضمير الإنسانى .. واذا انحزنا الى الجانب الآخر نجد انفسنا دون المثل العليا التى تقرها الثقافات الأخرى ..

فالإصالة تقتضى منا الشعور بمسؤوليتنا فى مجال الفكر بحيث لا نطأ على انراس لفكرة لمجرد مصدرها . وقد لفت القرآن النظر لقيمة الفكرة فى ذاتها دون صلتها بالأشخاص أو بعالم الأشياء فى قوله عز وجل « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » صدق الله العظيم ، هذا التخليص من الشخصية وإى شخصية ، أنها شخصية رسول الله الذى قال فيه سبحانه وتعالى « وانك لعلى خلق عظيم » .

ومع هذا أراد سبحانه أن تخلص الدعوة الإسلامية من شخصية محمد صلى الله عليه وسلم لكنه فى الوقت ذاته أراد لهذه الدعوة الإسلامية منطلقتها التام . ١ . هـ .

### كلمات مضيئة :

الحاجب المنصور : قصده الجوهري التاجر القادم من مدينة عدن جواهر كثيرة ، فأخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى التاجر الجوهري صرته وكانت قطعة يمانية ، فأخذ التاجر فى انصرافه طريق الرملة على شط النهر فلما تواسطها ، واليوم قاتظ وعرقه يتصبب دعتة نفسه الى التبريد فى النهر ، فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط ، فمرت حداة ، فاختلطت الصرة تحسبها لحما ، وصاعدت فى الأفق بها ذاهبة فقطعت الأفق الذى تنظر اليه عين التاجر ، فقامت قياسته وعلم أنه لا يقدر أن يستمتع ذلك بحيلة فأثر الحزن فى نفسه ولحقه لاجل ذلك علة اضطرب فيها .

قال المنصور : هلا أتيت الينا بشيء من بينة ، فكنا نستظهر على الحيلة ، وهلا هديت الى الناحية التى أخذ الطائر عليها .

فقال : لقد مر مشرقا على سميت هذا الجبل الذى يلى قصر ك ... يعنى الرملة .

فقال المنصور لشرطيه الخاص : جئنى بمشيخة أهل الرملة فحضر فأمرهم بالبحث عن من تغير حالهم سريعا ، ففتناظروا ثم قالوا : ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده فابتاع اليوم دابة واكتسى . فأمر فأحضروه ، فاستدناه فقال : سبب ضاع منا وسقط اليك ، ما فعلت به ؟

فقال : هو ذا يا مولاي .. وضرب بيده الى حجرة سراويله فأخرج الصرة بعينها ، وصاح التاجر فرحا : هذه هى !!



## فشل محاولة العلمانية

يؤكد المستشرق البرت حوراثى فى كتابه ( الفكر العربى فى عصر النهضة ) الذى أصدرته جامعة أكسفورد عام ١٩٦٢ ان ما أسماه النفوذ الغربى باسم ( حركة التجديد ) التى بدأت فى أواخر القرن التاسع عشر وفى صدر العقود الثلاثة من القرن العشرين الميلادى فى بلاد الضاد إنما كانت فى حقيقتها تستهدف أمرا واحدا هو تحويل الإسلام من عقيدة دينية إلى حضارة وإلى عزل الشريعة الإسلامية — تلك الرابطة التى ربطت بين أفراد الأمة الإسلامية عن الحياة السياسية أو بعبارة أخرى : إجراء عملية انتقال من المجتمع الإسلامى القائم على أصالة الترابط بين القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية إلى مجتمع علمانى . ومن الدولة الإسلامية إلى الدولة القومية والاقليمية القائمة على العنصرية والدم والجنس والعرق والسلالة .

وان هذه الحركة هى التى حولت الريح : من وجهة الإسلام الأصيلة التى استهدفت القضاء على مجتمع الدماء والعناصر وبناء مجتمع العقيدة الواحدة الجامعة القائمة على توحيد الله والعدل والحق .

وليس ما يقوله البرت حوراثى فى كتابه هذا بجديد على الذين عاصروا حركة التغريب والغزو الثقافى وتابعوها منذ الثلاثينيات عندما كنا لا نزال فى أول الشوط ، وقد بدت البواكير تكشف الحقيقة ، التى فجرها كتاب مثل كتاب الخمسة المستشرقين بزعماء جب « وجهة الإسلام » والذى استعمل لأول مرة كلمة ( التغريب ) للدلالة على الهدف الذى يسعى إليه الاستشراق والتبشير ممثلا فى المدرسة والجامعة والصحيفة والثقافة والكتاب .

وكانت الأهداف واضحة جلية :

١ — السيطرة على التقنين وحجب الشريعة الإسلامية وإقامة القوانين الوضعية فى العالم الإسلامى كله .

٢ — السيطرة على التعليم وتحويل برامج الإرساليات ومعاهد التبشير إلى مجال التعليم الوطنى وفرض أمثال دنلوب وديوى وغيرهم .

٣ - السيطرة على النظام السياسى وفرض مفاهيم الليبرالية الغربية بدلاً عن مفهوم ( الشورى الإسلامية ) .

٤ - السيطرة على الاقتصاد الإسلامى وفرض أنظمة الربا والمصارف الربوية والاقتصاد السياسى ( ممثلاً فى روبرت أوين امتداداً الى ماركس ) .

ويرى البرت حورانى ان الجيل الذى شهد النفوذ الأجنبى كان صادقا فى مقاومته وانه كان يحاول ان يحفظ للإسلام مفهومه الأصل مع تحرير الفكر من قيود الجمود والتخلف وان يكشف عن جوهر الإسلام القادر على العطاء .

غير ان الجيل التالى الذى صنعه الغرب سواء فى البلاد الإسلامية او فى الإرساليات الغربية ( فى أوروبا ) فانه سرعان ما حطم المخطط الذى رسمه له هؤلاء الرواد ( محمد عبده وفريد وجدى وعبد العزيز جاويز وشكيب أرسلان ورشيد رضا ) .

وان ادعى امثال لطفى السيد وسعد زغلول انهم من تلاميذ مدرسة هذا الجيل ، ذلك ان هذا الجيل فيما نعلم ( ومن غير ان يفلنا البرت حورانى على ذلك ) كان يتطلع الى اقتطاف الثمرة من يد النفوذ الأجنبى نفسه ، وكان النفوذ الأجنبى يلوح بهذه الثمرة ويقول :

نحن نريد جيلاً يؤمن بالحضارة الغربية وبالتعاون مع الأجنبى ويقدر فكرة الالتقاء فى منتصف الطريق مع هؤلاء المحدثين للشعوب ( المستعمرين ) .

ولكن خلاصة الثقافة التى لقنها هذا الجيل كانت كما يقول البرت حورانى هى نظرية التطور الاجتماعى لهيربرت سبنسر والفلسفة الوضعية لأوجست كونت ومن ثم وعلى حد تعبيره :

( حصل تباعد حقيقى وعميق بين الآباء والأبناء الى درجة ان الأبناء قبلوا عزل الإسلام عن الحياة السياسية ) .

وان هذه المدرسة التى اطلق عليها المؤلف اسم ( الليبرالية - العلمانية ) قد أهملت الإسلام ( كما يقول الاستاذ ابراهيم اسكندر ) وقالت انه لا مجال للمسلمين فى التقدم وال عمران الا باقتباس الحضارة بنواحيها المادية والأخلاقية .

» هذه مدرسة لطفى السيد وقاسم أمين وفتحي زغلول وبعض الكتاب المسيحيين : فرح أنطون وشبلى شميل الذين تتلمذ عليهم جيل من الكتاب امثال طه حسين وعلى عبد الرازق وسلامة موسى . وهذه هى المدرسة التى تبنت الفكرة الأوربية عن الدول القومية ودعت الى فصل الدين عن الدولة فصلاً مطلقاً » .

وهكذا نجد ان فكرة التجديد بدأت المرحلة الاولى من أجل تقوية الأمة

الإسلامية وتوطيدها وانتهت حركة التجديد بتحول مفهوم الأمة من الجماعة الإسلامية إلى الجماعة القومية الإقليمية .

وهكذا علت صيحة ( القوميات الإقليمية ) التي كانت في أول الأمر محاولة للتجمع تحت لواء العروبة بعد سقوط الدولة العثمانية وستوط الخلافة ولكن الفكرة العربية لم تثبت أن سميتها دعوة الأحزاب العلمانية التي يقودها التغريبيون كما سموها فكرة التجديد .

ومضت المحاولة متعددة وضخمة وباذلة كل جهدها في سبيل تدمير المضمون الإسلامي للعروبة ، وإعلاء شأن قومية مفرغة من روح الإصالة والإسلام والتراث واللغة ومع ذلك فقد عجزت هذه المؤامرة الضخمة عن الفصل بين العروبة والإسلام . يقول البرت حوراني :

غير أن العرب لم يكن بإمكانهم أن يفصلوا القومية عن الإسلام بالتقدير الذي فعله الأتراك . فالإسلام كان من فعل العرب في التاريخ وهو الذي بمعنى من المعاني قد صنعهم ووحدهم وأعطاهم شريعتهم وثقافتهم لذلك أحاط بالقومية العربية أساسيا أشكال كان على العرب والمسلمين على السواء أن يجابهوه . فالعلمانية ضرورة كنظام للحكم لكن من أين للعلمانية أن تنسجم والشعور العربي ، ليس من الضروري في الحياة العملية أن تجد الإشكالات حلا لها ومن الممكن للناس أن يعيشوا وإياها في أمان والواقع أن معظم العرب الذين فكروا في هذه القصة قد اكتفوا بتأكيد كلا شقيها في آن واحد متيقنين أن غير المسلمين من العرب هم جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، وأن الإسلام هو أساس شعور العرب بوحدتهم والبعض يرد القومية إلى الشعور بالآخوة الإسلامية التي أوصى بها محمد صلى الله عليه وسلم في آخر خطبة عامة له ويقول إنها الطموح إلى بعث مدينة الخلفاء الأولين العظيمة السحابة .

وكان هناك من طرح القضية على مستوى أعمق ، فاعتبر أن للإسلام تلك الأهمية البالغة لا مجرد كونه ينبوع اعتزاز والهام بل لأنه أتى بشريعة خلقية من شأنها توجيه حياة الأمم إذ أنه لا يجوز للمجتمع أن يكون شريعة لذاته بل ينبغي له مبدا منظم يهيمن عليه وأورد من كلام أحد ملوك العرب قوله : أن أول مبدا لحياة العرب السياسية إنما هو الرضوخ للقرآن والسنة ولطالما سلم السلاطين العثمانيون بهذا المبدأ وكان العرب راضين بحكمهم وأن كانوا غير عرب لكنهم إذ تخلوا في القرن التاسع عشر عن مبادئ الإسلام واقتبسوا نظام حكم غربي لا يفقهونه ، انحل رباط الولاء الإسلامي وأخذ العرب يفكرون في حكم عربي يكون وفيا للإسلام من جديد .

تلك عبارة البرت حوراني ونحن لا نقرها على جملتها ولا نؤمن بتلك المصطلحات الوافدة من قومية وغيرها ونرى أن العروبة شيء يختلف عن القومية في مفهومها الغربي وإنها ثمرة الإسلام ورباطتها به جزئية وأن الإسلام يقوم على وحدة الفكر ولا يقبل استعلاء العناصر أو الدموع البها

ومن شأن هذا أن عجزت فكرة العلمانية وفكرة القومية الغربية أن ترضى  
الوجدان العربى المسلم أو تجعله يقبل هذه الأنظمة ويقرها :

ان الانسان العربى المسلم لم يقتنع بالعلمانية او القومية الغربية .  
فهو لم يزل مخلصا لمفهوم الوحدة الفكرية الاسلامية الجامعة دون أن يفصل  
بين العروبة والاسلام . والعرب يؤمنون ايمانا صادقا بأن الاسلام هو الذى  
صنعهم ووحدهم واعطاهم شريعتهم وثقافتهم وعالميتهم ومن ثم فان العرب  
لن يجدوا طريقهم الحق الا فى مفهوم الاصاله الاسلاميه .

\* \* \*

## عبرتان تكشف عن فساد الفكر المادى

**أمران علينا أن ننلقى أخبارهما — وهى كثيرة ومتصلة ولا تكاد تتوقف يوما بعد يوم — فى دائرة البقطة الواعية والفكر الصحيح لقسرة العلم الكبير ولحكيمته العالية ولما أوصانا به فى القرآن من التفكير والتفكير والتفكير .**

**الأولى :** هى أخبار الحفريات الأثرية المتعددة التى لا تتوقف فى عالمتنا العربى الإسلامى يوما حيث تكتشف مدائن كاملة من آثار العرب القديمة ومن عجب أن الباحثين يعرضون هذه الكشوف ويطلون جوانبها المختلفة وما فيها من أبنية وهندسة والوان واصباغ وحجارة وصناعة ثم يتوقفون عن هذا . ولا ينكرون أن هذه الأمم عاشت تديما وكثرت لها حضارات وملك عريض وأنها خالفت عن أمر ربها فأخذتها سنن الله التى تأخذ الظالمين والخارجين على أمر الله : ( وكم من قرية عقت عن أمر ربها فتحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها ) .

ولقد أشار القرآن فى مواضع عديدة الى هذه الامم وأشار الى أن أهل العصر مازالوا يمشون فى مساكنهم ويشاهدون آثارهم ويمرون عليهم مصبحين وبالليل حيث بئر معطلة وقصر مشيد وحيث تكتشف الحفريات ذلك القدر الكبير من الصناعة والترف .

**هذا شئ ، والشئ الآخر هو أخبار الكواكب والنجوم والأغلاك** التى لا تخلو الصحافة يوما من ذكر أخبارها وجدير بها أن تعملنا مزيدا من الإيمان بقدره الله القادر وكونه الواسع الذى ما يزال يزداد على مرور الأيام والأعوام اتساعا فى أبنية الكون والمجرات والكواكب التى يكشف الفلكيون عن نشوئها ولم تكن من قبل ، وعن زيادة تعداد سكان الأرض زيادة متصلة لا تتوقف . ولقد سجل الحق تبارك وتعالى ذلك فى القرآن حيث قال : ( وإنا لموسعون ) .

وحين نقرا مثلا أن السفينة فويجر (١) بعد السفينة فويجر (٢) انطلقت فى رحلة الى كوكب المشتري وزحل خلال شهر أغسطس ١٩٧٧ وأنه من المتوقع أن تصل الى كوكب المشتري أكبر الكواكب فى المجموعة الشمسية فى يوليو ١٩٧٩ وهى تجرى خلال عامين فى هذا الفضاء بسرعة ٢٣ ألف ميل فى الساعة حيث تبلغ المسافة بين الأرض والمشتري ٣٦٨ مليون ميل .

أى معنى يمكن أن يعطينا إياه هذا الخبر ، يعطيه للنفس المسلبة المؤمنة بربها وقدرته وعظمته ، وكيف بالإنسان الضئيل الصغير في هذا العالم الضخم وكيف بربه الذى علمه وأعطاه القدرة والعقل والقوة على اختراق الآفاق ومع ذلك فإن كل ما أعطيه الإنسان قليل .

( وما أوتيتم من العلم الا قليلا ) .

بالنسبة لعلم الله الأكبر ومع ذلك فإن الإنسان يستعلى ويطغى ويعتز بتلك المفاهيم المادية الزائفة ويظن أنه هو الذى استطاع بقدرته وعقله تحقيق هذه الانتصارات .

ان على الإنسان المعاصر ان يعود الى الله وأن يجد من هذا المعطاء والكشف حجة عليه ودليلا يوقظه الى مكانه ورسالته وإلى فضل الله عليه وكلتا العبرتين تكشفان عن فساد الفكر المادى المحدود المخاصر في دائرة ضيقة ، وتوضحان عظمة الفكر الربانى الأصيل الذى أعطاه تبارك وتعالى للإنسان عن طريق رسالاته وأنبيائه وكتبه فجده إنسان الحضارة الحديثة فذاق ويلات الغربة والتمزق والفئان وكل ما تردده فلسفات الوجودية من اختناق للنفس الإنسانية التى عقت جانبها الروحى والمعنوى وأنكرت فضل الله عليها وعصرتها الماديات وقتلتها الإباحيات .

\* \* \*

هذا القول الزائف : لى لغتى ولكم لغتكم

قالها جبران خليل جبران ابان تلك الموجة الصاخبة التى قادها التفريب والتفرد والتصافى فى الثلاثينيات لتكون « شعارا أو أغنية » ترددها الأذواه ويتندر بها أعداء اللغة العربية والإسلام بعد ان استعلى ذلك الصوت الكريه الحامل على الفصحى لغة القرآن والداعى الى العامية بدأ من ويلكوكس الى ولور الى لطفى السيد وقاسم أمين وسلامة موسى ثم جاء ذلك الصوت من وراء البحار ممثلا لجماعة المهجر الكارهين للأدب العربى واللغة العربية والخارجين عليه ( واقصد جماعة المهجر الشمالى ) : أمين الريحانى وجبران ونعيلة وشاعر اللا أدريه ( ايليا أبو ماضى ) ولهؤلاء جميعا قصة طويلة سوف نعرض لها يوما لنكشف زيف هدف الأدب المهجرى الشمالى وعداوته للعربية والفكر الإسلامى .

ولكن مرة الإسلام مصطفى صادق الرافعى كان ما يزال واقفا لهم بالمرصاد بعد ان أصدر كتابه ( اعجاز القرآن ) ليرد على تلك الحملة التى بدأت منذ وقت مبكر ، بعد الاحتلال البريطانى لصر والسودان ، وبعد ان جاءت عائلات تقلا ومكاريوس وفارس نمر ومروفي وسركيس وصابونجي وغيرهم وليس معهم الا عداوة القرآنية يعملون لهدمها عن طريق هدم اللغة الفصحى ، وتحويل مفاهيم الماسونية الى اخلاقيات للمجتمع المتحضر الجديد .



قال الرازمي رحمة الله عليه :

واذا انت لم تجد في كل علماء المتقدمين من يستطيع ان يقول انه صاحب مذهب جديد في الأدب واللغة او يرى لنفسه رأيا فيها الا انه يعمل لحفظها ونماؤها ورونتها ، والا انه يرفق ما استطاع ويتصرف بما اطاق فذاك واجد في اهل ( ١٩٣٢ ) من يقول في هذه اللغة بعينها .

### لك مذهبك ولي مذهبي .. ولك لغتك ولي لغتي

فمتى كنت يا فتى صاحب اللغة وواضعها ومنزل اصولها ومخرج فروعها وضابط قواعدها ومطلق شواذها . ومن سلم لك بهذا حتى يسلم لك حق التصرف ( كما يتصرف المالك في ملكه ) وحتى يكون لك من هذا حق الابدان ومن الابدان ما تسميه انت مذهبك ولغتك ، لاهون عليك ان تولد ولادة جديدة فيكون لك عمر جديد تبتدىء فيه الأدب على حقه من قوة التحصيل وتستأنف دراسة اللغة بما يجعلك فيها شيئا من ان تلد مذهبا جديدا او تبتدع لغة تسميها لغتك فذاك عمر واحد في عصر واحد بين ملايين من الأعمار في عصور متطاولة . وان ما تحدثه على خطأ لا يبقى على أنه صواب ولا يبقى أبدا الا كما تبقى العلة على أنها علة فلا يقاس عليها أمر الصحيح ولا يحكم بها فيمن لم يعتل .

ان هذه العربية لغة دين قائم على اصل خالد هو : القرآن الكريم .

وقد اجمع الأولون والآخرون على اعجاز « بفصاحته الا من لا حفل به من زنديق ( يقصد سلامة موسى ومحمود عزمي وطه حسين وعلى عبد الرازق وجبران وزملائه ) فاذا كان المعجز في لغة من اللغات باجتماع علمائها وأدائها هو من قديها فهل يكون الجديد فيها كمالا أم نقصا . ثم ان فصاحة القرآن يجب ان تبقى مفهومة ولا يدنو الفهم منها الا بالمران والمزاولة ودرس الأساليب الفصحى والاحتذاء عليها واحكام اللغة والبصر بدقائقها وفنون بلاغتها والحرص على سلامة الذوق فيها وكل هذا مما يجعل الترخص في هذه اللغة وأساليبها ضربا من الفساد والجهل فلا تزال اللغة كلها مذهبا قديما وانما يكون المذهب الجديد فيها رجلا الى حين ثم يدخل مذهب معه القبر وما عسى يصنع كاتب وعشرة ومائة والى في لغة ينض على كتابها المعجز اربعمئة مليون قلب ( الآن ألف مليون قلب ) وكم من أسلوب زكيك او ضعيف او عاى ظهر في هذه اللغة منذ دونوا وكتبوا وكم من فكر غاسد او زائغ او مدخول وكم من كتاب كان يصلح ان يسمى بلغة اليوم مذهبا جديدا فابن كل ذلك وابن اثره في اللغة وأساليبها بعد ثلاثة عشر قرنا ؟ لقد ابتلعت ثلاثة عشر موجة فالتحدر الى اعماق الموت الطامى .

وهكذا القم الرازمي جبران ونحلتها حجرا وقف في حلوتهم واليوم وبعد مرور اكثر من أربعين عاما ننسأل : أين صيحة جبران ولطفي السيد الفضالة التي واجهها الرازمي رحمه الله بالتفنيد والدحض منذ بدأت عام ١٩١٣ والالها بكتابه عن اعجاز القرآن ثم مضى بها في مقالاته في الهلال والرسالة حتى نهاية حياته رحمة الله عليه فما ترك لهم شبهة الا زيفها وكان موقفه من الرجل الصنم واضحا وقويا .



## رفض المسلمون الذوبان

عبر جوستاف فون جرونباكم على الرغم من خصومته الشديدة للإسلام عن مفتاح التحدى الحقيقى للإسلام في مواجهة الغزو الحضارى فقال في كتابه الإسلام المعاصر :

« ان شغل الإسلام الشاغل لم يكن السعى في سبيل شخصية حضارية بل الرفض بالسماح لشخصية الإسلام الحضارية ان تنوب وتتلشى في شخصية حضارية أخرى ، هذا الرفض بالذات هو الذى مكن الجزائريين من الصمود في وجه الاستعمار الفرنسى . وهذا الرفض هو الذى حال بين المسلمين اليهود ان ينصهروا في وجه أكثرية عددها أربعة أضعاف عددهم وأعطاهم الدافع لأن يقيموا دولة جديدة منبثقة من وحى الإسلام وروحه .

فقد أصر الجزائريون طوال مائة وأربع وثلاثين سنة أصرارا عنيدا على أنهم ليسوا فرنسيين بل جزائريين مسلمين ولم يخلهم طوال صراعهم الدموى ضد الحكم الفرنسى الاستعمارى أى شك في شخصيتهم الحضارية وكذلك استمر سكان القارة الهندية المسلمون قرونا متوالية في أصرارهم على أنهم يختلفون عن جيرانهم الهندوكيين حضارة ولم يستريحوا أو يريحوا حتى قامت دولة باكستان على أطلال الامبراطورية البريطانية في الهند ومن أجل ذلك كان الصراع في مراكش وتونس وليبيا ومصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين ، لقد أصبح الإسلام هو الوسيلة المثلى للاحتجاج والمقاومة والأداة الوحيدة الفعالة في أبهى ابناؤه لمحاربة الأخطار التى تهدد مجتمعهم ودينهم وحضارتهم » .

انفجار نووى بقوة ألفى قنبلة وقع منذ سبعين عاما  
ما يزال انفجار عام ١٩٠٧ يدهش العلماء ولا يجدون له تفسيراً

ما يزال انفجار عام ١٩٠٧ الذى وقع في سيبيريا يشغل العلماء خلال هذه السبعين عاما التى انقضت على حدوثه دون ان يصلوا الى تعليل علمى صحيح له وفي ذلك مصداق قول الحق تبارك وتعالى : ( وما أوتيتم من العلم الا قليلا ) وقع الانفجار صباح ٣٠ حزيران ( يونيو ) عام ١٩٠٧ تبين انه وقع على بعد ٦٥ كيلو مترا من قرية ( غانا رافا ) في إقليم تونجويكا شمال بحيرة بيجال بسيبيريا والغريب انه بعد حدوث الانفجار بشهرين بقيت في السماء هالة ضخمة من النور فسفورية اللون شديدة البريق منذ ذلك

الوقت والعلماء يتساعون عن أصل الانفجار ولا يزالون الى اليوم دون أن يتوصلوا الى كشف النقاب عن مصدره أو تفسير سقوط اشجار الغابات المحيطة بالمنطقة في مساحة ٤٠ كيلو مترا .

وتقول احدى الصحف الفرنسية التي تناولت الموضوع مجددا : لقد افترض بعض العلماء أن هذا الانفجار لا يمكن الا أن يكون انفجارا نوويا يعادل في قوته ( ٢٠٠٠ ) قنبلة لها ذات القوة التدميرية للقنبلة الذرية التي القيت على مدينة هيروشيما في اليابان كما رجحوا حدوث الانفجار على ارتفاع ٨ آلاف متر فوق سطح الأرض وأكد البعض أن السبب في حدوث الانفجار قد يكون سقوط احد الشهب وانفجاره قبل أن يصل الى الأرض ولكنهم لم يعثروا على أى اثر يدل على حدوث ذلك ، ويقول أحد العلماء الذين درسوا الظاهرة باستفاضة : لقد اثبتت ذبذبات المجال المغناطيسى الأرضية وطبيعة الموجات المترددة للزلازل في المنطقة وبالإضافة الى التحاليل والفحوص التي اجريت على عينات من الياف وشرائح الأشجار التي دمرت والصخور الموجودة أن الانفجار ( نووى ) ومن المحتمل أن يكون أصل الانفجار وصول احدى مركبات الفضاء التي أدى اختراقها للمجال الجوى الأرضى الى هذا الانفجار العجيب .

### قبر صلاح الدين

نشرت مجلة المقتطف التي كان يصدرها اصحاب المقطم وهم من المارون حلفاء الاستعمار البريطانى عام ١٩٢٧ سؤالا وجه اليها جاء فيه : ان اللورد اللبني لما دخل دمشق فاتحا نزع عن قبر صلاح الدين الاكليل الذى وضعه عليه الامبراطور غليوم فما هى غايته من نزعها ؟

واجاب الدكتور يعقوب صروف محرر المقتطف على السؤال فقال :

ان الحرب العالمية اثارت الاقتصاد بين المتحاربين حتى صار يسهل على كل منهم أن يقتل خصمه ويمثل به ويحرق بيته ويبلغ استمته ولم يكتف المحاربون بذلك بل حرقوا المخازن والكنائس والمكاتب وأطلقوا الأثار الفنية . واللورد اللبني من أروع قواد الجيوش ولكنه وتر بوحيدة في هذه الحرب واذا ثارت ثائرة الغضب فهو وغيره لا يقف غضبهم عند حد ونظن أنه لو جاء دمشق الآن لوضع على قبر صلاح الدين اكليلا آخر بدل الذى نزعها .

وتكشف هذه الاجابة عن المكر والدهاء البالغين وعن الأسلوب الذى كانت صحافة التغريب والغزو الفكرى تنشره بين المسلمين والعرب .

ولو كان صاحب المقتطف منصفاً وناصحاً لقال غير هذا ، لقال أن اللورد اللبني هو صاحب الكلمة المشهورة ( الآن انتهت الحروب الصليبية ) بمعنى أن الغرب المسيحي قد استطاع بعد مرور سبعمائة عام أن يعود مرة أخرى بعد أن هزمت حملاته الصليبية التى استمرت مائتى عام ، ها هو قد استطاع أن يعود وأن يقتحم دمشق وأن يصل الى قبر صلاح الدين الذى هزمهم

في موقعة « حطين » وقد اكمل هذا المعنى القائد الغرسي ( غورو ) الذي قال حين دخل قبر صلاح الدين قولته المروقة : « ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين » فالأمر ليس أمر غضب اللورد اللنبى على فقدان ابنه ولا هو أمر أى عطفة من العواطف الخاصة ولكنه أمر مخطط خطير رسمه لويس التاسع عشر بوصيته عشية هزيمته في المنصورة وقد استطاع هذا المخطط أن يحقق غايته بعد سبعمائة عام حيث استطاع النفوذ الأجنبى استقاط بلاد المسلمين في قبضته عن طريق الغزو الفكرى والتفريب وهزيمة مفهوم الاسلام . وهكذا كشف الغرب الاستعمارى عن حقه ازاء ارض الاسلام وازاء المسلمين وازاء الاسلام نفسه ممثلا في مهاجمة المجاهد العظيم صلاح الدين في قبره سواء بنزع اكليله أو القاء عبارات الحقد ، ازاء رجل لا يملك الرد عليهم وان كان قد حطم احلامهم واتخذى عيونهم ولا يزال رمزا عظيما لمقاومة الغزو الأجنبى .

### لا حاجة الى واسطة

قال الحاج عمر بنحو رئيس الجابون :

ان الشيء الذى اؤمن به والذى يؤكد الاسلام هو ان هناك « الله » وهناك « الانسان » وليست هناك حواجز بينهما وبالتالي فلا حاجة الى الوساطة وهذه هى أبرز ما اهتز له قلبى من مفاهيم الاسلام : هذه هى روح الاسلام ذلك الدين العظيم الذى آمنت به ، لقد وجدت في الاسلام الحرية والصلة المباشرة بين الانسان وربّه بعيدا عن حنود المكان ووساطة الكهنوت . اننى كمسلم لست محتاجا الى محراب او معبد او صومعة لأختلئ بنفسى مع الله ، ان الأرض كلها مسجدي . لقد وجدت في الاسلام الحرية والصلة المباشرة مع الله تبارك وتعالى .

المحرر : الرئيس عمر بنحو رئيس جمهورية الجابون وفقه الله سبحانه وتعالى للدخول في الاسلام في أول رمضان المبارك من عام ١٣٩٣ هـ وقد أدى فريضة الحج عام ١٣٩٤ هـ .

### من تاريخنا

يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

● لو شئت لكنت أطيبكم طعاما ، لولا أن تنقص جنائى لشاركتكم في لين عيشكم ولو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأرفهكم عيشا ولكى أخاف من الله تبارك وتعالى الذى يقول :

( اذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ) .

● ان الله عز وجل لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيىء بالحسن فانه ليس بين الله تبارك وتعالى وبين أحد نسب الا طاعته فالتناس شريفهم

ووضيعة في ذات الله سواء . الله ربههم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة .

● وإذا كان في الإنسان عشر خصال تسع منها سالحة وواحدة سوء الخلق أمسحت هذه الخصلة تلك التسعة .

● التبسم أبلغ في الإيثار من الضحك .

● المروءة مروءتان ظاهرة وباطنة : فالظاهرة الرياش والباطنة العفاف .

● إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى .

● تواضعوا لمن تتعلمون منهم ليتواضع لكم من تعلمونهم .

\*\*\*

## كل مؤامرات الفكر جاءت من الشعبين

ان اغلب النظريات التي طرحت على المسلمين والعرب قدمها أناس من غيرهم ، أناس ليست لهم صفة المواطنة الصحيحة أو الإيمان بالقيم التي تعيشها المجتمعات فنجد أن دعاة الطورانية يهود أمثال ليون كاهون الذي كتب عن تاريخ الترك والمغول داعيا الأتراك المسلمين بعد أربعة عشر قرنا من الإسلام أن يعودوا الى تاريخ قديم لطوران ومغول وغيرها ، وقد اعتبر هذا الكتاب مرجعا لتلك الدعوة التي انطلقت خلال حكم السلطان عبد الحميد لتحطيم الجامعة الإسلامية .

وجاء فبيري اليهودي من أوروبا الى الدولة العثمانية ، وأقام بها وتحجب الى قادتها من أجل أن يكسب ثقتهم فيقتنعهم بنظرية مسمومة تقوم على أساس اعلاء فكرة العرق على فكرة العقيدة ، وقد دعا فبيري الأتراك الى الخروج من الوحدة الإسلامية والعودة الى طوران ، ومن أجل دعوته قام برحلة الى آسيا لتجديد هذه الآراء القديمة التي حاربها الإسلام ومن ثم بدأت حملة عنيفة تصور الجامعة الإسلامية بأنها خطر على الغرب ، وإثارة الحفاظ بين الدولة العثمانية وأوروبا ، وقد كشف السلطان عبد الحميد عن هذه المؤامرات فقال : ان الدول الغربية تحاربنا حربا صليبية بشكل سياسي .

وفي هذه الفترة ظهرت المحافل الماسونية لتستوعب حركة الاتحاديين ، وظهر عباس باشا زعيم البهائية ، وفتح الطريق الى دخول سماسة الفساد في البلاد العربية . وصدر الجزء الأول من فلسفة النشوء والارتقاء لشبلى شميل ، واثير الفبار حول اللغة العربية ..

ثم جاءت الدعوة الى الشيوعية فحملها اليهود وكانوا هم دعائها في كل مكان فكشفوا بذلك عن العلاقة الجفزية بين الصهيونية والشيوعية ، ثم جاء دعاة الاقليميات والقوميات الضيقة أمثال ساطع الحصرى ، وأنطون سعادة ..

أما ساطع الحصرى فقد كان ثمرة الفكرة الطورانية التي حملها دعاة الاتحاديين .. أما أنطون سعادة فقد كان داعية تمزيق الوحدة القائمة بين العرب والمسلمين خدمة للتعصب والاستعمار ، فركز أنطون سعادة على تأثير الأرض وركز ساطع الحصرى على تأثير اللغة ، وكلاهما اقتبس آراءه

من النظرية الغربية ، واستغل التاريخ الأوربي الحديث . واعتمد أنطون سمادة على نظريات أجنبية وعلى أفكار غربية ، وكذلك سار ميشيل غفلق في نفس الطريق وجرى التلفيق بين عشرات النظريات الوافدة .. وغاب عن هؤلاء جميعا أصالة الاسلام وراثته في مجال الوحدة والتضامن والجامعة التي تجمع أهله ، ومن أجل ذلك سقطت هذه النظريات بعد أن حاولت أن تسيطر على هذه الأمة وبعد أن بذلت جهود كثيرة في سبيل اقناع الناس بها ، لقد كانت الصيحة صيحة الأصالة : اننا نريد مفهوما عربيا واسلاميا أصيلا مستمدا من تراثنا وواقعنا . فالاسلام يرى أن العقيدة هي العامل الحقيقي للتجمع والوحدة ، أن الأصوات التي كانت تدعو الى العروبة في لبنان لم تكن مخصصة في حمل لواء الأصالة وانما كانت تستهدف الفصل بين العرب والترك ، واثارة الصدام بينهم ولذلك فاته سرعان ما تغير الاتجاه بعد سقوط الدولة العثمانية .

وسرت دعوة الاثلية في كل بلد عربي حتى لا يتفق العرب على وحدة جامعة فدعا التغريبيون في مصر الى التمسر وفي سوريا الى السورية وفي لبنان الى اللبنانية واثرت دعوات الفرعونية والفينيقية والبابلية انتزاعا للمسلمين والعرب من أربعة عشر قرنا وردهم الى تاريخ قديم ليس له من جذور أو مقومات تمكنه من الحياة مرة أخرى وقد قضى عليه بقانون « الانتطاع الحضاري » الذي وقع في العالم الاسلامي بعد الاسلام حيث سقطت العقائد الفاسدة ، واللغات ، ولعل الرومانية التي استمرت في أجزاء كبيرة من البلاد العربية ألف عام تقريبا .

ولقد تعالت الصيحات بالدعوة القومية مستمدة من الفكر الغربي ومن نظريات القوميات الغربية ، واستمرت أكثر من عشرين عاما ، ثم فشلت فشلا ذريعا ولم تستطع أن تحقق شيئا ، ذلك لأنها كانت مجافية للفطرة وللأصالة وللإسهرار التاريخي والعقائدي الاسلامي عميق الجذور ، عجزت فكرة القومية عن أن تحقق شيئا الا الخلاف والصراع لأنها جانبت الفطرة وتعقدت واستسلمت لمحاذاير الفكر الوافد ، لقد عرف قادة حركة اليقظة تلك الرابطة العميقة بين العروبة والاسلام وكانوا يعملون في ضوئها ، يزون العروبة ثمرة الاسلام ، وأن العرب مادة الاسلام ولكن محاولات ساطع الحصري وميشيل غفلق وأنطون سمادة حاولت أن تخرج العروبة من مفهومها الاصيل الى مفاهيم القومية الغربية التي تخطف تماها عن المفهوم الاصيل ومن ثم فقد عجزت أن تؤدي الى نتائج أصيلة ، وتبين أن هذه المحاولة تستهدف مقاومة الاستعمار بالتجمع تحت لواء العروبة ، ولكن اهدار هذا الاتجاه بفصل العروبة عن تراثها وعقيدتها وقيمتها ، واتمانها على قيم أخرى وافدة كالاشتراكية وغيرها ، وهنا فسدت الفكرة وعجزت عن العطاء ، واليوم وقد انتهت مرحلة الاستعمار ، فإن الدعوة الى العروبة أو القومية أصبحت قاصرة وعاجزة عن أن تستوعب تحديات المرحلة الجديدة ، أن المواجهة الآن في هذه المرحلة تتطلب العمل داخل اطار منهج الاسلام ..

لقد تعومت حركات التغريب أن تحتوى الدعوات التي يتخذها المسلمون والعرب اسلوبا للعمل ، ولقد استطاعوا احتواء فكرة العروبة حين فرغوها



من مفهومها الاسلامى وجعلوا مضمونها غريبا وأفدا وبذلك حطموها هدفها وحالوا بينها وبين تحقيق الغاية . لقد قامت القومية فى الغرب معارضة للوحدة المسيحية فى أوروبا ولتمزيقها .

أما العروبة فى العالم الإسلامى فاتها قامت لتخلف الوحدة الإسلامية والحلول محلها حين سقطت الدولة العثمانية للتجمع تحت لوائها ولذلك فإن اصطناع مفهوم القومية الغربى جاء بنتائج أفسدت الهدف وحالت دون الوصول الى الغاية ، وفى الغرب ارتبطت فكرة القومية بالعنصرية وإعلاء الجنس ، ولكن المسلمون لا يرون العنصرية فى علاقتهم ، بل ينكرونها ويؤمنون بالأخاء الذى جمع بينهم الإسلام به . لقد كان من أقوى أهداف النفوذ الغربى وضع المسلمين والعرب فى قوالب الفكر الغربى ، وإخراجهم من قيمهم ومفاهيمهم ولقد استطاعت أن تفرض ذلك عليهم عن طريق سيطرتها على الثقافة والتعليم التى خرجت مجاميع من القادة والمفكرين ، كذلك فإن الفكر الإسلامى بأصالته واستمداده من القرآن قادر على صهر كل مذهب ودعوة وفكرة والانتفاع بها فيها من إيجابيات دون أن تسيطر عليهم هذه القيادات .

لقد اذهب الله عن المسلمين عصبية الجاهلية وفخرها بالإباء ، فالناس بنو آدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .

### هامش اليوميات

عرف الراغب الأصفهاني الظلم بأنه وضع الشيء فى غير موضعه المختص به أما بنقصان أو زيادة ، أو بدول عن وقته ومكانه .. فاستعمال القدرة بالطريقة العادلة وفى الوقت المناسب وفى المكان اللائق فضيلة .. واستعمالها بالطريقة الظالمة فى الوقت غير اللائق رذيلة .

\*\*\*



## هل يستطيع الفكر الغربى أن يتجاوز مرحلة الخطر

ان الفكر الغربى اليوم بعد ان وصل الى طريق اللاعودة فى الاتجاه المادى تحت سيطرة التلمودية الصهيونية التى انحرفت به وأخرجته من النظرة الدينية ( المسيحية ) أولا ومن النظرة الروحية المثالية ، واحتوته داخل اطار الفلسفة المادية اليهودية الاصل ، يحاول محاولات مستميتة فى الخروج من ازمته .

ان هناك محاولات متعددة من الفكر المسمى الغربى الى اعادة النظر فى التحديات والأخطار التى وصلت اليها ، تتور هذه الأبحاث حول الدين نفسه ، ونجد على رأس هذه المحاولات ارنولد توينبى ومن بعده أونامونو عن المسيحية ، ثم نجد مراجعات كثيرة حول هيجل وماركس وفرويد ودوركايم وسارتر . وقد تبين للغرب أن آراء هؤلاء جميعا ما هى الا ( التلمودية ) مصبوغة بصيغة البحث العلمى وقد كشف الدكتور صبرى جرجس منذ سنوات عن أن نظرية فرويد مستمدة كلمة كلمة من التراث التلمودى الصهيونى وانها محاولة جادة لتدمير الانسان نفسه ، كجزء من خطة الصهيونية العالمية بحاذية تماما لخططها السياسى التخريبى .

ولقد كانت محاولة ماركس اليهودى ان يجعل تفسير التاريخ البشرى كله دائرا حول المعدة ولتمة العيش ، وكانت محاولة فرويد اليهودى أن يفسر التاريخ البشرى كله دائرا حول الجنس وكانت محاولة دوركايم اليهودى أن يصوغ الاجتماع البشرى على أساس ( الجبرية ) التى تجعل مسئولية العمل مرتبطة بالمجتمع وليس بالفرد والقول بأن الدين والأسرة ليسا من الفطرة وأن الجريمة لا عقاب عليها لأنها مرض وليست عملا اראيا وهكذا . وقد ظهرت فى الغرب مدرسة جديدة قوامها ( استيكل ومورر وفروم ) تحاول أن ترجع التحليل النفسى الى أصالة الدين وتقدم مفهوما جديدا معارضا لمفهوم فرويد الذى استعلى استعلاء شديدا منذ عام ١٩٣٠ تقريبا الى أن حطته الجامع والمؤتمرات النفسية الأخيرة التى عقدت فى ألمانيا وأمريكا عام ١٩٦٨ وما بعدها .

وتجوز نظرية السيكلوجيين الجدد كاشفة لزيف فرويد ونظريته ، فهم يعتبرون الاضطرابات النفسية تعود الى فقدان عنصرى الدين والأخلاق . ويرى شيخ هؤلاء ( استيكل ) أن القلق الذى يؤدى الى الاضطرابات يحدث عندهما يقوم الفرد بأعمال كان يتمنى ألا يقوم بها فى حين أن القلق حسب المفهوم

الفرويدى ينشأ من مجرد التفكير فى القيام بأعمال لا يقرها الضمير والفرق كبير بين المفهومين اذ يؤكد الاتجاه الأول فكرة الصراع التى تجيء بين الفعل ( الممارسة ) والشعور بالاستياء الناجم عنه وهذا رأى استيكل بينما يؤكد الاتجاه الثانى فكرة الصراع الناجم عن مجرد النية ثم الخوف المترتب على هذه النية او الرغبة .

وتقوم نظرية استيكل على محاسبة الضمير وعقابه والشعور بالخطيئة على اعمال مارسها الفرد ويطلق على هذه النظرية : نظرية الخطيئة .

ويرى اصحاب هذا المذهب ان هناك علاقة بين المرض النفسى وعذاب الضمير ، وانهما شيان مرتبطان متلازمان يسيران جنباً الى جنب . ويرون ان الألم قد يكون له تأثير ضار مدمر للشخصية عندما يشعر به الانسان ولا يستطيع ان يعبر عنه او يصححه .

وقد كان فرويد من اوائل دعاة ( العقل الباطن ) واثرة فى احداث الاضطرابات الانفعالية ومن نادوا بنظرية اللاشعور غير ان دراسات اللاشعور كانت غامضة ولم تكن واضحة فضلاً عن انها قسمت النفس الانسانية الى ارادة ووجود غير انها حاولت ان تعطى المطلقين النفسيين هالة من القداسة والكهنوتية ونوعاً من المعرفة الخفية المقصورة على فئة قليلة .

اما اصحاب النظرية الدينية فيقولون : انه اذا كان المقصود باللاشعور مجموعة العوامل الغريبة الغامضة غير المرتبطة التى تؤثر فى الشخصية وما يتعرض لها من اضطراب فالمذهب الدينى فى تفسير المرض النفسى لا يمانع من فهم اللاشعور داخل هذا الاطار المحدود ، اما اذا تعدى مهمة اللاشعور هذا الاطار ومعرفته فيها يبدأ الاختلاف واضحاً بين المدرستين .

وجيلة القول ان المفهوم الجديد للمرض النفسى لا يقوم على اساس الكشف عن النزعات اللاشعورية ومساعدة الفرد على اشباعها او الشعور بها بل مساعدة الضمير على ان يسترخى ويهدأ ثم يتراجع . والوسيلة الى ذلك هى مساعدة الفرد ليعمل على ارضاء الضمير وان هذا السلوك الروحى من شأنه ان يعيد الى النفس طمأنينتها والى الشخصية تكاملها . ومعنى ذلك ان التفسير الدينى للمرض النفسى تترتب عليه نظرية علاجية تعتمد اعتياداً كبيراً على الدين لأن الدين هو الطريق الى العقل والطريق الى القلب وأن الدين هو الطريق الى بقاء ودوام القيم الانسانية التى تعتبر اطاراً مرجعياً لسلوك الفرد وتصرفاته واسلوب حياته .

وان ملازمة الذات هى عملية يستطيع ان يقوم بها المعلم ورجل الدين والموجه النفسى والآباء والأمهات .

وان الدين هو من العوامل المعينة للانسان للتغلب على التوترات والصراعات التى يتعرض لها فقد ساعد الأفراد على مر العصور على مواجهة توى الظلم والاستبداد . ذلك هو مجمل وجهة النظر الجديدة فى التفسير

الدينى للمرجس النفسى وهى محاولة تحاول أن تسترد من النظرية المادية  
الفرويدية ما حاولت خداع عشرات الملايين به من وهم وما صبته فى النفوس  
من سموم وعذاب ..

### الفكر الغربى يكشف فساد منهج ديكارت

وفى نفس الطريق نجد هذه المحاولة الضخمة التى تريد أن تقطع جنود  
الفكر المادى من الأساس . ولكى نفهم القضية علينا أن نبدأ من نقطة متقدمة

أن الفكر الغربى لم يخرج عن نطاق الأصالة التى قررها دين الله الحق  
الايوم أن فصل بين الفكرة والتطبيق ، والروح والمادة ، والغيب والشهادة ،  
هناك بدأ الفكر الغربى ينطلق بعيدا عن النظرة الجامعة المتكاملة الممثلة  
فى الانسان . ومن هذه النقطة بدأ الانحراف وبدأت انشطارية الفكر الغربى  
التي جنحت به نحو المادية الخالصة وكان ديكارت هو أول من ضرب هذا  
المعول وصدع هذا الصدع ومن ثم نشأ ما يسمى ( بالجبرية ) التى تنكر  
ارادة الفرد ومسئوليته .

— واليوم يصح ( الفكر الغربى ) ليواجه هذه الحقيقة بعد أن غرق  
فى التيه باحثا عن خطئه وانحرافه .

ويقول روبير آرون فى كتابه ( ملاحظات ضد المنهج ) أن ديكارت  
هو أساس العلة . ويقول أننا نجد فى بعض المآسى التى يمشيها العالم  
ما اعتبره الخطأ الأساسى عند ديكارت فى إحلال الفكر مكان الوقائع نجد  
أن الأول قد أطبق على الثانية ومسحقتها وهذه هى خطيئة ديكارت الميتافيزائية  
أى اعتقاده أن عمليات الفكر تتطابق مع قوانين العالم .

أن الانسان الديكارتى لا يتمتع بالحرية ، وهو سجين التقنيات وعنصر  
سلبى فى المجتمع فقد يبنى من ورائه ترسيخ انسانيته وفرضها على الطبيعة .  
وخطيئة ديكارت أنه يجرد الانسان من قدراته على الخلق والابداع .

ومما قال روبير آرون : من المؤكد أن الانتقال الأكثر طبيعة والتغرب  
الى الأمل من المادة الى الروح ومن العالم الى الله ، ومن العقل الى الإيمان  
يتم عبر التمتع الروحية والصلاة .. وقد كتبت عشرات الأبحاث عن منهج  
ديكارت منذ أعلنه فى ١٠ نوفمبر عام ١٦١٩ وانتهى خصومه بالفشيك  
والإلحاد والعمل على هدم الجامعات والكنيسة والدولة . والكاثوليك يرون  
أن آراءه مارقة من الدين .

ولقد حاول طه حسين أن يطرح هذا الفكر فى مصر بطريقة زائفة عندما  
كتب ( الشعر الجاهلى ) وكان يقول للأزهريين أنتم لا تعرفون منهج ديكارت  
ولكن الدكتور محمد أحمد الغمراوى رحمه الله تصدى له وكشف زيفه وأعلن  
أن ما ادعاه منهجا لديكارت ليس صحيحا وإنما هو محرف ، وقال العلامة  
محمد نريد وجدى أن أعظم ما فى منهج ديكارت مأخوذ من الفكر الإسلامى

ومن الغزالي وقد كان جله حسين يريد أن يطرح في أفق الفكر الإسلامي  
سبوم نظرية الشك والا ادرية .

ويقول روبير آرون : ان كل مساوئ العقلية المعاصرة والتقنية تجد لها  
مرجعا عند ديكارت اذا ما تأملنا مليا وقبل كل شيء مسار فكره لقد خلف  
ديكارت اثرا عميقا في كثير من العقليات وخطر آثاره ما اعدوه بخطيئة  
المتافيزيقية ( الماورائية ) أو خطيئة الأخلاقية هي المبتلة بشكل من تجريد  
الايمان وبالتنكب عن الابداع نتيجة للوهم الخادع الذي تتركه الآثار العقلية  
بل يمكن أن يعثر في بعض مآسى العالم ما احسبه خطأ ديكارت الأساسى  
أى احلال ( الأفكار ) مكان ( الحقائق ) وما ينتج عن ذلك من تبديد الأفكار  
لقيم الحقائق فخطيئة ديكارت هي اعتقاده أن عمليات الذهن تتطابق مع  
قوانين العالم ..

وهكذا نرى الغرب اليوم يكشف زيف تلك القاعدة الأساسية التي قام  
عليها الفكر الغربى حين فصل بين القول والعمل وبين النظرية والتطبيق  
وبين المادى والروحى ثم توالى نظريات الفلاسفة ممزقة هذا النسيج الواحد  
المتكامل فكانت نظرية فرويد فصلا بين الوعى واللاوعى وجاء دعاة المادية  
الذين اعتبروا الميتافيزيقيا أو عالم الغيب خرافة وفصل ماركس بين عوامل  
التاريخ المختلفة وانكرها جميعا ما عدا العامل الاقتصادى .

وهكذا وقع الفكر الغربى في التناقض

وصدق الذى قال : لقد حطم ديكارت ولكنه لم يستطع أن يكمل البناء  
واليوم لم يعد أمام الفكر الغربى الا أن يلتبس الطريق الصحيح : الطريق  
التكامل الجامع بين الروح والمادة يريد أن يصل الى الحقيقة وما اعتقد  
انه مستطيع فقد وصل الى مرحلة اللاعودة .

ومن وجهة نظر الاسلام فان مفهوم ديكارت قد أدى الى حدوث انقسام  
جوهرى بين الوجود والماهية فى كل الفلسفة الغربية حيث لا يقر الاسلام  
أن هناك انفصالا بين الوجود والماهية .

وقد جاء خط سائر تاليا لذلك بقوله ان الوجود يسبق الماهية ومن  
هنا ركر الفكر الغربى على الانشطارية المنحرفة التى اقامها فصل الإرادة  
عن الوجود بينما ان الصحيح هو ان الإرادة لا تنفصل عن الوجود ولا يظهر  
الوجود الا مقترنا بالإرادة كما أن الإرادة لا تعنى شيئا الا اذا تمثلت فى  
صورة وجود .

ولعل هذا هو اعقب الفوارق التى انتقلت من الروحية الرهبانية الصرفة  
الى المادية الضيقة المقلقة .

ان اصدق ما يمثل الفكر الغربى هو انه لا يفرق بين نظرتة الى الأشياء :  
سواء بين المادى والروحى أو بين الهيكل والمضمون أو بين الإرادة  
والوجود .

ومن ثم فقد انقسم عالم الغرب طويلاً بين ما هو مادي وما هو روحي  
أما نحن فإن عقيدتنا ظلت قادرة على سلامة تكاملها بفضل الدفاع المتصل  
عن مفهوم التوحيد الخالص ، وعلى الرغم من كل محاولات مذاهب الفكر  
الغربي ( شعوبية وباطنية ومادية وإباحية ) في العمل على كسر هذه الوحدة  
الجامعة وتفتيتها .

وفي مفهوم الاسلام انه لا انفصال بين العالم المادي والعالم الروحي  
ولا بين الوجود والارادة . ولا ينظر المسلم الى العالم المادي كأنه منفصل  
أو منقضى للعالم الروحي .

كذلك فإن عالم الارادة لا يناقض عالم الوجود ، ويقرر المفهوم الاسلامي  
الأصيل أن العالم كله إنما هو قوة واحدة : ظاهرها وباطنها ، عالم الشهادة  
فيها وعالم الغيب وما الفرق بين الظاهر والباطن فيها الا فرق في طريقة  
الادراك واستعداد الحواس فهما عالم واحد يسمى جانب منه الوجود  
ويسمى الجانب الآخر بالارادة أو الروح أو الباطن .

والاحساس بالوجود والايمان به لم يقم في الاسلام على اساس مبدأ  
ذاتي كما فعل ديكارت في الغرب مما أدى الى حدوث انقسام جوهري بين  
الوجود والماهية .

وكما يرغب الاسلام مفهوم ديكارت في القول بأسبقية الوجود أو اسبقية  
الماهية وهي ثنائية لا يعترف بها بل يجعل الوجود هو الارادة . والحركة  
تنقل من الوجود الى الارادة في عالم الحياة كما تنتقل الطاقة الى مادة  
والمادة الى طاقة في مجال العلم وبهذا لا يوجد في الفكر الاسلامي أي  
احساس بالثنائية أو الازدواج مما عانى منه الفكر الغربي .

وقد حققت هذه النظرة الاسلامية الأصيلة التناسق والتوازن والتكامل  
الذي هو عماد الفكر الاسلامي ودعمته الحياة المتحررة من التمزق والقلق  
والازدواج والغربة والغثيان مما يقاسى منه الفكر الغربي اليوم نتيجة ما أوجده  
( ديكارت ) من فصل بين شطري نواة الحياة الجامعة المتكاملة .







## « التغريب » في دراسات الجامعات الأوروبية

رجلان تحدثنا عن تجربة الدراسات الغربية في الثلاثينات في أوروبا والتحقيقات التي تواجه الباحث العربي المسلم في دينه وعقيدته . تحدث عن هذا الدكتور عبد الحليم محمود فكتشف عن الدور الذي يقوم به الفلاسفة اليهود أمثال ليفي بريل ونور كايم وغيرهم في مواجهة العقول المسلمة ويقول :

لولا عون من الله لصرت كواحد من هؤلاء الآلاف الذين يدرسون في الجامعات الأوروبية ويخرجون منها وقد تحطمت في نفوسهم المثل الدينية الكريمة ..

ويقول : لقد أخذ ( دوركايم ) اليهودي في السربون يعمل بمعلوله في هدم كل القيم والمفاهيم الدينية والأخلاقية ، وأخذ تلميذه اليهودي ( ليفي بريل ) يتهج منهجه ويسير على طريقته في علم الاجتماع وفي علم الأخلاق .. ويشير إلى أن مواد علم الاجتماع وعلم النفس ومادة الأخلاق وتاريخ الأديان يدرسها أساتذة يهود ، وتسير في تيار محدد هو أنها علوم مجتمع أي أنها لا تنقيد بوحى السماء ولا تنقيد بالدين على أنه وضع الهى ، فهي تدرس في موضوعاتها على أنها ظواهر اجتماعية وظواهر إنسانية . وهم يزعمون أن للدين نشأة إنسانية اجتماعية وأن للخلق غيبا يرون نشأة إنسانية اجتماعية ، وقد تواضع الناس على سلوك معين سموه فضيلة ، وعلى سلوك آخر سموه رذيلة . وعندهم أن كل الظواهر والمظاهر في هذه الدراسات اعتبارية نسبية متغيرة متبدلة ، لا تثبت على حال ولا تستقر على وضع لأنها في كل يوم تبدل حالا بحال .

وهذه الأفكار تتكرر في هذه المواد : علم الاجتماع ، علم النفس ، دراسة مادة الأخلاق ، دراسة تاريخ الأديان ، دراسة العلوم المتفرغة من كل ذلك .

والأساتذة متكاتفون على هدم القيم الثابتة والمثل العليا التي يقررها الدين وتقررها الأخلاق .

والطلاب يعيش في أجواء تتعاون كلها على هدم عقائده ومثله وقيمه فتنتهار هذه القيم في شعوره ومن هنا هذه الظاهرة التي نجدها في ظل الجامعات في أوروبا ، وهي الاستخفاف بكثير من العقائد والقيم وتنتهى بالاحاد .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود : وبدأت أفصل بين عالمين في المعرفة ، عالم الماديات كالطب والطبيعة والكيمياء وهي أمور تحكمها التجربة ولا تتعارض مع الدين ولا اختلاف فيها ، وبين عالم التفكير المجرد في الدين والأخلاق والمجتمع ( هذا الجانب الآخر موضع الاختلاف ، اللاحق يخطئ السابق ويقدم شيئا آخر » والآراء يهدم بعضها بعضا » .

وكنتم أقول في نفسي :

١ - إذا كانت الأخلاق ( نسبية ) فهل سيأتى الزمن الذى نعتقد فيه أن الصدق رذيلة ، وأن الشهامة شر وأن الشجاعة سوء أو أن العفة جريمة أو كذا ؟ كلا ..

٢ - وفي مجال العقائد : هل سيأتى اليوم الذى لا نقول فيه بوحدانية الله أو لا نقول ببارئته وعلمه ؟ كلا ..

انه طريق لا ينتهى الى غاية : ولقد عرفت من بعد أن هذا هو المنهج الذى رسموه بعد تفكير طويل والتزموا القيام به بكل الطرق وبكل الوسائل ، وهو منهج التشكيك في القيم والمثل والعقائد والأخلاق ، يستخدمون هذا المنهج في المجالات المختلفة لانسداد المجتمعات وتطلها أخلاقيا ودينيا .

وقد اعتمدوا فيه على علوم النفس والأخلاق والاجتماع ومقارنات الأديان والانثروبولوجيا ويعملون دائبين على أن يكون المجتمع شاكيا مليئا بالفتن وذلك سبيلهم للسيطرة . أن اليهود يهدفون من وراء ذلك الى السيطرة على العالم ولا تقف في وجههم قوة من ايمان أو قوة من خلق ، من أجل ذلك تكاتفوا على أن تكون لهم الكلمة الأولى في الجامعات وفي علم الاجتماع وفي علم النفس وفي مادة الأخلاق وفي تاريخ الأديان ..

تلك هي تجربة الاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود نهديها الى شباننا المسلم اليوم الذى يظن أن ما يسمى علوما كالنفس والأخلاق والاجتماع هو حقائق بينما هي وسائل لاثارة الشبهات في الصدور ولهدم مجتمعاتنا .

ولكى تكتمل الصورة لابد أن نقدم التجربة التى عاشها رجل آخر ذهب ليدرس القانون والسياسة والأدب هو الدكتور محمد مندور ، وقد وقعت في وقت قريب من الوقت الذى وقعت فيه تجربة الدكتور عبد الحليم محمود .

يقول مندور : في أول عهدي ببائيس كنت أتناول الغذاء على مائدة سيدة عجوز مع نفر من الشبان والشيوخ الفرنسيين وبعض الأجانب وكان بين الفرنسيين رجل جاوز الخمسين يعمل وكلا للمحافظة ، واكبر ظنى انه ينحدر من أسرة كبيرة من الأسر المحافظة وقد خرج من نشأته وملابساته حياته بفلسفة قوية تقوم على مبادئ الأخلاق الصارمة ، كما تقوم على الاعتداد بكرامة الانسان وقدرته على توجيه الحياة وأخضاعها لارادته ، مع هذا الرجل تعلق حديثي أحد الايام ورايته يبسط مبادئ فلسفته التى ذكرتها في حرارة المؤمن فدهشت واخبرته أن مبادئ الأخلاق التى يتحدث

عنها ما هي الا ( ظواهر اجتماعية ) تملئ عليه وان ارادة الانسان الحرة التي يعتز بها ليست الا وهما لان الفرد لا يملك لنفسه شيئا انما هو مسير بغرائز قوى دنيئة .

وما ان سمع الرجل منى هذا الهراء حتى انتفض كالأسد واستند بمرفقه الأيسر على المائدة ليلفت الى متحدئا في غضب : غضب الاستعلاء ! وسألنى : من اى بلد أنت يا بنى ؟ .

قلت : من مصر .

قال : وماذا يصنع ابوك في مصر ؟

قلت : يزرع الأرض ..

قال : اوصيك مخلصا ان تعود الى بلدك لتحرق الأرض مع ابيك . هذا اجدى عليك وعلى وطنك مما تتعلمه او تظن انك تتعلمه هنا من هراء .

فتهاست مهموما وقلت : ولكن هذه يا سيدي هي الآراء التي سمعتها من اساتذة السربون في علم النفس والاجتماع ..

فأجابنى : ومن انباك ان هؤلاء الاساتذة يفهمون شيئا عن حقائق الانسان . اتظن ان حقائقنا البشرية من اليسر بحيث تصلح نظريات او يكشف عنها التكرير الفرنسى الذى يمثل هؤلاء النفر من « اليهود » الذين يزعمون انهم اكتشفوا قوانين الانسان ، عندما زعم كبيرهم ( دركايم ) ومن خلفه ليفى بريل وموسى وفوكونيه ومن تبعهم ان الانسان حكمه حكم المادة ، وان هناك ما يسميه هؤلاء الحمقى « وعيا اجتماعيا تنمخض عنه الحياة العامة كما يتخضض الناتج الكيماوى عن مزيج من العناصر » .

احذر يا بنى : ان تؤمن بها يقولون فليس صحيحا ان يصل الانسان الى قيادة شخصيته التى يتهدى بها الى مواضع الخير والشر والبطولة والخسة بنفسه كما تهتدى الطيور الى اوكارها .

وليس صحيحا ان قواعد الاخلاق ليست الا ظواهر اجتماعية لا نستطيع فى علاجها شيئا . وكل ما يجب علينا عمله هو ان نرصدها كما يفعلون لنستخرج منها ( قوانين عامة ) هذا يا بنى وهم ، بل خداع ، ثم اذكر اننا فى مجال المعرفة بالانسان ليس لنا الا هدف واحد هو ان نصبح خيرا مما نحن .

فبالله هب ان هذا الهراء حق ، فأى فائدة ستجنى منه الانسانية ، انا افهم ان نكشف عن قوانين المادة لنسيطر عليها ونسخرها فى مرافق حياتنا ، ولكن الانسان ما شأنه بالقوانين ، من قال ان الانسان مادة فحسب « وهب انه كان مادة وان الروح لم يكن لها وجود ، وانها تقضى بفناء المادة .. كما تنعدم النفقات ويتحطم النأى اليس من الخير بل من الواجب على

الانسانية أن ترفض علما كهذا لن ينتهى الا بتحطيم حياتنا وشل ارادتنا  
وتقويض دعائم الهيئة الاجتماعية التى نحيا بينها .

يقول مندور : هذا هو الدرس القاسى ، الدرس الصارم النافع الذى  
تلقيناه عن الشيخ فى مستهل حياتى . رويته اليوم راجيا أن تتدبره شبيبتنا  
الناهضة . وقد ذكرته اذ قرأت من يقول أن هناك عقلا جمعيا .

لا يا بنى .. ليس هناك عقل جمعى ، كما زعمت « او زعم لك  
دوركاييم ، وانما هناك عقل فردى ، هناك ارادة حرة ، ارادة يجب ان تستيقظ  
فى قلوب أمثالك فتهدم الصخر . لا يا بنى ليس هناك جبر تمليه قوانين  
مزعومة ، وانما هناك نشاط حر ، نشاط لا يعرف اليأس ..

هاتان التجريبتان قد عرضناهما لنكشف عن ذلك الخطر الكامن وراء  
الدراسات الاجتماعية التى حملتها مدرسة دوركاييم والتى ما زال العالم  
الاسلامى غارقا فيها .

وهناك الكثيرون الذين يؤمنون بها فيعارضون الفطرة ويمعارضون  
الاسلام ويروجون من حيث لا يدرون لمنهج التلمودية الصهيونية الذى  
رسمته بروتوكولات صهيون لهدم المجتمع البشرى قبل السيطرة عليه .



## منى يتحرر العقل الإسلامى

هذه الصيحة التى تجيء فى موعدها على رأس القرن الخامس عشر الهجرى ، تتطلب تصحيح كثير من الشبهات والسموم المدسوسة التى دسستها الشيوعية ودسها التغريب ودسها الماركسية ، وما قدمته الصهيونية فى تاريخ الإسلام والعرب من سموم كالقول بأن حركات القرامطة والزنج كانت حركات إصلاحية أو إعلاء التفسير المادى للتاريخ .. أو القول بأن الدعوة الإسلامية كانت استجابة لظروف تاريخية معينة ، كان يحياها العالم فى القرن السابع الميلادى ..

ومنها النظرة الى الإسلام نظرة قومية \* والتصور بأن الإسلام ظاهرة قومية نشأ عن ظروف العرب الاجتماعية والاقتصادية .

مع أن الإسلام : الرسالة الخاتمة التى جاءت متتابعة للرسالة الأخرى منذ نوح عليه السلام والتى قدمت للبشرية المنهج الاصيل فى مواجهة دعوات الوثنية والمادية والاباحية ، ومن هنا تلك المحاولات التى ترقى الى ايجاد تصور بتقارب الأديان على وضعها الحالى بينما الحقيقة هى وحدة أصل الأديان من لدن الحق تبارك وتعالى غير أن اليهودية والمسيحية انحرفت وتغيرت بالاضافة والنقص من جراء التفسيرات التى قدمها الأخبار والرهبان .

لذلك فإن صيحة توحيد الأديان فى العصر الحديث هى محاولة مسمومة ترمى للعودة الى اليهودية أو مفاهيم انحرفت كثيرا عن مصدرها الاصيل باعتبارها مقدمة للدين الخاتم . وحيث سجلت التوراة المفزلة والانجيل المنزل الاشارة الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التى يجب على أصحاب الأديان التسليم اليها ، ولذلك فاننا يجب أن نكون متيقظين ازاء تلك المحاولات التى تجرى حتى لا نقع فى عملية احتواء مكررة خطيرة .

ثانيا : تصحيح ما دسسته الفلسفة المادية حول مفاهيم الأخلاق والمرأة والمجتمع ، هذه المفاهيم التى ترمى الى بث روح الاستسلام والسلبية والهروب من مواجهة تحديات الغزو الخارجى . وخاصة ما يتصل بالسموم التى تحاول دعوات الغزو فى شأن المرأة وعفافها وكرامتها وذلك كله يرمى الى تحطيم الحاجز الأخلاقى بين الرجل والمرأة للقضاء على الاسرة الإسلامية وإشاعة البغاء تحت اسم الاختلاط والتعاون بين الجنسين .

يقع هذا في المجتمعات الاسلامية التي لم تستطع بعد التحرر من القانون  
الوضعي الذي يحمي الخمر والزنا والربا والعياذ بالله .

ثالثا : الكشف عن فساد مفهوم التولستوية والغاندية التي تطرح في  
مجال الفكر الاسلامي تحت اسم السلام والرحمة والاخاء بينما هو ليس  
كذلك ، وانه خروج عن مفهوم الاسلام الجامع بين الجهاد والسلام معا  
ولقد حاولت دعوات البهائية والماسونية وغيرها القضاء على روح الجهاد  
في النفس المسلمة والقضاء على الغيرة التي اقامها الاسلام على العرض  
والشرف .

رابعا : كلمات الغرب ومصطلحاته لا يمكن نقلها الى افق اللغة العربية  
والفكر الاسلامي نقلًا كاملاً ذلك انه لا يمكن فصل المصطلحات عن ملاسباتها  
الفكرية التي ترمى اليها ولا يمكن نقلها كما تنقل الفاظ المخترعات والعلوم .

ولما كان للمسلمين مصطلحاتهم الخاصة التي تدبها لهم القرآن  
الكريم والسنة الشريفة فان عليهم ان يقفوا موقف الحذر من كلمات القومية  
والديمقراطية والاشتراكية والوجودية والراسمالية فان هذه كلها كلمات  
نشأت في ظل الفكر الغربي وتحت تأثير العوامل التي شكلته .

يجب ان نكون على وعي كامل بترك الدعوى الزائفة التي تقول باسقاط  
كل ما لا يدركه الحس فانها تستهدف العقائد الدينية من الاساس وهي  
محاولة دائية للفكر البشري في وجه الدين الحق . ولقد كان هدف الفلاسفة  
المادية في هذا العصر العمل على تقويض دعائم الاعتقاد بوجود اله واحد  
بغض النظر عن البديل المقترح . وكانت دعوة هذه المذاهب الى الوهية  
المسادة او الوهية الانسان او اتخاذ الغريزة محورا لتفسير الوجود او  
اتخاذ لقبة العيش محورا لتفسير التاريخ ، ولا ريب ان الدين الوحيد الذي  
صفت عقيدة التوحيد فيه من شوائب الشرك هو الاسلام فالاله في عرف  
اليهود اله قومي لهم وحدهم دون غيرهم وفي عرف النصارى واحد من ثلاثة .  
وقد صدمت العقل تفسيرات المسيحية من تثليث وصلب وخطيئة واتخذ  
اليهود العجل الذهبي وما زالوا يتخذونه معبودا لهم . والعياذ بالله .

سادسا : لنحذر من محاولة تقديم البديل لاسقاط الاصيل فانها محاولة  
قديمية مكررة يراد بها تقديم صور مضللة في اثواب باهرة مزخرفة تخدع  
قاصري النظر والفكر بينما هي تستهدف القضاء على الفكر الاصيل .

سابعا : لنحذر من الدعوة الى فكر عربي او فكر عربي حديث وادب  
عربي حديث فانها كلها محاولات لفصل الأمة الاسلامية عن تاريخها ، ان  
تاريخ الامم حلقات متصلة يصب ماضيها في حاضرها ويمهد لمستقبلها  
وحاضرها امتداد لماضيها ومازال تاريخ الاسلام منذ فجره متصل الحلقات  
متتابع الخطوات يسلم ماضيه لحاضره ويمهد حاضره لمستقبله ، وهو فكر وتاريخ  
لم يفقد عنصر الوحدة والاتصال يوما واحدا ومع ذلك يراد فصله وتمزيقه  
بينما يصل الغرب نفسه بالفكر اليوناني بعد انفصال دام الف سنة ،  
وبينما يصل اليهود انفسهم به بعد انفصال الف وتسعمائة عام .

ثامنا : فلنحذر من محاولة احياء الماضي الفرعوني والاغريقى والجاهلى العربى ونمجده ، واعادة صباغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية والباطنية واحياء عشتريوت وزيروسو باخوس ذلك ان الهدف هو هدم التصورات الاسلامية واخراجها عن مفاهيمها الاصلية واخضاعها للمفهوم الماسونى الوثنى القديم والحديث الذى يختلف عن مفهوم التوحيد الاسلامى .

كذلك فان هناك محاولات لتزييف البطولات والمعارك الاسلامية واخضاعها الى مقاييس ومفاهيم العلوم الاجتماعية والسياسية الحديثة .

ثاسعا : فلنحذر من الترجمات الأجنبية لأن أغلبها يستهدف طمس القيم الأساسية للفكر الاسلامى واحتواء النفس والعقل الاسلامى بمفاهيم تختلف عن مفهوم التوحيد . ولذلك فانه لابد من تقديم الكتاب المترجم بمقدمة مستفيضة تكشف عن علاقة الكتاب بالفكر الانسانى وعلاقته بالفكر الاسلامى ، والكشف عن الجوانب التى يلتقى فيها بالفكر الاسلامى والتى يختلف فيه معها .

عاشرًا : لنذكر ان فكرة القومية والاقليمية فكرتان طرحهما الاستعمار الغربى فى اوائل هذا القرن رافعا شعار العلمانية لتفريق الأمة الاسلامية وتصفيتها بعد ان اعيقه الخيل فى ذلك وقد نجح فى ذلك الى حد كبير وما نراه اليوم من تفرق العرب وانهزامهم امام الاستعمار والصهيونية والماركسية ما هو الا ثمرة من ثمار هذه الفكرة الواحدة .

ذلك ان الاسلام انما كان يهدف فى اول اهدافه الى القضاء على العنصرية واعلاء الدم والعنصر وقد نقل المسلمين من اختلاف الاجناس الى اتحاد المشاعر ومن العنصرية الى الاخوة الانسانية .

وتحاول دعوات الغزو الفكرى والتغريب اليوم اعادته مرة اخرى الى العنصرية والاستعلاء بالجنس والدم لتدمر وحدته القائمة على وحدة الفكر اساسا .

ولا ريب ان رابطة الفكر والعقيدة اقوى من رابطة العنصر والدم وقد حققت فى تاريخ الاسلام منجزات ضخمة عندما ظهر السلاجقة والايوبيون والترك والمماليك فى المشرق والمرابطون والموحدون فى المغرب فهم مسلمون جاهدوا فى سبيل استعادة مجد الاسلام وشاركوا فى التراث الثقافى ودافعوا عن لا اله الا الله وحققوا انتصارات حاسمة .

ولا ريب ان دعاء الاسلام يجب ان يبقوا على يقظة تامة بالتيارات

والأيدلوجيات الوافدة ، وأن يدركوا حقائقها وما ترمى اليه . ذلك أن دعاة الفكر المادى يبذلون أقصى ما يستطيعون لتركيز افكارهم في طلائع الشباب المثقف موهمين أولئك أن طريقهم ومبادئهم هي وحدها الكفيلة بتحقيق ما تطمح اليه الشعوب من حرية وسعادة وعدالة .

ولكن التجربة مازالت بين ايدينا تكشف عن فساد هذه الدعوى . فقد جرب المسلمون والعرب كلا المنهجين الغربيين وتبين فشلها فشلا ذريعا في تحقيق مطامح النفس العربية والمسلمة وتبين للمسلمين والعرب انه ليس هناك الا طريق واحد ، هو طريق القرآن .

\*\*\*



## لماذا بروتوكولات حكماء صهيون صحيحة

تجرى اليوم محاولات مضللة لتزييف بروتوكولات حكماء صهيون ويحمل لواء الدعوة الى هذا جماعة الشيعوية والماركسيين في العالم العربي في محاولة لخداع المثقفين المسلمين عن حقيقة هذه البروتوكولات . والواقع ان البروتوكولات صحيحة ، وان جميع وثائق الصهيونية التي ظهرت بعدها تؤكدنا وتثبت انها التعبير المصرى عن خطط التوراة غير المنزلة والتلمود المكتوب بأيدي اليهود ..

ظهرت ( بروتوكولات حكماء صهيون ) وانكشف أمرها في الغرب عام ١٨٩٧ ، وكانت قد أعدت خلال المؤتمر الصهيونى الأول ١٨٩٣ وترجمت ونشرت ١٩١٠ ولكن المشرق الاسلامى لم يعرف من أمرها شيئا حتى عام ١٩٤٨ عندما بدأت الاشارة اليها في الصحف ، وترجمت لأول مرة عام ١٩٥١ ومعنى هذا ان العرب لم يطلعوا على البروتوكولات الا بعد مرور نصف قرن على صدورها وبعد قيام اسرائيل . وهى تضم ٢٤ بروتوكولا يرسم خطة اليهود للسيطرة على العالم في مدى مائة عام ، وقد اطلق عليها الانجيل البلشفى : اطلق هذا الاسم ( سرجى نيلوس ) أول من نشرها في العالم باللغة الروسية .

ولما انكشف أمر البروتوكولات ووضحت نيات الصهيونية واليهودية العالمية في المؤامرة على العالم على هذا النحو العجيب ، أعلن اليهود أن البروتوكولات زائفة وعاونهم في هذا الماركسيون والشيوعيون الذين يحبون جانبنا من الحقيقة حتى لا تنكشف العلاقة بين الشيوعية والصهيونية التي أصبح أمرها ذاتا .

يقول الصهيونيون المتمركسون ان البروتوكولات وثيقة مزورة استفاد كاتبها من كتاب فرنسى كتبه ( موريس جونى ) بعنوان « حوار في جهنم بين ميكافيلى ومونتسكيو » أو السياسة في القرن التاسع عشر ونشر في بروكسل عام ١٨٦٤ ..

والواقع ان البروتوكولات تؤكد بنصوصها حقيقة نسبتها الى التوراة غير المنزلة والى التلمود الذى كتبه حاخامات اليهود ، وتمثل صورة اجرامية للفكرة التي تضمنتها التوراة المكتوبة في منفى بابل التي كتبها عزرا والتي

أعدت من خلال تحدى التنشفت الأول والنفى الى بابل والحد الذى أفرزته العملية الخطيرة ، وان التلمود كتب بعد تدمير اورشليم الذى قام به الرومان وقتلوا به بقايا اليهود فى القدس . وتسابير البروتوكولات خطة الاستيلاء على فلسطين من النيل الى الفرات واقامة الحكومة اليهودية العالمية ، وليس هناك فى هذا خلاف عما ورد فى التوراة غير المنزلة أو التلمود .

كذلك فان الأحداث التى وقعت منذ ظهور البروتوكولات الى اليوم تكشف سريان هذا المخطط وتنفيذه وخاصة فى أخطر عملين وهما : سيطرة الدولة القيصرية الروسية ، وقيام الدولة البلشفية فى روسيا وسقوط الخلافة الاسلامية وتحطيم الدولة العثمانية لينقطع الطريق الى فلسطين .

وقد ظهر هذا واضحا فى عبارة تضمنتها بروتوكولات حكماء صهيون لا تحتاج الى تفسير وهى قول البروتوكولات :

« فرض السيطرة اليهودية على ما تبقى من العالم بعد الكارثة الشاملة التى يجرى الإعداد لها » .

وقد كتب هذا قبل قرن ، وقبل نصف قرن من الحرب العالمية الأولى ووعده بلغور وسقوط الدولة العثمانية وقيام الدولة البلشفية وزرع اسرائيل فى المنطقة . وعندما نجد البروتوكولات تتحدث عن « السيطرة اليهودية على الاعلام فى العالم كله » منذ ذلك الوقت البعيد ، نجد ذلك قد تحقق اليوم فعلا ..

وعندما نتحدث البروتوكولات عن مخطط تدمير الشباب بالفلسفات المادية وحين تقول « ان نجاح داروين وماركس ونييتشة قد رتبناه من قبل ، وان الأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم لدى غير اليهود سيكون واضحا ولكن ينبغي ان ندرس اثرها على اخلاق الأمم والجماعات » . لا ريب أن هذا كله يوحى بصدق نسبة البروتوكولات الى حكماء صهيون ويتمشى مع المؤامرة اليهودية العالمية التى يجرى حيكها . واذا قرأنا كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » للأمير الاى وليام غاي كار الذى دفع حياته ثمنا لكتابه وجدنا التاريخ الحقيقى للبروتوكولات مرحلة بعد مرحلة حسبما رسمته البروتوكولات وانذرت به ..

ولا ريب ان الآثار المبيقة التى أحدثها انكشاف نسبة هذه المخططات الى اليهودية العالمية وادانتها الصهيونية « والعراقيل التى أحدثتها هو الذى دفع اليهود الى اعلان التبرؤ منها ودعا اتصايرهم من الماركسيين والماسونيين الى مداومة خداع العالم عنها .. بل ان قراءة ( يوميات هرتزل ) توحى تماما بما فى المخططات من خطط واساليب . وتكشف عن ذلك الاسلوب المراوغ الذى تضمنته البروتوكولات ..

٢ - وامامنا الآن وثيقتان اخريان تعززان « البروتوكولات » وتسيران فى نفس الخطة والطريق . أما الأولى فهى نص الخطاب الذى القاه الحاخام « ريكون فى براغ فى اجتماع سرى ١٨٦٦ وفيه يقول :

« شكراً لتطور المدنية بين المسيحيين وتقدمها هذا التقدم هو الدرر الذى نختبئ وراءه لنعمل بثبات وبسرعة خاطفة من أجل إزالة الفجوة التى ما زالت تفصلنا عن غايتنا النهائية . إذا كان الذهب هو القوة الأولى ، فإن الصحافة هى القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى ، فعلينا بواسطة الذهب أن نستولى على الصحافة وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين الى تحطيم الحياة العائلية ، والأخلاق والدين والفضائل ، علينا أن نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية ، فيعم الفساد والكفر ونضعف الروابط المتينة التى تعتبر أهم مقومات الشعوب فتسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد » ولا ريب أن هذا الورد هو من ذلك المعين . نفس الروح ونفس الكلمات والوجهة . وفيها ما يؤكد نسبة البروتوكولات الى حكماء صهيون .

وهناك وثيقة أخرى حديثة جداً كشف عنها النقاب فى السنوات الأخيرة هى نص الخطاب السرى الذى ألغاه الحاخام « الأكبر » إيمانول رابينوفيتش فى مؤتمر حاخامى أوروبا فى بودابست : ( ١٢ كانون الثانى « يناير » ١٩٥٢ ) تحدث فيه عن منهج الحرب المقبلة التى تشنها الصهيونية العالمية لتحقيق خطوتها الأخيرة فى السيطرة على العالم ، ومما جاء فيه قوله :

« أن الهدف الذى نعمل له منذ ثلاثة آلاف سنة قد أصبح فى متناول يدا الآن ، لن تمر أعوام قليلة حتى يسترد شعبنا المكان الأول الذى هو حقه المعتبر منه منذ احتساب حيث يصبح كل يهودى سيداً وكل جوييم عبداً . »

« أن مناهج عام ١٩٣٠ هو إثارة الحقد فى ألمانيا ضد الغرب وضد السامية وإثارة الحقد فى الغرب ضد الشعب الألمانى بسبب العداء للسامية .

هذا هو المخطط الرئيسى لمناهجنا الحالية الذى نقوم بتنفيذه الآن فنحن نثير حملة حقد عنيفة فى الشرق ضد الغرب وفى الغرب ضد الشرق وسوف نتسلط على الأمم التى تقف على الحياد فنجبرها على الانضمام الى هذا المعسكر أو ذاك . »

« الهدف النهائى للخطة هو الحرب العالمية الثالثة التى ستفوق فى آثارها وضراوة دمارها الحروب السابقة مجتمعة ، وسنعمل على إبقاء إسرائيل حيادية فى هذه الحروب حتى تنجو من ويلاتها ولكى تصبح بعدها مقراً للجبان التحكيم والرقابة التى سوف يعهد إليها الإشراف على مجموع قضايا الشعوب الباقية بعد الحرب . »

« ستكون هذه الحرب الثالثة هى معركتنا الأخيرة فى صراعنا التاريخى ضد الجوييم وسنكشف عن هويتنا الحقيقية ونسفر بوجهنا للعالم . »

« قد نحتاج الى تكرار نفس العملية المؤلمة التى قمنا بها أيام هتلر أى أننا قد نكرر نحن أنفسنا وقوع بعض حوادث الاضطهاد ضد مجموعات أو أفراد من اليهود أو بتعبير آخر سوف نضحي ببعض اليهود فى أحداث سنثيرها ونوجهها نحن من وراء ستار حتى نحصل بذلك على الحجج الكافية

لاستدرار عطف ومؤازرة شعوب أوروبا وأمريكا من ناحية ، ولتبرير المحاكمات التي سنجرىها بعد الحرب من ناحية أخرى لاعداء العسكريين المحاربين كما فعلنا في محاكمات نورمبرج من التضحية ببضعة آلاف من افراد طائفتنا للصان التهمة بمن نكسك من زعماء الجوييم . نحن لا نقيم وزنا لآى تضحية في سبيل هدفنا النهائى : **السيطرة على العالم** . ١ . هـ .

وبعد فهل بقى شك فى ان هذا الكلام الخطير هو سلسلة من تلك المؤامرة وان كل التصريحات تعطى نفس صورة الأصل العصرى . والبروتوكولات تعطى صورة الأصل القديم ( التلمودية اليهودية ) فى مخططها الماكر لتدمير البشرية قبل السيطرة عليها .

وقد اشار هرتزل فى حديث الى البروتوكولات حين قال :

« هناك بيانات واضحة عن بعض الوثائق الخطيرة سرقت من قدس الأنداس ويخشى من نشرها قبل الأوان .. بل ان هناك من اشترك فى هذه الخطة وقد اعترف بها وهو هنرى كليه المحامى ( شيكاغو - ١٩٤٥ ) يقول : البروتوكولات وهى الخطة التى وضعت للسيطرة على العالم ، هى أمر حقيقى ثابت وان زعماء الصهيونية يكونون مجلس سائتهدين الأعلى الذى يرمى الى السيطرة على حكومات العالم ، وقد طردنى اليهود لاني أنكرت عليهم خططهم الشريرة » .

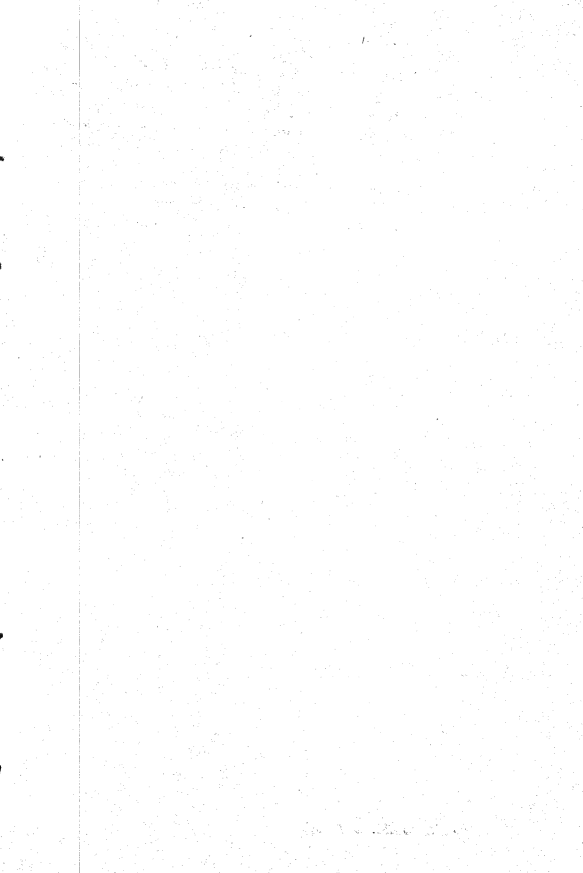
وبعد : فان روح البروتوكولات توحى بتقسيم العالم الى معسكرين بحيث لا يلتقيان أبدا وقد حدث هذا بعد ظهور البروتوكولات بسنوات معنودة ولا ريب ان أكبر نصر حققته الصهيونية التلمودية هو قيام الشيوعية الماركسية بما تحويه من مفاهيم غاية فى الخطورة على حياة البشرية واستشرائها فى العالم ، تلك المحاولة التى تهدف أساسا الى تدمير كل القيم : الدين والأخلاق والأسرة واستعلاء الفلسفة المادية التى هى مصدر جميع الفلسفات والأيدىولوجيات ، والدعوات الهدامة التى تسيطر على المجتمع البشرى والتى تزحف لتكون سحابة سوداء فى أفق الفكر الإسلامى الربانى القائم على التوحيد .

● ولذلك فان الفكر الإسلامى فى حاجة كبيرة الى فهم ابعاد المخططات التلمودية اليهودية المتمثلة فى الصهيونية وعلاقتها بالماركسية ، ثم علاقة اليهودية التلمودية بالعلوم الاجتماعية وعلم النفس الفرويدى ، والوجودية وما وراء ذلك مما يسمونه ( الثورة العالمية ) كذلك فلنكن على حذر شديد من تلك المحاولة الماكرة للفصل بين اليهودية والصهيونية .. ذلك لان اليهودية انما تقوم على مفاهيم التوراة الوضعية الموجودة الآن بين أيدي الناس .. وهى ليست التوراة المنزلة وانما هى بالقطع وبإجماع الباحثين الغربيين هى التوراة التى كتبها عزرا « ويطلق العرب عليه اسم عزيز » فى المنفى البابلى ، وهى التى تحمل تزيف وعد الله تبارك وتعالى الى ابراهيم عليه السلام وتجعله قاصرا على ابنه اسحق دون اسماعيل ابنه الأكبر لتقطع صلة العرب والمسلمين بسمراث ابيهم ابراهيم .

وأما التفرقة الحقيقية هي بين الموسوية وبين اليهودية ، فالموسوية هي دين الله الحق الذي أنزل على سيدنا موسى عليه السلام وهي شيء آخر غير اليهودية المعروفة الآن ، والتي تجعل لها الها خاصا ليس للعالمين جميعا ولا تؤمن بالبعث والجزاء ، وتفرض نفسها شعبا مختارا عاليا على الأميين أو الإغيار أو ما يسمونه الجوييم . .

ومن الحق أن معرفة أبعاد هذه القضية : قضية البروتوكولات لها أهمية كبرى في فهم الموقف العالمي الآن الذي يرتبط به وجودنا العربي والإسلامي وتتضح فيه مؤامرات الاستعمار ، والصهيونية ، والشيوعية . .

\*\*\*



منذ أربعين سنة كشف التغريب خططه

يقول المستشرق هاملتون جب في كتابه ( وجهة الاسلام ) ما يلي بالحرف :

« تغريب الشرق إنما يقصد به قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع في كل ناحية من النواحي ، وأنا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضي والحاضر ، حتى إذا أمكن صبغ ماضى الشرق بلون قائم مظلم يرغب عنه أهله فقت بذلك أعظم جانب من حيويتها وبقيت عالة على الغرب تتطلع اليه تطلع اعجاب وتقديس وعبادة وترى في خضوعها له شرفا كبيرا » .

هذا هو الهدف من حركة التغريب التى يسمى النفوذ الأجنبى الى فرضها بالقوة على عالم الاسلام ، والتى تعمل حركة الاستشراق دائية على مراقبتها وتوجيهها وتعمل حركة التبشير المنبئة الآن وراء التعليم والثقافة والصحافة بكل قوتها في سبيل تنفيذها فإذا أردنا أن نعرف الى أى حد مضى العمل ، قال مستر جب :

« وقد بذلت الجهود ولا تزال تبذل في هذه النواحي جميعا مهمة لا تعرف اليأس ولا تعرف اللال ، وأحسب أن كتاب الغرب كانوا قد نجحوا الى حد كبير في تصوير تاريخ أمم الشرق في لون قائم جعل أبناء الشرق أنفسهم يحسون أن بينهم وبين أيام مجدهم الوفا من السنين تقضت وكتاتوا أثناءها خاضعين للألوان من الذلة لا يستطيعون اليوم أن يشعروا معها بمعنى الحرية .

وهكذا يتجلى في وضوح « العمل » الذى قام به التبشير والاستشراق في سبيل تبغيض أهل الاسلام في تاريخهم ودينهم وفكرهم وعقائدهم وهى محاولة دائية ضخمة نجدها في مختلف الكتابات المقروءة والموضوعة في أيدي شباننا في الجامعات أو المعاهد أو الصحف أو الكتب أو السينما أو المسرح أو الإذاعة .

عمل دائب خطير يريد اخراج المسلمين من عقيدتهم ودينهم وتاريخهم وقيمهم ، ومحاولات للتشكيك في كل أساس ثابت . ثم يجيء هذا الاعتراف الخطير بأن العمل الاساسى في سبيل تغريب الشرق هو تزييف تاريخ الاسلام ، ومن بعده تزييف العقيدة الاسلامية ، وذلك حتى يحل المسلمون على الامتناد بأن دينهم سبب تاخرهم ، وأن طريق القوة والنهضة هو في التغلب

عنه وهكذا يجعل الاستشراق والتبشير ( المتخفى اليوم وراء التعليم والثقافة )  
اهم اهدافه قطع الصلة بين الماضي والحاضر .

ويركز مستر جب على هذه المدارس والارساليات المنشورة في انحاء  
العالم الاسلامي ، وعلى اولئك المبشرين المتخفين تحت طيلسانات الاساتذة «  
العلماء في الجامعات والمعاهد . يقول : انه منذ منتصف القرن التاسع  
عشر انتشرت شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الاسلامية لاسيما  
في تركيا وسوريا ومصر ، وذلك يرجع غالبا الى جهود جمعيات تبشيرية  
مسيحية مختلفة وربما كان اكثرها عددا : المدارس الفرنسية . وقد كانت  
المدارس الانجيلية في الامبراطورية العثمانية اقل منها في الهند وكانت المدارس  
الهولندية قاصرة على جزر الهند الشرقية ، فماذا فعلت هذه المدارس .

وبجيب : هذه المدارس صاغت اخلاق التلاميذ وكونت افواقهم . والاهم  
انها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال  
المباشر بالفكر الأوروبي ، فصاروا في مستقبل حياتهم قائلين بالتأثر بالمؤثرات  
التي فعلت فعلتها في أيام الطفولة .

وفي اثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة الى  
ابعد من ذلك بانماء التعليم العلماني تحت الاشراف الانجليزي في مصر والهند ،  
ولعل هناك نصيبا من مفسدة لقومية التلاميذ ، وان الحق في التهم التي  
ترمى بها هذه المدارس الأجنبية من انها كذا ، نستطيع القول بأن التطورات  
السياسية التي اعقبت ذلك في البلاد الاسلامية ايدت هذه التهمة ، ولكن  
الذي فعلته بلا ريب انها ربت في التلاميذ خروجاً على الأنظمة الاجتماعية  
والسياسية الى حد ما في اوطانهم الأصلية ، وأضعف من هذه الوجوه سلطان  
النزعة الاسلامية القديمة على التلاميذ واخلت في بناء المجتمع الاسلامي . .  
اداة هامة وقطعت بعض الاواصر التي كانت تربطه وتحفظه » .

وهكذا كشف التغريب خطته وادواته منذ أربعين سنة ، فهل اعتبرنا  
وتدبرنا واخذنا حذرنا ؟

ولقد تحققت نتائج التعليم عن طريق الكتاب والمقال والمنهج الدراسي  
بواسطة كتابات المبشرين الأولى وكانت كتابات قاطعة في الخصومة تحمل  
طابع الحقد الواضح والتشكيك الصريح والخصومة الجائحة والعاطفة المندفعة  
ضد الاسلام . .

وهذه مرحلة انطوت دون ان تحقق شيئا مما دفع دهاقنة التبشير  
واساتذة الاستعمار الى تغيير اسلوب العمل لمواجهة ردود الفعل المعارضة  
وتحول هذا الاسلوب من بعد تحولا خطيرا ودخل مرحلة غالية في المرونة  
والغواية والخداع . فقد اختلفت اساليب العنف والحماسة واختفى المبشرون  
تحت أسماء والقباب تجعلهم في صفوف المستشرقين أو اصنفاء العرب والمسلمين  
وانسمت مؤلفاتهم ودراساتهم الجديدة بطابع اكثر مرونة « وربما بدأ أحدهم  
كتابه على نحو من التقدير والاعجاب بالاسلام ، وتريد عبارات الثناء على  
القرآن والرسول ، وربما طوى فصولا من كتابه دون أن يكشف عن الشبهات



التي يريد أن يفسها . والأكاذيب التي ينثرها في دقة في محاولة لكسب ثقة المسلم وخداعه ، فإذا فاز بهذه الفقة أخذ ينثر الصفحات المتعددة ويدس الشبهات في دقة وخفة ، مصوغة في أسلوب الاحتمال والانهام وربما نفاها بعد ذلك وأعاد اثارتها مرة أخرى ، بهدف واضح هو أن لا يدع قارئه حتى يكون قد زلزل يقينه وملا صدره مزيجا من التحفظ والشك والخلط وهز قواعد الإيمان في قلبه .

ولعل النجاح الذي حققته هذه الخطط أنها يرجع الى جراءة هؤلاء المبشرين وبراعتهم على سبك كتاباتهم المليئة بالشبهات في قالب علمي يحاول أن يعطيها صورة البحث المجرد البعيد عن الأهواء ، وهي جراءة وبراعة ما نزال نفتقدها في كتابنا المسلمين والعرب الذين ما زالوا يندفعون وفق أساليب عاطفية ووجدانية صاخبة ، وأبرع ما في أسلوبهم القدرة على اخفاء الهدف وراء البرود العاطفي والتخطيط والتحليل ثم غرس الأكاذيب والشبهات برفق وتوزيعها بدقة واثارتها على نحو يحتمل الخطأ والصواب دون القطع بها .

وقد تبين بوضوح أن كل الآراء التي أراد التغريب تداولها ونشرها حمل لواءها المبشرون ثم المستشرقون ، ثم كتاب يكتبون بالعربية ، وذلك بهدف :

أولا : القضاء على الوحدة الإسلامية سياسيا بإيجاد الخلافات الضخمة بين الدول الإسلامية ، وفكريا بإثارة الخلافات ، وابتعاد النحل والفرق القديمة ، وإعادة طرح مفاهيمها ، كالدعوة الى الفرعونية والفينيقية ، ودعوات الشعوبية والاعتزال والفكر الفلسفي ، وفكر التصوف الفلسفي ، كوحدة الوجود والطول والاتحاد .

ثانيا : إقامة دعوات وأحزاب وهيئات تحمل طابع الاقليمية في مجال السياسة والعلمانية في مجال الفكر ، وذلك كله من أجل القضاء على وحدة الأسرة والمجتمع ومفاهيم أخلاقيات الشباب والمرأة ، وبالجملة للقضاء على الأصالة الفكرية والاجتماعية المستمدة من منابع القرآنية الإسلامية .

\*\*\*



## الشيوعية وليدة الصهيونية

صدق الأستاذ محيي الدين القاسبي حين كشف في مقدمة كتابه ( عن التضامن الإسلامي ) خبيثة مشاعر الأمم أزاء المسلمين والعرب بعد أحداث الخامس من يونيو ١٩٦٧ التي أطلعت من كل غائلا عن الحقيقة التي لا سبيل إلى تجاوزها مهما كانت اختلافات الرأي والفكر ، ومهما حفر التفریب بالغزو الثقافي من حفر وأقام من سدود وفك من عقد ليحول بين ذلك اللقاء النفسى والعقلى والروحى القائم بين المسلمين في اتحاء الأرض والعميق الجذور الممتد في التاريخ خمسة عشر قرنا والممتد على وجه البسيطة من أقصى الأرض إلى أقصاها من المحيط إلى المحيط .

يقول : من حقائق الأسباب التي أدت إلى نتائج أحداث يونيو ١٩٦٧ أن حسابات بعض الدول العربية حول رصيدها من الصداقة الدولية كانت خاطئة بشكل غريب فالذين كانوا محسوبين من الأصقاء وقبوا مع العدو واكتفوا بالسلبية والذين لم تحسب تلك الدول حسابهم كأصقاء كانوا هم وحدهم الأصقاء وكانوا أولئك الذين تربطهم بالعرب صلات العتيقة الواحدة والدين الواحد على تباعد الامكن واختلاف اللغة والعرق والقومية .

ويرجع ذلك في أصبح الصحيح إلى « رابطة الاسلام » التي أوجدت ذلك التعاطف التلقائى الذى يسمو عن الأساليب السياسية التقليدية وهو شعور أثبتت أحداث التاريخ البعيدة والقريبة أنه احد المحركات الأساسية للعلاقات الدولية وأنه هو التفسير الطبيعى لكثير من الأحداث التاريخية .

لقد كانت الوحدة الإسلامية هي ولا تزال العمل الأساسى الأكبر والجامع لهذه الأمة مهما تعددت الدعوات الوافدة إلى حملها إلى الإقليمية والقومية وإلى الفردية أو الجماعية ، وإلى هذا الطريق أو ذاك من الطرق التي فتحت أبوابها أمام الأمة الإسلامية منذ سقطت الخلافة وبند وقعت هذه الأمة في براثن الاستعمار والصهيونية والماركسية والغزو الثقافى الذى استهدف تمزيقها والحيولة دون وحدتها . ولقد كانت الأمة الإسلامية تتلانى كلما سنحت لها الفرصة — بعد سقوط الخلافة الإسلامية — في خلال الخمسين عاما الماضية ثم تضرب كلما حدث اللقاء ، هذه اللقاءات التي أخذت أسلوب المؤثر الإسلامى تارة ، والوحدة الإسلامية تارة ، والفكرة الإسلامية تارة أخرى حتى إذا أነع الغرس وبدأ يؤتى أكله ضرب ، وكانت دائما عملية « الإجهاض » ميسرة للقوى التي لا تريد للامة الإسلامية أن تلتقى .

ولكن الموقف تغير بعد ، فقد امتلك العرب أصحاب الفكرة الإسلامية الطائفة والثروة والتفوق البشرى ، واستعلنت فيهم صيحة التضامن من مكة المكرمة ، وثبتت اقدام الدعوة هذه المرة بيننا هزمت مخططات التبعية والتفرقة والاطليم .

وتأكد أن الوجود العربى هو وجود اسلامى الصيغة والعقيدة والعقل والقلب ، وأنه لا سبيل لان يكون صادقا وسليما وفعالا الا اذا تحركت داخل دائرة الاسلام وفى اطار القرآن .

وهذه هى الأصالة التى حققتها حرب رمضان فى مواجهة التقليد والتبعية والتفريب والمفاهيم الزائفة التى اندحرت ، أسلوبا عجز عن أن يحقق شيئا ايجابيا ، وإن استطاع أن يحقق الهزيمة والنكسة والنكبة جميعا ، انهزمت دعوة التبعية وانتصرت دعوة الأصالة :

( وكان حقا على أهلها أن يعضوا عليها بالنواجذ ) .

وهذا ما نراه اليوم ممثلا فى الأصالة فى البحث عن منهج اقتصادى اسلامى . فى الأصالة فى تطبيق الشريعة الإسلامية وجعلها مصدرا للقوانين ، الأصالة فى بناء منهج تربوى تعليمى أصيل مستمد من روح هذه الأمة ، وعقيدتها .

ويقول الأستاذ ( محيى الدين القاسى ) نحن نخوض صراعا تاريخيا بكل ما فى الكلمة من معنى ، تألبت فيه قوى شريرة فى بقاع عديدة من العالم على الاسلام والمسلمين وتمثلت بؤرة هذا الصراع فى التآمر « الصهيونى — الشيوعى » الاستعمارى المكشوف على فلسطين وأقول : ولقد تكشف لنا فيما تكشف فى السنوات الأخيرة من حقائق تمحو زيف تلك المسلمات الباطلة التى ظللنا نعيش فى اسرها مخدوعين .

واهبها تلك الحقيقة التى قالها الشهيد فيصل ( شهيد الاسلام وفلسطين والوحدة الإسلامية ) .

( ان الشيوعية وليدة الصهيونية ) وتلك — كلمة حق — خفيت على الكثيرين فى تلك اللحظات التى أعلنها فيها هذا الزعيم الكبير ، ولقد كان لإعلانها أثر عميق ، وسيؤرخ بها يوما لمرحلة جديدة فى تاريخ الأمة الإسلامية .

**احتواء اليهودية العالمية للتبشير المسيحى :**

وهذه ظاهرة جديدة جدية بالانتباه : هى مقدرة اليهودية العالمية على

احتواء التبشير المسيحي الذي تقوم به الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية  
وقدر صدر أخيرا كتاب ضخم في حوالى ستمائة صفحة عن تاريخ الرساليات  
التبشيرية ودورها في العالم الاسلامي لمؤلفة ( ستيفن بيل ) والكتاب يحتوى  
على حقائق خطيرة واعتراقات جريئة عن الدور الذي تقوم به الرساليات  
التبشيرية في افريقيا وخاصة أن مؤلفه نفسه قد مارس التبشير .

وقد كشف الكتاب الحقائق الآتية :

أولا : تدخل المبشرين في الحركات السياسية الانفصالية في جنوب  
السودان ودعمها بالمال والسلاح وتحريض أبناء الجنوب الوثنيين على  
انثورة وتقتيل أبناء الشمال ..

ثانيا : خطر العمامة البيضاء في افريقيا حتى وصفت بأنها أخطر من  
القنبلة الذرية .

ثالثا : اشار الى اخطار التبشير في اندونيسيا وباكستان وتوقفه في  
ايران ومصر .

رابعا : اشار الى مدى استفادة المبشرين من المعلومات المتوافرة التي  
جمعها عدد كبير من المستشرقين عن العالم الاسلامي .

خامسا : اشار الى الخطة الجديدة المطروحة والتي ترمى الى اقامة  
حوار مع المسلمين . وهى خطة كان قد بداها بعض المستشرقين والمبشرين  
أمثال الدكتور لويس جارديه والف فيها كتابا خاصا .

وتكاد تكشف مخططات الاستشراق والتبشير اليوم عن خلفية صهيونية  
و فكرة تلمودية واضحة تدير هذه المخططات وتوجهها بما يوصف بأنه عملية  
تطويق من اليهودية للمسيحية الغربية وتحريف لمفاهيمها وتحطيم  
لاتجاهاتها .

ويجرى هذا مع مخططات « البروتوكولات » .

وقد ظهر ذلك في موقف الكنيسة في أوروبا وأمريكا وتأييدها لإسرائيل .  
واشار الى ذلك بعض الكتاب الغربيين حين قال : ان الكنيسة الغربية يهددها  
شبح الاتهام الصهيوني المستمر بأنها اضطهدت اليهود لعدة قرون في أوروبا ،  
وان هذه الحقيقة تاريخية نجحت الصهيونية في أن تشكل منها عقدة ذنب لدى  
رجال الكنيسة الغربية .

هذا فضلا عن الجهد الصهيوني المتلاحق ، وكذلك الضغط المستمر على

رجال الكنيسة الغربية للاعتراف بالتفاسير الدينية الكاذبة التي ترمى الى القول بأن اليهود حقا في الأرض الموعودة .

### اعادة النظر في العهد القديم ( التوراة ) :

وتجددت الدعوة الى النظر في نصوص العهد القديم التي لا تتفق مع الحقائق العلمية والتاريخية ، وقد اكتشفت بعثة للآثار في منطقة مناجم الملك سليمان في صحراء النقب منذ سنوات ان المصريين عاشوا في هذه المنطقة منذ ٣٢٧١ عاما عاما وبناء على هذا صرح البروفيسور بينو روتنبرج كبير علماء الآثار أن هذا الكشف يعارض ويكذب ما جاء في العهد القديم مما يدعو الى اعادة النظر فيه .

ومن ناحية أخرى أعلن أن الحكومة الاردنية تسلمت مخطوطات أثرية فكر انها تتفق مع ما ورد في التوراة حول تاريخ منطقة غور الأردن في القرن السابع قبل الميلاد . ويؤكد بذلك تزييف اليهود للتوراة الأصلية . وكانت بعثة هولندية قد عثرت على هذه المخطوطات في أبريل ١٩٦٧ ، وقامت بإجراء الدراسات والبحوث عليها في هولندا طيلة السنوات الخمس الماضية وقد قام رئيس المنظمة الهولندية للأبحاث في لاهاي بتسليم المخطوطات الى وزير السياحة والآثار الأردني الذي صرح بقوله :

ان المكتشفات تقوم ولأول مرة بتصحيح أخطاء التاريخ التي كانت ناتية على لسان الصهيونية — ١٠ هـ .

وتقول الصهيونية التلمودية قبل أن تعلن دعوتها في مؤتمر بال وقبل أن يكتب هرتزل كتابه عام ١٨٩٧ : كانت هناك محاولة ضخمة لاحتواء التاريخ العالمي والاسلامي ودوائر المعارف والجامعات ومعاهد البحث كلها لتطعيمها بالفكرة اليهودية التلمودية الصهيونية التي تقوم على أساس — قصر الوعد الالهي لابراهيم عليه السلام — على اسحق ومن ثم على اسرائيل وحدها ..

وانه من اجل ذلك جرت محاولات كثيرة للتزييف منها :

اولا — اعلان خطة ( السامية ) العنصر السامي واللغة السامية وهي خطة زائفة حاولت أن تنسب تاريخ العرب الذي انشأه ابراهيم واسماعيل الى جد سابق لم يعرف عن طريق القرآن وانما عرف عن طريق التوراة المكتوبة بيد احبار اليهود .

ثانيا : محاولة اجراء خفريات أثرية هنا وهناك لتأمين هذه الدعوى ومع الأسف فان هذه الخفريات اكدت وجود اسماعيل وابنائاه الاثنى عشر وقبائلهم المنبئة في المنطقة بين الشام ومصر وسيناء .

ثالثا — خلق جو علمي زائف لتقديم معلومات غير صحيحة عن دور

مزعوم لليهود في الجزيرة العربية قبل الاسلام ودعوى باطله بالقرابة بين العرب واليهود .

رابعا — طبع الانجيل مقدما بالتوراة تحت اسم — الكتاب المقدس — ونشره في العالم كله وترجمته الى أكثر من سبعين لغة وذلك لاحتواء المسيحية في الاعتراف بما زعموه من وعد قاصر على اسرائيل ، مما يدرس الآن في الجامعات والمدارس في أوروبا والولايات المتحدة ويؤمن به البروتستانت في كل انحاء العالم ويدافعون عنه مع تضارب العهد القديم والعهد الجديد واختلافهما وتناقضهما .

ولكن كل هذه الدعاى المسمومة أخذت تنكشف وهذه الأتعة الكاذبة أخذت تسقط واحدة بعد أخرى ومنها هذه الاخبار التي أوردهاها وأخبار كثيرة كشف عنها رجال الحفريات والآثار .

\*\*\*





## مؤامرة الصهيونية والشيوعية على العالم

المرحوم الدكتور محمد صالح كان من أوائل من كشفوا زيف الشيوعية وحسادها فقد ترجم عام ١٩٢٨ في مجلة التنوير الإسلامية عن مجلة فرنسا القديمة مقالا خطيرا تحت عنوان : الشيوعية تسييس صهيونية لخراب العالم جاء فيه : ان مديري نفة اعمال الامة اليهودية هم الذين أثاروا الحرب العالمية الكبرى وديروها بالدماسيس بغية جمع الملبارات وتقسيم الممالك ثم محق مآليتها وقتل النبوغ في غيرهم وتعبيد السبيل امام الشعب المخار كما يصف اليهود انفسهم للاستيلاء على العالم وتسخير خيرات الشعوب لصالحهم العدوانية .

وهؤلاء الزعماء اليهود هم الذين ديروا للبشفية بالدماسيس ومهدوا لها ببذل المال واثاروها انتقاما من الشعب الروسي واستكمالا لأعمال الحرب الجهنمية وإغناء للعناصر البشرية وتحطيم المبادئ الاقتصادية التي لم تقو سنوات التقتيل والتخريب على تقويض أركانها . ودول أوروبا مطلعة على ذلك كله منذ عهد بعيد ولديها تقرير وشهادات جواسيسها على أن البلشفيك وجهوا وكلاءهم وبثوا عيونهم بدورهم على سائر الوزارات الأوروبية والأمريكية وكانت الكنوز التي سلبها لينين وأتباعه من قصور القيصر وسيلة للتأثير في سائر الحكومات في فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة . .

وكان الناس قد سمعوا للمرة الأولى بخبر نشوب ثورة في روسيا ١٩١٦ واكتشفوا أن المشتركين فيها أو بالحرى زعماءها هم :

يعقوب شيف ، كوهين ، لويب ، ماكى رونورج ، واثر كوهن موريتون ، شيف ، جيروم ، هاهوير ، جوجنيهم ، ماكس برتنبغ وغيرهم من اليهود . .

وقد أعلن يعقوب شيف في ذلك العام جهارا أن الثورة الروسية نجحت بفضل مساعدته التي قدمها لتروتسكى وعندما استقر البلشفيك في روسيا في منتصف ١٩١٧ كان الحكم في يد اليهود :

أولياتوف الملقب بليتين بروتستين ، تروتسكى ، نبشامكى . ويرى الكثيرون أن أوروبا سواء اعتبرناها وحدة تامة أو ممالك متعددة قد خسرت في الحرب أكبر من اتباعها فإن الحلفاء المنتصرين خرجوا من الحرب مثقلين

بالديون ولم يكونوا بأحسن حالا من المهزمين الا قليلا ولكن الحرب جلبت للصهيونية ثروة لم تحلم بها وحقت هدفها المباشر تحقيقا تاما ..

كان مقر الصهيونية عند نشوب الحرب هو برلين : جمعيات اليانيس الاسرائيلية العامة قد وعدت المانيا الجمعية بالسيطرة على فلسطين حال اكمال خط ( برلين — بغداد ) .

وفي عام ١٩١٥ حول الصهيونيون عطفهم سرا من الدول المركزية الى الحلفاء ونقلوا مقرهم من برلين الى لندن فأخذت دوائر اوربا وامريكا السياسية منذ ذلك الوقت تشعر بنفوذهم ..

وقد ربحت الصهيونية بالاستيلاء على قصور القياصرة ربحا هائلا فقد باعوا جواهر التاج ومقتنياته وأنزلوا ملايين من روبلات الورق الى السوق وتصرفوا بالكوز الفنية في المتاحف والكنائس والبيوت الخاصة ..

ان سقوط القيصرية في روسيا كان لا شك من أعظم الحوادث في تاريخ العالم ، قد دخلت روسيا في دور ثورة كأنها جاءت بكل نعم الحق والحرية ثم ظهر من بعد ذلك ان كل النعم هي للصهيونية .

وقد خطب البارون روتشلد في النادي الانجليزي الفلسطيني في لندن قال : ان بقاء الحضارة رهن بحظ اليهود فاذا عشنا عاشت الحضارة ولا يمكن لقوة ان تبيدنا الا اذا هلكت الحضارة قبلنا ..

وقال سيبمان في كتابه ( اليهود المعاصرون ) : لقد حاول اليهود ان يهدموا حضارتنا ففضية دريفوس علمتنا كثيرا فان داب اليهود ان ينفذوا رجالهم مهما كلفهم الانقاذ من مال وجهد فقد دفع روتشلد أكثر من مليوني جنيه في قضية دريفوس ودفع أرباب هذا البيت عشرة ملايين روبل ذهبيا لانتقاذ يوحروف اليهودي الروسي الذي اتهم في اوربا بأنه نبخ صبيبا ليلة العيد ليخلط دمه بفطر الفصح ..

وقال متييسكى في تاريخ الوطن القومى :

طلبوا الوطن في أرض كنعان فأهلكوا الحرث والنسل وأبادوا الشعب تقريبا ثم نزحوا الى اورشليم فهدموا وأغاروا على قبرص ونهبوا في يوم وليلة مائتى الف نفس حتى صبغوا مياه البحر الأبيض بالدماء ومع ذلك لم يظفروا بالوطن القومى ..

وقال بوكهارت ان الأدب العالمى قد يكون مدينا لبعض كتاب اليهود ولكن شرهم أكثر من نفعهم واثمهم اكبر من خيرهم فان :

هينه : افسد اخلاق باريس

ونوردوا : حلل المبادئ والنظم التي تدعم المدنية وأظهر كسادها وتعنتها .

واوزغال : انذرنا بقرب زوال الحضارة .

ومرويد : خلق الاباحية الحديثة على نمط الوثنية الاغريقية ومجد الغريزة بحيث اطلق عنان الشهوات البشرية ورخص للرجال والمرأة ان يفعلوا بجسديهما ما شاء لهما الشبق الكامن في حنايا ضلوعهما فدمر الاخلاق والمجتمعات .

وقد عجزت الشيوعية ان تخدع المسلمين بصورتها الصريحة فانها تلجأ الى أسلوب المراوغة وتحاول ان تدعى انها لا تعارض الأديان ومنذ سنوات قريبة نشر الأستاذ حسن البنا توجيهها حذر فيه من خطر المراوغة وجعله تحت عنوان مثير هو : ( احترسوا من الناس بسوء الظن ) .

قال : منى هذا الدين منذ قام بفريق من الأعداء يكيدون له ويقفون أمام دعوته ما استطاعوا حتى اذا اوهى قرنههم الوعل وانسوا من أنفسهم الضعف عن مقاومة نفوذه الذى لا يقهر وسلطانه الذى لا يغالب . خلعوا ثوب العداء الظاهري ولبسوا لأهل هذا الدين جلود الضأن واستقروا بالتوبة والندم وغسلوا الذنوب الماضية بدموع التماسيح وانسوا بين المسلمين ينالون منهم وهم في صفوفهم ما لم يكونوا يقدرون على نواله وهم يواجهونهم بالعداء ..

وهذا ( الهرمزان ) قائد فارس صمد للجيوش الاسلامية في بدء الفتح مدة طويلة حتى أسر وجيء به الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فاستأمن واسلم وقبل منه سيدنا عمر هذا الاسلام في قصة تاريخية مشهورة ..

وقال المؤرخون ان الهرمزان هو الركن الهام في تدبير المؤامرة التي انتهت بمقتل أمير المؤمنين عمر وجرمان المسلمين من عهده الزاهر ، يؤيد قوتهم ان عبيد الله بن عمر قتل الهرمزان بعد ذلك ثقة منه بأن في عنقه دم أبيه ..

تلك حادثة معلومة نذكرها اليوم طلبا لمبرة تاريخية نحن أحوج الناس الى تذكرها في كل وقت من الأوقات ومع كل عمل من الأعمال التي يراد بها انهاض المسلمين وخدمة الاسلام فقد منى هذا الدين منذ قام بالكيد له ..

وفي العالم الاسلامي هرمانيون وسبنيون كثير جاهرُوا بحرب الاسلام امدا طويلا وسلكوا الى ذلك كل الوسائل وكنتهم استشعروا الخيبة والفشل امام هذا البصيص من اليقظة الاسلامية وطاش سهمهم فلم يفوزوا من الأمة بغير البراءة منهم فابقنوا ان خطة المناوأة عاثبتها الحرمان والسقوط .

وها نحن اولاء نرى الآن خطة تتغير ورجالا يعلنون توبتهم ويبرعون مما اجترحوا محتذرين بالشباب تارة وبالجهل تارة أخرى ويحاولون خدمة

الشباب المسلم بمثل هذه الخدع لينضموا إلى صفوف القيادة فيصلوا تحت ستار التوبة إلى ما لم يصلوا إليه بأساليب العداء والتشهير ..

وليس احد منهم بمنصور في دعوته ولن يرزقهم الله بجحا وان استعانوا بحيل الثعالب فان في يقظة المسلمين ما يحول بينهم وبين ما يريدونه وشوكة الاسلام احد واقتوى مما يظنون ونحن لا نريد ان نرد على نائب توبته ولكها تبصرة وذكرى وحتى لا نؤخذ على غرة وتنطلي علينا حيل هؤلاء فاذا تكشف الامر ندمننا حيث لا ينفذ الندم فان أكثر ما نسر له ان يرجع الناس كلهم إلى هدى الاسلام ويدافعون عنه صفوفنا كالبنيان المرصوص ولكننا لا نريد ان نكون اغرارا يستخفنا السراب ونغر بالظواهر فليتنبه العاملون لدين الله وليحترسوا مما يحتمل أن يكون من وراء ذلك من مكائد هي أخفى من دبيب النمل ، وليذكروا قول الله تعالى تحذيرا من قوم كانوا يسرون غير الذين يعلنون « واذا رأيتم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم » والله المستعان وببودة التوفيق .

هذا الذي قاله الإمام حسن البنا عام ١٩٣١ يتكرر اليوم بصور مختلفة ويمكن أن يطلق عليه محاولة ضرب الاسلام من الداخل .. فهناك أناس يعلنون خروجهم من الماركسية أو الاتحاد ليكسبوا في صفوف المسلمين مراكز ومواقع وهناك جاروردي وعبارته المشهورة في كتابه ماركسية القرن العشرين حين قال : ( ان على الماركسيين ان يدخلوا في الاسلام ويضربوه من الداخل ) ..

وهناك محاولات اليهود العالمية التقليدية الدائمة باعلان الاسلام والدخول فيه ، وهناك تلك الصورة التي تواجهنا اليوم حين نرى مجموعة من أعداء الاسلام تحت أسماء مختلفة يتحدثون عن الشريعة الاسلامية ويطلبون تطويرها والعمل على تدميرها تحت اسم روح العصر .

### آخر العالود :

جاء في اعلان رسمي صدر عن الحكومة السوفيتية يؤكد أن هناك واحدا من كل خمسة من الشباب السوفيتي يؤمن بشكل أو بآخر بدين من الأديان وهذا يعني ان حوالي ٣٣ مليوناً من الشباب هناك ممن تزيد أعمارهم عن ١٨ عاما يعتبرون من المؤمنين بالأديان فاذا أضفنا إلى ذلك أن ١٠ في المائة من الشباب يمكن وصفهم بالمتبردين بين اعتناق عقيدة دينية أولا فس نجد أن العدد الإجمالي للذين تأثروا بالأديان يبلغ ٥٠ مليون سوفيتي . نشرت هذا جريدة الديلي تلجراف البريطانية في ٣٠ نوفمبر ١٩٧٦ محررها دافيد غلويد .

\*\*\*

## عبد الحميد وجمال الدين في تقويم جديد

تردنت في الصحف العربية والإسلامية دراسات وأبحاث كثيرة في هذه الفترة بمناسبة مرور مائة عام على الدور الذي قام به جمال الدين الأفغانى في حركة اليقظة الإسلامية خلال الفترة التي ظهر فيها في مصر وتحرك الى الغرب والشرق ( ١٨٧١ الى وفاته ١٨٩٧ ) .

والحق ان اسم جمال الدين الأفغانى قد فتن الكثيرين وكتب عنه الكثير وأعجب به الكثيرون وأوقدت مصابيح كثيرة لقضى لشهرته الطريق ، ولا ريب ان جمال الدين هو واحد من العاملين في حركة اليقظة التي حمل لواءها الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية قبل ذلك بسنوات طويلة وقد قام بدور كبير بين مسلمى الهند وإيران ومصر وكانت له كلمات منشورة وتقصص مثارة وانه حمل لواء الدعوة الى التوحيد وتطبيق الشريعة الإسلامية .

ولكننا حين ندرسه يجب الا نفرسه عن السياق العام للحركة الإسلامية وان لا ننظر اليه وكأنه هو وحده الذي دعا الى الجامعة الإسلامية ، كما لا يجوز أن نقبل كل ما قال عنه الفريق المناهض له . ولكن علينا وقد بعد الزمن بيننا وبينه اليوم أكثر من مائة عام أن لا نعطيه ما لا حق له فيه ولا نهضم حقه في الدور الذي قام به . وقد ظهر جمال الدين الأفغانى في الوقت الذي اشتد فيه كرب الاستعمار والاحتلال الأجنبي لبلاد المسلمين . وانه قبل أن تتعالى صيحاته كان السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين في الدولة العثمانية التي كانت تجمع بين العرب والترك تحت لواء الاسلام قد أعد خطة واسمعة لمقاومة الغرب الاستعماري وانه رفع لواء الجامعة الإسلامية قبل أن يرفع جمال الدين : رفعه بوصفه خليفة المسلمين الذي تضم دولة العرب والترك وكان أمله أن يضم الى الوحدة الإسلامية كل المسلمين الذين هم خارج دولة الخلافة وكان طموحا الى خلق روح التضامن والترابط بين الترك والعرب والفرس جميعا في مواجهة المؤامرات التي كان الاستعمار قائما بها لإيجاد ثغرة بين هذه العناصر الثلاث حتى يحول دون التقاء المسلمين على الفكرة الواحدة والقوة الجامعة التي تواجه الغزو الاستعماري . ولقد كان عبد الحميد بنفوذه قد قطع أشواطا طويلة في العمل للوحدة الجامعة قبل أن يلتقى به جمال الدين ويعاهده على العمل معه وكان ذلك قبل وفاة جمال الدين بسنوات خمس غير أن جمال الدين كان يدعو قبل أن يلتقى بالخليفة الى فكرة الوحدة الإسلامية أو الجامعة

الاسلامية نتيجة لتجربته في الحكم في ايران وصراعه مع الاستعمار الانجليزي وكانت حملته على بريطانيا غاية في القوة والعنف وقد اصدر مع الشيخ محمد عبده صحيفة العروة الوثقى في فرنسا التي كانت تعارض بريطانيا وتنافسها في الصراع على العالم الاسلامي ، وكانت فكرة جمال الدين الافغاني تحضير قطر من الاقطار العربية لحمل لواء الفكرة ولتكن مصر التي عمل فيها طويلا قبل ان يقع الخلاف بينه وبين الخديوي توفيق بعد وفاة اسماعيل . وكان الاستعمار يحول بينه وبين تحقيق هدفه ، كذلك فقد جرت محادثات بين بريطانيا وبينه بشأن السودان وذكرت المصادر انه قد عرض عليه لقب سلطان في السودان ورفض العرض ، وقد لاحقت جمال الدين دعوة عبد الحميد الى العمل معه ، غير ان جمال الدين اعتذر مرارا حتى رأى اخيرا ان الحركة التي يقوم بها الخليفة قد كسبت أرضا واسعة وقوة كبرى ، عندئذ انضم اليه ، غير ان بعض تصرفات جمال الدين قد ازعجت الخليفة وكان له معه موقف الحيلة الذي عرف به ازاء الاتحاديين وازاء القوى الكثيرة التي يخشى من تحركها في مضادة خطة عبد الحميد ..

ومهما يكن من واقع التاريخ في ذلك الوقت فان جمال الدين الافغاني كان يرى ان يسير في الطريق الذي عمل فيه وعمقه السلطان عبد الحميد ، غير ان محاولة الاساءة الى التاريخ الاسلامي في هذه الفترة وتبسيم الصورة الباهرة لعمل السلطان عبد الحميد ، قد حاولت اضعاف شيء كثير من المقابلة بينه وبين جمال الدين واظهار جمال الدين في صورة البطولة الخارقة او الخصومة مع الخليفة ، حتى انهم تبرعوا باثارة شبهات حول موت جمال الدين لم تتأكد في الحقيقة .

ولكن الصهيونية العالمية التي كانت تقود معركة الحرب ضد عبد الحميد قد عمدت الى اعلاء شأن جمال الدين ووضعه في موضع أسطوري حتى تنسب اليه كل اعمال الجهاد والمقاومة في هذه الفترة وحجب الدور الذي قام به السلطان عبد الحميد حجا كاملا ووصف خليفة المسلمين بأنه كان مستبدا . وظالما . ونحن نعلم ان الصهيونية العالمية قد فعلت ذلك وافسدت صفحات التاريخ الاسلامي المعاصر . ان لقاء الأضواء الكاشفة على جمال الدين كان يراد بها اعطائه أكثر من حجه الطبيعي في التاريخ ، حتى يمكن اثارة الشبهات حول السلطان عبد الحميد ، بينما لا يوجد شيء يمكن أن يوزن بموقف الخليفة الاسلامي من الاغراء الصهيوني والوعيد اليهودي الذي تعرض له .

ولا ريب ان جمال الدين كان على طريق حركة اليقظة ، وكانت دعوته الى الجامعة الاسلامية على النحو الذي فهمه ودعا اليه من الأعمال الهامة التي ترتبط بدعوة الخليفة من ناحية ومقاومة الاستعمار البريطاني ، غير ان السلطان عبد الحميد كان أعمق فهما منه لأهداف المحافل الماسونية وللخطط التي كانت تنفذها الدومة بالاشتراك مع أعدائهم الذين يمكن أن يؤخذ على جمال الدين انه ايد موقفهم من القومية او الجنسية كما كانوا يطلقون عليها . وعلى كل فان جمال الدين لم تكنه طبيعته العصبية العنيفة التي وصفها محمد عبده بان الحدة فيها تهدم ما تبنيه الفطنة — من معرفة

أبعاد القضية ، قضية التحدى الاستعماري والصهيوني والتنافس أصلح الأساليب لها .

ويمكن ان يؤخذ عليه في هذا المجال امران :

اولا - محاولة الاصلاح عن طريق العنف : الثورة او الانقلاب او الاغتيال . وكلها محاولات لا تتفق مع طبيعة الدعوة الاسلامية . وكان الشيخ محمد عبده اقرب الى الفطرة الاسلامية في دعوته الى بناء الأجيال بالتربية ، وهي الخطة التي عرضها محمد عبده على جمال الدين حين طلب اليه ان يجمعاً مائة شاب يعلمونهم الدعوة الى الله ثم يطلقونهم في الممالك الاسلامية ، فقال له جمال الدين انها أنت مثبط .

ثانيا - ان اسلوب جمال الدين في الدعوة الى الله كان اسلوب الفلاسفة وعلماء الكلام ولم يكن الاسلوب القرآني الاصيل الذي لو اتخذ لكان يمكن ان يكون اعمق أثرا ، والذي قامت عليه حركة اليقظة أصلا ، ثم عادت اليه بعد شوط طويل من حملة الوية المنطق والفلسفة أمثال محمد اقبال ومالك بن نبي والعقاد وغيرهم .

ولا ريب ان جمال الدين الأفغاني كان مثيرا في مظهره وحركته وتنقلاته ، وذلك الطابع الذي عرف به من الجلباب الواحد ، وصناديق الكتب التي في صدره ، وعزوفه عن الزواج وتكوين الأسرة ، ليكون أقدر على العمل والحركة . وكلماته النارية ومواقفه مع الكبراء ، ولكن الخطة التي رتبها لم تكن تأخذ في حسابها احتلال بريطانيا لمصر والسودان ، التي رجحت اسلوب الشيخ محمد عبده وطريقته في العمل عن طريق التربية والاصلاح . واذا كان لنا ان ندرس نتائج هذه الاتجاهات فائنا نجد ان اسلوب جمال الدين لم يكن الا اسلوبا حاسبيا براقا خاطفا ولكنه لا يحقق الأهداف التي كانت تتطلع اليها الأمة الاسلامية في أخطر مراحلها والتي كان يقوم عليها السلطان عبد الحميد الذي كان عالما بمخططات الصهيونية المشتركة مع الاتحاديين والدونية التي كشفتها مذكراته التي نشرت باللغة العربية في الأيام الأخيرة .

اما جمال الدين فكان كارها لبريطانيا عاملا على تنكيس اعلامها في البلاد الاسلامية ولكنه فيما يبدو لم يكن ملما بالحافيز التي تحتوى خطوات المحافل الماسونية وغيرها .

ولقد استطاعت الصهيونية ان تسوء للسلطان عبد الحميد عن طريق الصحافة العربية التي كان يحمل لواءها المارونيون خريجو معاهد الرساليات في مصر وخاصة صروف ونمر ومكاريوس وسركيس وغيرهم وكان بعض هؤلاء يحيطون بجمال أمثال اديب اسحق وسليم عنجورى واليهودى يعقوب صنوع صاحب خيال الظل . وكل هؤلاء كشفوا خبيثتهم بعد موت جمال الدين وبعد الاحتلال البريطاني .

غير انه ما يزال يذكر لجمال الدين أنه كان بعيد الأثر في الأسلوب العربى

الجديك فقد عمل على تحريرته من السجع ودفعه الى طريق العرض الواضح  
وجدد شباب الوطنية والحماس لمقاومة الاستعمار والنفوذ الاجنبى الوليد .

ومما يجب ان يقال فى هذا المجال اننا تأثرنا فى مطالع الخمسينات بما  
كان يقال عن جمال الدين وعن عبد الحميد ، ورددنا مع القائلين بطولة  
جمال الدين على ذلك النحو فى اطار ما كان يواجه بلادنا من الاحتلال ولم  
تكن ابعاد موقف السلطان عبد الحميد قد تكشفنا لنا عن حقيقة بطولته ،  
ولكننا عندما فاعدنا تقدير الموقف على ضوء الوثائق التى تكشفنا والمسلمات  
الزائفة التى هزمت والتى حاولت الصهيونية ادخالها فى كتب التاريخ  
ومناهج الدراسة حتى انجلى صفحة الرجل الكريم وهناك تبين لنا ان  
الصهيونية والاستعمار كانا يريدان ان يضعوا عبد الحميد فى الظل ويضعيا  
صورة من المبالغة على سيرة جمال الدين ليكون بديلا او ليكون اعلاؤه حجباً  
وانتقاصاً من الخليفة المسلم . ومن هنا فقد وجب ان يوضع تقويم جديد لهذا  
الموقف التاريخى فى اطاره الصحيح وهو ان جمال الدين واحد من رجال  
حركة اليقظة ولكنه فى خلال عمله كان يتحرك فى اطار الخطة القوية التى  
حمل لواءها السلطان عبد الحميد حينما دعا مسلمى العالم الى الاتحاد تحت  
راية الخلافة الاسلامية والوحدة الجامعة وهو الموقف الذى هز دوائر  
الاستعمار والصهيونية وعجل بوضع نهاية عبد الحميد .

\*\*\*



## ظاهرة جديدة في تاريخ الفكر الإسلامى

**أشار الدكتور مجاهد الصواف الى ظاهرة جديدة في تاريخ العلاقة بين المتقنين المسلمين وبين أساتقتهم المستشرقين الذين تلقوا عليهم العلم في الغرب وقال انه واحد من تلاميذ المستشرقين الذين عارضوهم وكشفوا زيفهم وانه من الصعوبة بمكان على الانسان أن يتكلم على من درسوا له .**

وقال : انا تلميذ الاستشراق ولكن بكل صراحة اختلفت مع اساتذتى هناك . وقال : ان كثيرا من الشباب المسلم اختلف مع المستشرقين بل وهاجم بعضهم في رسائله الجامعية أساطين الاستشراق .. وأشار الى الدكتور محمد مصطفى الأعظمى الذى كتب وهاجم أسلوب شاخت أبو الاستشراق في العصر الحديث وقال عنه أن أسلوبه بعيد عن العلمية ( هذا ما أورده الدكتور الصواف في حديث له نشرته الندوة الفراء ) ..

واليوم يتجدد الحديث في مناسبة وفاة الدكتور محمد أمين المصرى ذلك العالم المسلم الكريم الذى كان واحدا من أولئك الأكرمين الذين واجهوا الاستشراق وصمدوا على الحق الذى آمنوا به . ولا ننسى في هذا المجال الدكتور محمد عبد الله دراز ورسالته عن الأخلاق في القرآن التى هزمت نظريات الفكر الغربى الوافدة جميعا فوق منبر السريون واعلنت مفهوم القرآن في الأخلاق وأدالت من مختلف النظريات الغربية التى قامت على الفكر المادى ( مسنسر وأوجست كونت وغرويد وثيتشة .. الخ ) فقد أتبع نه في ذكاء ومرونة وقدرة على أن يواجه هذه المذاهب مواجهة عنيفة وأن يعارضها وينتقصها ويكشف زيفها واحدا بعد الآخر . فقد أمضى عشر سنوات في دراسة الفكر الغربى وكان إيمانه أن يكتب بالفرنسية في بلاد الفرنسيين كلمة الاسلام وأن يصدع بالحق الذى جاء به القرآن في مواجهة الفلسفات الأوربية وخاصة في مواجهة الأخلاق .

ولقد كان الدكتور ضياء الدين الرئيس رحمه الله واحدا من المفكرين المسلمين ، عارض حركة الاستشراق في رسالته في إنجلترا وكان كريما على نفسه فقد تركهم وجاء الى مصر وكتب رسالة وأذاعها في العالمين

وكشف بها أن للمسلمين منهجا ومفهوما ونظرية سياسية كاملة لم يأخذوها من اليونان أو الرومان وإنما أخذوها من القرآن وكانت رسالته دحضا لتلك الشبهات التي أثارها طه حسين وغيره من دعاوهم الباطلة بأن المسلمين أخذوا نظريتهم السياسية من الفكر اليوناني وأن الإسلام لم يكن له فكر سياسي خالص ..

ولقد كشف الدكتور مصطفى السباعي ذلك الدور الخطير الذي يقوم به الاستشراق في الغرب ليحول بين فكر الإسلام وبين توجيهِ تلك اللطيمات القوية لسموم الاستشراق فيقول : حدثنا الدكتور أمين المصري عما لقيه من عناء في سبيل موضوع رسالته التي أراد أن يتقدم بها لأخذ شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعات إنجلترا . فقد ذهب إليها لدراسة الفلسفة وأخذ شهادة الدكتوراه بها وما كاد يطلع على دراسة العلوم الإسلامية فيها حتى هاله ما رآه من تحامل ولا سيما في كتابة لمستشرقين وخاصة شاخت فقرر أن يكون موضوع رسالته في نقد كتاب شاخت .

وتقدم إلى البروفسور أندرسون ليكون مشرفا على تحضير هذه الرسالة وموافقا على موضوعها فأبى عليه هذا أن يكون موضوع رسالته « نقد شاخت » وعبثا حاول أن يوافق على ذلك فلما يئس من جامعة لندن ذهب إلى جامعة كمبردج وانتسب إليها وتقدم إلى المشرفين على الدراسات الإسلامية فيها برغبة في أن يكون موضوع رسالته للدكتوراه هو شاخت فلم يبدوا رضاهم عن ذلك ، قالوا له بصريح العبارة : إذا أردت أن تنجح في الدكتوراه فتجنب انتقاد « شاخت » فإن الجامعة لن تسمح لك بذلك ..

وأشار الدكتور مصطفى السباعي أن « أندرسون » السقط أحد المتخرجين في الأزهر الذين أرادوا نيل شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي في جامعة لندن بسبب واحد هو أنه قدم أطروحته عن حقوق المرأة في الإسلام . وقد برهن فيها على أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة ، فتعجب ذلك . وسألت هذا المستشرق وكيف أسقطته ومنعته من نيل شهادة الدكتوراه في الإسلام وقد برهن فيها على أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة لهذا السبب وأنتم تدعون حرية الفكر في جامعاتكم .

فقال : لأنه كان يقول : الإسلام يمنح المرأة كذا والإسلام قرر للمرأة كذا فهل هو ناطق رسمي باسم الإسلام ، هل هو أبو حنيفة أو الشافعي حتى يقول هذا الكلام ويتكلم باسم الإسلام ..

وهو كما ترى عذر تافه دل على مدى التعصب الذي تقوم عليه الدراسات الجامعية في الغرب تجاه الإسلام . ولكن الكتاب المسلمين اليوم أصبحوا أكثر

قدره وأقوى قوة على مواجهة الاستشراق والرد على المستشرقين في مؤتمراتهم  
كما فعل الدكتور مجاهد الصواف وغيره ..

اتسع نطاق الكشف عن زيف الفكر الذى قدمه فرويد تحت اسم  
التحليل النفسى ، ومنذ اليوم الاول حين التقى بزميله ( ارلويونج ) وقد  
ظهر واضحا انحراف فرويد ، ومظاهرة القوى اليهودية التطويدية لفكرة  
وحمله الى مختلف بلاد العالم ونقله الى محيط الجامعات على انه علم  
ومسلمات وليس على انه فروض ووجهات نظر قابلة للصدق والخطأ ،  
وحجبت آراء المختلفين معه والذين كانوا اقرب الى النظرة العلمية والى  
الفطرة وقتا طويلا .

وعقدت في السنوات الأخيرة مؤتمرات لعلم النفس حضرها عدد من  
اعلام هذا الفكر في العالم وكشفت هذه المؤتمرات عن قصور المنهج الذى قدمه  
فرويد ونساده .

واليوم يتكشف عن ظهور جماعة قوامها ( كارين هورنى وريك فردم )  
تثور على نظرية فرويد وتصفها بأنها ضيقة ومحدودة لطبيعة الانسان التى  
استقفاها من المجتمع الذى تحطم من بعد وهو ( مجتمع امبراطورية النمسا  
والجر ) فقد استغل مفاهيم وظواهر هذا المجتمع في مرحلة انهياره وانحلاله  
ثم حاول تطبيقها على الانسانية جمعاء ، وجملة رأى هذه الجماعة الجديدة  
ان طبيعة الانسان فيها قيس من الخير يمكن أن يبرز الى الوجود فالانسان  
بحكم طبيعته يريد أن ينعم بعلاقات انسانية صافية من الغرض ولكن الانظمة  
التي تفرض على الناس المنافسة وتمزق اواصر التعاطف بينهم وتجعل من  
الواحد منهم غريبا للآخر فانها تطفئ تلك الشعلة الدافئة : شعلة العواطف  
الانسانية الصافية ، فيحس الانسان بتوتر وقلق نفسى فينصرف الى الكحول  
والمخدرات لى يغيب عن الواقع المرير ويمعيش في عالم آخر من نسج  
المخدرات والمسكرات او يواجه الواقع المرير كما هو ولا يقوى على ذلك  
فنتنابه الرغبة في التخلص من الحياة بالانتحار وتطبق عليه الانتيارات العصبية  
بكل صورها واشكالها .

ولا ريب ان هذا المفهوم الجديد لخلفاء فرويد وخصومه في نفس الوقت  
يقترّب من الفطرة ، ولكن المفهوم الاسلامى في النفس يظل أكثر أصالة وسعة  
ورحمة لانه يستمد منهجه من المصدر القرآنى الذى هو كتاب الله الواحد  
الباقى على وجه الأرض سليما دون تحريف .

وقالت هذه الجماعة ان الانسان فطر على التواد والتعاون مع الغير  
ولم يكن منطورا على العدوان كما يقول فرويد في صلف شديد ومعارضة

للقطرة بأن غريزة الموت تقتضى أن تدمر الآخرين لكي تدمر انفسنا ولا ريب أن هذا المفهوم هو مفهوم النزعة التلمودية التى يحاول اليهود أن يفرضوها على البشرية .

وقالت : كيف يتأتى أن تكون مجتمعات للعيش فيها ولو كانت النزعة العدوانية أصيلة في طبيعة الإنسان فكيف تفسر عدم وجود هذه الظاهرة في بعض المجتمعات الإنسانية .

كذلك فقد عارضت الجماعة مفهوم فرويد بأن نزعة الإنسان مجرد هدف جنسى مكبوت .. وقالت أن هذه حالات مرضية تصيب بعض الناس ومن الخطأ تعميمها واعتبارها ظواهر طبيعية تمثل الفرائز الإنسانية الطبيعية .

كما عارضت مفهومه عن الطفل وقالت أن الطفل الذى لا ينعم بدفء الوالدين وحبهما بسبب حالته العصبية غير الطبيعية ولا ينعم بشعور اليقين بأنه مرغوب فيه وبأن حب الوالدين له غير مرهون بأية شروط مثل هذا الطفل يشب في وجل من الحياة الخارجية التى يرى فيها أخطارا تهدد فرديته وحرية ورغباته المشروعة . وفي هذه الحالة فإن الفرد إما أن يتهاونت على كسب حب الغير ويتوقع من الغير ما لا طاقة لهم به وإما يعتزل الناس اعزالا كليا أو يعمل على أن يتسلط على الغير ويخضعهم لأرادته .



## علم النفس الإسلامى وعلم الاجتماع الإسلامى

لا يستطيع الباحث الإسلامى والمتقف المسلم أن يتجاهل ظاهرة القدرة على المواجهة والتحدى للسموم التى يطرحها الفكر الغربى الوافد فى أفق الفكر الإسلامى وخاصة فى ميدان النفس والاجتماع حيث سيطر اليهوديان فرويد ودوركايم على هذا المجال منذ وقت بعيد وتركوا أثارا ضخمة فى مناهج الدراسة فى الجامعات والمعاهد الإسلامية وكانت دعوتنا صريحة الى أن نتجاوز فرويد وماركس ودوركايم وسارتز جميعا . ونحن يصدر الدكتور حسن الشرقاوى دراسته الخصبة عن نحو علم نفس اسلامى جديد ويصدر الدكتور مصطفى محمد حسين دراسته الممتعة عن الدراسة الإسلامية فى علم الاجتماع نشعر باننا أصبحنا على أبواب مرحلة جديدة ..

يرد الدكتور الشرقاوى على كبار علماء النفس الحديث بعمارة ومدرسة التحليل النفسى بخاصة وعلى رأسهم فرويد . والدراسة تهدم نظريتهم فى الحتمية النفسية وتفتح باب الأمل أمام المرضى النفسانيين لان التوبة ميلاد جديد لاتها تغسل ما قبلها .. ويرد الدكتور الشرقاوى على بعض ما رده علماء التحليل النفسى أمثال فرويد من أن هناك حتمية نفسية وأنه فى إمكانهم اذا عرض عليهم طفل فى سن ٨ سنوات أن يتنبأ بما سوف تكون عليه شخصيته فى سن الكهولة .. وهذه هى الحتمية النفسية الباطلة ..

يرد عليهم علم النفس الإسلامى بقوله انه ليس هناك حتمية وان التوبة ميلاد جديد فالتوبة تغسل ما قبلها وهنا نقطة الخلاف بين علم النفس الحديث الذى ينادى بالنظرية الحتمية النفسية وبين علم النفس الإسلامى الذى يرجع الى القرآن والسنة فى قوله تعالى :

« ومن تاب وآمن وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا .. »

كذلك فان علم النفس الحديث يربط الحاضر بالماضى فيربط الطفولة المبكرة بالرجولة والنضج بمعنى انه يفسر التصرفات الحاضرة عن طريق الماضى داخل اطار الحتمية النفسية وهذا معناه انه ليس هناك داع للتربية وللرسالات السماوية او للهداية والاصلاح ولا للعلم والتعليم مادام الانسان يخضع لقانون حتى فلا توبة ولا ندم تحسن من اخلاق الانسان او تغير من مواقفه وبينما علم النفس الحديث لا يحقق للانسان الأمن والأمل بل يعمل على زيادة الاضطراب والقلق النفسى والخوف والرعب والغزع نجد أن علم النفس

الاسلامى يحقق للانسان الأمن والأمل ويقدم علاجاً ناجحاً للخوف وذلك مما يبثه من الطمأنينة والسكينة في القلب وتؤكد ذلك الآ الكريمة « وما جعله الله الا بشرى وتطمئن قلوبكم » وقوله تعالى : « وهو الذى أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » فهذه الآيات كلها يستدل منها ( علم النفس الاسلامى ) ليحيل الخوف إيماناً ويتبعد عن الاكراه والضغط على حرية الانسان ..

ويقول الدكتور الشرقاوى ان فرويد وزملاءه يتحدثون عن الجانب الشرير في الانسان ويقولون دائماً ان أصحاب مكارم الاخلاق مرضى نفسيون ، ويقولون أيضاً ان الانسان يحكمه من الداخل قانون الغاب ولذا يقر علماء النفس القول الذى يقول ( اذا لم تأكل غائت مأكول ) وهنا نقول ان علماء النفس أسرفوا في فهم النفس الانسانية أما علم النفس الاسلامى فانه يقرر ان الوسط العدل هو الأساس للحكم تأييداً لقوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً » بمعنى ان أوسطكم أكثركم حكمة وأفضلكم رأياً .

فالاساس في علم النفس الاسلامى انما هو الذى تقبله الفطرة السليمة والعقل الراجح والنفس المؤمنة لان قانون الكون او التشريع الالهى يسير على هذا الوسط ، مثلاً النبات يسير على قانون الوسط فإذا أضفت المزيد من الماء للنبات يموت وكذلك اذا رفعت عنه الماء يموت ومثل ذلك الحيوان .. والكون أيضاً يسير في وسط عدل مثل النجوم والكواكب في السموات كلها بقدر معين ونظام بحيث لا يصطدم بعضها ببعض ، وتسقط وهذا ما لا يمكن حدوثه لان لهذا النظام خالقاً نظمه بقانون الهى اذن لا بد للانسان وقد وهبه الله عقلاً واردة وقدرة على الاختيار ان يتمشى ويواكب القانون الالهى لانه اذا أسرف اختل النظام واختلت الفكرة السليمة والتي من أجلها خلق الانسان .

### المدرسة الإسلامية في علم الاجتماع :

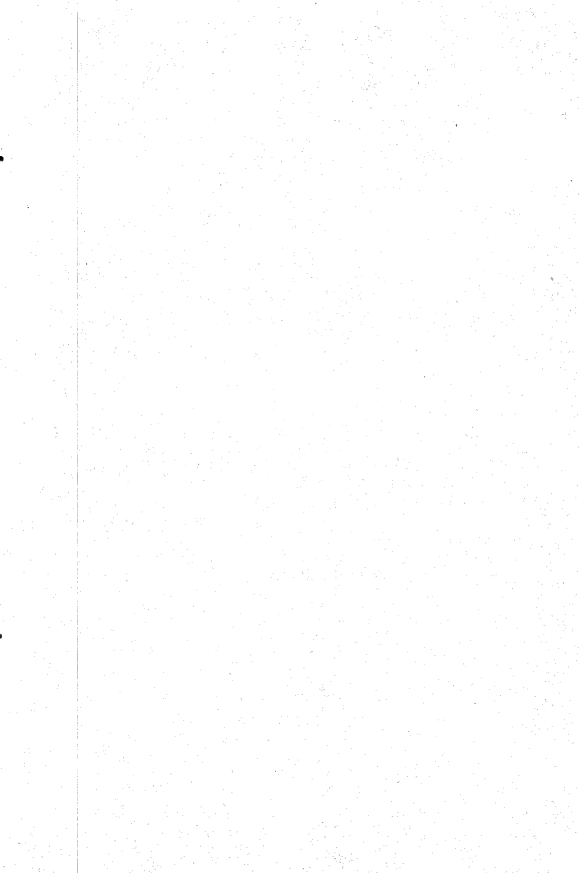
ويرى الدكتور مصطفى حسنين انه حيث يجعل دور كاييم الظواهر الاجتماعية أساس الدراسة وتجعل المدرسة الانجليزية الأمريكية النظام الاجتماعى أساس الدراسة فان الاسلام يجعل من واقعات العمران البشرى موضوع الدراسة وقد أخطأ كثير من علمائنا في ظنهم ان واقعة العمران البشرى — كما عرفها ابن خلدون — هى بذاتها الظاهرة الاجتماعية عند دوركايم ولكن طبيعة الواقعة الاجتماعية تختلف في وظيفتها وبنائها الاجتماعى اختلافاً جوهرياً عن وظيفة المظاهر الاجتماعية وبنائها الاجتماعى وان واقعة العمران البشرى كما قدمها ابن خلدون نسيج وحدها في الوظيفة والتركيب الاجتماعى على السواء وان دوركايم أهدر كل تقييم أخلاقى حتى انه يقول ان الجريمة ظاهرة ضرورية وهى ليست ظاهرة مفيدة ولا ريب ان هذا لا يستقيم إطلاقاً مع النهج الاسلامى في النظر الى مجتمع المسلمين ، بل هناك ما هو أسوأ فان دوركايم ينتهى في نظريته في الظواهر الاجتماعية الى القول بأن اصل الأديان اصل أرضى ويرجعها الى طبيعة المجتمع الانسانى وهذا أيضاً لا يستقيم إطلاقاً مع موقف الأديان السماوية على وجه الخصوص .

هناك فارق آخر كبير بين المدرسة الإسلامية والمدرسة الاجتماعية الغربية يكشف عنه الدكتور مصطفى حسنين ذلك هو أن ابن خلدون يربط بين قيام الواقعة الاجتماعية ووظيفتها ربطاً شديداً إذ جعل ( العمران ) هدفها وغايتها وإذا كان الإسلام قد جمع بين صالح الفرد وصالح الجماعة في نطاق واحد وجعل كل مصلحة منها تساند الأخرى وتدعمها فإن ابن خلدون على أساس الفهم الإسلامي كان يبنى واقعات العمران على أساس ما تحققه من مصلحة للجماعة والأفراد على السواء . ويشير الدكتور مصطفى حسنين إلى أن بحوث دوركايم وأن جعل موضوعها العرب في شمال أفريقيا وبلاد الشام والندو بصورة عامة كانت تتجه إلى وصف هذه الجماعة على أنها بدائية متخلفة بالإضافة إلى آراء دوركايم المرفوضة في الدين الوضعي .

من أجل هذا رأى الدكتور مصطفى حسنين أن يرجع إلى أساس المدرسة الإسلامية الاجتماعية التي أرسى دعائمها ابن خلدون ويقول أنه لا بد لنا ونحن أصحاب المنهج الأصل الأول إذا أردنا مقاومة هذه الأفكار الهدامة ولكي نصلح أمرنا ونعود إلى الأصالة أن نؤكد على منهجنا في التفسير وأن نصد كل رأى مخالف بنفس الأسلوب الذي يتخفونه في محاربتنا . أنهم يقولون أنهم أصحاب أسلوب علمي ونحن نقول أيضاً أن لنا أيضاً أسلوبنا العلمي المكين واسلوبنا العلمي القائم على هذا العلم الذي هو فقه الشريعة الأصل وفي قرأتنا وسنة رسولنا صلوات الله عليه ، ولا ريب أن النظر الإسلامي في شتى المجالات نسيج وحده فهو أصيل نابع من مصدر واحد غير مسبوق بمثله لم يتغير هو القرآن الكريم وسنة الرسول صلوات الله عليه وذلك ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعة الله ورسوله .

والحق أن الأمة الإسلامية التي تشدها من أطرافها قيم أساسية واحدة تنبع من عقيدة الإسلام وتنبئ على قواعده تتعرض هذه الأيام لغزو حضارى يكاد يعصف بكل نواحي الحياة عندنا وفي كل مجال ، وقد امتد أثره إلى الجانب الفكري والاقتصادي وعادات حياتنا اليومية ، وهو صراع حول قيمنا الأصيلة وليس من سبيل أماننا إلا أن يعتمد الباحثون الاجتماعيون إلى الكشف عن أسلم السبل وتخطيط الوسائل الناجعة ، ويأن يحول الصراع إلى أسنوب امتصاص سيبقى على الأصل الإسلامي من القيم في مجتمعنا الإسلامي بكل ما يحمل بين طياته من خير .







## عادوا إلى الحق

بالرغم من كل الذين يندفعون ببعض الفلسفات بعض الوقت يعودون إلى اللحظات الأخيرة إلى الحق ، ويكشفون عن الحقيقة فكون كتاباتهم سلاحا يترافق في تصحيح الأمور ووضعها في نصابها . وفي القديم والحديث نجد هذه التماذج ، نجدها في الإمام الغزالي وفي فخر الدين الرازي حين عادوا إلى السنة . ونجدها في العصر الحديث في كتابات الدكتور هيكل مؤلف حياة محمد الصريحة ، وفي كتابات منصور فهمي وغيره وفي السنوات الأخيرة وجئنا كثيرا من الذين خدمتهم الماركسية والفلسفات المادية قد عادوا إلى حظيرة الإسلام .

وقد نجد أنه من المناسب هنا أن نقدم وصية فخر الدين الرازي التي كتبها في آخر حياته :

انى أحمد الله تعالى بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجه ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات مشاهداتهم بل أقول كل ذلك من نتائج الحدوث والإمكان وأحمده بالمحامد التي تستحقها الوهبة ويستوجبها لكمال الموهبة عرفتها أو لم أعرفها .

اعلموا انى كنت رجلا محبا للعلم فكنت اكتب كل شيء لأتم على كميته وكيفيته سواء أكان حقا أم باطلا أو غشا أو سميئا الا أن نظرت في الكتب المعتبرة في أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبره المنزه عن مماثلته موصوف بكمال قدرته وعلمه ورحمته ، ولقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فيها رأيت منها فائدة تساوى الفائدة التي وجدتتها في القرآن لأنه يسمى في تسليم العظمة والجلال له ويمنع من التعقيد في إيراد المعارضات والناقضات وما ذلك الا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق المبيقة والمناهج الخطية فلماذا أقول كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبرأته عن الشركاء كما في القدم والأزلية والتدبير والفعالية فذاك هو الذى أقول بل وأسمى اليه وألقى الله به وأما ما ينتهى الأمر فيه إلى الدقة وما ورد في القرآن والصالح للمعنى الواحد ، كما قال :

لقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى غليلا أو تشفى غليلا ورأيت أن أصح الطرق هي طريقة القرآن ، وأقول من صميم القلب من داخل الروح انى مقر بكل ما هو الاكمل الأفضل الأعظم الأجل هو الله وكل ما هو عيب ونقص فهو مثله عنه .

ويقول : يا أرحم الراحمين فلنكن رحمتك مع تصدى لا مع حاصلى فذاك  
جهد المقل وانت أكرم من أن تضليق الضعيف الواقع فى الزلة فاعفنى وارحمنى  
واستر زلتى وامح حوبتى .

ويقول : دبنى متابعة محمد سيد المرسلين وكتابى هو القرآن العظيم  
وتعويلى فى طلب الدين عليهما وأنا معترف بالذلة والقصور .

أما الكتب العلمانية التى صنعتها أو استكثرت من إيراد السؤالات علم  
المتقدمين فيها فمن نظر فى شىء من هذا فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرنى  
فى صالح دعائه فى سبيل التفضل والانعام والا فليحذف السئء .

ولا ريب أن حركة التفريب والغزو الثقافى فى العصر الحديث قد استغفرت  
كتابات الرازى استغلالا سينا وتقدم له عبد الرحمن بدوى صورة متجربة  
تصوره على أنه من دعاة الباطنية والشعوبة والاحاد ولم يورد لحظة  
هذه العودة الى الله فى اللحظات الاخيرة فاستطاعوا بما اورده أن يضلوا  
الكثيرين ويفسدوا الفكر الاسلامى المعاصر باحياء هذا الركام الضال الذى  
انطوى ومات وكشف دعاة الاصلالة عن زيفه وفساده .

\*\*\*

هؤلاء خدعوا الأدب العربي :

أديب اسحق وولى الدين يكن ويعقوب صنوع

أما يعقوب صنوع فهذا رجل يهودى كانت مهمته أن يفتح الطريق في عصر اسماعيل إلى العامية وإلى الفكاهة الجارحة وإلى هدم مقومات هذه الأمة عن طريق الصحافة الكاريكاتورية وما يتصل بها من المراتص والأندية الليلية المكشوفة ، تلك مهمته . أما أديب اسحق فقد ادعى أنه تلميذ جمال الدين وبرقت كلماته في الصحف التي أصدرها في مقاومة الاستعمار البريطانى ولكنه كان واحدا من مجموعة من خريجي ارساليات التبشير تحارب الاستعمار البريطانى وحده وترى اللجوء إلى فرنسا هو الحرية منتهى الحرية . اتصل أديب اسحق بجمال الدين وادعى أنه من دعاة الحرية فما أن أخرج جمال الدين من مصر حتى تولى النفوذ الفرنسى مكتب في باريس يهاجم مصر ثم عاد إلى مصر مع اعلام الاحتلال فأعطى جائزة ومنصبا وهكذا تجد الجماعة كلهم : يوسف الخازن ، رزق الله حسون ، سليم عنجورى ، لويس صابونجى ، كان هدفهم تدمير الدولة العثمانية وتحطيم الجامعة الإسلامية وفصل مصر عن تركيا لحساب النفوذ الاجنبى ، تلك هى مدرسة ارساليات التبشيرية التي صنعها النفوذ الاجنبى في بيروت لاعداد تلك القاعدة الضخمة التي انطلقت منها بعد ذلك كل قوى الفكر والصحافة والادب وفي مقدمتها اصحاب المقطم عملاء كرومر ودعاة الاحتلال ، وسركيس وشاهين مكاريوس الذين كانوا جميعا يعرفون طريقهم : محاربة الاسلام تحت اسم محاربة الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد والدعوة إلى تحرير الوطن باسم الاقليمية وتمزيق تلك الجبهة الصاعدة ، تلك هى دعوة الصهيونية والاستعمار الكامن وراء ارساليات التبشير التي اطلقت خريجيها فانبثقوا في مصر وترنس والمغرب يقودون الصحافة لحساب النفوذ الانجليزى والفرنسى ومن ورائهم الصهيونية ، كانوا يعملون في البلاد العربية فاذا ضاقت بهم ذهبوا إلى إيطاليا أو فرنسا يصدرن صحفا صفراء يهاجمون فيها الخلافة والاسلام !

الحق ان هذه الجماعة في حاجة إلى دراسة واسعة تكشف زيفهم ، فانهم كانوا يدعوننا إلى أن نربط أنفسنا بالثورة الفرنسية والولاء للفكر الفرنسى تارة أو الفكر العلماني اللاديني تارة أخرى .

ومن هؤلاء من عملوا في تعريب الروايات الفرنسية المكشوفة لاتباع بقروش قليلة فأغرقوا الأسواق وأنفسوا الشباب والفتيات بقراءة هذه الصور الرديئة من علاقات الحب والغرام .

وخين نطالع حياة رجل مثل يوسف الخازن الذي أصدر جريدة الأخبار  
ثمانية وثلاثين عاما نجد ما يأتي :

- ١ - لم يكن يمالئ الوطنيين وكثيرا ما كان ينتقد مسلكتهم ..
  - ٢ - كان يقاوم علاقة الوطن بالدين ويقاوم الدعاية لتركيا .
  - ٣ - تبعه في ذلك لطفي السيد في الجريدة في مقاله المشهورة التي  
دعا فيها الى كف اليد عن اعانة الهلال الاحمر التركي في حرب البلقان ..
  - ٤ - أدت جريدة الاخبار دورها في حركة المؤتمر القبطي .
- قال عنها أحد الباحثين : جريدة يوسف الخازن جريدة لا مبدأ لها ولكنها  
تحافظ على عداوتها للدولة العلية وصداقتها للاحتلال .
- وتجد مثلا وقائع حياة رزق الله حسون كهذا :

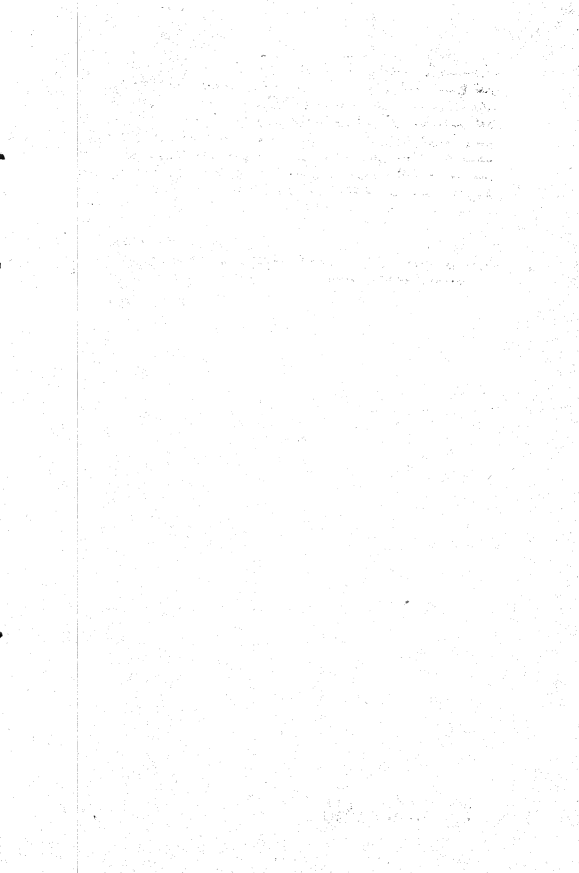
سجن وفر من السجن وهرب الى روسيا وهناك هاجم السلطة العثمانية  
وسافر الى لندن وأصدر جريدة عربية ١٨٧٢ وأطلق عليها ( ال سهام )  
اخترع حروفا عربية . لطبع جريته وحمل على الاتراك ودولتهم وهاجمهم  
هجوما شديدا يوصف بأنه أعظم كاتب هاجم العثمانيين ، عاون المستشرقين  
في انجلترا وفرنسا وروسيا . أكبر معاركه معركة مع احمد فارس الشدياق  
ساحب جريدة الجوانب التي جعلها لسانا للدولة العثمانية ، أصدر مجلة  
سمها ( وزقوم وغساق الى فارس الشدياق ) يكتب فيها ضد العرب  
والاسلام بلهجة قاسية وقد وصف من التفريبيين بأنه رائد الصحافة العربية  
الذي كافح الطغيان .

أما اديب اسحق الذي كانت نصوص من كتاباته الى وقت قريب تدرس  
في مصر فقد عين ناظرا لقلم الانشاء والترجمة واستلم براءة الى الرتبة الثالثة  
في المدارس العربية فانه دعا الى النفوذ الفرنسي في مصر بدلا من النفوذ  
البريطاني ثم هرب الى فرنسا ولما حصل التغيير في الوزارة ١٨٨١ عاد  
وكان من اصحاب الدعوة الى الاعتدال ابان ثورة عرابي وعاد الى بيروت  
بعد أن حل الانجليز في الاسكندرية ومدح سلطان باشا الذي عاون الجيش  
البريطاني على احتلال مصر ، والتبس منه الان في العودة الى مصر فأجيب  
انى طلبه وله قصيدة في هجاء عرابي والثورة العرابية ومن أكاذيبه قوله :  
بعد مهاجمة بريطانيا « أما سائر الدول غاتها أقل من تلك الدولة شرا وأكثر  
منها رفقا وبرأ تعامل الخاضعين لها بالتى هي أحسن .. » ولو كشف  
الستار في هذا الوقت عن عيون الشرقيين الذين كانوا لا يعرفون ما يحدث  
في الجزائر ، لراوا فرنسا أشد عنفا بأهل الجزائر ، اذ كانت تعمل على  
فرنستهم ونقلهم من العروبة والاسلام في حركة غاية في التعصب والاجرام ..

وقد تعرض أديب اسحق لما أسماه السلطات الدنيوية والمعلن إتهامه إلى الماسونية . يقول الفكتور ابراهيم عبده : اغرب ما في أديب اسحق الذي كان شعلة نائر ، أن يستل قلمه اللاذع في محاربة الثورة العرابية ورجالها وكان إلى الامس القريب أشد الكتاب دفاعا عن الحرية ، هذا القلم الذي قسا على خصوم الحرية منذ شهور أصبح داعية من دعاة الهزيمة وعدوا وبوقا للنظام الفاسد الذي وجد بعد هزيمة العراقيين على نحو لا يكاد يصدق المؤرخ حين يعود إلى مقالات أديب اسحق في جريفة التجارة وقد أشار دارسو هذه الفترة ، أن أديب اسحق عرف بالتنطل من الدين وكان نائر الأعصاب سريع الهياج والاتفعال في الكتابة عرف بالجري مع هوى النفس » .

وهكذا تنكشف جوانب من الأدب العربي ما تزال غامضة وما يزال الناس يقرأون لهذه الأسماء اللاحمة دون أن يعرفوا خلفياتها وهوياتها .





## شهد شاهد من أهلها

رجال كثيرون في الغرب وقفوا في صف الشرق واعلموا انحراف قيار الحضارة الغربية الاستعمارية ، عرفنا منهم منذ مطالع القرن الفريديلنت ، ثم برنارد شو ، واليوم يجيء نور المؤرخ ارنولد توينبى : الذى يقول :

ان لدى سببا هائلا لكراهية الغرب . فمنذ شبيبت عن الطوق ( وانا الآن في الخامسة والسبعين من عمري ) اشتبك الغرب في حربين عالميتين ، واخرج للعالم مذهب الفاشية والشيوعية والاشتراكية والقومية كما اخرج موسوليني وهتلر ومكارثي وهذه الكبار الغربية تجعلنى انا الغربى اشعر بالقلق وعدم الامان .

لقد اقتترف رفاة الغربيون من اهل المانيا جرائم كثيرة فكيف اضمن ان مواطنى الانجليز لا يمكن ان يقتربوا مثل هذه الجرائم . . بل اننا اقتربنا بالفعل جريمة قتل بضعة آلاف من المدنيين العزل في بور سعيد ١٩٥٦ فما الذى يمكن ان اتعفف عن اقتربانه بعد هذه الجريمة النكراء . . والى جانب هذه الجرائم والاثام الغربية المعاصرة ثم عيوب الحياة الغربية المعاصرة آراء منفردة . فان كنت اكراه العبودية السالفة للفرد ازاء الجماعة في اليابان . فماتى اكراه ايضا بصورة اشد ذلك المدى المتطرف الذى ذهبت اليه الفردية في الغرب المعاصر ، ولاسيما ما يبدو هناك من قسوة وجهود تجاه العجائز والحضارة الغربية المعاصرة فيما اعتقد اول حضارة ليس فيها للمتلقيين في السن مكان يحتلونه بصورة طبيعية في بيوت اولادهم البالغين . . وكلما نظرت الى هذه القسوة الغربية بعين غير غربية وجحتها شيئا مروعاً .

واذا انظر ورأى الى تاريخ الغرب الماضى لا يسعنى الا الاعجاب بما كان في القرن التاسع عشر في الغرب من تأجيل موقف لسن اليقظة الجنسية ولسن الخبرة الجنسية والشغف الجنسي الى ما بعد سن البلوغ الجسدى بوقت طويل .

ان الغرب المعاصر أصيب بنفاذ الصبر وجنون التمتع بحيث يعبد السرعة للسرعة وكان هذا من شأنه ان يسبب تخريبا شديدا في تربية اطفالنا لاتنا نتمتع بنوم بالقوة فيؤدى ذلك الى تنبيههم لمسائل الجنس قبل الاوان ، بل قبل البلوغ البدنى الفعلى ، وبذلك يخرجهم من حقهم الانسانى

في التمتع بالطفولة البريئة . أن سياستنا متناقضة في تنشئة الجيل الجديد  
أشد التناقض ففي حين ينخفض سن التنبه للجنس وسن الخبرة الجنسية  
تعمد الى اطالة مدة الدراسة في معاهد التعليم فكيف نتوقع منهم أن تحترف  
أذهانهم الى التعليم طول هذه السنوات بعد هذا التنبه الجنسي المبكر في  
معاهد التعليم المختلط . اننا نحرث في البحر ما لم نعد الى سياسة اجدادنا  
من حيث اطالة مدة البراءة الجنسية . ان هذا السلوك الجنسي السابق  
لأوانه من اكبر النقائص الاخلاقية في حضارة الغرب ..

اما اهم نقائصه الفكرية فهي اصراره على تقسيم العالم الى شطايا  
ترداد صغرا بمرور الأيام .

انا اكره الوطنية وكره التخصص وكلاهما من سمات الانحراف الغربي  
فما اغربه من عالم يولد فيه الانسان . لا اريد ان يقدم الانسان الغربي يوما  
على الانتحار الجماعي بالاشتبك في حرب عالمية ثالثة تستخدم فيها الاسلحة  
النووية . وانا اكره العلم الغربي لانه اكتشف هذه المخترعات المهلكة .

هذا الذي يقوله مؤرخ غربي كبير مثل ارنولد توينبي يمكن ان يهذى  
الى المغررين من شباننا وبنقفينا الذين يخدعهم بريق الحضارة الغربية  
فيرونها قمة القيم في العطاء بينما هي تعارض الفطرة البشرية في عشرات  
من المواضيع . وقد فصل توينبي موضعين خطيرين : هما استغلال التفوق  
العلمي في صنع آلات التدمير ، وذهاب الرحمة من القلوب ليس ازاء البلاد  
المختلفة واهلها وحدها ، بل بالنسبة للعجائز وكبار السن في المجتمعات  
الغربية ، كذلك فهو يتنكر للانجاء نحو دفع الشباب في سن بلكره الى  
الكشف الجنسي .

ولو شاء ارنولد توينبي لقال ان هذا المجتمع الغربي الذي خضع  
لانحرافات الحضارة الأوروبية انما وقع اساسا في بزائن الروح التلمودي  
والفكر اليهودي الوثني المادي الذي يعمل منذ وقت بعيد على احتواء الغرب :  
تفكر في وجودانه في اطار الدموه الى امبراطورية الربا وفي خلق مجتمع الاستهلاك  
والترف وما يتصل في هذا بمعتقدات طرحت في الفكر لتكون مبررا لذلك كله  
على النحو الذي طرحه ماركس وغرويد ودور كايم وسارتر وهي المحاولات  
التي عمدت الى استخدام الفكر التلمودي لتدمير الاجيال الجديدة في المجتمعات  
البشرية تحت اسم التحرر والانطلاق . وما يستهدف ذلك كله الا القضاء  
على روح الدين والروحية والمعنويات والقيم الربانية الاصلية التي جاءت  
لتحماية الفرد ولحماية المجتمع من الانحرافات والهزائم والايثار والتي تمثلت  
استثما في تلك الضوابط والحدود التي قدمها الدين الحق للاستثنائية .

ان ما يقوله ارنولد توينبي قريب مما قاله كثير من مفكري الغرب في  
تنجيب الاستعمار والتفوق الاجنبي ، على النحو الذي عرفناه في كتابات  
برنارد شو عن حادث تشوواي في مصر وكتابات ليفت الذي آزر القائد  
عزاي ودافع عنه وبنه المصريين والغرب والمسلمين الى مؤامرات الاستعمار  
والتفوق الاجنبي .. ولكن ارنولد توينبي يقف في صف المنكرين لانحراف



الحضارة الغربية على الطريق الصحيح : طريق الأصالة وذلك بدعوتها الى التحلل الاجتماعى والى الاطليميات والقوميات الضئلة وهو خير كلام يرد به على اتباع الغزو الثقافى الذين ما زالوا يخدعون الناس بتبرير فساد الحضارة الغربية الغاربة .

### من خطط الهدم :

صور أحد الباحثين خطة الاستشراف فى هدم شخصية المسلم فقال :  
انما تقوم المحاولة على ( المناورة ) و ( التلمذية ) ذلك ان دعوة المسلم الى الكفر تلقى نفورا فى المجتمع الاسلامى ويكاد يكون من المحال احراز تقدم فيه باعتراف هذه الدعوة ولذلك ينبغى ان تكون الخطة ( اولا ) تجريد شخصية المسلم من الالتزام بالتكاليف وتحطيم قيمة الدين فى نفسه بدعوى العلمية والتقدم دون مساس بقضية الألوهية مؤقتا لانها ذات حساسية خاصة وبمرور الزمن ومع الف المسلم لهذا التجريد يسهل فى نهاية الأمر تحطيم فكرة الألوهية أساسا فى عقله ووجدانه واذا بقيت افتراضا فلا ضرر منها ولا خطر لأنها حينئذ لن تكون سوى بقايا دين كان موجودا ذات يوم بعيد .

وصور مؤتمر الثقافة العربى الذى عقد فى الأردن وجوه الاستلاب الثقافى فى الأرض المحتلة ( فلسطين ) على هذا النحو :

اولا — فرض مظاهر الاغتراب اللغوى والفكرى والشتافى .

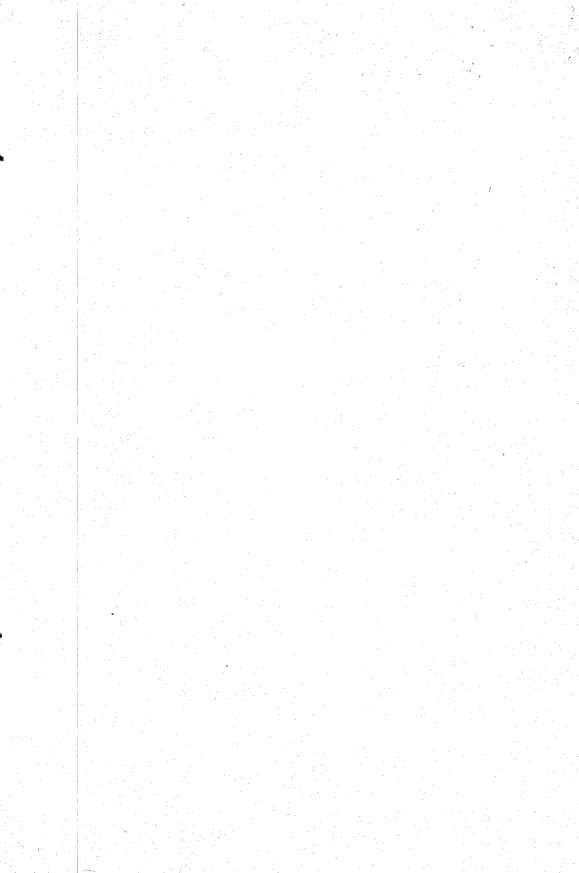
ثانيا — محاولة طمس معالم الشخصية الثقافية العربية .

ثالثا — محاولة اغراق المجتمع العربى بمواد مناهضة للقيم الثقافية الصحيحة .

رابعا — العمل على تزيف التاريخ العربى والاسلامى .

خامسا — العمل على تغيير البناء الاجتماعى .





## الشباب والعلم في المجتمع المعاصر

في المؤتمر الذى عقد في هولندا عن الشباب والعلم في المجتمع المعاصر تحدث علماء الدول الغربية والبيان فلكوا على عجز العلم عن اتخاذ العالم مما يحيطه من أخطار كالانفجار النووى والأشعاع الذرى وتلوث البيئة والتفقر والتخلف الاقتصادى ، بل أنهم ذهبوا الى أكثر من ذلك فاعتبروا ( العلم ) سببا لهذه المآسى في العالم .

ومن ثم فقد طالبوا بالسنة العلم الى أن يكون العلم في خدمة الإنسان والأهداف الإنسانية وأن يخرج العلماء من أبراجهم العذية ويتجربوا . من عبادة الذات ليتحملوا مسؤولياتهم الاجتماعية ويشعروا من الأعماق بهذه المسؤولية ، كما طالبوا بخروج العلم من دائرة احتكار عدد محدود من الدول ليعم نفعه جميع دول العالم ، وأثار العلماء الهولنديون في انتقاداتهم مسألة استغلال الدماغ الإلكتروني ( الكمبيوتر ) للسيطرة على الحياة الخاصة للأفراد ، كما أبنت مجموعة علماء الدول النامية رغبتها في أن تأخذ ( التكنولوجيا الغربية ) على أن لا يتعارض هذا الطريق مع مثلهم وأخلاقيهم وثقافتهم وأكدت التوصيات التى توصل اليها العلماء بانحياز العلم الى حد أن التكنولوجيا الحديثة أصبحت وسيلة في يد الدول الصناعية الكبرى كى تستطيع أن تبطلش وتتجبر وتحكم قبضتها على الشعوب الضعيفة .

وقال باحثون منصفون أنه قد آن الأوان للكشف عن زيف دعوى عبادة العلم واتخاذها طريقا وحيدا للتفكير والمعرفة . وأشاروا الى أنه من الممكن الوصول الى الحقائق عن طرق أخرى وقالوا أن غلظة الحواس وشدها تحول دون تفجر قابليات الإنسان الأخرى ، وطالبوا بما أسموه التكنولوجيا اللينة بدلا من التكنولوجيا المتصلبة الخشنة الموجودة في عالم اليوم .

ومن خصائص هذه التكنولوجيا اللينة الانسجام مع الطبيعة وارضاء الميول الذاتية للأفراد ، وأن يخضع التكيف لارادة الأفراد لئلا تعيث بهم كيف تشاء ، وأن تصبح الآلة لخدمة الإنسان لا لخدمة الانتاج الذى اضحى هدفا تصادر على حسابه كل القيم والمثل الإنسانية .

كذلك تطرقت البحوث الى عوامل الحروب وتجارة الأسلحة وشهوة السيطرة المستفحلة في الدول الكبرى وعدم المساواة في الاستفادة من المصادر الطبيعية . وقال عالم اجتماع افريقى : لماذا تكثفون الحديث عن الانفجار السكاني في البلدان النامية ولا تتحدثون عن الانفجار الاستهلاكي في الدول

المطلوبة ولا ريب ان الانفجار الاستهلاكي هو اهم العوامل الذي تحقق  
التعادل في عالمنا المعاصر ، لذلك يجب الحد من الاستهلاك العشوائي في  
الدول الغربية بدلا من الدعوة الى تحديد النسل في الدول النامية .

وشجب الباحثون ما هو سائد من ان البحوث العلمية تتجه حاليا الى  
خدمة مصالح تجار الأسلحة ووسائل الدمار وليس الى سبيل انقاذ البشرية  
مما تعلق به من جهل وفقر وانها تعمل على اثراء فئة معينة على حساب لغناء  
الآخرين .

هذه المودج من بقطة الغرب المربعة في هذا العصر تجاه التطور الخطير  
الذي وصلت اليه مقدرات الحضارة في ايدي القوى الخطيرة : قوى الصهيونية  
العالمية بها والدائمة لها الى طريق الدمار . وهي علامة على الطريق الذي  
ستتخذه البشرية في مستقبل ايامها .

\*\*\*

## مأساة المجتمع الغربي

أشارت الصحف الأمريكية الى ان المخرج الشهير وليم كلاين يعدّ فيلمًا سيّميًا عما أسماه ( الرجل الأسطورة ) وهو غير الفيلم الذي ظهر عنه قبل سنوات . وذلك بعد الانتصارات الواسعة التي حققها في السنوات الأخيرة وبعد مرور أكثر من عشر سنوات على ظهوره على مسرح الملاكمة الدولية وفوزه ببطولة العالم في الملاكمة في الوزن الثقيل عام ١٩٧٥ وحيث يبلغ الآن من العمر ( ٢٢ سنة ) . ويقول وليم كلاين انه الرجل الذي وصفه مالكوم اكيس بأنه أعظم رجل في تاريخ الزنوج المعاصر ..

● ويقول : ان هذا الفيلم بالإضافة الى تصويره حياة رجل استثنائي ، انما يكشف عن أمريكا التي يقول نورمان مايلر عنها : انه من غير المعقول الا تفهم محمد على كلاي ومشاعره ..

ويشير كلاين الى العنصرية المادية البيضاء والفصل بين الأجناس ، ويربط بينها وبين مباريات محمد على كلاي ويقول : كنت أرى صورة ناطقة في هذه المباريات لمأساة الحياة الأمريكية : انه بالنسبة للبيض كان يجب أن يفوز ليستون ، أما بالنسبة للملكوم اكيس فإن مسيرة التاريخ تحتم فوز محمد على كلاي ، انه بهذا الانتصار ساعد تاريخ الزنوج في أمريكا وخدمهم بقوة .

انه مرقّ القوتعة التي كان أبطال الملاكمة يخنفون حولها وخرج الى العلانية كبطل زنجي لا مثيل له . انه منذ اقدم الرياضيون الزنوج في الألعاب الأولمبية في مكسيكو عام ١٩٦٨ على رفع أذرعهم اليميني وهي مطبقة الأصابع علامة القوة السوداء ، وخلال وجودهم على منصات الفائزين في أول مباراة ينظمها السود الأمريكيون والأفارقة في زائر عام ١٩٧٤ : كل شيء بدأ مع محمد على كلاي .

● ويقول كلاين : ان أمريكا أرادت دائماً رأس محمد على كلاي ، فمنذ عام ١٩٦٥ كانت محافل البيض تترصد به وخاصة عام ١٩٦٧ عندما رفض أداء الخدمة العسكرية أثناء حرب الفيتنام كان هذا الرفض الحكم الذي دغدغ آمال أعدائه الذين سارعوا الى تجريدته من لقبه والى سحب أجازته منه والى الحكم عليه بالسجن وغرامة مالية ١٠ آلاف دولار ، وعلى الرغم من الضغوط الا انه أصر على موقفه مؤكداً ان المسألة مسألة مبدأ « وظل ثلاث سنوات شبه عاطل عن العمل حتى كاد العالم ينساه كما كاد

يفرق في بحيرة الصمت الأمريكي الراكد ، وعلى الرغم من ذلك فانه صمد وظل يقاوم وكان من أكثر الناس الذين دفعوا ثمن معارضتهم لحرب فيتنام ، وقد أصر على الدفاع عن الذين لا يمكنهم أن يعرفوا مثل هذا النوع من المواقف .

ويقف كلاين عند هذا ولكننا نقول له أن وراء هذا الصمود وهذه العزيمة ، وهذه القدرة على استعادة النصر شيء هام وخطير :

أن الإسلام هو سر صموده وسر انتصاره ، أن محمد على ، كان يدخل الحلبة كما قالت بعض الصحف الغربية ، طارحا نفسه كمدافع عن الإسلام . يقول أن القبضة التي يضرب بها خصمه ليست قبضته بل هي قبضة الإسلام الذي سيفرغ للتبشير به بعد مباراة كينشامنا . أن محمد على يدور حول نفسه بعد أن يقرأ الفاتحة ، وقبل أن يستخدم قبضته يحاول أن يحاصر خصمه بطوق من الحرب النفسية ويقول : لست أنا من صرع نورمان أن الذي صرعه هو الله . ويقول : فزت بفضل الله وقوته ، انه كان معي على الحلقة ( وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ) .

لقد كان يريد بقبضته أن تكون قبضة الإسلام ، ويكون النداء لكل المعارك الضائعة من الأندلس إلى مشارف بورندو ومعركة بواتيه إلى الاسكندرون إلى الأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ إلى فلسطين .

\*\*\*

## وسقطت التجربة الغربية المادية

### المجتمع العالمى يحاول العودة الى الدين مجددا

سقطت التجربة التى تقدمها الغرب للعالم الإسلامى وأخذ الغرب ينقدها بعنف ويتراجع عنها ويطالب بسلوب جديد فى بناء المجتمع قائم على الدين والخلق ، فهل نتميز ونكف عن التبعة ونعرف أن ما عندنا هو الضياء وأن علينا أن نقدم للبشرية هذا الضوء لنخرجها من الظلمات .

ذلك هو السؤال الذى يتردد كثيرا فى السنوات الأخيرة تحت تأثير عنف التمزقات التى تحتاج المجتمع العالمى وفقدان روح الدين والخلق ، وغلبة مفاهيم المدارس الاجتماعية والنفسية والماركسية والوجودية التى تحمل مفاهيم التلمودية الصهيونية اليهودية لتدمير العالم ، غير أن هناك صوتا مازال يدوى ولا يتوقف يظهر فى كل حين من خلال بعض العلماء والمفكرين الغربيين المسيحيين المؤمنين بضرورة التماس الدين الإلهى .

وأما الآن كتاب جديد يدعو الآباء والأمهات الى رفض تعليم اولادهم « الجنس » فى المدارس وإلى العودة الى الفضيلة والتقاليد وإلى احترام الفتيات لأنفسهن والبعد عن الموجة الاباحية التى سادت لسنوات طويلة فى دول الغرب .

الف هذا الكتاب سيدتان هما ( مرجريت وايت وجانيت كير ) يقولان : ان الرجل مهما كان بفكره ، فانه يفضل أن يتزوج من فتاة لم تجعل نفسها فى متناول الآخرين ، وان القول بأن الموضة هى تعلم الجنس واباحة الحديث عنه واطلاق اسم الواقعية على اسم ذلك الاسلوب : هو مجرد هراء ولهو فارغ .

وتقول المؤلفتان : طلبنا من كل فتاة رفض دعوة أى رجل يشتم منه رائحة ممارسة حياة الفوضى وطلبنا من الآباء أن يعلموا اولادهم منذ الصغر الحياء فى مناقشة الأمور الجنسية والابتعاد عن هذه الموجة المدمرة التى تطالب باسم الموضة بنشر التعليم الجنسى فى المدارس .

ويعالج الكتاب مرحلة خطيرة فى حياة الفتيات وهى مرحلة المراهقة فعندما تبلغ الفتاة من العمر ١٦ عاما يكون من الصعب عليها اتخاذ قرار حازم تجاه هذه الأمور ، وغالبا ما تجد الفتاة نفسها مضللة وتتحرك وفقا لعواطفها وليس وفقا لعقلها .

ويقول الكتاب : ان الآباء والأمهات يجب أن يتقربوا بشكل يجعل من السهل توافر الثقة والافتناع العقلي ، ويجب أن يراعوا فيهم بدلا من الخوف من الجنس : حب النقاء والطهارة تمهيدا لحياة زوجية نظيفة . وعليهم أن يمنعوا من التحرر من القيم والأخلاق لا يمكن أن يجعل أيا من الجنسين يثق في الآخر وعندما تقع الفتاة في تجربة حب مع شاب وتخفى عن والدتها ذلك تكون قد وقعت في مشكلة لا تعرف لها حلا وتجذب نفسها تنخرط في حياة تفقد معها احترامها لنفسها واحترام الآخرين لها ، والواقع أن هذا الكلام جدير بأن يقال لأبنائنا في المشرق الذين يظنون أن العالم الغربي يراه سبيلا إلى الخير بينما يقاسى الغرب منه ويجد له نتائج وخيمة قاسية فعلينا أن نعرف أن أسلوبنا الإسلامي هو خير الأساليب وان التقليد في الأمور الاجتماعية خطر وبعيد الأثر في تدمير الأسرة والفتاة على السواء . وتقول الدكتورة جوتروود انها اكتشفت أن الكثير من الفتيات كن ضحايا مادة الجنس المغلوطة التي تتضمنها الكتب الرخيصة والقصص والأفلام وانهن أصبحن لا يحترمن القيم والتقاليد ، وان اجراء تغير في النظم التي سمحت باهدار القيم والتقاليد التي عاشت عليها الأسر العريقة منذ عشرات السنين يحتاج الى جهد مضاعف لانقاذ العشرات من الفتيات من آلاف الكتب والمحاضرات والصور والأفلام التي تدفعن دفعا وراء عالم يلقي بهن الى أسفل الحدود . وقد دعت الدكتورة جرتروود الى صحوه الآباء والأمهات للعودة الى مجتمع القيم والتقاليد .

وتقول : يجب الا نظلم الرجل ونقول انه المسئول عن هذا التدهور فالرجل مهما كان تفكيره وبهما كان متحررا يفضل في قرارة نفسه أن يتزوج من فتاة ذات قيم وتحترم نفسها ولا تلقى بنفسها في وحل الخطيئة .

ولا يحترم الرجل فتاة تعرف الرجال ، ان البشرية منذ القدم تقوم على اساس أن الرجل يجد ذاته في امرأة واحدة أما التعدد فهو ليس من طبع ما توارثته البشرية من قيم وتقاليد .

وبعد .. فهذه واحدة من محاولات المجتمع العالمي في العودة الى الدين بعد ان سقطت تجربة العلوم الاجتماعية والنفسية التي قدمها ماركس وفرويد ودوركايم ، فهل يستطيع المجتمع العالمي أن يخرج من أزيمته .

ان هناك قدرا كبيرا من المسؤولية في هذا على عالم الاسلام الذي يجب ان يتحرر سريعا من قيود التبعية ثم يصل الى مرحلة الترشيد ليستطيع ان يقدم جوهر الاسلام الى البشرية على انه العلاج الوحيد والطريق المستقيم .

### تناقص النسل :

وتجيء الأخبار بتحول خطير في المجتمع العالمي : فقد تفشت ظاهرة نقص النسل في الغرب في نفس الوقت الذي تتزايد هذه النسبة في عالم الاسلام .



## تقول الأخبار الواردة من عالم الغرب :

ان تعداد المانيا الغربية بدأ في التناقص بمعدل ٦٠٠ ألف كل عام ، بدأ النقص هذا العام والمشكلة بدأت تؤثر المسؤولين الذين يقومون من جانبهم بكل ما يؤدى الى زيادة النسل ولكن دون جدوى وهو في سبيل الاغراء بزيادة النسل يدفعون عن الطفل الاول ٥٠ مارك شهريا كمرتب وعن الثانى سبعين مارك والثالث ١٢٠ مارك .

وهذه الامتيازات كما يقول الخبر لا تستفيد منها الأسرة الألمانية بينما يستفيد منها الاتراك العاملون في المانيا فال مواطن الألمانى يعتبر دائما عن الانجاب لا بسبب قلة الدخل ولكن لأنهم يفضلون عدم وجود كثرة من الأطفال حتى لا تعوقهم عن الاستمتاع بالحياة والسفر باستمرار في الاجازات السنوية والأسبوعية .

ولا ريب أن المجتمع الغربى أصبح اليوم يرفض النسل ويضع اوطانه ومصانعه امام ظاهرة خطيرة طى ظاهرة التناقص المطرد ، وهذه الظاهرة ليست واضحة امام الشعب الألمانى وحده ولكن امام مختلف الشعوب الغربية . ولها أسباب كثيرة ولعل أقوى مصادرها ذلك الاتجاه الخطير الذى فرضته الحضارة من الوصول بالرغامية الى درجة عالية من الترف والتخلف من أعباء الولادة وتربية الأطفال .

## يقول العلامة وحيد الدين خان :

ان العقلية التى دفعت اوربا الى استخدام علومنا كانت تطالب بتعلم فنون المسلمين للاحاق الهزيمة بهم عن طريق استخدام تلك الفنون . لقد تعلمت الشعوب الأوروبية علوم المسلمين ولكنها لم تلمس حضارة المسلمين وثقافتهم . لقد نظرت اوربا الى علومنا كمصدر للطاقة العصرية ولذلك استخدمتها للاحاق الهزيمة بأعدائها ولم يسموا كتابهم هذا باسم تقليد الشرق أو محاكاة حضارة المسلمين بل سموها الحرب الصليبية الروحية ، وكان ذلك يعنى انهم حاولوا كسب الحرب التى خسروها ولكن بأسلوب جديد ولذلك استطاعوا فى نهاية الأمر وحتى تم لهم ما أرادوا . لم يقولوا انهم اقتبسوا تلك العلوم من المسلمين بل سموها بالنهضة وربطوها بترائهم وحضارتهم اليونانية القديمة . لقد اقتبست اوربا هذه العلوم من المسلمين ولكنها حذفت حلقة الوسط وربطت نهضتها بطلقة البداية ، أما نحن فماننا أخفنا فى ذلك . لقد كانت أوربا تفرض علينا نفس العلوم التى اقتبستها منا مع اضافات جديدة هامة ولكن المسلمين اقبلوا على هذه العلوم بعقلية المقلدين المبهورين ، وكان عملهم هذا تقليدا للغرب .

## آخر العمود :

عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أن الله زوى لى الأرض غرابت مشارقتها ومغاربها وأن أمتى سيلغ ملكها  
 ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وأنى سألت ربى لأمتى  
 أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح  
 بيضتهم وأن ربى قال يا محمد انى اذ قضيت قضاء فاته لا يرد وأنى أعطيتك  
 لأمتك الا اهلكهم بسنة عامة وأن لا اسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم  
 يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من اقطارهم أو قال من بين اقطارها حتى  
 يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبى بعضهم بعضا ( حديث رقم ٢٠٠  
 صحيح مسلم ) .



## فليأخذ المسلمون حذرهم

### هذه تجربة المجتمعات العصرية

يصور مارتى باولوى فى كتابه « المستقبل السرى » او المستقبل الغامض مدى ما وصلت اليه الحضارة الغربية المعاصرة يقول :

بدا الانهيار فعلا فى المجتمع الصناعى بانهيار بنىان الأسرة وسلطة الأب بعد ضعف وانقطاع الصلة بين الأصول والفروع والجدود والأعمام والعمات والأخوال والخالات .

بل ان الأطفال انفسهم ينزعون اليوم الى مغادرة البيت فور انتهائهم من الدراسة لا عند الزواج كما كان يحدث من قبل .  
بل ان الزوجة نفسها التى تعتبر آخر حجر فى بنىان سلطة رب الأسرة بدأ وضعها يتغير .

أولا : بالتمرد على الالتزامات التى توثقها بالأسرة . وثانيا بقتراج عدد كبير من الزوجات فى العمل خارج المنزل مما يخضعهن لسلطة أخرى هى سلطة المؤسسات وقوانينها ثم تزايد معدل الطلاق بحيث أصبح فى طريقه يصل الى ٥٠ فى المائة من عدد الزيجات .

وقد تغيرت صورة منزل الأسرة التقليدية هى الأخرى وأصبحت مجرد خيال بعد أن أصبحت الأسرة فى الغرب تغير سكنها مرة كل سبع سنوات أصبح كثير من الناس يغيرون مساكنهم مرة كل عام وأصبح الناس ينتقلون من أقصى البلاد بحثا عن فرص أفضل للعمل . حتى العلاقة بين الآباء والأبناء أصبحت تعصف بها الشكوك بعد سيل الدراسات والنظريات التى تبين العلاقة الوثيقة بين الشذوذ العقلى والعلاقة الأسرية .

وفى هذا الشأن تبين الاحصاءات ان جرائم القتل تزيد زيادة كبيرة خلال احتفالات رأس السنة التى تتم فيها الاجتماعات الأسرية فى الغرب .

ولم تعد القوة الاقتصادية للأسرة متوقفة على قدرة رب الأسرة على الكسب وحدها وصار لانماط الاستهلاك داخل الأسرة الواحدة اثرها الكبير على أحداث التمزق والعزل بين أفراد الأسرة . وفى نفس الوقت تعرض المجتمع لتحولات سكانية سريعة كما حدث بالنسبة للأسر وبساهم التلفزيون كعامل أساسى فى القضاء على الحياة العامة وسياسيات الجباعة فقد خلط تصورات العالم الحقيقى بتصوراته الخاصة ومن نتائج ذلك ظهور حقائق جديدة ..

وقى عصرنا الحالى أخطأ وضوح المتناقضات بجئون التراجى الذى لم يسبق له مثيل انه عصر يتميز بكثير من النقاش حول الامن والنجاح والابوة والقيم الاجتماعية لكنه ايضا يتميز بضخالة فى التأثير الحقيقى لهذا النقاش واصبح من الواضح ان كل هذا النقاش ما هو الا قناع لأخطاء اللامبالاة الخاصة ، انه انسحاب جماعى من الحياة العامة وتخل عن المسؤولية بل انه انسحاب لا يقف وراء مجرد المبالاه ( لقد دمرت الوفرة الأفكار العظيمة وقضت على الاسرة واطاحت بنظام الزواج وسفقت القيم ) ..

هذا هو المجتمع الغربى فى العقد الثامن من القرن العشرين بعد تجربة استمرت من القرن الخامس عشر وانتهت هذه النهاية الخطيرة وفرضت آثارها وسبومها على العالم كله . ولم يستطع عالم الاسلام ان يتوقى نتائجها الخطيرة فقد استطاعت الحضارة الغربية بسبومها وفسادها وشرورها ان تترك آثارها وانطباعاتها فى المجتمع الإسلامى ، ولكن التجربة كانت غامضة أول الأمر وكان من ورائها دعاة مضللون يدعون الى الأخذ من حضارة الغرب بكل شىء طوها ومرها خيرها وشرها وما يحمد منها وما يعاب وقد تبين ضلال ذلك وفساده وجاءت النتائج الخطيرة من نكبة ونكسة وهزيمة خلال أكثر من سبعين عاما فى حياة المسلمين لتكشف فساد هذا الطريق الذى دعاهم اليه الغربيون واليهود والشيوعيون وقد تنبها أخيرا وقبل موات الإوان الى الطريق الصحيح وها هو واحد من عشرات من كتاب الغرب الذين كشفوا مدى الخطر ومدى الهزيمة — يصور لها النتائج فهل نعتبر ونحاول ان نتجنب الوقوع فى نفس الأخطار ..

هذا نذير وفى إيدينا مقاديرنا لنحول بين انفسنا وبين الهزيمة والتردى .

\* \* \*

## اليوجا : هذه الاكذوبة الكبرى

ما زالت محاولات خداع العرب والمسلمين تهب برياح الدعوات الباطنة من شرق وغرب تدعوهم الى اوهام واضاليل واكاذيب هم أغنى الناس عنها بما وروثه من تراث ضخم حافل بالعطاء الثمر في مختلف جوانب الحياة . ومن هذه الرياح الصفراء التي تهب ، تلك البدعة الضالة التي يطلقون عليها — اليوجا — ويصدقها بعض الناس الذين جهلوا ما لدى تراثهم من معطيات تفوق ذلك وتصدق وترتبط بالايمان بالله ، الذى هو مصدر السكينة والثبات والقدرة على مغالبة الأزمات ومواجهة الأحداث .

يقول دعاء اليوجا : ركز طاقتك العقلية فى النظر الى شمعة مشتعلة ولا تفكر فى أى شيء .

وماذا بعد انقضاء الساعات ، لا شيء . اما الاسلام فهو يدعونا ان نركز قلوبنا فى الصلاة فنفرغ لها ولا يشغلنا أمر من أمور الدنيا عنها فنحن بين يدي الله تبارك وتعالى فاذا فعلنا ذلك وتدرينا عليه أوتينا منحة القدرة على تركيز القلوب والعقول فيما بين أيدينا من العمل ، تأملا ونظرا ومن هنا تكون أعمالنا خضبة معطية بها يعجز عنه العجلون المتسرعون الخطافون .

ان المسلم يركز نفسه بين يدي ربه ذى الجلال والاکرام ، اما السرحان فى الأفق بالبصر ، فأى راحة فيه وأى سعادة .

ان الانسان الضائع المشتت فى حياته اليومية المحتاج الى تركيز لن يجد فى النظر الى الشمعة أو الأفق شيئا ، اما تركيز المسلم فهو ايمان بربه واعتقاد صادق بان الأمور كلها بيده ، ومنه تبارك وتعالى منطلقها ومرددها وهو المستعان عليها .

يقول الدكتور والاس : ان الانسان العصرى ولا سيما انسان آسيا لا يستخدم سوى خمسة فى المائة من طاقة الذكاء التى عنده اما نسبة الـ ٩٥ فهى معطلة بدون استغلال ، لان ضغوط الحياة تكون مخترنة فى الأعصاب وتمنع المرء من الإبداع والابتكار على النحو الذى يتنى .

ويقول : ما هى ضغوط الحياة الا الصدمات والانفعالات .

اما بعد صلاة الدكتور والاس التى يسميها صلاة التأملات فان الانسان يكون أكثر قدرة على الاستيعاب .

والحق ان الاسلام قد علم أهله صلاة الاستخارة وصلاة الخوف وصلاة الحاجة وصلاة الشكر وهى كلها تدور فى فلك الإيمان بالله صاحب الأمر وواهب الرحمة والهدى ومجنب الانسنان الشر والخطر . والمؤمن بربه لا يزجه شيء ، أن اعطاه ربه شكر وان منعه تضرع وصبر ، فهو لا يتفعل لأمر ما من أمور الحياة كلها .

أما صلاة التأملات فماذا تعطى الا وساوس الشيطان واوهام النفس التى لا تعرف طريقها الصحيح .

ويقول دعاة اليوجا : جرب صلاة مستر والاس : انس الدنيا من حولك . تجاوز متاعك ، اعط اجازة لذهنك ، استغرق فى الصمت والتأملات ساعة كل يوم .

ونحن نقول : انه لا صلاة الا الصلاة لله وحده ، ماذا يفعل الصمت والتأمل اذا لم يكن مرتبطا بدعوة الله رهبا أو رغبا أن يدفع الشر أو يعطى الرحمة .

الحقيقة التى يجب أن يعرفها بنو قومنا أنه لا يعطى سكينه النفس وهذوء البال غير الصلاة التى فرضها الحق تبارك وتعالى والتى لا تستغرق الا دقائق قليلة أما رفع الأقدام الى أعلى وخفض الرأس الى أسفل ساعات متصلة فانه ليس الا محاولات وهمية خادعة ، لا تستطيع أن ترد عن الإنسان وساوس الشيطان ولا تهديه سواء السبيل .

إذا ظن الغربيون انهم فى التماس الطقوس الهندية أو الصينية أو أوهم البوذية وخيالاتها يستطيعون أن يردوا الى انفسهم السكينه وينزعوا منها القلق فانهم واهمون ، انهم كما يقول قائلهم ، يتجهون الى الشرق ليقفوا أمام رقصة هندية حاملة أو رفع الأقدام الى أعلى كما يفعل سحرة اليوجا ، وما اظن أن هذا ينفعهم فى شيء أو يرد اليهم طمأنينة النفس .

ان مفهوم ظاهرة اليوجا وغيرها ان الحائرين اخذوا يبحثون عن الله ، ولكنهم ما زالوا يخطئون الطريق الصحيح فيخرجون مانية الغرب الى وثنية الشرق ، فهم يخرجون من سوء الى سوء أشد منه ، فان البحث عن الله الحق لا يكون عبر الطقوس الخرافية أو الأوهام الخرافية وانما يكون عن طريق معرفة الدين الحق .

أن الفطرة الانسانية حين تصفو حقيقة انما تتجه الى ربها ولكن أهل الشر لا يريدونها تسلك الطريق الصحيح ولذلك فهم يقذفون بها فى أتون جديد من الشر هو أوهم اليوجا والبوذية وغيرها وكل هذه المحاولات لن تحقق للنفس البشرية سكينتها وأمنها ، وأما السكينه والأمن هى فى الإيمان بالله واتباع نشر دعوته الحق .

\*\*\*

هل من أريوس جديد يعيد الحق إلى نصابه ؟

صحح الشاعر القروي في وصيته التي نشرتها مجلة الرسالة الإسلامية ( اللبنانية ) موقفا ما زال غامضا ، وقضية ما زالت مغلوطة منذ وقت بعيد حين قال : كان في نيّتي اعجابا مني بمعجزة القرآن الكريم وإيماننا بصدق نبينا العربي الذي أنزل على روعه وبوضوح سيرته منذ ولادته وحتى وفاته أن أكون قدوة لأخواني أدباء النصرانية فأدخل في دين الله ، ولكني بدا لي أن الدعوة إلى تصحيحنا خطأ طارنا على ديننا تكون أكثر قبولا عن الدعوة إلى عدولنا عنه إلى سواء ، فقررت أن تكون لي الخطوة الأولى في سبيل إيقاف الأريوسية الموحدة من رقابها الطويل .

ومضى يفصل الشاعر القروي ( رشيد سليم الخوري ) هذه القضية الخطيرة فقال : تذكر المراجع التاريخية المتعددة أن الكنيسة المسيحية ظلت حتى القرن الرابع الميلادي تعبد الله على أنه الواحد الأحد وأن يسوع المسيح عبده ورسوله حتى تنصر قسطنطين عاهل الروم وتبعه خلق كثير من رعاياه اليونان والرومان فأدخلوا عليها بدعة التثليث وجعلوا لله سبحانه وتعالى أندادا شاركوه منذ الأزل في خلق السموات والأرض وتدبير الأكوان وما لأهم الأسقف الانطاكي مكاريوس الذي لقب نفسه أرثوذكسي ( مستقيم الرأي ) فثار زميله الأسقف أريوس على هذه البدعة ثورة عنيفة شطرت الكنيسة واتسع بين الطائفتين نطاق الجدل حتى أدى إلى الاقتتال فانهضت المجمع للحوار ، وفاز أريوس بالحجة القاطعة فوزا مبينا ، بيد أن السلطة التي هي أصل البلاء وضعت ثقلها في الميزان فأسكتت صوت الحق ونفذت الباطل واستمر المسيحيون يعمهون في ضلالتهم والحق يتهلل في قيود منتظرا ( أريوسا جديدا ) يعيده إلى نصابه ، ولكم أتبنى وأنا الأرثوذكسي المولد أن يكون هذا الأريوسي بطريركا أرثوذكسيا بطلا ليصلح ما أفسده سلفه القديم ويصح عنا خطيئة الصقها بنا غريباء غريبون ولطالما كان الغرب ولا يزال مصدرا لمعظم عللنا في السياسة وفي الدين على السواء .

لقد كان في نيّتي اعجابا مني بمعجزة القرآن الكريم وإيماننا بصدق نبينا العربي الذي أنزل على روعه وبوضوح سيرته منذ ولادته حتى وفاته أن أكون قدوة لأخواني أدباء النصرانية فأدخل في دين الله . ولكن بدا لي أن الدعوة إلى تصحيحنا خطأ طارنا على ديننا تكون أكثر قبولا وشمولا من الدعوة إلى عدولنا عنه إلى سواء فقررت أن تكون لي الخطوة الأولى في

سبيل أيقاظ الأريوسية الموحدة من رقادها الطويل وتزول العقبة الوحيدة  
المفتعلة الفاصلة بين الدينين ونغزو بزوالها أخوانا على سرر متقابلين .

أما خطواتي المبكرة المشار إليها فهي اتي أنيع على الملا :

« عزوفى » عن أرثوذكسى الكاروسية الى الأرثوذكسية الأريوسية .

والواقع أن هذه الوصية تعد حدثا خطيرا سيكون بعيد المدى فى التاريخ  
المعاصر فإن هذه الحقيقة التى كشف عنها الشاعر القروى ( رشيد سليم  
الخورى ) هى نقطة الانفصال بين الدين الذى أنزل على سيدنا عيسى عليه  
السلام وبين خاتم الأنبياء الذى أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .  
فقد كان عيسى عليه السلام هو آخر أنبياء بنى اسرائيل بين يدى التوراة  
وما جاء به موسى ومبشرا برسول يأتى من بعده اسمه أحمد أو كما صوره  
القرآن الكريم ( أن هو إلا عبد أتبعنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل )  
ولو بقيت هذه الحقيقة قائمة لما وقع ذلك الخلاف الشديد والاضطراب  
الضخم الذى أصاب البشرية لتحريف مفهوم الدين الذى جاء به عيسى عليه  
السلام الذى هو نبي الله الى بنى اسرائيل ، وذلك قبل أن تدخل القضايا  
الثلاث الخطيرة : ( التثليث ، والصلب ، والخطيئة ) وكلها مسائل مستحثة  
أحدثها بولس ولم تكن من أصل الدين الذى أنزل على عيسى عليه السلام  
ولقد كان للكنيسة الغربية اثرها البعيد فى تثبيت هذه المفاهيم ونقل دين الله  
من بساطته الأولى ومن موقعه الصحيح . وكان ( آريوس ) هو الرجل الوحيد  
الذى وقف فى وجه هذه المحاولة الخطيرة . وقد ظلت له جماعة تتبعه وتؤمن  
بالله الواحد القهار تعتمد بالجمال وتتوارث هذا الحق حتى جاءت بعثة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول بعض المؤرخين أن عبارة النبي  
صلى الله عليه وسلم فى رسالته الى قيصر الروم تكشف هذه الحقيقة  
( اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن لم تفعل فإن عليك أثم الأريسيين ) .

وكان قد غسرها بعض المؤرخين بأنهم الفلاحون أو عبيد الأرض ولكن  
تفسيرها بأنهم أتباع آريوس أقرب الى الصحة . وبعد فلمل هذه الرسالة تجد  
من يستمع إليها وتشق طريقها لتصحيح هذه الحقيقة التى دفنت منذ  
عام ٣٥٣ ميلادية حين حطم مجمع نيقية وجهة نظر آريوس وطرده من  
المجمع .

لماذا لم يسلم ( جوته ) :

يتحدث الباحثون كثيرا عن كتابة لامارتين وجوته وبرناردشو وغيرهم  
عن الاسلام وعن الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة ذلك الفصل الرائع  
الذى كتبه توماس كارليل فى كتابه ( الأبطال وعبادة الأبطال ) ويردد الكثيرون  
فى هذه الأيام قصيدة جوته فى النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ونحن نتساءل  
بدورنا : إذا كان هؤلاء قد اقتنعوا بنبوة الرسول الكريم فلماذا لم يسلموا  
شأنهم شأن العشرات الذين نخلوا الاسلام فعلا . هذا هو السؤال .

يقول جوته أنه يرى أن محمدا قائد روحى ومنقذ الإنسانية وأنه كالنهر



العظيم يجز معه الجنادل والسواقي في طريقه الى البحر الخضم ، انه اخو الانسانية ومعه يأخذ الاخوان الى حياة اسمى . ولم يقف الشاعر جوته عند قصيدته الكبرى بل انه كتب اخريات وكتب مادة نظرية في مؤلفاته توضح تقديره القيم لرسالة محمد الفكرية والانسانية وابرز اعماله ( الديوان الشرقي الغربي ) الذي قال فيه انه من حياة العرب والمسلمين والاستشهاد بأقوال واوصاف ونماذج من سور القرآن والشعر الاسلامي والاغكار التي حملتها التعاليم الدينية الاسلامية .

ويقول ان جوته كان مهتما بالعلوم والديانات ومن هذا المنطق حفز مشاعره ما جاء في القرآن الكريم من افكار في الحياة والوجود . ويرد هذا الاهتمام الى تاثير الغرب بما نقله العرب في الأندلس من تراث فكري اسلامي الى غربي أوروبا .

ولقد كان من أهم الأحداث في هذه الفترة ترجمة القرآن الى الألمانية والفرنسية . ويرى الباحث ان هذا الاتجاه الذي حمل لواءه ( جوته ) قد كان متأثرا فيه بقراءات : هيردرد ولينتز ليسنيغ فصوروا ما في الاسلام من مبادئ انسانية عادلة وفضائل خلقية وفكرية ، ومن أهم ذلك ما كتبه هيردرد في كتابه ( افكار حول فلسفة تاريخ الانسانية ) حيث أشاد بشخصية النبي محمد وحماسه العالي لفكرة وحدة الله وحكمة عبادته بواسطة الطهارة والتأمل والعمل الصالح . وقد رد هيردرد على التقاليد اليهودية والمسيحية البالية وأشاد بسيرة محمد والثقافة الاسلامية وأظهر تعاليم الدين الاسلامي التي حثت على تحريم الخمر والمأكولات النجسة والزنا والقمار والميسر وبين ان تأثيرات العبادة اليومية وافكار الرحمة والطاعة لارادة الله التي نص عليها القرآن تمنح المسلمين اطمئناتهم النفسى .

قال هيردرد في تقديره للقرآن الكريم : لو كان للمسيطرين الجرمانيين على أوروبا كتاب كلاسيكي بلغتهم كما كان القرآن للعرب لما أصبحت اللغة اللاتينية مهيمنة عليهم ولتعذر على قبائلهم ان تقع بصورة كاملة في الضلال ..

ومن هذه المفاهيم جسيما بنى جوته قصائده وكتاباتة .

ومن شعره عن الله تبارك وتعالى قوله :

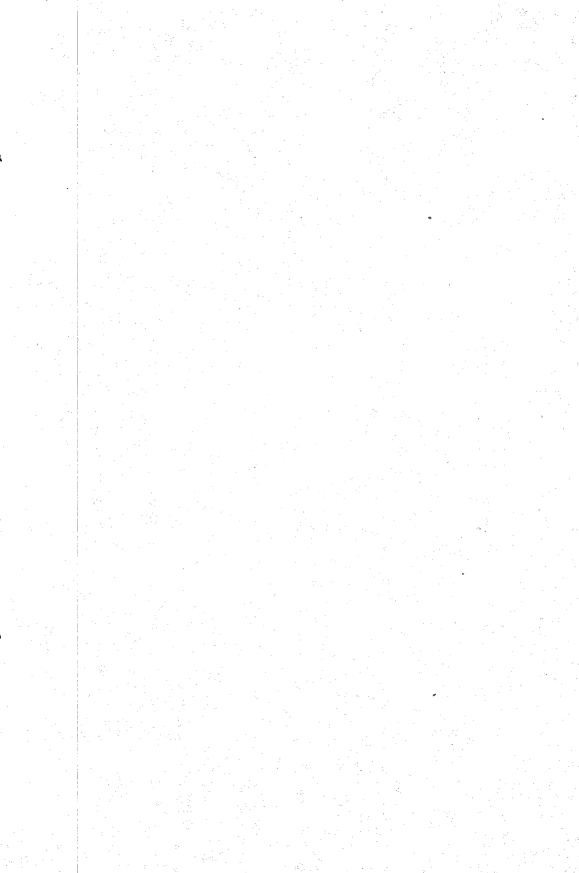
الله المشرق

الله المغرب

رحاب الشمال والجنوب

مستقرة بسلام في يديه

ويبقى بعد هذا السؤال : لماذا لم يسلم جوته بالرغم من هذا الاعجاب العميق بالاسلام ؟ ام انه أعلن اسلامه بينه وبين نفسه ..



## جرجى زيدان صورة طبق الأصل من المستشرقين

ان الخطر الذى واجه الفكر الإسلامى بالتزيف واثارة الشبهات قد بدا عمله منذ وقت مبكر ، وكان هدفه الأول هو تاريخ الإسلام : وبعد أن كتب المستشرقون الخطوط العامة جاء أولئك التفريسيون الذين يكتبون باللغة العربية : فيليب حتى وجرجى زيدان .

وفي مجال الدراسات الاجتماعية جاء : شلى شميل وسلامة موسى ، ووقف الدكتور يعقوب صروف صاحب المقتطف على الحيداء . وفي مجال الفكر جاء : فرح أنطون ، وسليم نقاشى حامل لواء الإقليمية العنصرية « مصر للمصريين » .

وفي مجال مهاجمة الإسلام والدولة الإسلامية جاء : سليم سركيس وصابونجى وغيرهم .

واليوم نجد روايات جرجى زيدان يعاد طبعها فجأة في عاصمة قطر من اقطار العرب وتقدم كأنها الصورة الحقيقية لتاريخ الإسلام بينما تحمل سموما وشبهات لا حد لها . وهى وحدها في حاجة الى دراسة واسعة للكشف عن الزيوف التى تحملها في طياتها والتى صاغها جرجى زيدان بمكر من خلال قصة حب خيالية . اراد بهزم الخدعة ان يدخل اليها كل ما حاول الاستشراق ان يزيف به تاريخ الإسلام ، ولا تخرج الآراء عما إورده في كتابه « تاريخ العرب قبل الإسلام » و « تاريخ آداب اللغة العربية » ولكنها هنا في القصص أشد وقعا لأن هذه الكتب لا يقرأها الا الخاصة أما هذه الروايات فهى متداولة بين الأيدي ، وخاصة بين أوساط المثقفين والقارئین .

يقول الدكتور محمود حامد شوكت : ان جرجى زيدان حين يختار موضوع رواياته لا يلجأ الى الفترات المشرقة التى تمثل أمجاد التاريخ العربى دائما ولكنه يختار المواقف الحساسة التى تمثل صراعا بين مذهبين سياسيين او بين كتلتين تتصارعان على النفوذ والسيطرة فهو في الوقت الذى يحدثنا فيه عن ( فتاة غسان ) لا نجده لفترة ظهور الإسلام في عهد الرسول ولا لفترة انتشار الإسلام وفتوحاته في عصر خلفائه وانما يعبر هذه الفترة لتقديم لنا مجموعة من الروايات تمثل « الصراع السياسى » في عهد بنى أمية وآخر عهد عثمان وهى عذراء قريش و غادة كريلاء والحجاج بن يوسف . وهو لا يختار من العصر العباسى الأول الا شخصية أبى مسلم الخراسانى التى تمثل « الصراع السياسى » في العربية والفارسية . والعباسية التى تمثل

الصراع بين الرشيد والبرامكة وشخصية ( الأمين والمأمون ) وهما يمثلان عودة الصراع بين العرب والفرس من جديد ، وهذا الاختيار الذي يعتمد فيه جرجي زيدان الى فترات الصراع كان يساعده ويسهل مهمته في الجانب الروائي لعمله لأنه يقدم له الجوانب المتنوعة والمغامرة ويقدم له الشخصيات الخيرة والشهرة التي يستغلها في القصة الغرامية ، كما يكشف هذا الاختيار ما سبق أن قدمناه من أن جرجي زيدان لا يتجه الى التاريخ العربي والاسلامي باحساس قومي يدفعه الى إبراز أمجاد هذا التاريخ وإنما يقصد الى تسليته قارئه ليس الا ، ولعل هذا ما حمل بعض المؤرخين على اتهامه بأنه تأثر في نظرته الى العالم الاسلامي تأثرا واضحا بنظرة بعض المؤرخين الغربيين من حيث انصاف الشعوب الأعجمية ووضع حالات مثالية حول الاديرة والرهبة وتصوير الخلفاء بصور الوصولية الذين يضحون في سبيل الملك باقرب الناس اليهم .

واذا كان جرجي زيدان قد اختار موضوعات رواياته بقصد التعليم والتسلية ، فان اختياره لعناوين هذه الروايات يكشف عن هذين الهدفين ايضا . فهو في بعض الروايات يختار العنوان الذي يشير اليه التاريخ : مثل فتح الاندلس أو الحجاج بن يوسف والانقلاب العثماني ، وأبو مسلم الخراساني والأمين والمأمون .. الخ . وأحيانا يختار العنوان الذي يكشف جانب المغامرة مثل صلاح الدين ومكائد الحشاشين ، والملوك الشارد ، وأسير المنهدى . وقد يحتفظ جرجي زيدان لبعض رواياته بالعناوين الغرامية والتاريخية فيسمى الرواية ( أرماتوسة المصرية ، أو فتح مصر ، والعباسة أخت الرشيد ، أو نكبة البرامكة ) وهو يصف كل رواية من رواياته بأنها تاريخية غرامية ، الا في بعض الأحوال التي يضعف فيها العنصر الغرامي ليحل محله عنصر المغامرات في أحوال نادرة فيسميها تاريخية أدبية .

وقد قصد جرجي زيدان برواياته أن تكون بعد تصفية العنصر الغرامي منها مرجعا تاريخيا ، كما صرح بذلك في مقدماته ، وحرص لذلك أن تغطي رواياته كل مراحل التاريخ العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث .

ونحن من ناحيتنا نقول : أن جرجي زيدان أراد أن يقدم برواياته شبهات زائفة على أنها حقائق مسلم بها :

أولا : موقفه من السلطان عبد الحميد والجامعة الاسلامية وهو موقف خصومة وكراهية .

ثانيا : موقفه من الامام مهدي السودان مع انه كما تؤكد وثائق التاريخ قام بحركة استقلالية اسلامية ناصعة .

ثالثا : انه وسع دائرة الخلاف بين الصحابة واثارة الخلافات بين الأمويين والعباسيين ، وقد جرى في ذلك مجرى المستشرقين الذين حاولوا اثارة السموم .

والواقع أن طبيعة تكوين جرجي زيدان ووقائع تاريخه توحى بأنه عمل

في دائرة الاستشراق والتبشير وفق مخطط دقيق مكرر ، لم يكشف الا بعد وقت طويل . ومطالع حياته تعطى اشارة واضحة لذلك . فقد اشتغل بمجرد ان قدم الى مصر في قلم المخابرات البريطانية وسافر مع الحملة النيلية الانكليزية الى السودان عام ١٨٨٤ ثم عاد الى بيروت فدرس اللغتين العبرية والسريانية ثم رحل الى لندن فاقام فيها فترة اتصل فيها بمعاهد اعداد غير المسلمين للعمل في الشرق ، وفي هذه الفترة اتصل بالمسونية ، ولما عاد الف كتابه ( تاريخ المسونية ) الذي ما زال اكبر مراجع المسونيين ، وهو في صف دعوتهم ، وقد كانت مجلة الهلال محاولة لنقل الفلسفة المسونية الملحدة الاباحية الى افق الفكر الاسلامي بذكاء ومكر شديدين ( ومما يذكر ان صروف ونمر ومكاريوس أصحاب المقتطف والمقطم ) كانوا ماسوناً ، وكذلك سركيس والدكتور شبلى شميل وكانوا من اولياء الاستعمار البريطاني في مصر وخدامه ، وقال عنهم اللورد كرومر أنهم هبة السماء له .

فلما وقع حادث اسقاط السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ ، وتولى الاتحاديون بدأ يدافع عنهم ، وكان موقفه وموقف الهلال والمقتطف منذ وقت طويل قبل هذا ممهدا لهذا الحدث الكبير .

يقول السيد رشيد رضا : ( م ١٧ المنار - ١٩١٤ ) ثم ظهر منه ( اى من جرجى زيدان ) بعد الانقلاب العثماني نزعاً جديدة تقدمتها نزعاً عدت احياء لمذهب الشعوبية ذلك بأنه زار الأستانة ولقى فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقى ثم عاد مشبعاً بالنهضة التركية مستنكراً مجازاة العرب لاخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية مستصوباً خطة الاتحاديين الأولى في تنريك العناصر وادغام العرب في الترك . وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعاً فهاج ما كتبه جماعات فتيان العرب في الاستانة وسوريا وكادوا يحملون عليه في الصحف . أما النزعاً التي سبقت هذه النزعاً فهي مطاعن له في العرب اودعها في تاريخ التمدن الاسلامي فطن لها اخيراً من لم يكن يحفل بها وزادهم التفاتاً اليها ترجمة جريدة ( اقدام ) التركية لتاريخ التمدن الاسلامي . . ونشره فيها بالتتابع فتشاور كثير من الشبان المتعلمين في الرد على هذا التاريخ ولم يظهر منه شيء .

وقد اشار العلامة شبلى النعماني في نقده لكتاب التمدن الاسلامي : الى ان الغاية التي توخاها « جرجى زيدان » ليس الا تحقير الامة العربية وابداء مساوئها ، ولكنه لما خاف ثورة الفتنة غير مجرى القول والبس الباطل بالحق . وبيان ذلك انه جعل لعصر الاسلام ثلاثة ادوار فمدح الدور الاول « ولما غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين ومدحه لبنى العباس وهم ابناء عم النبي ، ورأى ان بني امية ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم تفرغ لهم وحمل عليهم حملة شنعاء فما ترك سيئة الا وعزاها اليهم وما خفى حسنة الا وابترها منهم .

وقال العلامة شبلى النعماني : لقد تعود المؤلف جرجى زيدان قبول مختلف اهل الكتاب واوهامهم وسببذلك انه يزن التاريخ الاسلامي ميزان غيرنا ، ولذلك يصفى الى كل صوت ويستمع لكل قائل لا يعرف ان هذا الفن

أى : كتابه التاريخ — له أصوله وقواعده ، ما لم تكن الرواية مطابقة لهذه الأصول البيهقية فلا يلتفت اليه أصلا ، فكان الناقل للرواية لابد أن يكون قد شهد الواقعة فإن لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها حتى تصل الرواية الى من شهدها بنفسه ، ومنها أن يكون رجال السند معروفين بصدقهم ، ومنها ألا تكون الرواية مختلفة الدراية ، ومجاري الأحوال ، ولذلك أهتم مؤرخو الإسلام قبل كل شيء بضبط أسماء الرجال والبحث عن سيرهم وأحوالهم وديانتهم ومحلوهم من الصدق ، فدونوا كتب أسماء الرجال ، وكابدوا في ذلك محنة يضيق عنها النطاق البشرى فعملوا كتباً غير محصورة منها الكامل لابن عدى والثقة لابن حبان وتهذيب الكامل للحرى وتهذيب الحيزى التهذيب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ، وميزان الاعتدال للذهبي . ونجد كتب القدماء من مؤرخى الإسلام كلها أو أكثرها كتاريخ البخارى وسيرة ابن اسحق ، وتاريخ الطبرى وابن قتيبة وغيره سلسلة الاسناد مبينة الأسماء ليتمكن نقد الرواية ومعرفة جديدها من زيفها ..

ومما أخذ عليه وقوفه في صف خصوم المسلمين التائلين بأنهم ( حرقوا ) مكتبة الاسكندرية ، فقد أشار الى ذلك أكثر من إشارة ثم عقد بابا لاثبات أن خزانة الاسكندرية حرقت بأمر عمر بن الخطاب . وقد أطنب في ذلك واستدل عليه بدلائل .

وأشار النعماني الى أن المؤلف اعتمد على روايات ثبت كذبها . وقال : أن أقدم من روى هذه الرواية هو البغدادي ، ذكرها من غير اسناد ومن غير أحالة على مصدر . وقال : أن أول شيء يهمننا هو : هل ذكر القطعي والبغدادي هذه الرواية بسندة وذكرنا مصدر الرواية واسم روايتها أم لا !

وأنت تعلم أن البغدادي والقطعي من رجال القرن السادس والسابع فأى عبرة برواية تتعلق بالقرن الأول ، يذكرانها من غير سند ولا رواية ولا أحالة على كتاب . أما كتب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها أثر ولا عين . وهذا تاريخ الطبرى واليعقوبى والمعارف لابن قتيبة والخبار الطوال للدينورى ، وفتوح البلدان للبلاذرى ، والتاريخ الصغير للبخارى وثقة ابن حبان ، والطبقات لابن سعد ، وقد تصفحناها وكررنا النظر فيها . ومع أن فتح الاسكندرية مذكور فيها بقضها وقضيضها فليس لحريق الخزانة فيها ذكر ( المنار : م ١٥ يناير ١٩١٤ ) .

وقال شبلى النعماني : وأعلم أن مسألة احراق خزانة الاسكندرية موضوع مهم عند أهل أوروبا ، وقد أطال البحث فيه نفيا وإثباتا ومن الم بهذا البحث جبلة وتفصيلا المعلم وايت ، والمعلم دى ساسم الفرنسى في ترجمة كتابة الافادة والاعتبار واشفكن أدونك وديرير الأمريكانى ، صاحب كتاب الجدل بين العلم والدين ، وكرجين وسديو في تاريخ الإسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنسى في خطبته عن الإسلام والعلم ، وقد طالعت كل هذه الأبحاث والمقالات ، والحاصل أن محققى أهل أوروبا قضوا بأن الواقعة غير ثابتة أصلا . منهم : جيبون المؤرخ الانجليزى وديرير الأمريكانى وسديو الفرنسى وكرويل الألمانى ورينان الفرنسى وعمدتهم في اتكار ذلك أمران :

الأول : ان الواقعة ليس لها عين ولا أثر في كتب التاريخ كالتطبرى وابن الأثير والبلاذرى وغيرها . وأول من ذكرها عبد اللطيف البغدادي والقفطى ، وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرهما مصدرا للرواية ولا سنداً .

والثانى : ان الخزانة كانت قد ضاعت قبل الاسلام : اثبتوا ذلك بدلائل لا يمكن انكارها ..

هذا مجمل ما اشار اليه العلامة شبلى النعماني . اما العلامة أحمد السكندرى ، فقد اشار الى ان مما يؤخذ على جرجى زيدان انه كثير النقل من مستعربى الأمرنج من غير تحييص لدعواهم وانه يخطئ في الحكم الفنى اى انه يقرر غير الحقيقة العلمية ، وانه يخطئ في الاستنتاج وانه يقيم الدعوى بغير دليل ، ويخطئ في النقل وانه قليل تحرى الحقيقة . وتروج عند المؤلف اقوال الخصوم من خصومهم ، واقوال الكتب الموضوعة لأخبار المجان او لذكر عجائب الأمور وغرائبها وانه يستدل بجزئية واحدة على الأمر الكلى .

وعن كتابه ( تاريخ العرب قبل الاسلام ) أخذ عليه السكندرى انه أغفل مدة حكم الفرس في اليمن بعد ذى يزن ، وكثرة شكه وتردده وتناقضه في أكثر الحوادث وتخريجه الاعلام تخريجا غريباً واختصاره التاريخ جدا وانكار بعض الحقائق البديهية في موضع وتشبته بتحقيق بعض الظنون في موضع آخر . ومما أخذه عليه ما أسماه ( جسارته ) في وضع الأسماء والتقسيمات التاريخية ، مع ضعف الاستظهار كتقسيم ادوار تاريخ العرب وتسمية الأمة التى سماها ( استرابون ) اليونانى جرهمين بالقريتين نسبة الى قرية وهى اسم اليمامة قديما وهم الذين قال استرابون انهم أغنى الآن . فمضى كان أهل اليمامة أغنى أهل الأرض ، وكذلك أخذ عليه تهجيته اخبار العرب في حوادث الفخر والغلبة وتصديقه خرافات استرابون وهيردوت ، مع انها لم يدخلها بلاد العرب ولم يراها . وكذلك أخذ عليه سوء التعبير من الوجهة الدينية في عبارات الكتاب كقوله « أقدم المصادر العربية المعروفة عن تاريخ العرب وأقربها الى الصحة : القرآن » .

( راجع المنار م ١١ ، ص ٨٦٣ ، ٧٨٧ ) .

ويعيننا هنا أن نقول : ان هذا الاتجاه كان بمثابة تعريب فكر الاستشراق وشبهاته وسمومه وادخالها في مؤلفات انتشرت في أيدي الباحثين ، فلما ترجمت من بعد دائرة المعارف الاسلامية تبين انها تضاهيها من حيث وحدة المصدر . ثم جاء بعد ذلك طه حسين وأحمد أمين وأمين الخولى وغيرهم فادخلوا التاريخ الاسلامى مراحل جديدة أشد خطورة . ثم جاءت بعد ذلك محاولات التفسير المادى للتاريخ التى حمل لواءها عبد الرحمن الشرقاوى وغيره .





## اكذوبتان في تاريخ الأدب العربي الحديث

( استاذ الجيل وعميد الأدب )

كان للاستعمار أثره في ظهور الحركات السياسية التي حاولت ان تلتئم طريقها بعيدا عن اطار الفكر الاسلامى .

ولقد كان للسياسة الحزبية وصراع الاستعمار مع حركة اليقظة الاسلامية دور لاقتصادها عن مكانها في المقاومة والدفاع عنه مما ظهر اثره في ظهور الحركات السياسية التي حاولت ان تلتئم طريقها بعيدا عن اطار الفكر الاسلامى . وفي كل بلاد العالم الاسلامى التي عرفت الاحتلال الاجنبى والاستعمار نبعت انطلاقا المقاومة من اعمق حركة اليقظة الاسلامية فكانت رافدا من روافدها ذلك ان حركة اليقظة بدأت أولا في مواجهة الجبرية والجهود والمعجز عن فهم الاسلام فهما اصيلا مستمدا من منابعه ، ثم جاءت الفزوة الاستعمارية فكان على حركة اليقظة ان تحارب في الميدانين : ميدان تحرير العقيدة وميدان تحرير الأوطان . غير ان الاستعمار وجد ان جبهة المقاومة قوية وعاصفة ومستعدة للجهاد والتضحية . وقد حملت مفاهيم الاسلام ورايته فكان عمله هو انتهاء مهمة هذه الطبقة بالنفى والسجن والتشريد والاعتقال وخلق طبقة جديدة في نفس الوقت تبدأ من داخل دائرة فكره وتتحرك الى العمل في سبيل تحرير الأوطان ولكن من خلال مفاهيمه وعلى أسلوبه .

تبرز هذه الطبقة الاولى في عبد الحيد وجمال الدين ومصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وعبد العزيز الثعالبي والشيخ القسام وعشرات ازعجوا الاستعمار لأنهم كانوا يطالبون بالغاء الكامل وبناتقطاع الحجة بينهم وبين الاستعمار حتى يخرج من الوطن ، هؤلاء اضلهدهم الاستعمار وشتمهم وانشأ جباة من الذين يلتقون به في منتصف الطريق ويؤمنون بأنه لا سبيل لحرية الأوطان الا بالتفاهم مع محتليها والتعامل مع غاصبيها .

وكان استاذ الجيل في مقدمة هؤلاء : الراس المفكر في جريدة الجريدة لسان حزب الأمة الذين هم جماعة الباشوات الذين صنعهم الاستعمار في مصر ليكونوا اداته في السيطرة ، كان استاذ الجيل يؤمن بأنه لا ضرورة ان تتعلم الأمة وانما يتعلم ابناء الذوات وحدهم ، كان يؤمن بأن الغرب هو المثل الأعلى في نظامه السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، كان يكره الدولة العثمانية والخلافة والجامعة الاسلامية والعروبة ، ولا يؤمن الا بالانجليزية الضيقة : مصر للمصريين . وكان على رأس مدرسة نهاها — كرومر — لتخلف

الاستعمار الإنجليزي في حكم مصر أو ليمكن الاستعمار أن يتخلى لها  
عن قيادة البلاد آمناً فيتحقق بها ما يريد وفوق ما يريد .

ذلك هو الرجل الذى اطلق عليه كلمة استاذ الجيل فخدعت الكثيرين ..

يقول العقاد : هذا لطفى السيد ليس بالفيلسوف ولا هو بأستاذ احد ،  
ولم يكن في كل ما كتبه وقاله في حياته دليل واحد على أكثر من انه رجل  
متحذلق ضيق الاطلاع يملؤه الغرور . لطفى السيد ليس بالفيلسوف بقوة  
رأسه ولا بقوة اطلاعه فأما رأسه فضعيف متعفن بشهادة الطب لا بشهادة  
النقد ومتاييس الآراء فقد أجريت له عملية جراحية قبل بضعة أشهر لاستئصال  
كيس صديدي في رأسه ومداواة مبادئ التعفن في دماغه . ومهما قال القائلون  
في الفكر والدماغ فما نزن احدا يدعى أن انسانا يجيد التفكير وفي دماغه تعفن  
يستأصل بمبضع الجراح ، أما ضيق اطلاعه فالدليل عليه بسيط حاسم كهذا  
الدليل الذى لا لحاج فيه ، فان لطفى السيد قد ترجم كتاب الأخلاق لارسطو  
فاسألوه أين مقدمته هو على ذلك الكتاب . الكتاب ليس فيه الا ترجمة  
المقدمة الفرنسية مع أن تقديم ارسطو الى العربية الزم واليق بنا من تقديمه  
الى الفرنسية .

فليس اعجب من ترجمة عربية لاستاذ فيلسوف مكفى فيها بالمقدمة  
الفرنسية ومسكوت فيها كل المسكوت على علاقته بالشرق والشرقيين . أما  
ان هذه المقدمة غير لازمة فلا ، وأما أن كتابتها فوق طاقة الاستاذ الفيلسوف  
وفوق مقدور اطلاعه فذلك هو التعليل الوحيد المعقول . ويزيده عجزا على  
عجز أنه قضى في ترجمة الكتاب خمس سنوات أو ستا فلم تكفه هذه المدة  
لاستيعاب بعض المعلومات التى يدارى بها ذلك النقص المعيب .

هذا ما كتبه العقاد في كوكب الشرق ٣١ يوليو ١٩٢٨ .

ويعد أكثر من ثلاثين عاما أو يزيد تبين أن لطفى السيد لم يترجم ارسطو  
وقد سجلت هذا في مجلة الأديب البيروتيه في حينه بعد أن أفضى به الى  
الأستاذ أحمد عابدين مدير دار الكتب في السنوات الأخيرة من أن قسم  
الترجمة في دار الكتب هو الذى قام بترجمة كتب ارسطو : الأخلاق والكون  
والفساد ، وهى الكتب التى وضع عليها اسم لطفى السيد وجاءت ترجمتها  
غاية في التعقيد لأن مستوى المترجمين كان دون مستوى — سانهيلر —  
الفرنسى وكان الأمر في حاجة الى عقل حصيف ينقل الترجمة الحرفية الى  
مفهوم يكشف عن تعقيدات الفلسفة اليونانية الارسططاليسية ويحل  
عقدها .

ولعل في هذا اجابة عن تساؤل العقاد الذى اورثناه هنا والذى أثبت  
فيه عجز لطفى السيد عن كتابة مقدمة عن ارسطو وان كان لطفى السيد  
قد كتب مقدمة في واحد من هذه الكتب حشاها بخطا شائنا حين قال أن  
ارسطو هو منطلق النهضة العربية الحديثة وأنه كان له في الفكر الاسلامى  
شأن كبير ..

لقد بينا في مواضع مختلفة فساد هذا الرأي .

فالحقيقة أن المسلمين استقبلوا ترجمة الفكر اليوناني بكثير من التحفظ والحيطة ثم استطاعوا بعد قليل مواجهة هذا الفكر وكشف زيفه ووقفوا منه موقف الأصالة التي تؤمن بأن لديها مطلقا للمنطق الإسلامي الذي قدمه انترآن على النحو الذي كشف عنه الإمام ابن تيمية من بعد ، ولذلك فلا حاجة لهم بمنطق أرسطو . أما تلك القلة من الفلاسفة المشائين الذين سايروا فلسفة أرسطو وحاولوا التوفيق بينها وبين فلسفة أفلاطون من ناحية وبينها وبين مفهوم الاسلام من ناحية أخرى وهم — الكندي والفارابي وابن سينا — فقد باءت تجربتهم بالفشل وعجزوا عن تحقيق أى شيء يمكن أن يسمى اضافة حقيقية لاختلاف المنابع اختلافا جذريا فالاسلام الذي يصدر عن التوحيد الخالص ما كان يستطيع الالتقاء بالفلسفة الالهية اليونانية التي هي علم الاصنام عند اليونان والتي وجه اليها الإمام الغزالي ضربة مميتة ثم جاء الإمام ابن تيمية ليقضى عليها الى الأبد ومن عجب ان يأخذ الغربيون المنهج العلمى التجريبي الإسلامى وينقدوا فلسفة أرسطو في أول عصر النهضة اعتمادا على رأى المسلمين فيه ثم ينزلوه من هذا العرش الذي خدع به البشرية عصورا طويلة ، ثم يعودوا عن طريق الاستشراق والتغريب ليجعلوا من أرسطو منطلقا الى نهضة المسلمين الحديثة فكيف يمكن ان يكون ذلك وكيف يستطيع المسلمون ان ينهضوا بفكر قائم على المادية ورايه في الألوهية باطل وهو فضلا عن ذلك يتعارض مع الاسلام في عشرات المواضيع من ناحية العقيدة — ويتعارض تعارضا ضخما من ناحية الاخاء البشرى حيث يدافع أرسطو عن عبودية العبيد للسادة أصحاب الصولجان ويرى ضرورة ذلك وأفضليته .

وهكذا يكون استاذ الجيل قد خدع الجيل عن نفسه وخدع الأجيال حين قدم لها هذه الأفكار التي عرضها في الجريدة مدافعا عن العامية وحائلا دون الجامعة الإسلامية ومعارضاً في التعليم العام ، ثم كانت سقطته الكبرى هي وضع اسمه على مجهود العشرات من المترجمين المجهولين الذين قضوا سنوات في ترجمة أرسطو ثم نسب هذا العمل اليه وكان من الذين يحبون ان يحمداوا بما لم يفعلوا .

نعود للأستاذ العقاد في تحليله لفكر لطفي السيد حيث يقول :

لايزال شباب العاصمة الأدباء يتضاحكون من قوله التي فضحنا بها في تقديم الشاعر الهندي ( طاغور ) فقد كان يجب أن يقول شيئا وهو مدير الجامعة المصرية فماذا قال : قال أن طاغور مزيج من عمر بن الخطاب وتولستوى .

وهي كلمة أقل ما فيها من الدلالة انه لا يعرف تولستوى ولا عمر بن الخطاب ولا طاغور اذ ليس في العالم ثلاثة رجال بينهم من المسافة أبعد مما بين هؤلاء الثلاثة المختلفين في نزعة الفكر وطبيعة العمل وتركيب المزاج .

وسأله بعض الأدباء المتخالفين عن « نيتشه » قبل سنوات فلم يشأ أن يظهر الجهل به وأبت له الحذقة إلا أن يقول شيئا فقال :

« نيتشه رجل متصوف . انه رجل محب للكمال » .

وكانت سخرية الأدباء في تلك الآونة لأن الذى يقول فى أبى نواس مثلا رضى الله عنه ونفعنا بكراماته انه كان من اولياء الله الصالحين لا ينم عن جهل أكبر من جهل الذى يصف نيتشه بالتصوف ايا كان معنى التصوف الذى يريد .

وكتبت أنتقد قول شوقى فى رثاء الزعيم الفقيد .

يا رفاتا مثل ربحان الضحى

كلت عدن بها هام رباها

واقول انه لا يحسن ان يرثى به ميت عظيم وأنه اذا قيل فليكن فى رثاء بنت فى نضرة الشباب لا فى رثاء زعيم أمة بلغ السبعين ، كنت اقول ذلك وكان الأستاذ الفيلسوف موجودا فقال : ولم لا الا تصفون النبى فى قصة المولد بالكحل وبلغ الثنايا وفتنة الجمال . على هذا المنوال يفهم الأدب مدير الجامعة الذى ما أصاروه لادارتها لأنه طبيب او مهندس او فلكى او زراعى وانما اختاروه لهذا المنصب لأنه أديب وأديب كبير .

لقد مضى زمن كانت الحذقة فيه مع قليل من البروباجندا هى غاية الفلسفة وغاية الشهرة . وكان استاذنا الفيلسوف يتحلق وكان ينطق باسم كرومر ( كرومر ) وينطق باسم جراى ( جرى ) بكسر الجيم كأنه فرنسي لم يسمع بكرومر وجراى الا من الفرنسيين فى باريس وكان مراسل جريدة وادى النيل يسأله : هل أنتم موفدون فى مهمة سياسية ؟ فلا يجيبه الأستاذ الفيلسوف قبل أن يلخه بما فتح الله عليه من العلم الواسع والاطلاع الغزير ويسال المراسل المشدو : اتعنى مهمة ( دبلوماسيتية ) او مهمة ( بوليطيكية ) ومن كان يعرف ان يقول دبلوماسيتية او بوليطيكية فبالله كيف لا يكون فيلسوفا بل كيف لا يكون هو الفيلسوف . ولا نذكر ما كتبه فيلسوفنا عن شكسبير فقد ضحك منه حتى الطلبة الذين يدرسون رواية من شكسبير فى المدارس الثانوية ولا ما كتبه عن تولستوى فطمه كان يكتبه عن طاغور او عمر بن الخطاب وهو لا يدري ما الفرق بين هذا وذاك .

ولكننا نقول : اننا لا نشك فى اطلاع الرجل على أى محصول قيم من آثار المتقدمين والمتأخرين وغاية علمه انه واحد من أولئك المفتين الذين يرضعون فى كراسيهم فى امان واسترخاء ثم يفتون فى الاكوان والأمم والرجال فيعجبهم هذا ولا يعجبهم ذاك ويغيرون نظام الدنيا مرتين او ثلاثا فى كل يوم وهم أضعف ما يكون الانسان عن عمل يعمل او رأى يسلم من الخبل والاضطراب .

ولطنى السيد هذا مثال العجز والاسترخاء لم يفلح فى مجلة الشرائع

ولا في النيابة ولا في المحاماة ولا في الجريدة التي انفتوا عليها ثمانين ألف جنيه  
ولا في الوفد المصرى ولا في المكتبة الملكية ولا في الجامعة المصرية ولا نراه  
يصلح في شيء الا أن يجلس على كرسيه ويفتى باستحقاق الأمة تارة وبعدم  
استحقاقها تارة أخرى والسبب واحد في الحالتين . . ثم يحس ضعفه الذي  
لا يبرح ذهنه فيعمد الى ( الخطط القوية ) ليدارى بها ذلك الضعف عن  
عينيه كما يصيح الطفل الذئب وهو يسير في الظلام ، مثل هذا الرجل خلق  
ليقاد ثم لا يرجى عنده نفع كبير حتى حين يقاد ويطيع ولكنه على الأقل  
يعرف حده ويقلع عن غروره أو يحال بينه وبين عمل لا يطيقه .

هذا ما كتبه العقاد عن لطفي السيد . وهناك ما كتبه زكى مبارك ايضا  
وهي آراء يجب أن تعرض على شباب البلاد العربية ليعرفوا فساد تلك  
الأكاذيب التي سارت مسير المسلمات أو الحقائق وخذع بها مؤرخو الأدب  
وأساتذة التاريخ وهي السياسة الحزبية وصناعة الاستعمار للناس وللقيادة ،  
تضع هذه الألقاب الخادعة وتحرسها سنوات وسنوات . ومن المضحك أن  
العقاد لما انضم بعد الى قافلة لطفي السيد وترك الوفد ودخل المجمع  
اللغوى عاد يفتى على لطفي السيد وتجاهل ما كان كتبه عنه وضم كتابه  
( رجال عرفتهم ) ترجمة من نوع آخر لأساذ الجيل ونقول كما يقول احدهم :  
أيتها الحقيقة كم من الجرائم ترتكب باسمك !

ويقول العقاد : أنه لم يغير رأيه في أى شيء كتبه منذ كتبه !

والحق أن العقاد حين كتب عن لطفي السيد ما كتب أولا لم يكن متجنبا  
على الحقيقة ولكنه حين عاود الكتابة كان قد اندمج في مدرسة سار ركاها  
وعلا اسمها ولم يستطع أن يتخلف عن اللحاق بها رغم ما كان له من مكانة  
في تقدير الناس .

أما لقب عميد الأدب فله فصل مستقل .

\*\*\*



طه حسين الرجل الذى سقطت دعاواه قبل أن يموت

ما يزال الدكتور طه حسين حديث الباحثين وسيظل الى وقت طويل بين معجب وناقذ . فقد أمضى الدكتور أكثر من خمسين عاما يكتب ويتحدث في ظروف كان للاستعمار والتفريب والغزو الفكرى فيها اثر كبير في دفع الأفكار الغربية والمثيرة الى السطح .

ولقد خدع شباب الجيل الحاضر الذين نشأوا بعد ان توقفت المعارك والمساجلات فسمعوا كلمات عميد الأدب واستاذ الجيل فظنوا ان الرجل قد قدم شيئا نائفا ، وقد تحدثت في مكة مع طائفة من الشباب عن السر في تلك الصورة التى تضىفى التقدير والاعجاب ، وسألت هل قرا كل الشباب كتاب الشعر الجاهلى ، ومستقبل الثقافة وغيرها ؟ فعرفت ان الكتاب الوحيد الذى قراه كثير من الشباب هو ( الأيام ) فعدرت شبابنا الذى ربما أعجب بطه حسين عن طريق الاشفاق والعطف والرحمة ازاء رجل ككيف جاهد في سبيل العلم ، ولكن المسألة اكبر من ذلك كثيرا . لقد استفل هو هذا العطف في سبيل الوصول الى القمة ، فلما وصلها هاجم اساتذته وحطم آراء العلم ، وجرى وراء البريق الذى قدمته له القوى التى تستطيع ان تصطنع الأفلام والكتابات .

يقول الدكتور محمد صبرى السريونى زميل طه حسين في جامعة السريون فيما رواه الى احمد حسين الطمأوى : دخلت انا وطه حسين امتحان الليسانس في عام واحد وعندما ظهرت النتيجة ذهبت فلم أجِد اسمي ولا اسمه ، وفي اليوم التالى وجدت اسمه محشورا بين السطور فذهبت اليه وابلغته ، وقد اثار حشر اسم طه حسين بين السطور الكثير من الدارسين المصريين فقد قام زميل آخر هو جلال شبيب بكشف الحقيقة فقال ان طه حسين ذهب الى الاساتذة وهم مجتمعون واستدر عطفهم وذكروهم بأنه على ابواب الزواج بفرنسية وانه غريب واعمى فرثوا له ! ويدعم هذا ما جاء في كتاب سامى الكيالى عن طه حسين الذى يقول في مقدمة رسالته للدكتوراه : وليسمح لى بأن أعترف عن اسلوبى الفرنسى اذا ما بدا بلا ريب في كثير من المواضع ركيكا أو خاطئا ، وكذلك عن الأخطاء المطبعية التى قد تقع في هذه الرسالة ، فما كنت الا ( غريبا واعمى ) . هذا ويسجل الدكتور طه انه في امتحان الدكتوراه بعد ذلك بعامين أو ثلاثة دخل لجنة الامتحان ودخلت معه زوجته تحمل طفلها فلما رآها رئيس اللجنة ابتسم فآخذت من املمه ورقة وكتبت فيها كلاما فلما قراه قال : انى سنخفف عنك أسئلة الامتحان : حدثنا عن تاريخ الدولة الأموية . .

ويروى عباس خضر في مفكراته ( خطأ مشيئتها ) عن الأستاذ محمد الهياوي صاحب جريدة ( المنبر ) وكان زميلا لطله حسين في الأزهر أن طه حسين سرق منه وهما طالبان معا ( مجموعة المتون ) وهي مجلد يجمع عددا من المتون المؤلفة في مختلف العلوم . . وقد اتهم الهياوي طه حسين صراحة بأنه أخذها فأنكر ، ولكن حدث عندما كنا خارجين من الجامع أن انشغل الشيخ طه بلبس حذائه فسقطت المجموعة من حيث كان يخبئها . حكى له الهياوي ذلك ، وهذا هو سر ما كان يوجهه الى طه حسين ، وهو يناقشه في آرائه بعد ذلك فيقول له : « ألا تذكر مجموعة المتون » ؟ فلا يعرف أحد ماذا يقصد ، ولكن طه حسين كان يعرف .

وأشار الدكتور محمد صبري الى أن طه حسين لم يكن صادقا فيما أورده في كتاب الأيام من أنه كان يدرس في ثلاثة معاهد أو أربعة في باريس وبعد أن عدد طه حسين مجموعة الأساتذة قال : أن هذا الكلام لا يسكت عليه ، لأن طه حسين لم يدرس على كل هؤلاء فان دارس التاريخ لا بد أن يتخصص إما في القديم أو العصور الوسطى أو التاريخ الحديث ، وقد كان طه حسين متخصصا في التاريخ القديم فكيف درس تاريخ الثورة الفرنسية ، وكيف درس البيزنطي والتاريخ الحديث . . والدكتور طه كان قليل التردد على السربون لعاهته ولا أذكر أبدا أنني رأيته يستمع لهؤلاء وكونه استمع الى محاضرة أو محاضرتين لأستاذ من الأساتذة لا يعني أنه درس عليه ومن ثم لا يعقل أنه تتلمذ على هؤلاء جميعا . أن ما درسه طه حسين هو اللغة اللاتينية لتعينه على فهم التاريخ القديم ، أما الذين نقلوا عن طه حسين كالكليالي وكامل زهيري فان معلوماتهما قاصرة بالنسبة للدراسة في السربون » .

والواقع أنه دار حول طه حسين زيف كثير ومبالغات حاولت تضخيم هذا الرجل لحساب الذين استعملوه ضد المسلمين والعرب .

نحن لا نفرض من قدر طه حسين صاحب الأيام ، ولا يضرينا أن نقول أن طه حسين من أصحاب النثر الفني وأنه من المدرسة المبتدعة التي بداها المنفلوطي وسار في طريقها الرافعي والزيات والبشري . ولا يستطيع أحد أن ينتقص من موسيقى طه حسين وفنه وبلاغته التي ترجع أساسا الى ما استطاع أن يمنحه له القرآن الذي حفظه والأزهر الذي اتصل به والتراث الإسلامي الذي تعرف اليه في صدر شبابه ، فبما ذلك النثر الفني إلا من معطيات الفكر الإسلامي أساسا ، من أجل هذا وجد كتاب ( الأيام ) قبولا في النفس الإسلامية العربية في هذه البلاد المقدسة التي ارتبطت بالقرآن وبيانه وكانت حواشي فكرها وأعماقه مرتبطة ببلاغة الأسلوب النبوي وأدب الصحابة والعلماء . ومن منطلق كتاب الأيام تبدو هذه الظاهرة التي رأيناها في بعض الصحف العربية إبان وفاة طه حسين ، ولكننا لا نستطيع إذا نظرنا لأثر طه حسين في البلاد العربية وفي الثقافة الإسلامية من خلال آثاره المتعددة من دراسات الأدب والتاريخ والتربية وغيرها أن نقصر وقفنا عند كتاب الأيام ، بل لعلنا لا نبالي إذا قلنا أن هذا النثر الفني الموسيقي كان مدخلا خطيرا الى آراء طه حسين في كتابيه



الخطرين : الأدب الجاهلي ومستقبل الثقافة ، ونستطيع أن نضيف اليهما كتابا ثالثا هو ( على هامش السيرة ) وكتابا رابعا هو ( الشيخان ) الذي رد عليه وفند أخطاءه الأستاذ محمد عمر توفيق « وعلق عليه الأستاذ الصديق أحمد عبد الغفور عطار » في جريدة الندوة . لقد كان الأسلوب الفني الجميل لطله حسين اذن مدخلا خطيرا الى النفس العربية ، وذلك من أجل القاء هذا الفكر الوافد فيها واغرائها به ، ذلك الفكر الذي حملته معه والذي حاول كثيرا أن يغرى به أصحاب الثقافات القاصرة والبسيطة من الشباب ومن لم تكن لهم أرضية أصيلة من التربية الإسلامية ومفاهيم العقيدة الإسلامية أساسا .

ولقد كان من رأيي — وهذه وجهة نظر تحتل الصواب والخطأ ولا يجوز أن تفرض على أحد — ويمكن أن تناقش في حرية تامة — فكان من رأيي أن طه حسين لم يمت الا بعد أن تهاوت نظرياته كلها ، وسقطت وقام ما يعارضها بالحجة ويناقضها بالدليل ، وبعد أن تجاوز الفكر الإسلامي المعاصر هذه المرحلة من التبعية للفكر الغربي الوافد الى مرحلة اشد قوة وأصالة وترشيذا ، لقد تجاوز الفكر الإسلامي المعاصر طه حسين كله الى انق جديد أكثر قوة وعمقا ومن خلال أفكار عشرة رئيسية للدكتور طه حسين نجد ما ذهب اليه واضحا !

أولا : موقفه من ابن خلدون ومعارضته لما أجمع عليه الباحثون من أنه مؤسس علم الاجتماع ومؤسس علم التاريخ ، وقد أجمع علماء التاريخ الاجتماعي على فساد رأى طه حسين الذي أخذه عن باحث يهودي حائد على العرب والمسلمين هو ( دوركايم ) وتكشفت بعد أن ترجمت رسالته الى العربية أن طه حسين أقام رأيه على مغالطات كثيرة وفهم زائف وأنه أراد إرضاء اليهودي المشرف في السربون على رسالته بشتى ابن خلدون والتترب الى الفرنسيين بازدياد أهل المغرب واتهامهم بأنهم لم يتقبلوا المدنية الغربية ، وسخر من جهادهم في سبيل مقاومة الاستعمار ومن العجب ومن السخرية بطه حسين أن مات دوركايم قبل أن يسمح ما كتبه طه حسين ولم يحضر مناقشة رسالته .

ثانيا : رأيه في الشعر الجاهلي وقد كشف كتاب كثيرون عن زيف هذا الرأي فالتفت كتب ( الرافعي وفريد وحدي ولطفي جمعة والغراوي والخضر حسين ) في الرد عليه ثم جاء الدكتور ناصر الدين الأسد في أطروحته عن الشعر الجاهلي ، فأشار الى المصادر التي ( سرق ) منها طه حسين هذه الفكرة وهي لبشر مسيحي استتر تحت اسم هاشم العربي وعرف من بعد بأنه الدكتور زويمر ومن كتائب يهودي هو « مرجليوت » وقد اعترف طه حسين امام النيابة العامة بان التحقيق بان هناك من كتب مما نقله هو !

ثالثا : ما أقامه في كتابه « على هامش السيرة » من احياء للأساطير التي عمل مؤرخو المسلمين على ابعادها عن سيرة الرسول وتحريرها منها ، وقد عاد الدكتور طه فندمها مرة أخرى في السيرة وأعطى نفسه مطلق الحرية في الاضافة اليها ، كما ذكر في مقدمة كتابه . ولقد هاجم هذا الاتجاه اصدق أصدقاء طه حسين ورفيقيه على درب التجديد والتغريب

مرحلة ما ، ذلك هو الدكتور محمد حسين هيكل الذى كانوا يسمونه رأس المدرسة الحديثة والذى تحول من بعد وألف كتاب ( حياة محمد ) ولا ريب أن كتاب على هامش السيرة خطر وقد وصفه الأستاذ مصطفى صادق الرافعى بأنه ( تهكم صريح ) .

رابعا : ما دعا اليه طه حسين من أن سيفنا ابراهيم وسيفنا اسماعيل ليسا موجودين حقيقة - وان اشار اليهما القرآن الكريم - وقد واجه هذا الرأى معارضة شديدة واثار شبهات حول موقف طه حسين من الايمان بالله ومن الايمان بالقرآن والنبوة ، وتبين من بعد انه كان خدمة لهذه الصهيونية التلمودية التى اتكرت صلة ابراهيم واسماعيل بالجزيرة العربية وسكنت عن بناء البيت وحاولت أن تجعل وعد الله تبارك وتعالى لابراهيم عليه السلام محصورا فى ابنه اسحق أى فى بنى اسرائيل وحدهم ، ولقد حاول طه حسين فى هذه الفترة أن يخدم الصهيونية باثارة هذه الآراء وما يتصل بها من تزيف تاريخ لليهود فى الجزيرة العربية وفضل مدعى على الأدب العربى ، وقد كان يحرض تلاميذه فى كلية الاداب على نقد القرآن بدعوى انه كتاب ادب ، وهذا ثابت فى محاضر جلسات مجلس النواب المصرى عام ١٩٣٣ .

وقد عورضت هذه الآراء وكشف عن زيفها ..

سادسا : ما ذكره فى كتابه : ( مستقبل الثقافة ) من أن عقلية مصر عقلية يونانية غربية ، وأن الاسلام لم يغير هذه العقلية ، وأن طريق النهضة الذى يراه للمسلمين والعرب هو أن يأخذوا ( حضارة الغرب ) خيرها وشرها ، حلوها ومهرها ، ما يحمد منها وما يعاب . وقد كشف كثيرون زيف هذا الرأى .

سابعا : ما اشار اليه من أن ( الفرعونية ) هى طريق مصر ، وادعاؤه أن مصر ليست عربية ، ولن تكون عربية أبدا ، بل ادعاؤه أن العرب كانوا مستعمرين لمصر كالرومان والفرس ، ومن أجل ذلك حرقت كتب طه حسين فى ميدان عام فى دمشق وله فى ذلك الاتجاه سموم كثيرة تتصل بالنحو وبطريقة الكتابة وقد هزمت هذه الآراء هزيمة منكرة وكشف زيفها .

ثامنا : ما دعا اليه من الغاء الأزهر والغاء التعليم الدينى الذى يتوهم به الأزهر وتوحيد التعليم الأولى فى الأساس وجعله مذهبيا غربى الاتجاه لا يدرس فيه الدين حتى يصبح الأزهر « كلية لاهوتية » كما حدث فى تركيا وفى الغرب .. وقد هزم هذا الرأى هزيمة منكرة ..

تاسعا : ما ذكره من أن المتنبي منكور الأب وأنه من أجل ذلك يمكن أن يكون لقيطا جاء من غير طريق شرعى ، وتلك سبة فى التحليل ابطالتها التحقيقات العلمية التى أجراها كثيرون واخرها ما كتبه الأستاذ محمود الملاح ، وقد واجه الأستاذ محمود محمد شاكر رأى طه حسين بقوة وكشف عن زيفه وهواه الذى يطابق هوى المستشرقين الذين يطمعون فى تحطيم الشخصيات البارزة فى الأدب العربى .

وبعد : فليس في هذا الذي عرضناه وهو ثابت تاريخيا وعلميا وتحتويه معارك ومساحلات جمعناها في كتابينا ( المعارك الأدبية ) و ( المساحلات والمعارك الأدبية ) وهو مبسوط في مواضعه في الصحف والمجلات يستطيع أن يرجع اليه كل من يتصور طه حسين على صورة أخرى ..

فإذا أضفنا الى ذلك شيئا آخر هو ما يشقه من صلاته بالصهيونية وله دلائل كثيرة أهمها اثرافه على دار الكاتب المصري عام ١٩٤٦ التي كان يمولها اليهود وصلته باليهودي اسرائيل ولفنسون تلميذه في كلية الآداب الذي ألف كتاب ( اليهود في جزيرة العرب ) وقدمه طه حسين الى الناس والذي هو خلاصة دعاوى اليهود واكاذيبهم التي يدعون بها موقفا في فلسطين .

عاشرا : دفاعه عن عبد الله بن سبا وانكار وجوده ودوره في فتنة عثمان اعتيادا على مصادر أحيائها الصهيونيون في مقدمتها كتاب ( انساب الاشراف للبلاذري ) الذي أعاد اليهود طبع الجزء السادس منه - فقط - في تل أبيب وجعلوه مصدرا لانكار دور ابن سبا اليهودي وقد جعل طه حسين هذا محور كتابه ( الفتنة الكبرى ) خدمة لليهود ولا ريب أن صدور جزء واحد من كتاب دون صدور بقية الأجزاء أمر فيه نظر .. ثم اعتماد طه حسين عليه في بحث خطير كهذا أمر أشد خطورة .

والواقع أنه منذ ١٩٥٩ منذ بدأنا دراستنا للأدب العربي وإبان حياة طه حسين حاولنا أن نكشف هذه الحقائق في عدد من مؤلفاتنا ورسائلنا حلقة بعد حلقة وبرفق ، حتى برزت هذه الحقائق واضحة أمام المثقفين ، ونحن الآن وفي قريب جدا نقدم كتابنا : ( طه حسين : حياته وفكره في ضوء الاسلام ) (١) لنضع كل الحقائق أمام الشباب المثقف في البلاد العربية والعالم الاسلامي عن رجل خدع المسلمين والعرب عن دينهم وأصالتهم ، وكان تابعا تبعية خطيرة للفكر الوافد ، ولست أدري كيف استطاع طه حسين أن يقف أمام الكعبة عندما زار مكة عام ١٩٥٤ رئيسا للجنة الثقافية للجامعة العربية ، وكيف طاف بها وهو الذي أنكر وجود ابراهيم واسماعيل من قبل !

لقد عاش طه حسين حياته في حيرة وقلق ولم يستطع أن يعود مرة أخرى الى رحاب الايمان ..

### حصن الأمان :

يقول مستر هيكرد استاذ الفلسفة في جامعة كوبنهاجن : هدم اختبار الحياة والأزمات الركن الذي كتبت أبني التعميل عليه بقوة الايمان بمجد العلم والفلسفة فاني كتبت موقنا صحة كل ما كتبت اذهب اليه من العقائد التي شذبتها على أسس الحكمة البشرية . وقد أصبح ذلك اليقين كمنثور الهباء وتقطعت اسباب الثقة بكل تلك الأوهام فانسحبت لاجئا الى الحصن الحصين الذي لاذ به علماء الحق قبلي ، فأنا الآن لا أزدري العلم ولكني أؤمن بالله علام الغيوب القادر على كل شيء وأجد فيه وحده الاطمئنان والسلام ..

(١) صدر كتاب طه حسين في ميزان الاسلام ( الطبعة الثانية الآن ) .

ونشرت جريدة الندوة ( مكة المكرمة ) تعليقاً على هذا المقال تحت عنوان :

رأى في تبرئة طه حسين من اللصوصية :

كان الأستاذ الجندى قد كتب موضوعاً عن الدكتور طه حسين وقد وردنا هذا التعقيب من الدكتور أمان الله محمد الهادي سليمان .

أخي الأستاذ رئيس تحرير جريدة الندوة الغراء المحترم ..

تحية طيبة وبعد ..

لقد اطلعنا بعدد الندوة الصادر يوم الأحد ١٩/٨/١٣٩٦ هـ على مقال للسيد الأستاذ أنور الجندى ينتقد فيه الأستاذ الدكتور المرحوم طه حسين .

ولا اعتراض لي على النقد في حد ذاته ، بل يجب أن ننقد أنفسنا ونبنتقد بعضنا البعض الآخر . فبالنقد تتضح الحقيقة وقد يتعدل المسير . ولكني أعترض حين يخرج النقد عن أسلوب النقد إلى أسلوب التجريح والاتهامات ، وخاصة إذا كان صادراً عن أستاذ جليل ومرب من مربى الجيل مثل الأستاذ طه حسين حين يتهم باللصوصية ، ثم هو يتهم بالصهيونية أو بالتعاون مع معتنقيها . وليس هذا هو أسلوب النقد الذي يجب أن نتعلمه على يدى الأستاذ الجندى ، وأنا لست أدبياً أو كاتباً ولا أعلم كثيراً عن الشعر الجاهلي أو غيره من موضوع النقد في المقالة المذكورة .

ولكني أعلم أن للنقد أسلوباً وأن لأسلوب النقد أخلاقيات وضوابط لا يصح أن يتجاوزها كبار النقاد خاصة وهكذا نحن العرب ، نحس بانفراط حتى درجة الغفلة ، ونكره بشدة حتى درجة الحقد والبغضاء ، ولقد خلقنا الله أمة وسطاً وينبغي أن نكون كذلك ، وأن نكون وسطاً في الحب والكره والنقد .

هذا رأيي وأتمنى أن أكون مصيباً والله من وراء القصد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دكتور

أمان الله محمد الهادي

مدير مستشفى الملك

بمكة المكرمة

رد على الدكتور أمان الله :

## طه حسين والالتزام الأدبي

في بلاد الغربية التي كتب الله علينا طقعين أو مكروهين أن نعيش فيها لوقت محدود قرأت في جريدة الندوة الغراء التي تكرم الأستاذ التركي المستشار الثقافي السعودي ببريطانيا وبجهد وزارة الاعلام السعودية أن تصلني يومية منظمة فتربطني بالوطن العربي الاسلامي الام . وتربطني بارض الحرمين الشريفين ولترتد بيني وبينها بكل الصدق وشائج الود والمحبة ..

اقول قرأت في جريدة الندوة بتاريخ ١٩٧٦/٨/١٩ تحت صفحة ندوة الآراء مقال الأستاذ أنور الجندى ( طه حسين الرجل الذي سقطت دعواه قبل أن يموت ... ) .

ثم تلا ذلك رأى الأخ الكريم الدكتور أمان الله محمد الهادى مفير مستشفى الملك بمكة المكرمة تحت عنوان ( رأى في تبرئة طه حسين من اللصومية ) بتاريخ ١٩٧٦/٨/٢٥ .

وأنا لا اكتم عن القارئ اننى ترددت في كتابة ما كتبت لوقت طويل .. وجاء شهر الصوم رمضان الكريم فوجدت أن كلمة الحق ولو أنها مرة لكنها يجب أن تقال .. ولو أن السلام في الاسلام هو من أعظم مبادئه .. لكن العدل والرحمة من صفات الله التي نطالب بأن نحتذيها العدل في ابداء الرأى .. والعدل ( وهى صفة العادل الكريم جلست قدرته ) والتي وضعها في أمة الاسلام هى جعلت منها أمة وسطا ووسط الشيء أحسنه لغة .

ولقد كنت أحب أن يكون كل ما أذكر هنا في جريدة الندوة الغراء أما بين ضلوعى . أو يكون مادة للحديث في جلسة خاصة مع أصدقاء يبوح كل منا للآخر فيه بأسرار قلبه ومكتونات ضميره .. ولكن الالتزام وهو قانون اسلامى انساني يفرض على الكاتب والطبيب والوزير والأمير فرض على اداء لكلمة الحق وأمانة الكلمة وشرعها وقديسيتها أن ادلى بدلوى لأقول رأيى :

أولا — لست أرى في ما ذكر الأستاذ أنور الجندى أى افتراء على الدكتور طه حسين . فكل ما ذكره حقائق — مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة — لكن الحقائق مرة على قلوب بعض الناس . ولقد التزم الأستاذ أنور الجندى بأسلوب النقد العلمى .

ثانياً — مع تقديري الكامل لرأى الأخ الطبيب الدكتور أمان الله محمد الهادى بل واعجابى الكبير برأيه حين قال ولا اعتراض لى على النقد فى حد ذاته بل يجب أن ننقد بعضنا البعض — فبالنقد تنضج المسيرة لكنى اختلف معه .. اختلافاً كبيراً حين اتهم الاستاذ أنور الجندى بأنه خرج بالنقد الى أسلوب التجريح والاتهامات .

فليس فى كل ما ذكره الاستاذ أنور الجندى خروج بالنقد الى أسلوب التجريح .

ثالثاً — أننا يجب أن نعطى لكل انسان تخصصه — فكما أن صناعتى الطب — وكذلك صناعة الأخ الكريم الدكتور أمان الله محمد الهادى كذلك صناعة الأخ الكريم الاستاذ أنور الجندى فهو مفكر اسلامى اديب باحث دقيق — وما من شك فى أنه بذل جهداً كبيراً ليستقصى ويبحث فى كتب التاريخ والأدب والاسلام ليعطى رأياً كهذا .. وأن مهمة رواد كنور الجندى أن يضعوا الحقائق حتى لو كانت مؤلفة للشعب العربى الاسلامى ..

رابعاً — أن سر دهشتنا والمناسبات من أن كل اسرار التاريخ والأدب لم تكشف بعد خصوصاً أن المرحلة الماضية كانت الأمة العربية الإسلامية تحت سيطرة الاستعمار الغربى البغيض .. بكل نقائصه وعيوبه وغلده ومكره بل لصوصيته أيضاً .

خامساً — أننا كأفراد نقع طائعين أو مكرهين تحت سيطرة أجهزة الاعلام العربية والغربية فتصنع من قوم ابطالاً — وتضع عليهم هالات وتصنع من قوم آخرين ارهابيين مارقين بل ورجعيين .. خارجين عن الدين تحل دماؤهم تهتك أعراضهم .

ولست أرى داعياً فى وقت كهذا نلتئم فيه جراح الأمة العربية الإسلامية أن أذكر الدكتور محمد أمان الله الهادى بما كان يحدث فى بعض البلاد العربية تجاه هذه الزعامات الأدبية وغير الأدبية — فאלكل يعرفها .

سادساً — أن كتاب الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة يكفيان كبثالىن لفكر الدكتور طه حسين — وهما يبينانه — ويضعانه فى تفصيص الاتهام .. بل لقد نقدتهما كتاب اسلاميون كبار .. وليرجع الى ذلك من يشاء من عشاق المعرفة والفكر وعشاق الحقيقة أيضاً الى المكتبة العربية .

سابعاً — انه على الرغم من أن فى مصر رواد ادب وفكر وعمالقته فن وأساتذة جيل — التزموا بالفكر والكلمة والرأى والموقف وعانوا فى سبيل التزامهم بهذه المواقف وهذه الأفكار . وهذه المبادئ الخالدة وربطوا بين الايمان بفكرة والعمل من أجلها بل والموت فى سبيلها استشهاداً اى أنهم ربطوا العلم بالعمل تماماً كما حدث مع الفيلسوف الفرنسى المعاصر اندره مالرو الذى اكتشف قباحة الاستعمار الفرنسى فحارب ضد الفرنسيين فى الهند الصينية وغيرها اى لم يكن يؤمن بما يؤمن به طه حسين من أن

يكون ادبيا فيلسوفا من وراء مكتب — ليعطى تحقيقا صحفيا لجريدة ومجلة ..  
أسف لا بد أن أعطي الناس نموذجا غربيا حتى يقتنعوا .

### أعود فأقول :

على الرغم من وجود هؤلاء الرواد والعمالقة والمفكرين فإن طه حسين  
استطاع أن يكون أول حائز لجائزة الدولة التقديرية للآداب في مصر ..  
قبل العقاد .. وقبل محمد كامل حسين .. وقبل آخرين .. لم يأخذوها ..  
أو أخذوها .

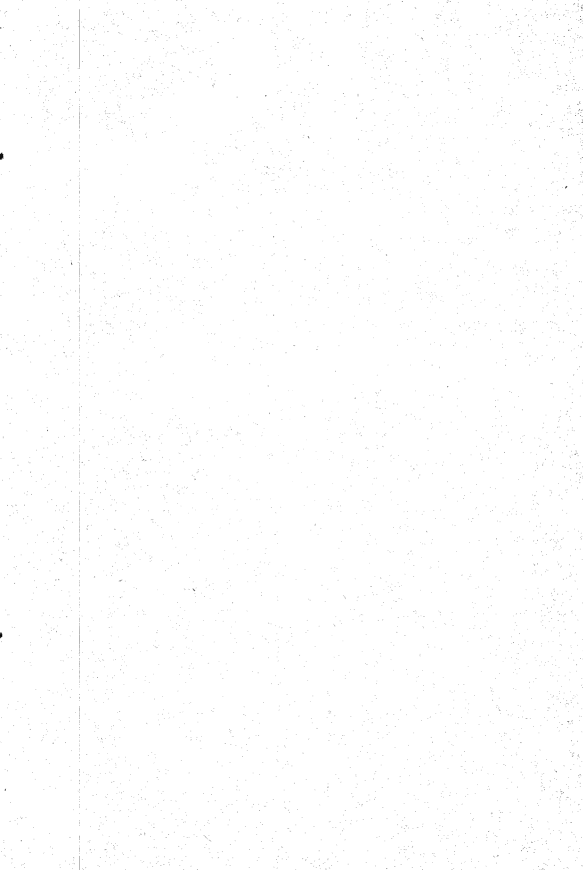
ثامنا — أن مساعدة الفرنسيين لطه حسين في أخذ شهادته خصوصا  
بعد زواجه من فرنسية — شيء عادي جدا يحدث كل يوم لا أجد صعوبة  
في قبوله . بعد أن عشت في بلاد الغربة سنين طويلة ورايت بأمر عيني أمثلة  
كثيرة تشبه حالات طه حسين ..

فالعرب يعتبر زواج العربي من غربية مكسبا أدبيا وثقافيا وأخلاقي  
له .. أي تعطى الشهادة — لتسلط عليك الأضواء كلها كأحد عمالقة  
العصر ..

والله الموفق وعليه التوكل وهو ولينا وحده ونصيرنا وحده وهو الهادي  
إلى سواء السبيل .

### الدكتور — جمال حماد

قسم الأمراض العصبية  
والنفسية جامعة ليفربول —  
المملكة المتحدة — بريطانيا





## هل هو حقاً عميد الأدب العربى ؟ خلفيات ووقائع يجب أن تكشف فى حياة الدكتور طه حسين

اننى مؤمن تماماً انه من اشق الأمور أن يقبل الناس الراى الآخر فى انسان عاشوا السنوات الطويلة يسمعون اسمه مقتربا بالاكبار والاجلال والدوى . دون أن يكون من شأن عملهم وظروفهم او دراساتهم الكشف عن خلفيات هذه الشخصية ومعرفة الخيوط الاستعمارية التى تحرك بعض الممثلين فى المسرح الكبير وتلقى عليهم الأضواء وتستطيع بالجهد واللاحاح المستمر أن تثبت فى النفوس والعقول مسلمات كاذبة .

ولست أعتقد أنه من المفروض أن تسلم النفس الانسانية قيادها لفكرة ما الا بعد أن تستوثق تماماً من أنها الحق فإذا استوثقت كان عليها اذا كانت حقاً قادرة على بلوغ الكمال أن تنتقل الى ضوء الحقيقة والا تصر على ما كانت تؤمن به من باطل أو من امر لم تكن تكشف حقائقه .

وطه حسين حين نقلنا تلك النصوص التى اوردها عنه لم نكن نقصد الى اتهامه بها وصف بعبارة ( اللصوصية ) فذلك كلمة لم ترد على قلمنا ولا يعرفها العاملون فى مجال دراسات الفكر والأدب ، ولقد كان على كاتبها أن يفكر كثيراً قبل أن يكتبها لان الذين يشتغلون بالفكر والأدب يستعملون الفاظاً وعبارات سمحة مهما كانت قسوة الاتهام .

وما اوردها ، انها جاء على السفة اناس احياء لهم مكائتهم فى عالم الفكر والأدب فالدكتور محمد صبرى السريونى لا يزال حياً يوزق أطال الله عمره وقد كان زميلاً للدكتور طه فى السريون وما نقله عنه الأستاذ أحمد حسين انها نُشر فى مجلة أدبية معروفة تصدر فى القاهرة .

وما ذكره الأستاذ عباس خضر أمر لا سبيل الى القول بأنه باطل النسبة اليه أو باطل النسبة الى الأستاذ الهلباوى زميل طه حسين فى الأزهر والرجل الذى يجاهد طه حسين سنوات طوالاً على صفحات جريدته وهذا أيضاً

نُشر في مجلة الثقافة التي تصدر في القاهرة فكيف يمكن أن يثار الشك حول هذه الوقائع وهي لا تزيد الحقيقة المعروفة عن طه حسين في عشرات الوقائع الا ضوئا جديدا ، مستحدثا نشر أخيرا بعد أن مات طه حسين وكان يكتم الكثير من الأفواه . ولكن هذا أيضا ما نشره الدكتور عثمان أمين في مجلة ( الثقافة العربية ) حين أشار الى أن طه حسين لم يفهم ديكرات وما أورده عنه لا يمثل حقيقة مفهوم نظرية ديكرات الفلسفية .. ومعنى هذا أن القاعدة الأساسية التي اعتمد عليها طه حسين في بحثه الذي أحدث الدوى الشديد عن الشعر الجاهلي قام على غير أساس علمي صحيح .. أما ما أشار اليه الشيخ عبد المتعال الصعيدي في حينه ونشرته الأهرام عام ١٩٢٦ عن أن ما أورده طه حسين إنما نقله عن كتاب جرجس صال فذلك أمر لا سبيل الى إنكاره لان كتاب جرجس صال موجود في الأيدى ومطبوع في مصر ، فضلا عما أورده الدكتور ناصر الدين الأسد من نصوص عن النظرية التي ادعاها لنفسه طه حسين وقد سبقه بها المستشرق اليهودي ( مرجليوت ) ونشرها في إحدى المجلات الأدبية الفرنسية التي تصدر في الجزائر ، وتلك أمور معروفة في محيط الأدب لا توصف بعبارة ( اللصوصية ) الكريهة التي جاءت على لسان الأخ الطبيب الذي حاول الدفاع عن طه حسين بغير أن تكون في يده الأسلحة الصحيحة .

وقد وصلتنى كلمته بعد وقت لتأخر وصول جريدة الندوة الى القاهرة وإذا كانت هذه الوقائع قد اذهلت الذين خدعوا في طه حسين وظنوا أنه بحق عميد الأدب فإن هناك من الوقائع المؤيدة بالوثائق ما يؤدي الى ما هو أشد من الذهول ، وما يجعل الدفاع عن مسألة النقل أو التأثر ( وهي العبارات الكريهة التي نستعملها بدلا لكلمة الطبيب غير الموفقة ( اللصوصية ) شيئا لا قيمة له ) .

وذلك هو ما يكشفه كتابنا الذي يصدر هذا الشهر في القاهرة :

( طه حسين . حياته وفكره تحت ضوء الاسلام ) .

أتني أعذر الذين يزعمهم كشف خبيثة الرجل ، ولكنني كنت أرجو منهم إذا كانوا يطلبون الحقيقة أن يسألوا عن البراهين والأدلة والوثائق على ما يظنون أننا ندعيه فإذا ثبت لهم ذلك كان عليهم انصافا من النفس واتقارا بالحق واذعاناً لأمر الله :

**قَوْمٌ**  
~~يُحِبُّونَ الْفِتْنَةَ~~ **لَا يَجْرِمُكُمْ سُفْهَانِ كَلِمَةٍ عَلَى الْآثِمِينَ** : اعدلوا  
 هو أقرب للتقوى ) .

إن هؤلاء الذين لم يشهدوا هذا التاريخ ولم يعيشوا هذه الوقائع معذورون ، فقد سمعوا باسم رنان وشهرة مدوية وطبل قوى الرنين دون أن يعرفوا ما وراء ذلك ، فارتدت أن أكشف لهم هذه الخلفيات وهذه المواقف بالحق ، ليتعرفوا عن اطلاق عليه « عميد الادب العربي » ولهم في ضوء هذه الوقائع أن يحكموا ..

هل يمكن أن يكون مثل هذا الكتاب عميدا للأدب الذي يزدريه ويتعقبه أو قائدا الأمة هو منكر لمفاهيمها لا يدين لها بولاء أو مفكرا لا يثبت أى شيء ويثير من حوله الشكوك والسخریات والأحقاد .

كيف يمكن أن يكون موضع القيادة وموضع الثقة من يقول « ان الإنسان يستطيع أن يكون مؤمنا وكافرا في وقت واحد مؤمنا بضميره وكافرا بعقله ، فان الضمير يسكن الى الشيء ويطنن اليه فيؤمن به » هذا مفهوم كنسى غربى مسيحي يرفضه الاسلام وينفر منه ، ذلك ان الاسلام هو دعوة التوازن بين الروح والمادة والعقل والقلب ، دين الطمأنينة والسكينة الروحية والانتقاء بين القيم على هدى وبصيرة .

ولم يكن يتصور أولئك الذين دعوا الى انشاء الجامعة ان يعود طه حسين من وراء البحار لينشر في أنحائها آراءه المصادمة لنصوص القرآن والاسلام ويدعوا الى المجون مصورا في طائفة من الشعراء الزنادقة ، ولم تكن هذه الآراء الا آراء المبشرين الداعين الى هدم مقومات هذه الأمة ودعائم فكرها .

ولقد هوجم طه حسين منذ اليوم الأول الى اليوم الآخر ، لم تتوقف حركة اليقظة عن متابعته وكشف شبهاته وتزييف آرائه ودحر مخططاته ولعل أعجب الأمور يوم قصد مكة وطاف بالبيت مع جماعة اللجنة الثقافية للجامعة العربية ولست أدري كيف وقف الرجل الذى أنكر وجود ابراهيم واسماعيل واقامتهما للكعبة ، كيف وقف أمام الكعبة .

وفي وقائع حياة طه حسين ما يكشف تلك الخلفيات التى تدل على اتجاه الريح .

ويقول طه حسين في كتابه من منكرات طه حسين ص ٢٠٣ الذى أصبح من بعد ( الأيام : الجزء الثالث ) :

أقبل من ضحى ذلك اليوم على استاذ تاريخ القرون الوسطى وكان من أعظم أساتذة السربون قدرا هو الدكتور شارلى ديل فاذا الاستاذ قد كتب على أوراق صغيرة أسئلة كثيرة وضعها أمامه وجعل الطلاب كلما أقبل واحد منهم على الاستاذ يرمقونه ويرقبون ما يسعفه به الحظ ، ويقبل صاحبنا ( أى الدكتور طه ) ترافقه زوجته فاذا أخذت ورقة ودفعته الى الأستاذ .. نظر فيها ثم ابتسم ثم قال فى صوت غذب :

— لقد اسمعك الحظ بمرافقة هذه الأنسة ، حدثنى اذن عن الامبراطورية العربية ايام بنى أمية ، وما أرى الا انك تعرفها .

واندفع الفتى فى حديثه لا يلوى على شيء حتى وقفه الاستاذ قائلا :

— حسبك فقد ظفرت بالدرجة العليا .

هَذَا مَا سَجَلَهُ طَه حَسِين وَهَذَا مَا دَفَعَهُ إِلَى الْبَنْجَاح وَرَقَّةٌ رُبَمَا قَالَتْ  
فِيهَا السَّيِّدَةُ لِلْأُسْتَاذِ : أَنْ هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الْمَرْجِيُّ فِي مِصْرَ لَخْدِمَةِ الثَّقَافَةِ  
الْفَرَنْسِيَّةِ ، وَرُبَمَا قَالَتْ لَهُ شَيْئًا آخَرَ .

وَأَفْكَرَ يَوْمَ أَصْدَرَ الشَّعْرَ الْجَاهِلِيَّ وَسَارَتْ الْمَظَاهِرَاتُ إِلَى سَعْدِ زَغُولٍ  
تَطَالِبٍ بِرَأْسِهِ فَمَاتَ سَعْدُ :

أَنْ مَسْأَلَةٌ كَهَذِهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَوْثِّرَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَتَمَسِّكَةِ بِدِينِهَا هَبْوًا  
أَنْ رَجُلًا مَجْنُونًا يَهْدِي فِي الطَّرِيقِ فَهَلْ يَضُرُّ الْعُقَلَاءَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . أَنْ  
هَذَا الدِّينُ مَتِينٌ وَلَيْسَ الَّذِي تَشْكُ فِيهِ زَعِيمًا وَلَا أَمَامًا حَتَّى نَخْشَى مِنْ شَكِّهِ  
عَلَى الْعَامَّةِ فَلْيُشْكُ مَا شَاءَ : وَمَاذَا عَلَيْنَا إِذَا لَمْ يَفْهَمْ الْبَقَرُ .

وَمِنْ يَوْمِهَا انْطَلَقَ طَه حَسِينُ تَحْتَ اسْمِ الرَّحْمَةِ لِرَجُلٍ كَتَبَ أَوْ التَّجَاهُلِ  
لِرَجُلٍ يَهْدِي . وَلَكِنْ طَه حَسِينُ كَانَ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ مِنْ مَرَحَلَةٍ إِلَى مَرَحَلَةٍ  
مُؤَثِّرًا فِي الْمَنَاحِجِ الْجَامِعِيَّةِ ثُمَّ الْمَدْرَسِيَّةِ وَفِي مَنَاحِجِ الثَّقَافَةِ وَالْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ  
وَالْفِكْرِ جَنِيحًا . فَفَى كُلِّ مَا تَنَاوَلَهُ سَبُومٌ مَدْسُوسَةٌ وَأَرَاءٌ لِلْإِسْتِشْرَاقِ  
مَنْشُورَةٌ .. وَشَبَّهَاتُ مِثَارَةٍ وَشُكُوكٌ مَنْطَلِقَةٌ وَكُتُبٌ تَدْرُسُ فِي الْجَامِعَةِ  
تَتَنَاوَلُ الْإِسْلَامَ وَالرُّسُولَ بِعِبَارَاتٍ فَاحِشَةٍ وَحَفَلَاتُ رَقَصٍ فِي الْجَامِعَةِ وَفِي  
بُيُوتِ الطَّالِبَاتِ وَشُعَارٍ فَرَعُونِي لِلْجَامِعَةِ وَالْإِحْتِفَالِ بِرَيْنَانَ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ .

وَيَعِدُ هَذَا كُلَّهُ يَكْتُبُ طَه حَسِينُ عَنْ نَفْسِهِ فَيَقُولُ :

« أَنِّي أَعْرِفُ نَفْسِي أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِفُهَا غَيْرِي ، وَأَنْ الَّذِينَ يَنْقُدُونَ وَيَمَيِّبُونَ  
وَيَشْهَرُونَ لَا يَعْرِفُونَ مِنْ عَيُوبِي إِلَّا أَقْلَهَا » .

نَعَمْ : لَا يَعْرِفُونَ مِثْلًا قِصَّةَ صِلَتِهِ بِالْكَنِيسَةِ فِي فَرَنْسَا وَهِيَ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ  
رَدَّدَهَا كَثِيرُونَ فِي صَحَفٍ مَكْتُوبَةٍ وَمَحَاضِرَاتٍ مَنْشُورَةٍ . وَلَا يَعْرِفُونَ ذَلِكَ  
الْوَلَاءَ الْخَفِيَّ لِلصَّهْيُونِيَّةِ الْجَائِلِمْ وَرَاءَ النُّصُوصِ وَالْكَلِمَاتِ وَأَنْكَارِ إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ ثُمَّ دَارِ الْكَاتِبِ الْمَصْرِيِّ وَمَاوَرَاءَ الصَّهْيُونِيَّةِ مِنْ شُعُوبِيَّةٍ فِي دَعْوَتِهِ  
إِلَى تَصْوِيرِ مَوَازِمَاتِ الْقَرَامِطَةِ وَالزَّنَجِ وَغَيْرِهَا عَلَى أَنَّهَا حَرَكَاتٌ عَدْلٌ وَحُرِّيَّةٌ .

وَأَرَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ مَبْرُوتَةٌ ، أَخَذَهَا مِنْ هَذَا الْمُسْتَشْرِقِ وَذَلِكَ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُ  
أَنَّهُ أَلْقَى بَذْرَةَ الْحُرِّيَّةِ وَلَوْ قَالُوا : أَنَّهُ أَلْقَى بَذْرَةَ الشُّكِّ لَكَانَ تَصَوُّرُهُمْ أَعْمَقُ  
لِلْأَدَبِ الَّذِي كَتَبَهُ طَه حَسِينُ وَالَّذِي يَقُومُ عَلَى عِبَارَاتٍ :

( لَسْتُ أَدْرِي ، مَا أَظُنُّ ، يَخِيلُ إِلَيَّ ، أَحْسَبُ أَنْ كَذَا ) وَكُلُّ نِتَاجِ  
طَه حَسِينٍ يَسِيرُ فِي هَذَا الْإِتِّجَاهِ الَّذِي يَشْكُ فِي كُلِّ قَائِمٍ وَحَقٍّ وَمُوروثٍ  
وَلَا يَقَرُّ شَيْئًا مَا حَتَّى عَدَهُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ زَعِيمًا لِلشَّاكِّينَ وَالْمُشَكِّكِينَ .

أَمْرَانِ خَاضَ فِيهِمَا طَه حَسِينُ لِحَسَابِ الصَّهْيُونِيَّةِ :

١ - أَنْكَارُهُ ذَهَابِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ إِلَى مَكَّةَ وَبِنَاءِ الْبَيْتِ .

٢ - أنكاره شخصية عبد الله بن سبأ اليهودى رأس الفتنة فى قصة عثمان .

وفى الجامعة ووزارة المعارف قال الكثيرون : لقد انتهى عهد دنلوب وبدأ عهد طه حسين .

وحرقته كتيبه فى دمشق وقامت المظاهرات فى القاهرة وكتب الكثيرون يكشفون زيفه فى عواصم كثيرة . ولكن قوى الاستعمار والصهيونية كانت تظاهره وتحميه ، ولجأ التغريبيون كلهم الى مفهوم الأصالة العربية والاسلامية الا هو فقد ظل حريصا حتى آخر ايامه على أن يكون من أولياء الغرب والاستشراق ..

وفى كل معركة كان يدخلها يعنى بالهزيمة وكل فكرة تقدمها طاردها فكرة أكثر منها حقا وأصالة وإيمانا ، دافع عن الاحاد ودافع عن الفرعونية ودافع عن الشك وناقى الغربيين والأحزاب وهاجم الأزهر والاسلام ، وعارض كل شيء أصيل فى أفق الفكر الاسلامى وشك فى التراث القديم ووقف موقف السخرية من الدين وعلمائه ، وحمل لواء حضارة البحر المتوسط والأدب اليونانى ووصف بأنه سفير الغرب وادخل الاساطير مرة أخرى الى سيرة الرسول ، واخذ كل نظرياته من مستشرقين هم خصوم لامته ووطنه وللإسلام ، أخذ من ( دوركايم ) رأيه فى ابن خلدون ومن ( سانت بيف ) دعوته الى شعر المجون والغزل العلماني ومن ( بلاشير ) رأيه فى المتنبي ومن ( كازانوفا ) الصهيونية أنكار هجرة ابراهيم عليه السلام الى الحجاز وبناء الكعبة مع اسماعيل وقال أنها بالرغم من أنها وردت فى القرآن فهى أسطورة وأنكر القراءات السبع التى جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وبالجملة فإن أبرز وجوه الاضطراب فى مفاهيم طه حسين تتلخص فيما يلى :

١ - كسر قاعدة ترابط الأدب العربى بالفكر الاسلامى .

٢ - أنقص قدر الرعيل الأول من الصحابة ووضعه موضع النقد وعامله على أسلوب محترق السياسة .

٣ - وصف القرن الثانى الهجرى وبه جلة علماء المسلمين على أنه عصر شك ومجون .

٤ - إذاع الأدب المكتشف سواء ما بعثه من الأدب العربى القديم ( بشار وأبى نواس ) أم من الأدب الفرنسى الذى ترجمه .

٥ - حمل على الاسلام من خلال الأزهر ، دعا الى الفرعونية ودعا الى العلمانية ودعا الى الفناء التعليم الدينى .

٦ - أشاع الأسطورة في السيرة النبوية ،

٧ - مهد الى تدمير الشخصيات الاسلامية اللامعة : وفي مقدمتها ابن خلدون والمتنبى .

٨ - حاول تتبع الأدب العربى للأدب اليونانى وتتبع الفكر الإسلامى للفكر الغربى .

٩ - اعتمد مصادر زائفة وناقصة مثل كتاب البلاذرى فى عبد الله بن سبأ والأغاني فى وصف القرن الثانى الإسلامى بعصر الشك والمجون .

١٠ - تبعيته الظاهرة التى يفاخر بها للاستشراق والتبشير والتغريب .

١١ - موقفه بالمتابعة من الصهيونية العالمية .

١٢ - سوء موقفه من أساتذته وزملائه وطلبته وتجريحهم ونقدهم .

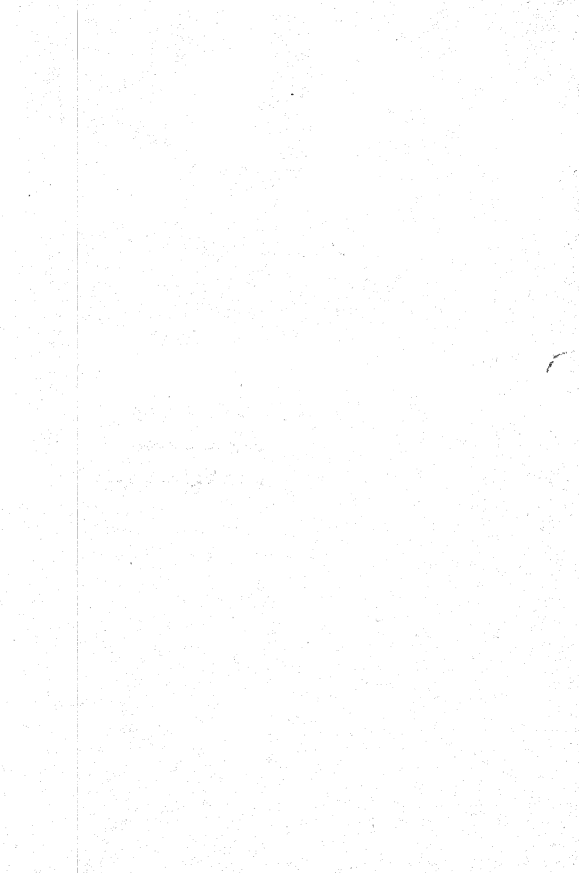
تلك خطوات عامة أردنا بتقديمها أن نقول للذين يظنون أن ما نكشفه عن طه حسين هو من قبيل التجنى أو التزيد ، أن الأمر أخطر مما يظنون وأن الشهرة المدوية والكلمات التى تجرى على الألسنة والصحف يجب أن لا تؤخذ مأخذ الحقيقة مهما كان قائلها علو شهرة أو مكانة ، وأن الأسلوب الصحيح لفهم الناس وفهم القادة لهذه الأمة يجب أن يخضع لمنهج القرآن وأسلوب الإسلام الذى عرف به رواة الحديث والمؤرخين والأعلام وهو منهج « الجرح والتعديل » وعلى كل من تلوذ به ثلمة أو شبهة ما أن نقف منه موقف التحرز والتحوط حتى نكشف ما وراء نطلته وهواه ، ولقد دخل على المسلمين فى العصر الحديث شر كثير نتيجة الاتخاذ بالاسماء الرنانة والشهرة الزائفة ولكنهم الآن أصبحوا أكثر قدرة على فهم الدخائل وأكثر عمقا على تبين الحقائق التى خدعهم بها الاستعمار والصهيونية والماركسية طويلا وراء « لافطات » كاذبة ومصطلحات خداعة .

\*\*\*

الباب الحادى عشر

## يا شباب الإسلام

- ١ - يا شباب الإسلام
- ٢ - الشباب المسلم مدعو للوعى لما يقرأ
- ٣ - مسئولية أصحاب الأقلام
- ٤ - لا بد من نهضة اسلامية





## يا شباب الاسلام

أن الشباب اليوم : يسأل عن الطريق الصحيح .

ولا ريب أن تسأله هذا في حد ذاته دليل على الرغبة في التماس وجهة الخير والإصالة والضوء الكاشف حين يرى تشعب الطرق واختلاف الدعوات التي توجه إليه . منها ما يدعوه إلى الانطلاق الكامل ومنها ما يدعوه إلى الانطواء الكامل . وهو لن يجد الأمن والسلامة والضوء الحقيقي الذي ينير البصر والبصيرة إلا في ظل مفهوم الاسلام فالاسلام دعوة تحرر واستجابة جامعة بين الرغبات المادية والأشواق الروحية ، صادرة عن الإيمان بالتكامل الجامع بين النفس والجسد والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة .

ولا ريب أن مفتاح الأمر كله أن يعرف شبابنا ما هي مهمته في الحياة ، التي خلق من أجلها الإنسان ، وتسأل عن ما هي أمانته ومسئوليته وجزأه الدنيوي والآخرى .

إن الهدف الأساسي : هو أن يكون الإنسان المؤمن بالله عاملاً نافعا في بناء المجتمع الربائي الذي يحل ما أحل الله ويحرم ما حرم ، وأن يكون مقتنعا تماما أن هذه الحياة الدنيا مسئولية وتبعة ، وليست لعبة أو منطلق أهواء ورغبات كما يحاول بعض كتاب القصة أن يقول ذلك عن باطل مجلوب من مجتمعات أخرى ، وأن يؤمن بأن الدين الحق الذي أنزله الله تبارك وتعالى هو طريق هداية للإنسان حتى لا ينطلق مع رغباته وأهوائه ، ويعرف حقيقة طبيعته البشرية ومهمته في الحياة من أجل الدنيا نفسها ، لتكون محصلة خير ، تصلح به الدنيا وتتهيء لصاحبها أن يكون قادرا على اقتحام المرحلة التالية لهذه الحياة ، وهي الحياة الأخرى : الكبرى : الحياة في دار الخلود .

وليس معنى هذا أن ننصرف عن هذه الحياة ، ولكن معناه أن نعمل فيها بروح الإيمان والتساند والاخوة والجماعة وتقدير المسئولية في سبيل رفع البناء مع حقنا الكامل في كل معطياتها مع تحقيق كل نوازع النفس في الطريق السليم الذي رسمه الدين حماية للإنسان من تدمير نفسه بالانطلاق المندفع أو بالانصراف المطلق ، فقد أشار القرآن الكريم إلى أن هذا الذي أحله الله للإنسان لا يجوز الانصراف عنه ، كذلك ، فإن هذا الذي حرمه الله لا يجوز اقتترافه ، وقد أباح الله تبارك وتعالى كل شيء ما عدا أشياء

قليلة جدا لا تنقص الانسان شيئا اذا ما تجاوزها ، وفي كل ما احله ، جعل له اسلوبا قائما على الاعتدال والكرامة والخلق حتى تكون العلائق بين الانسان والانسان ، والانسان والمجتمع ، طيبة كريمة بعيدة عن الصراع والخصومة والاحتقاد ، وهي من ناحية اخرى تعمل على حماية هذا الكيان البشرى الضعيف من أن تتحطم على صخرة الأهواء والشهوات ، كما تنقيه الوقوع في براثن الاضطراب والتمزق والاحساس بالغربة أو الغنيان .

انن فهمى حرية مضبوطة ، لها اطارها الواسع ، وحركتها الطليقة الى حدود وضوابط تحمى الفرد من الخطر وتحمى المجتمع نفسه من أن يأخذ أحد ما ليس له وما هو من حق الآخرين ثم اقامة علاقة سليمة بين مختلف أجزاء المجتمع . تلك هي اهداف الاسلام في رعاية الشباب : اعطاه اسلوبا للحياة ليس عشوائيا ولا تحكمه الأهواء ثم اعطاه مفاتيح الفهم الواسع لحياته ولجتمعه وللكون وللحياة ، ولهذا الوجود كله منذ براه خالقه الى يوم تقوم القيامة وتبدأ الحياة الأخرى التى يحاسب كل انسان فيها بما قدم فى هذه الحياة ويجزى بالجزاء الذى يستأهله نعيما أو عذابا .

٢ - ومن هنا فان تلك التيارات التى تهب على الشباب يجب أن تواجه فى حزم وبقظة وأن ننظر اليها نظرتنا الى شيء غريب وأند ، فلا هي من منطلقات مجتمعنا ، ولا هي مرتبطة بطروفتنا ، ولا صادرة من عقائدها ، ولا نابعة من فكرنا ولا تاريخنا ، ولا من قيمنا ، ولكل أمة تاريخها وعقائدها واسلوب حياتها الذى شكلته قرون طويلة وتحديات مختلفة ولكل أمة محاولتها فى علاج مشكلاتها وتحدياتها ، وقد اختار الغرب هذه الأيدولوجيات والنظريات فى مواجهة ظروفه ، فهل حققت نتائج صحيحة ، وهل أسعدت شبابه وهل ردت اليه الأمن والطمأنينة وسكينة القلب . وهل كشفت امامه طريق الخير وهى من صنع يده ومن تجار كبار عقلائه وفلاسفته . الواقع : انها لم تفعل ، ودليلنا أن أزمة الشباب مع تحديات مجتمعهم وحضارته لا تزال قائمة ، ولا تزال متأججة ، وهى تزداد كل يوم سوءا ، اذن فالطريقة التى حاول الغرب أن يعالج بها قضاياها لم تحقق له شيئا ، بل نستطيع أن نقول انها عجزت عن احلال الأمن والسكينة فى النفس أو تقضى على التمزق والغربة التى يقاسى منها هذا الشباب ، واذا كان ذلك كذلك فكيف تصلح هذه الطرائق لنا ، وهى لم تنجح فى بيئتها من ناحية ، وتختلف مع ظروفنا وعقائدها من ناحية أخرى .

وهنا يجب أن يعرف شبابنا أن هناك قوى غاصبة تختنى من وراء طرح هذه القضايا ونقلها من بيئة الى بيئة أخرى ، أن من وراء ذلك قوى ترغب فى تدمير الأمم وتحول دون نهضة أمة المسلمين بالذات وانى لأرجو أن يقرأ شبابنا بروتوكولات صهيون ، وغيرها من كتابات كشفت عن هذه المخططات ، ونضحت هذه المحاولة الخطيرة التى ترمى الى تدمير الشباب لأنه هو رصيد أمته ومجتمعها للجيل القادم ، فاذا دمر هذا الشباب استسلمت هذه الأمة للنموذ الأجنى الذى يحاول أن يلثمها فلا يجد طريقة الا فى هدم مقدراتها فى نفوس الأجيال القادمة علينا أن نعرف هذه الحقيقة الحاسمة : حقيقة الخطر الذى يكمن من وراء التيارات الوافدة وأن تؤمن بأنه ليس

هناك دفاع في مواجهة هذا الخطر غير ذلك الطريق الذى يرسمه الدين الحق لاضاءة الساحة امام النفوس المسلمة وليس هناك من حماية الا المعرفة الكاشفة ، والتعرف الصادق على هذه الأخطار والحذر منها .

ولكن : ليس كل ما يهددنا خطراً ، فان هناك أشياء كثيرة نافعة وصالحة لى ننمى وجودنا ولكن كل ما يترجم يجب أن ينصهر فى بوتقتنا فبزيدنا قوة ولا يكون مصدراً لهمد شخصيتنا .

على استاذتنا عندما يترجمون لنا قصة أو كتاباً أن يقدموه بمنهج واضح يبدأ فى النقطة الأولى من فكرنا ويكشف وجهة النظر الأخرى ومدى ثنائها ، واختلافها فى صميم قيمنا ، فتكون على بينة من أنها نظرية مفترضة وليست حقيقة مسلماً بها ، لا بد من اضاءة الطريق أمام شبابنا فى كل هذا الركام الضخم الذى يترجم اليه ولنعلم أننا فى حاجة الى العلم والتكنولوجيا وحدهما أما أسلوب العيش وعلوم الانسانيات فان لنا منهجنا الذى هو المثل الأعلى للفكر الذى تتطلع اليه الإنسانية .

٣ — أما الفتاة المسلمة فانها تستطيع اذا فهمت رسالتها الحقبة التى تتفق مع طبيعتها وفطرتها وما أعدت لى توفق فى حياتها ، عليها وعليها جميعاً أن لا تنكسر أحكام ديننا فى سبيل ارضاء متطلبات العصر ، ولكن علينا أن نوائم بين متطلبات العصر وبين ضوابط المجتمعات الربانية الحامية للأفراد والجماعات من خطر الانهيار والتمزق والتدمير ولتعلم فتاتنا المسلمة أن تعليمها هو من أجل رسالتها ومن أجل الغاية الكبرى وهى بناء البيت ورعاية الزوج وتنشئة الأجيال ، وأن هذه الغاية مقدمة على كل غاية ، بل ولا يجوز التضحية بها لى غرض بل يجب التضحية بكل غرض فى سبيل حماية هذه الغاية الكبرى .

وعليها أن تعرف كيف تختار رفيق الحياة فحين يتقدم اليها وأن تكون مقاييسها هى مقاييس الايمان الذى يحمىها من كل باطل وزيف وضلال . وأن عمليات التعرف يجب أن تظل تحت مظلة الاسرة ومع الأهل الذين يعرفون أكثر والذين جربوا وأن يتم ذلك باسم الله وفى حدود ما أهل الله .

وبينما اكتب هذا يصلنى كتاب الأخ الجليل الاستاذ أحمد محمد جمال — من أجل الشباب — فأجد هذا الالتقاء الواضح بيننا — ذلك لاننا نصدر من نبع واحد هو الاسلام الدين الخالص الذى يجمع بين المسلمين على مفهوم صادق لا يتخلف .

### مصاييح على الطريق

**البيرونى حقق مسألة علمية وهو على فراش الموت :**

لا تزال صور التاريخ الاسلامى تكشف عن عظمة هذه الأمة وتقدم تدرجات عالية من هذه النماذج : هذا الرجل العظيم هو البيرونى :

روى ياقوت بن النيسابوري أن قاضيا من أصحاب أبي الريخان البيروني قال : دخلت على أبي الريخان وهو يوجد بنفسه وقد حشرج نفسه وضاق صدره فقال لي في تلك الحال :

— كيف قلت لي يوما شيئا عن حساب المبرات الفاسدة ؟ .

قلت له اشفأنا عليه : أفي هذه الحالة ؟ .

قال لي : يا هذا ، أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة . الا يكون خيرا من أن أخليها وأنا جاهل بها .

فاعدت ذلك عليه وحفظه وعلمني ما وعد .

وخرجت من عنده وأنا في الطريق سمعت الصراخ .

ذلك هو البيروني العالم المسلم الذي عرف بآثره الضخم الذي تركه في علم النظائر والذي ما زال حتى اليوم باقيا فضلا عن كتابه عن الهند الذي ظل مرجعا يستقى منه الكتاب والمؤرخون أكثر من ثلاثمائة عام .

كان طبيبا وفلكيا ورياضيا وجغرافيا ومؤرخا وعالما بالطبيعيات وله مشاركة فعالة في الفلسفة والعلوم اللغوية والأدب والشعر والفقه .

كما عرف بتعدد فنون العلم وبالمساهمة في تقدم هذه العلوم .

عاشي للعلم منصفا إلى التصنيف ، قيل أنه كان لا يكاد يفارق القلم يده والنظر عينيه والفكر قلبه . وقد حرص على قراءة ثقافات الأمم الأخرى من مصادرها الأصلية دون الاعتماد على الترجمات . ولذلك درس السريانية والعبرية والسنسكريتية يقول ياقوت أنه ذكره في الأدباء لأن الرجل كان أدبيا لغويا له تصنيف في ذلك . أما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فاتها تفوق الحصر ، رأيت فهرسها في وقف الجامع في نحو الستين ورقة وبخط مكتنز . وقد عرف من بعد أن كتبه تبلغ بين مطبوع ومخطوط مائة وثمانين كتابا .

ويقول عنه لويس ماسنيون :

لقد فهم البيروني تمام الفهم الدور العالي للغة العربية بوصفها بين اللغات السامية — أهم لغة حضارة — وأدرك مقدرتها على التركيز والتجربة وتراكيبها عن طريق الاشتقاق بدلا من الزوائد وقيمتها في توحيد المتكلمين بها .

ويقول عنه آرثر ابهام بوب : البيروني من أبرز العقول المفكرة في جميع العصور ، يتميز بالصفات الجوهرية التي تخلق العالم ، وأنه لفى الامكان تجميع عدد كبير من الاقتباسات عن مؤلفات البيروني كتبها منذ ألف سنة وهي تستبق كثيرا من المناهج والمواقف العقلية التي تفترض اليوم أنها حديثة .

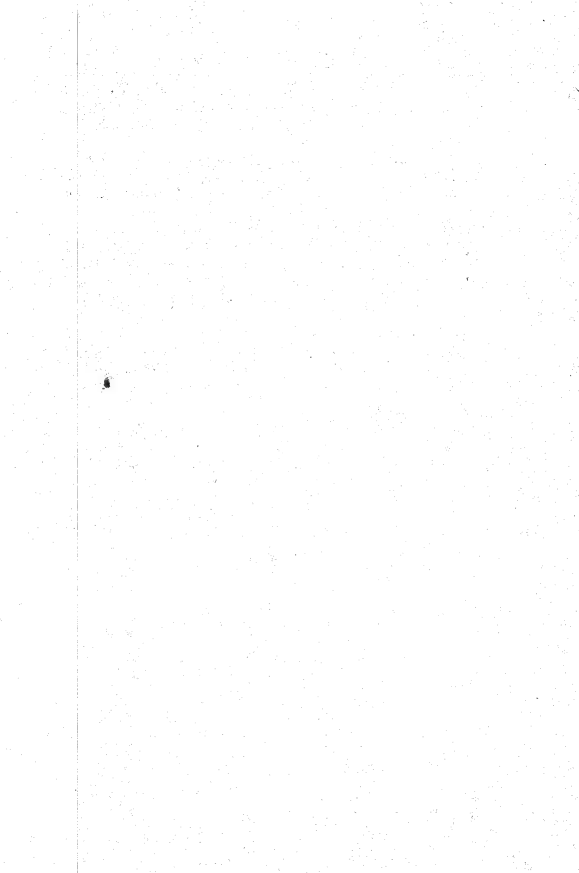
هذا شيء من رأى العلماء والباحثين فى هذا العلامة الاسلامى الكبير الذى ظل تاريخه ومضله محجوباً الى عهد قريب حتى كشف عنه الباحثون الادبيون : ولد فى ضواخى خوارزم — سبتمبر ١٧٢ م — ورحل الى جرجان فى شبابه والتحق ببلاط اميرها قابوس بن وشمكير الملقب بشمس المعالى وقد اتصل الود بينه وبين ابن سينا .

الف كتابه — الآثار الباقية من القرون الخالية — واهداه الى شمس المعالى : الكتاب يبحث فى تقاويم الأمم القديمة واعيادها ومواسمها ومقارنة ذلك بعصر المؤلف .

عاد الى خوارزم فعاش فى بلاط اميرها أبو العباس المأمون بن محمد ، ثم لما استولى محمود سبكتكين على خوارزم اخذ فى الاسرى ثم استبقاه السلطان لعلمه واخذه معه الى بلاده . ودخل أبو الريحان الهند مع السلطان فى فتوحه فى تلك البلاد التى استمرت الى عام ١٢٠٤ وكانت فترة اقامة البيرونى فى بلاط غزنه أبرز فترات نشاطه العلمى واكثرها إنتاجاً .

بحث فى كتابه — الآثار الباقية — الذى ترجم للانجليزية عام ١٨٨٧ عن الشهر واليوم والسنة عند مختلف الشعوب والأمم القديمة من آشوريين ويونانيين الى وقت البيرونى وهو أول مبحث للاشهر الفارسية والعبرية والروحية والهندية والتركية بين كيفية استخراج التواريخ بعضها من بعض .

\*\*\*



## الشباب المسلم مدعو للوعي لما يقرأ

وجدت أن أضع كتابا عنوانه « قبل أن نقرأ » أوجهه لشبابنا المسلم ليكون حذرا من كل ما هو مكتوب ومذاع ومنشور سواء أكان صحيفة أو كتابا أو مسرحية أو فيلم سينمائي ، أن علينا أن نعرف خلفيات ما نقرأ مما يعرض علينا وأن تكون لنا ارضية في الفهم والأصالة تقوم على معرفة التحيزات الحقيقة التي تواجه مجتمعنا اليوم وما زالت قائمة بالرغم من التحرر الذي شهده العالم الإسلامي من النفوذ الاستعماري . ذلك أن هناك نفوذا فكريا وثقافيا ما زال مستمرا في ثلثيا التعليم والثقافة .

فعلى شبابنا المسلم أن يكون واعيا لما يقرأ ، وأن لا يغربه بريق الكتاب أو لمعان الاسم من الخضوع له قبل أن يعرف مدى اسلاميته وأصالته ومدى صلته بأمتنا وديننا وعقيدتنا ، اننا يجب ألا نضع ثقتنا الا في الفكر الأصلي .

أن هناك قوى كبيرة تطرح فكرها وتنفض سمومها تحت أسماء مغايرة ، فشبابنا في حاجة الى ضوء كاشف يهديه ، انه ينظر فيري هذه الكتب مكتسة في كل مكان مترجمة أو مؤلفة ، كتابها مسلمون أو عرب أو اجانب فيقرؤها دون أن يلتفت الى الغاية أو الخلفية ويظن أن ما يقرأ هو صحيح أو هو حق كل الحق فيأخذ به وهذا هو مصدر الخطر .

لقد دخل الى فكرنا زيف كثير وفرضت مسلمات كثيرة نحن في حاجة الى أن نعيد النظر فيها .

« نحن نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال وهذا اعظم منهج يضيء لنا الطريق » .

ان علينا أن نعرف أن امتنا تقع في مكان الصدارة من العالم كله ، ولذلك فهي مطمح الغزاة من قديم ، ونحن نعيش اليوم الغزوة الصهيونية بعد غزوة الاستعمار ، ومن قبل جاءت موجة الحروب الصليبية وحروب الفرنجة ، كل يقنعنا بصديق الوصية التي دعانا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الجهاد ماض الى يوم القيامة وأن المواجهة لن تتوقف بين اهل الاسلام وبين خصومه وان علينا أن نكون مرابطين الى يوم القيامة ندفع عن أرضنا وقيمنا وعقيدتنا .

يجب أن نقف موقف الحذر من كل ما تلقينه إلينا المصادر الغربية والوافدة ، لقد خدعنا بأسلوب الغرب في الحكم والتربية والاجتماع وجربنا وراء التجربة الغربية حتى نهائيتها وعندما أخذنا في تحطيم هذا القيد أصبحنا على طريق الأصالة : طريق الجهاد طريق الشريعة الإسلامية والتربية الإسلامية ، لقد مر المسلمون من قبل بمثل تجربتنا والتضروا فيها حين التمسوا الأصالة واستمسكوا بالشريعة الإسلامية ، وعلينا أن لا تحتوينا المذاهب والأيدلوجيات وعندنا منهج القرآن الجامع الذي لا ينحرف ليس هو مذهب الفلسفة ولا العقلانية ولا الجبرية الصوفية ولا الحسنى الوجداني كل ذلك ركام باطل جددته الباطنية والمجوسية والشعبوية وأعدت صياغته من جديد لتضرب مفهوم التوحيد الخالص .

ان علينا أن نعرف قبل أن نقرأ من نقرأ له وما هو هدفه وما غايته ، وأن نحذر من الفكر الوافد لانه ليس فكر أمتنا ولا يمثل قيم مجتمعتنا .

يا أمة محمد :

الحديث مع الشيخ عبد الحميد كشك نو شجون :

يا أمة محمد ان محاولة المقارنة بين الاسلام والشيوعية انما ● نوع من الجدل العقيم الذي ينبغي أن يعف عنه المسلمون اذ لا سبيل للمقارنة على الاطلاق بين الاسلام والشيوعية .. فالاسلام عقيدة ومنهج الهى نزل به الوحي المعصوم .

بينما الشيوعية مذهب مادى الحادى نادى به بشر يكتبه جهلا وظلما انه لا يؤمن بالله واتنا نحذر من الاتسياق وراء ما يرفعه أعداء الله من شعارات كاذبة وما ينطقون به وأريد به باطل . فالاسلام وحده هو العدالة التى نادى بها الرسول عليه الصلاة والسلام حينما قال :

« ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع » .

يا أمة محمد :

ان المجتمع الإسلامى المعاصر قد تعرض لنكسة حضارية وأخلاقية توشك أن تدمره وأن هذا المجتمع يقف الآن أمام خيارين لا ثالث لهما . اما العودة الى الله واما الانتدفاع الى الهاوية ان الاسلام وحده هو القادر على مواجهة مشكلات العالم وان المناهج الوضعية جميعها قد أثبتت افلاسها ولم تخلف وراءها الا الخراب وعلى المفتونين بالغرب أن يذكروا أن برنارد شو من اكبر مفكرى الغرب هو الذى قال : لو أن محمدا بن عبد الله موجود بيننا لحل مشاكل العالم ريثما يتعاطى فنجاننا من القهوة .

ان المجتمع الإسلامى اليوم فى حاجة الى القدوة الحسنة وانه لن تكون هناك قيادة صحيحة الا اذا كانت فى نفس الوقت قدوة ، وإن تصل الكلمة



الى القلب الا اذا تطابقت مع السلوك والا أدى ذلك الى نوع من الانفصال  
الشبكي العنيف الذى يؤدى بالمجتمع الى اضطراب نفسى وتمزق .

يا أمة محمد ، يا خير أمة أخرجت للناس ما لى أراكم والحرية تعصف  
بكم والقلق يمزقكم تتلفتون يمينا ويسارا ، تبحثون عن مخرج وبين يديكم  
المنهج الصحيح القادر على أن يخرجكم من الظلمات الى النور .

يا أمة محمد ، لقد جربتم الرأسمالية وجربتم غيرها من نظم فما زادكم  
ذلك الا فقرا وجهلا ومرضا فلماذا لا تجربون الاسلام ؟ جربوا الاسلام مرة  
فقد طبقه الخلفاء حتى جيع عمر بن عبد العزيز الزكاة فلم يجد مسكينا  
واحدا يأخذها فأصدر قراره المشهور بأن من عليه دين فوفاء دينه من بيت  
مال المسلمين ، ومن كان يريد العتق فعتقه من بيت مال المسلمين ومن كان  
يريد الزواج فزواجه من بيت مال المسلمين .

جربوا الاسلام مرة واحدة يا أمة محمد دعوكم من قضايا الشرق والغرب  
وعودوا الى شجرة طيبة تؤتى أكلها باذن ربها شجرة أصلها ثابت وفرعها  
فى السماء .

\*\*\*



## مسئولية أصحاب الأقلام في هذا العصر

ان مسؤولية اصحاب الأقلام هي من كبرى المسؤوليات والتبعات من حيث انها ترتبط بمواجهة الأخطار التي تواجه الأمم ومن حيث أن الله تبارك وتعالى وضع مخطط هذا العمل بقوله تبارك وتعالى « ن والقلم وما يسطرون » وقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك » فجعل القراءة والكتابة خالصة لوجهه تعالى وجعل العمل الذي ينشئ من القلم والعلم والفكر رباتيا مبرعا من الأهواء وجعل مسئولية البيان من ابلغ مسئوليات الاسلام الذي انزل الله بيانه بلسان عربى مبين .

ففرض على من يعلم ان ينقل ما علمه الله الى من لم يعلم من الناس لا يكتف بما يعلم شيئا ، وبذلك تحدثت رسالة الكتاب والدعاة والباحثين المسلمين على نفس الطريق الذى سار فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وحملوا العلم عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل ، وشاء الله تبارك وتعالى أن تكون هذه المرحلة التى نعيشها حافلة بالتحديات والأخطار ، وتحتاج الى جهد ضخم مكثف فى سبيل مواجهة الأخطار .. هذه الأخطار التى عرفها الاسلام منذ يومه الأول والتى لن تتوقف وقد سجل ذلك الحق تبارك وتعالى فى قوله : « ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا اذى كثيرا » .

ولقد شاء الله تبارك وتعالى للباطل أن يصارع الحق ولكنه لم يأنف بأن يصرعه ، فانه وعد تبارك وتعالى أن يقتف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق . وان يجد المسلم وجوها عديدة من الخطر والتحدى لابد أن يتصدى لها ويقف امامها فى قوة « خذوا ما اتيناكم بقوة » ويردها عن دينه ومجتمعه « وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » فلا بد من التماس المنابع وعرض كل ما يطرح فى أفق الفكر الاسلامى من نظريات ومذاهب وأيدولوجيات وافدة على ذلك الأصل الأصيل : القرآن الكريم ذلك النص الموثق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مصدر الضياء الأوحد وصله الأرض بالسماء وكلمة الله الخالدة الباقية فى اعقاب المسلمين جيلا بعد جيل الى يوم يبعثون .

وهو الحق الذى تلوذ به وصديق رسول الله « تركت فتيكم ما أن تمسككم به لن تفلحوا أبدا : كتاب الله وسنتى » .

والمسلمون اليوم على مشارف القرن الخامس عشر الهجري الذى تهل  
اضواؤه وتشرق شمسُه بعد سنوات معدودة يواجهون خطرين عظيمين .  
خطر يتصل بعقيدتهم وهو خطر المذاهب المادية التى تتصل بثقافتهم وتعليمهم  
والتي تقدم لهم مجموعة من المفاهيم الضالة المضلة التى تحجبهم عن جوهر  
التوحيد الخالص .

وخطر يتصل بمجتمعهم ويتمثل فى تلك الاخطار التى تتصل بالشباب  
والمرأة والاسرة والمجتمع والطفل والتى تثيرها قصص ومسرحيات وأغان ،  
ودعوات ضالة تحاول أن تدمر هذا البناء الاجتماعى الشامخ الذى بناه  
الاسلام .

والهدف من كل ذلك أن يتحقق لليهودية العالمية السيطرة على العالم  
كله بعد تدميره اجتماعيا وأخلاقيا ، وأمامنا بروتوكولات صهيون تكشف  
بوضوح عن هذه المؤامرة الخطيرة والتى تمر الآن بأخطر مراحلها منذ وقعت  
بلاد فلسطين وبيت المقدس تحت النير الصهيونى والاحتلال اليهودى الذى  
يحاول أن يدعى دعوى باطلّة يقيمها على أسطورة زائفة لاستلاب أرض  
المسلمين .

ولقد جاء الاحتلال اليهودى الصهيونى مرحلة جديدة من مراحل الامتحان  
الخطير الذى يواجهه المسلمون العرب .. والذى بدأ بالاحتلال الفرنسى  
البريطانى الذى أوشك على نهايته واستطاع أن يكشف أمام المسلمين فساد  
الخطّة التى كانوا يتخونها وسيلة للحرية وهى اصطناع أساليب الغرب  
فى العيش والحياة ، والتماس مناهجهم فى التعليم والثقافة .

وقد تبين اليوم أن هذه التبعية الخطيرة هى التى أذاقتهن بأس الاستعمار :  
احتلالا وهزيمة ونكسه خلال أكثر من ثمانين عاما تقلب المسلمون فيها بين  
مناهج الديمقراطية الغربية والماركسية الشيوعية .

وقد عجزت كلتا التجريبتين أن تمد المسلمين والعرب بمنهج حياة يحررهم  
من السيطرة أو يدفعهم الى النهضة ، وقد تكشف الآن بما لا يدعو الى  
الشك بأن هذا الاسلوب زائف وفاسد وأن السبيل الوحيد للمسلمين والعرب  
الى النصر والتحرر والقوة وامتلاك الارادة هو ان يلتصقوا بمبادئهم وأن  
يطبقوا شريعتهم وأن يعودوا الى اصولهم وأن يجسدوا انفسهم فى منهج  
الاسلام الصحيح : اسلوب حياة ونظام مجتمع وان يأخذوا من الغرب  
العلوم التكنولوجية فيصنعوها فى دائرة فكرهم الاسلامى ولغتهم العربية ..

وقد كشفت لهم معركة رمضان هذا الطريق الجديد ووضعتهم على هذا  
الخط الاصيل ولا يزال أمامهم جهد كبير لتثبيت هذه النقطة الضخمة الوافرة  
التي نرجو أن تكون هدية القرن الخامس عشر الهجري اليهم ..

## تركيا الإسلامية في طريق التحرر من حُطّة التفرُّب !

في الخطاب الهام الذي اختتم به مؤتمر السيرة النبوية في تركيا والذي ألقاه السيد نجم الدين أربكان رئيس حزب السلامة الوطني ، كشف الزعيم المسلم عن المحافير التي تواجه الفكر الإسلامي في عاصمة الخلافة الإسلامية القديمة حيث يقول أن الوقت قد حان لازاحة الأضاليل والتغليطات التي يذرّها وقرسها ودعا إليها بعض قادة الفكر الغربيين من المذاهب والمبادئ المادية الصرفة ، ، فانساق وراءهم فيها من يسمون أنفسهم بدعاة التحرر والتجديد ...

ويستطرد إلى صلب البحث فيقول :

أولا : أن النظرية الدارونية التي تقول بانحدار بنى الإنسان من سلالة القروء ، أن هي الا نظرية خطيرة تهدف في جملة ما تهدف إليه الى اجتثاث اصول العقائد التي أتى بها الاسلام وتحدث عنها القرآن .

ثانيا - النظرية الجنسية التي فلسفها ودافع عنها « فرويد » والتي صار يعتنقها ويدافع عنها الكثيرون ان هي الا نظرية فاسفة تريد أن تنسف كل المبادئ والاصول الاخلاقية التي دعت إليها الأديان بما فيها دين الاسلام .

ويقول ان المسلمين مطالبون بمقاومة ومصاروة امثال هذه النظريات الباطلة والدفاع عن النظريات والمبادئ التي أتى بها دينهم الحنيف واكتنتها الآيات المنزلة من رب العالمين وعليهم أيضا البرهنة على أن النظريات الاسلامية والأحاديث والأبناء التي ورثت عن طريق القرآن والسنة النبوية الصحيحة هي ( مفاهيم ) صحيحة وأخبار لا تقبل الطعن فزيادة على أن الوحي الإلهي أكدها فان العلم الحديث يثبتها ويؤكدّها ويحض ما يخالفها .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فان البيان الختامي الذي أصدره المؤتمر أكد أن التقدم العلمي والتقني الذي تعيش في ظله البشرية لم يستطع أن يقضى على الآلام النفسية والقلق الفكرى والانحدار الخلقى والامور التي تعاني منها الإنسانية . وانه مهما عاند المعاندون وتكبر المتطرسون فان الحل الوحيد للمشاكل الإنسانية يكمن في الانقياد للهديّة الربانية والتعاليم السبلوية التي باتباعها والخضوع لأوامرها تنحل كثير من العقد ويحل الاطمئنان والأمان لدى بنى الإنسان : هذا الانقياد للأوامر الإلهية يفرض على كل انسان أن يقدر المهمة التي طوق بها : تعمير الأرض واصلاحها ، وتطويعها والاستفادة من جميع امكانياتها وذلك لا يتيسر الا اذا تضاعف الاهتمام بالبحوث العلمية على اختلاف اشكالها واتواعها اهتماما من شأنه ان يلبى رغبات البشرية في السعادة والتقدم والهناء .

ولا ريب أن صدور مثل هذا البيان من الدولة الإسلامية التركية بعد مرور أكثر من خمسين عاما على تغريبها لهو علامة على تحول هام ، ودليل على أن الإسلام العميق الجذور لا يمكن أن ينهزم بالرغم من كل المحاولات التي عملت على تقطيع أصوله واقتلاع جذوره بطرح الدولة العلمانية ، ووزاءها مؤامرات الدونية والصهيونية ، واستقاط الخلافة .

لقد ظن الأعداء أنهم يستطيعون استقاط الدولة التركية من خريطة العالم الإسلامي وتدمير هذا الركن الإسلامي الضخم صاحب التاريخ الخافل في تاريخ الإسلام وخاصة في القرون الأربعة الأخيرة ( ١٥١٥ - ١٩١٧ ) .

\*\*\*

## لا بد من نهضة إسلامية

ان كل محاولة للابقاء على المناهج العلمية الانجليزية والفرنسية في جامعاتنا في العالم الاسلامي من شأنه ان يؤخر الانتقال من البقعة الى النهضة بل ان هذا الاصرار على دراسة العلوم باللغات الاجنبية ( كما يحدث في كثير من جامعاتنا العربية وخاصة الطب والعلوم وغيرها ) انما يستهدف الحيلولة دون تحرير مناهج العلم العربي من التبعية وتعجزها عن ان تستلهم روح الاسلام ووجهته في العلم والحضارة وتذليلهما للانسانية كلها وفق روح الاخاء البشري والرحمة .

ومن هنا فلنحذر الترجمة وتعلم اللغات الاجنبية على النحو الذي يدعون اليه التغريبون وخصوم الاسلام فان للترجمة قانونا اصيلا ولتعلم اللغات الاجنبية اسلوبا يجعلها في حضانة اللغة العربية وفي خدمتها لا لتكون عابلا من عوامل التبعية للفكر الوافد .

وقد تنبه الى هذا المعنى كثيرون من اعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث فاشار مالك بن نبي الى مدى خطورة استعمال اللغة الاجنبية في تدريس العلوم بوجه خاص في البلاد العربية وقال انه نفسه علامة الفشل في استيعاب تلك العلوم وجعلها خارج نطاق حياتنا الفكرية بحيث تبقى الصلة بينها وبيننا صلة سطحية لا نغير نحن فيها شيئا ولا تغير هي فينا شيئا بينما نرى في المجتمعات الحية ان هاته الصلة تتغير يوميا وتجعل الفرد يهيمن أكثر فأكثر لا على هضم العلوم فحسب ولكن على تقديمها والسير بها قدما .

مثل اسرائيل التي اعادت لغة ماتت منذ ثلاثة آلاف سنة واعادت لها هيمنتها على استيعاب كل العلوم والفنون والسير بها الى الامام ، وكما يحدث في اليابان والصين . وكما حدث ذلك في حضارة الحضارة الاسلامية عند بزوغها فانها لم تثبت قليلا الا وقد استوعبت في اللغة العربية الفصحى في لغة تحطمان كل العلوم اليونانية بكل فروعها من هندسة وطب وفلسفة وما استمرار اكاديميات وجامعات البلاد العربية في الاستعمار المفرط للغات الاجنبية في نشر العلم الاضعفا وتخلقا .

ويرى الكثيرون ان التعارض بين العلم والدين في الغرب مرجعه الى

خطا تفسيرات الدين المسيحي التي حملت الى أوروبا وعجز الغرب عن فهم حقيقة الاسلام .

ويقول أحد الباحثين الأجانب ان الدين ( المفهوم عبادة الله وتطبيق منهجه في الحياة ) لا يكافح العلم والتكنولوجيا وان الاسلام لم يكن المقصود بالثورة عليه اiban النهضة الأوروبية انما الذي كان مقصودا هو الدين الكهنوتي الذي لم يكن هو الدين الالهى . وانما كان ديننا مشوها تعرض له الاسلام بالرد والنقد قبل ان تثور عليه أوروبا ، غير ان أوروبا لم تكن على علم كامل بنظام الاسلام ولا بموقفه من الأديان السابقة عليه .

وفي مفهوم الاسلام ان مهمة العلم ومهمة الحضارة هي تحقيق استخلاف الله للإنسان في الأرض واقامة المجتمع الرباني ، ويصور هذا المعنى واحد من اعلام الاسلام حين يقول :

— معنى الاستخلاف هو دوام الصلة بين الله تبارك وتعالى وبين مستخلفه ، ومن أهم عوامل ذلك ان الله أودع في الانسان علما ( وعلم آدم الأسماء كلها ) عجزت عنه العوالم الأخرى ، فالانسان بمقتضى هذا العلم مرتبط بالله وحده وفي نفس الوقت يخلف بهذه الميزة عن خلق الله ، فقد اعطى قدرة عمران الأرض ، وذلل الله تبارك وتعالى له هذه المهمة ، وقد عمر الأرض ولم تغترسه وجوشها وفض باطن الأرض وكشف كنوزها ومخزورها ونجح في مهمته وذلل الله له وسائل الغوص في البحار والصعود في الهواء .

وكان من الطبيعي في طريق هذه المهمة ان لا يغلب الجانب المادي فيها على الروحي ، او الروحي على المادي ، ذلك لان تغلب جانب على جانب من شأنه ان يخرج الانسان عن طبيعته وفطرته وعن مهمته ايضا .

ولكن الانسان في القرون الثلاثة الأخيرة : خرج على الفطرة وأعلى الجانب المادي ودفع القدرات العلمية وبذلك فقد خرج الانسان على أمانته ورسالة استخلافه الى القتل والابادة وتفجير القنابل والحروب المبيدة ، وأصبح يعرض نفسه للهلاك وفق سنن الله تبارك وتعالى التي عصفت بالحضارات القديمة التي غلبت الحياة المادية على التوازن الجامع بين الروح والمادة وانسلخت بذلك عن ميثاق الاستخلاف .

« وأتل عليهم نبأ الذين آتيناہ آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الفاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخذ الى الأرض وأتبع هواه » .

والواقع ان الاتجاه بالانسان الى الروحية ، والى النرفانا والى الرهبانية والى اعتزال الحياة ليس هو الوضع الطبيعي .. واتجاه الانسان الى المادية والى الاباحية والى وجهة الاستعلاء المادي بالقوة التكنولوجية ليس هو الوضع الطبيعي .



ومن هنا فإن البشرية قد عرضت نفسها اليوم لانتفجار ضخم ، ولذلك فإن دخول المسلمين الى ساحة التكنولوجيا والعلم التجريبي مجددا ، انما يجب أن يكون بمفاهيمهم الأصلية حتى يحملوا مسئولية الاستخلاف وفق أصولها الحقّة وبذلك ينقذوا البشرية من أزمة التدمير ويوجهوا العلم والحضارة والمجتمعات الى رسالة السماء ويحركوها تحت راية القرآن .. ومفتاح التحول بسيط ويسير .. هو معرفة القوة القادرة وراء الظواهر ..

هذا العلم في أعلى درجات تفوقه يجب أن يقدم للبشرية على أنه عطاء الله تبارك وتعالى ، وأن الحق وحده هو الذي هدى العقل البشرى الى اكتشافه فلا استعلاء بالاكشاف ولا هو ما أوتيته على علم عندي وانما هو عطاء الله ، ولذلك فيجب أن ينسب اليه أولا ثم توجه ثمرته وفق النظام والهدف والرسالة التي فرض الله على البشر أن يحملوا ويتوجهوا بها الى بناء المجتمع الرباني وحضارة التوحيد دون استعلاء على البشر ودون تفرقة بين الأجناس والألوان ، وليكون هذا الخير الانساني كله مذكرا لكل انسان فوق سطح هذا الكوكب بالمعدل والحق .

إن الله تبارك وتعالى هو الذي هدى الانسان الى هذه الثمرات والى ذلك الكشف العجيب ، في أعماق البحار وتحت الثرى وفي قلب الصخور والجبال ، وهو الذي مكّنه من أن يكتشف هذه الثروات ليذلّها للانسانية في إطار الرحمة والاخاء البشرى .

أما هذا الاعراض والاستعلاء الذي يعيشه المجتمع الغربي وحضارة الغرب وادعاء أن العقل البشرى هو الذي اكتشف ووصل ، هذا الغرور ، ثم هذا الاتجاه لمعطيات الله الى الانسداد في الأرض والتدمير هذا البطر الشديد .

فلنعلم ولنؤمن بأن الله تبارك وتعالى هو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، لحظة بعد لحظة ، وأنه هو الذي أذن لهذه الكشوف أن تجتلى : « **ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء** » .

ومن شأن هذا العطاء الكبير أن يشكر وأن يتوجه الى طريق الله ، لا أن يكون أداة للإباحية والجنس والفسق والفساد والتدمير ، وأن يكون قاصرا على أمم دون أمم .

ثم على الأمم أن تعرف حق الله في هذا العطاء الوافر وفي هذه الملايين والبلايين بحيث لا يبقى في هذه البشرية فقير أو محتاج وأن لا يكون أمر دولة بضعة الوف من أصحاب الملايين الذين يقيمون إمبراطورية الربا . وهذه هي أمانة المسلمين ورسالتهم ومسئوليتهم في كل العصور والأزمان .

إذا كان اليوم يحمل المشاكل ، فالله عنده الوف الحلول التي سيقدّمها لك غدا ، ربما قد يعجز عنه عقلك المحدود ، وإذا كنت ترى شيئا أوصدت دونه كل الأبواب أمامك وتخلّى فيه عنك كل الناس فإن الله تبارك وتعالى

• يفتح أبواب السماء فيجيب المضطر إذا دعاه وإن كنت صاحب حق وتقول  
لك الدنيا كلها أنه لا أمل لك في الحصول على حقك ، فإن الله سيساعدك  
يقينا في الحصول على حقك المسلوب . أن الله ( تبارك وتعالى ) هو الأمل  
الكبير في هذه الدنيا الذي يفتح الأبواب ويمحو الظلمات ويذهب الحزن  
ويبسج الدموع ويداوى المرضى ويعطى من رحمته ما يمسح به شقاء الدنيا  
كلها .

• إذا أحاط بك الظلام فإن الله نور السموات والأرض قادر على أن يبدد  
الظلام مهما كان شديدا ومهما كنت تراه بلا نهاية .

\*\*\*

## الباب الثاني عشر

### مصابيح على الطريق

- ١ — مصابيح على الطريق .
- ٢ — في مواجهة دعوى الصهيونية الباطلة !! .
- ٣ — المسلمون ثلث سكان العالم .
- ٤ — هل فقد سارتر ظله ؟ .
- ٥ — احدى نسخ التوراة يذكر فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٦ — نعم الاسلام دين ودولة وعبادة .
- ٧ — الاسلام امام تحديات العصر .
- ٨ — انتحار علماء الانتحار .
- ٩ — النعالي وكلمة هانوتو التي صنعت منه زعيما .
- ١٠ — الرجل الذي كشف عن خبيثة الغزو الثقافي .



## مصباح على الطريق

روى الإمام أحمد في مسنده أن تميم الداري قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

**« ليلفن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا دخله هذا الدين يعز عزيزاً ويذل ذليلاً ، عزاً يعز الله به الإسلام وذلًا يذل الله به الكفر » .**

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح : أن الله زوى لى الأرض مشارقتها ونفاريها وسيلغ ملك أمتى ما زوى لى فيها .

وما رواه أحمد عن تميم الداري يؤيده ما رواه عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

لا يبتى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا دخلته كلمة الإسلام يعز عزيزاً ويذل ذليلاً ، أما الذين يعزهم الله فيجعلهم من أهله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق ( رواه أحمد ) .

### قال الشيخ حسن الطويل :

كان خرسطافورس جباره يحاول اقناع بعض أهل الراى بالتوفيق بين الإسلام والنصرانية على ما هو مشهور فى كتبه التى نشرها وقد زار العلامة الحكيم الشيخ حسن الطويل رحمه الله وطلب اليه أن يساعده فى مسعاه للتوفيق بين الديانتين .

فقال له الشيخ الطويل : أنا أعرف أنه يوجد دين اسمه الإسلام وله كتاب معلوم ولا أعرف ديناً اسمه النصرانية فهل لهذا الدين كتاب معلوم ككتاب الإسلام فقال : نعم له كتب هى الإنجيل الأربعة .

فقال : هل أنزلت هذه الكتب على صاحب الشريعة النصرانية كما أنزل القرآن على صاحب الشريعة الإسلامية ؟ .

فقال : لا . هذه كتب كتبها تلاميذه من بعده ضمنوها سيرته وأقواله .

قال الشيخ الطويل : سم لي بعضها .

قال : أنجيل متى . قال الشيخ : بأى لغة كتب متى أنجيله .

قال : بالعبرية .

قال : هل توجد النسخة العبرية التى كتبها متى أو صورة منها ؟ .

قال لا : ولكنها ترجعت الى اليونانية .

قال : ما اسم الذى ترجمها ؟ .

قال : هو غير معروف .

قال الشيخ : كيف اصدق ان هذه النسخة اليونانية تطابق الأصل العبرانى الذى كتبه متى . ولو كانت النسخة العبرية موجودة لأمكن معرفة ذلك أو لو كان المترجم معروفا لتيسر معرفة مبلغ الثقة به فأما والنسخ العبرية غير موجودة والمترجم غير معروف فلا أسلم بصحة نسبة هذا الانجيل الى متى .

نبهت خرسطافورس وقطع الحديث .

بين الأعمشى والنابغة :

قال الأعمشى :

لنا الجففات الغر يلعبن فى الضحى

واسيافنا يقطرن من تجدة دما

ولدنا بنى العتقاء وابنى محرق

فاكرم بنا خالا واكرم بنا ابنها

قال له النابغة : انك لشاعر لولا انك قلت عدد جفناك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . انك قلت الجففات فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر وقلت يلعبن فى الضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ مديحا لأن الضيف بالليل أكثر طروفا وقلت يقطرن من تجدة دما فدللت على قلة القتل ولو قلت يجرين لكان أكثر لانتصاب الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . فقام الأعمشى منكسرا منقطعاً .

## الفتية المغرورون :

كانوا ثمانية من شباب العرب خرجوا من لشبونة في مغامرة رائعة فقد اشتركوا مركبا حملا وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم الأشهر ثم دخلوا البحر كما يقول الأديبي في أول هبوب الرياح الشرقية ، فجروا فيه نحواً من أحد عشر يوماً فوصلوا إلى بحر غليظ الموج ، كدر الرياح ، كثير الصخور ، قليل الضوء ، فأيقنوا بال تلف غردوا قلاعهم في اليد الأخرى ، وجروا في البحر ناحية الجنوب اثني عشر يوماً فخرجوا إلى جزيرة الغنم فبيموا إليها ونزلوا فيها فوجدوا عين ماء جارية ، وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم ففبحوها فوجدوا لحومها مرة ثم ساروا إلى الجنوب اثني عشر يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث فقصدها إليها ليرى ما فيها ثم حملوا في مركبهم إلى مدينتهم على ضفة البحر فنزلوا بها في دار غراوا رجالا شقرا شعورهم بسيطة وهم طوال القدد ولنسائهم جمال عجيب فاعتقلوا في بيت ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم العربية فسألهم عن حالهم وغيم جاءوا وأين بلدهم فأخبروه ثم أحضروا أمام الملك فقالوا أنهم اقتحموا البحر ليرى ما فيه من الأخبار والعجائب ويتقوا على نهايته ثم عمر بهم زورق عندما بدأ جرى الرياح الغربية ، وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر ثلاثة أيام ليلاليها حتى جاء بهم إلى البر فأخرجوا وكفوا إلى خلف وتركوا بالساحل إلى أن طلع النهار فاقبل القوم عليهم فحلوا وثاقهم وكانوا برابر وقال لهم أحدهم : أتعلمون كم بينكم وبين بلديكم ؟ قالوا : لا . قال : مسيرة شهرين . ثم استطاع الفتية المقتحمون العودة إلى لشبونة ويرجع أنهم وصلوا إلى مقربة من جزائر — أزور — غربي البرتغال .

## كتيبة الأهوال :

عندما وصل سعد بن أبي وقاص إلى شاطيء دجلة وجد على مد البصر المدائن في عظمتها ومقر كسرى الأبيض في بهائه ، وانتهى الرأي أن يعبر مع رجاله على خيولهم وتقدم عاصم بن عمرو مع ستمائة من أهل النجدة فساروا حتى بلغوا شاطيء دجلة يريدون أن يعبروا أولا ليحموا الفراض من الجانب الآخر ، فلما وجد بعض رجاله يترددون تلا قوله تعالى :

( وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ) .

ثم رفع رأسه فاعتحم النهر واعتحمه زملاؤه ، فلما رأى التعقاع بن عمر الكتيبة الأولى تتقدم في سبجها ونظر فاذا الفرس في الجانب الآخر يتأهبون لردّها ، أمر سائر أصحابه الستمائة فندفعوا خيولهم إلى النهر فدخلوها كما دخله عاصم وأصحابه وتولى الفرس العجب لهذا الصنيع فلما رأوا عاصم وأصحابه يتوسطون النهر أرسلوا فرسانهم لينعومهم من الخروج وليقاتلهم في الماء ورأى عاصم ذلك فقال لأصحابه : الرماح الرماح اشروعوا وتوخوا العيون .

وخرجت كتيبة الأهوال سالمة .

## الكرامة :

قال ابن عجيبة : الكرامة الحقيقية هي الاستقامة على الدين وحصول كمال اليقين أما خوارق العادات الحسية فإن صاحبها الاستقامة ظاهرا أو باطنا وجب تعظيم صاحبها لأنها شهادة له بالكمال الذي هو فيه .

## من حدود الصين الى منابت الزيتون :

عندما بلغ قتيبة بن مسلم حدود الصين على رأس جيش كثيف ارسل الى ملكها وقد أعاده الملك ساخرا وقال له :

قولوا لصاحبكم ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه والا بعثت عليكم من يهلككم قال هبيرة : كيف يكون قليل الاصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون — الشام — وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا وغزاك ، أما تخويفك أياتنا بالقتل فإن لنا أجالا اذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه أو نخافه .

هناك بعث لهم الملك بتراب بلاده ليطأه قائدهم وبعض أولاده ليختتمهم ودفع له الميرة .

## خاتمة المأمود :

لما اشتد حصار جيوش المسلمين لبيت المقدس سنة ٦٣٦ م اطل البطريرك صفروينوس على المحاصرين من فوق أسوار المدينة وقال لهم : انا نريد أن نسلم ولكن بشرط أن يكون التسليم لأمركم فقدموا له أمير الجيش فقال لا : إنما نريد الأمير الأكبر . نريد أمير المؤمنين . فكتب أمير الجيش الى عمر ابن الخطاب يقول : ان القوم يريدون تسليم المدينة لكنهم يشترطون ان يكون ذلك لديك شخصيا فقدم اليهم عمر فسلموه مفتاحها ..



## في مواجهة دعوى الصهيونية الباطلة !!

لا تزال الأقلام الصهيونية تثير شبهة القول بتناقص الموارد الطبيعية الموجودة في الأرض بالإشارة الى زيادة عدد سكان العالم وهي شبهة باطلة لأنها تصدر عن طريق اخفاء الحقائق الموجودة بين ايدي العلماء من ناحية وهي باطلة لأنها لا تحيط بأبعاد الحقائق العلمية والتاريخية في هذا الكوكب .

وقد سبق لواحد من العلماء في أوائل القرن العشرين اقامة معادلة استخلص منها نقص الموارد الطبيعية بالنسبة لتزايد عدد السكان وهو ( مندل ) وقد استخدمت هذه النظرية لافساد عقائد الناس وإثارة الشبهة حول ضيق الأرض بالناس وعجزها عن إعطائهم رزقهم ، ثم انفجرت قضية الطاقة والنفط فغيرت مجرى الحياة البشرية اقتصاديا واجتماعيا ووسعت آفاق الاختراع والصناعة وأحدثت رخاء ماليا واقتصاديا ضخما نصف نظرية مندل نسفا تاما .. واليوم وهذه الدعوى الباطلة المضلة التي تقول ان الموارد البشرية الموجودة الآن لا تكفي البشرية التي تنمو نموا متزايدا ، وخاصة في العالم الاسلامي تكشف المعلومات عن حقائق جديدة وتقول الأبحاث ان في أعماق المحيطات ثروات بعضها معدنية تكفي احداها احتياجات العالم .. الف سنة أخرى ، فقد أشار التقرير الى ان في قاع المحيط حصوات اتضح انها صخور غنية بالمنجنيز : ذلك المعدن الذي يؤدي دورا هاما في صناعة الصلب حيث توجد كنوز من المعادن الثمينة في الاغوار في انتظار استخراجها والى مادة المنجنيز التي تكفي احتياجات العالم ٥٠٠ الف سنة توجد كنوز الفوسفات في قيعان البحار . المنجنيز للصناعة ، والفوسفات للمخصبات الزراعية والأسمدة .

وتقول التقارير ان هناك ملايين الأطنان من الكرات المعدنية من الجديد والنيكل وهي بقاءا شهب ونيازك ارتطمت بالبحار على مدى آلاف السنين . هذه كنوز المحيط التي لم تستكشف بعد والتي تنتظر من يستخرجها .

ولا ريب ان هذا التقرير يصدق القاعدة الاسلامية الاقتصادية التي تقرّر « قانون الوفرة » الذي يشمل غذاء أهل الأرض حيث يرث الله الأرض ومن عليها ..

## الأمة الوسطى والتأثير عليها :

في تقرير كامبل بترمان ، الذي أعد عام ١٩٠٧ بعد اجتماع مجموعة كبيرة من علماء السياسة والاجتماع الغربيين لبحث وسيلة استمرار النفوذ الأجنبي على العالم الاسلامى ما يلى :

● ان الخطر الحقيقى الذى يهدد الامبراطوريات الاستعمارية يكمن فى الشعب الذى يقطن الشواطىء الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط لان لدى هذا الشعب صفات تميزه عن باقى الشعوب من حيث انه تجهه عوامل قومية واحدة ، كما ان له حضارة قديمة استطاعت ان تقوم بدور كبير فى تطوير الحضارات الانسانية وان وحدة هذا الشعب فى حركة واحدة تعتبر تهديدا خطيرا لمصالح الامبراطوريات الاستعمارية وخصوصا ان هذا الشعب يسيطر على منطقة حساسة من مناطق العالم ، وهى منطقة الشرق الأوسط ، التى تعتبر الطريق المؤدى الى المستعمرات فى آسيا والشرق الأقصى ، وانه من الضروري الإبقاء على هذا الشعب فى حالة نفثت انتفاء لخطره .

## النتيجة :

● اول من اشار الى النفط العلامة القزوينى فى كتابة عجائب المخلوقات : انه يطفو على الماء ومنه أسود ومنه أبيض . وقد يتصاعد الأسود بالقرع والانبىق فيصير أبيض ينفع فى وجع المفاصل والفالج وبياض العين والماء النازل منها .

## نظرية فرويد تصاب بصدع جديد

لا تزال نظرية فرويد فى النفس موضع نقد ومراجعة من أجيال متوالية من الباحثين وذلك بعد أن اختلف معه قرناؤه ( أدلريونج ) على الخطأ الذى وقع فيه باعلاء الجنس . وتكشف الكاتبة الفرنسية ( لوسى ايراجراى ) جانبا آخر من انحراف فرويد وذلك فى نظريته الى المرأة .. ونظريته المعتدة فيها ، وترد ذلك الى موقفه الخاص بالنسبة لنساء جيله وعصره ولفشله فى تفهم طبيعة المرأة ..

● الكتاب اسمه « المنظار الطبى للمرأة الأخرى » قالت ان فرويد عندما يتكلم عن المرأة يضع عقله ويشد شريط تحليله وينطقه ، فهو يشعر دائما أنه السيد ، وهو عندما يتكلم عن المرأة يتجه الى الرجال على أساس ان المرأة لا يجب عليها معرفة شيء من أمورها حين يناقش الرجال الموضوع ..

وتتساءل ايرجراى : لقد كانت المرأة عند فرويد لغزا عجز الرجال عن اكتشافه فليس من المستغرب تبعا لهذه القاعدة أن تبقى المرأة ( الأرض الموحشة ) فى علم النفس .. وقالت ان فرويد حاول فرض تحليل نظرى

على مسألة المرأة كان هدفه من وراء الوعي أرضاء غروره الذاتي وغرور سامعيه .

● وقالت أن فرويد لم يأت بشيء جديد سوى أنه صقل تحليلات أفلاطون إضافة إلى أنه لم يهتم بإبراز — العوامل الحضارية التي تفرق بين الجنسين وجيلة ما أورثته الكاتبة التي هي تلميذة من تلاميذ مدرسة فرويد أن فرويد ربما كان مريضاً ويعاني عقدة إزاء المرأة ، وأن هذا العجز عن فهم المرأة والتساؤل الضمني إزاءها يجعلنا نستنتج أنه وقع ضريح نساء قويات ، وبالتالي تركت هذه العلاقات في نفسه أسئلة لم يجد الجواب عنها حتى تحولت إلى لغز ، وأن قول فرويد أن المرأة لغز يعتبر سلباً لطابعها الإنساني .

### خبر عن طريق منظمة اليونسكو :

تقرر إجراء مسح علمي للترجمات في شتى فروع العلوم الأساسية والتطبيقية والإنسانية تمهيداً لعمل تنسيق يحول دون تكرار ترجمة الكتاب الواحد إلى اللغة العربية . . والواقع أن عملية الترجمة التي تمت في خلال هذه الفترة الطويلة قد وقعت في محاذير كثيرة أهمها عدم تقديم الكتاب المترجم للقارئ العربي . .

● ولا ريب أن ذلك كانت له نتائج خطيرة إذ ظن القارئ أن هذه الترجمات هي من قبيل العلوم التي لا تنقض بينها كان أغلب هذه الكتب من الفلسفات التي هي عبارة عن غروض يقدمها الكاتب أو الباحث لحل قضية أو مشكلة تتعلق بمجتمعه وعصره ، ولذلك فأنها عندما تترجم لا تكون صالحة للاستعمال في بيئة أخرى ، وخاصة في البيئة العربية الإسلامية .

ولقد كان من الضروري حين تقديم مؤلفات نيتشه وسارتر وفرويد وماركس وغيره أن يقدم للقارئ أرضية كاملة عن هؤلاء الكتاب وبيناتهم « وظروف المؤلفات التي كتبوها وشيء آخر أهم من ذلك هو معرفة وجهة النظر الإسلامية إلى هذه الموضوعات والقضايا جميعها ، ذلك أن للإسلام وجهة نظر في مختلف قضايا المجتمع والنفس والقانون ، والاقتصاد والسياسة » وأن مفهوم الغرب لهذه المعاني إنما يقرأ للاستضاءة به في التعرف على وجهات نظر الأمم والشعوب ذلك أن المسلمين ليسوا في حاجة إلى مناهج وأفدة في هذه المجالات وليسوا في حاجة إلى نقل أسلوب العيش الغربي .

\*\*\*



## المسلمون ثلث سكان العالم

أذاعت منظمة الأمم المتحدة احصائية حديثة تكشف عن أن المسلمين اليوم يشكلون ثلث دول العالم وأن الدول التي مازالت تقاوم الاستعمار هي : كشمير وفلسطين وإرتريا والصومال وأن عدد الدول التي تسكنها أغلبية مسلمة هي ٤٠ دولة أما الدول التي يتراوح فيها عدد المسلمين من ٣٠٪ إلى ٤٥٪ من مجموع السكان فهي ١٥ دولة عدا الاتحاد السوفيتي الذي يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من ٤٠ مليوناً والهند ٧٠ مليوناً وفي كل من يوغوسلافيا ( ٢ ملايين ) وتايلاند ( ٢ ملايين ) وبورما ( ٢ ملايين ) والفلبين ( ٤ ملايين ) .

وتقول أنه بدأت بعد معارك العاشر من رمضان مخططات جديدة لدراسة المجتمع الإسلامي أشارت إلى بعضها صحف الغرب التي قالت أهداها « تقوم معاهد في أوروبا وأمريكا للاستماع إلى العالم الإسلامي والكشف عن التيارات الجديدة منه لتحليلها ووضع الخطط اللازمة للقضاء عليها برغم أنها معاهد للدراسات الإسلامية مع أن الموجهين لها والمشرفين عليها كلهم من اليهود الصهيونيين المتطرفين في عداوتهم للعالم العربي والإسلامي بل للإسلام نفسه » .

والمعروف أن الصهيونيين يتولون كبريات المناصب الخاصة بدراسات الإسلام واللغة العربية في مختلف جامعات الولايات المتحدة وأوروبا وأن لهذه السيطرة أبعاداً الأثر في تطور دراسات الاستشراق على النحو الذي يمكن الصهيونية من موالاة خداع العالم بإكاذيبها ومفترياتها .

وقد برزت في الصحف العالمية أخيراً اهتمامات كبيرة لجامعات كولومبيا وهارفارد ونيويورك وبركلي ولوس أنجليوس بدراسة اللغة العربية . وأن أكثر من عشرة آلاف طلب أمريكي الآن يدرسون العربية واللغات الشرقية وأن ٩٩ طالباً حصلوا في العام الماضي على درجة الدكتوراه في اللغات الشرقية وفي مقدمتها اللغة العربية . . وجاء في تقرير خاص أن عدد اللهجات واللغات التي تدرسها الجامعات الأمريكية التي تستخدمها شعوب الشرق الأوسط هي ١٢ لغة ولهجة منها اللغة العربية الفصحى واللهجات المصرية والعراقية والسودانية والمغربية بالإضافة إلى اللغات التركية والفارسية والكردية .

كما اشار التقرير الى ان في جامعة برنستون ١٢ ألف مجلد ومخطوط عربي وفارسي وتركي وفي لوس انجلوس ٨٥٠٠ مرجع من هذا النوع أما في مكتبة الكونجرس فيوجد ١٢ ألف مطبوع .

وليس كل هذا الا عمل في طريق المخطط الاستعماري الذي يستهدف الاحتواء والتفريب ومزيذا من السيطرة على وسائط الفكر الاسلامي ومحاولة فهم الأمة الاسلامية للسيطرة عليها .

### دعوة لفهم العرب :

غير أن هناك في الصحافة الغربية محاولة أخرى يطلق عليها « دعوة لفهم العرب » وقد تردد هذا المعنى في عدد من الصحف الامريكية ، تقول جريدة بوست كريسانت ( من صحف ولاية وسكنسون الأمريكية ) بشرة الى الاخطار الكامنة وراء التحيز لاسرائيل وتجاهل ما أسمته ( المد المتصاعد لقوة العرب ) .

« لا يزال على أكثر الأمريكيين أن يعرفوا الحقائق وأن يقدروا الى أي درجة نحن بعيدون عن معرفة حقيقة ما يمتاز به العرب من قوة وحنكة ودراية والى أي حد ازدادت ضخامة صورة اسرائيل في نظرننا عن واقعها ، ولعلك بمجرد أن تذكر العرب تثير في اذهان الأمريكيين العاديين صورة من الجمال ( بكسر الجيم ) المغيرة ، والصحراء الجرداء وبمجرد أن تذكر اسرائيل تثير في اذهانهم صورة أخرى عن شعب مقولب الأفكار والآراء ذي نهط ثابت تقدمي وشجاع وأن هذا الشعب محاط من كل جانب بعواء البدو الرحل . » أن هذه الصورة زائفة ومضللة وغير صحيحة فالأبحاث الجديدة التي قامت بها جمعية دراسات الشرق العربي برئاسة استاذ التاريخ في جامعة كولورادو البروفيسور وليام جويسولد أثبتت أن القسم الأكبر من المشكلة هو على الأكثر في الكتب المدرسية البسيطة والقديمة والتي تستخدم في الأبحاث الخاصة بالشرق العربي في أكثر مدارس الولايات المتحدة .

فقد اكتشفت جمعية الدراسات الشرق الأوسطية أن أكثر هذه الكتب ملئ بالأخطاء وأنها ماضية في صياغة قوالب قديمة عن الأحوال السياسية والاجتماعية في العالم العربي كما أنها تتبالغ في تبسيط كثير من المواضيع المعقدة وتقفز الى النتائج متخطية الأسباب التي تجهلها ، بل هي تصل الى حد اصدار احكام أخلاقية على تصرفات الشعوب تحت ستار من واقع « التاريخ » ونحن نعرف أن مصدر ذلك هو سيطرة الصهيونية العالمية على مناهج التعليم في الولايات المتحدة وفي أوروبا أيضا في محاولة لاحتواء الفكر الغربي كله ، ولكن أحداث العاشر من رمضان قد مزقت هذا الستر وكشفت هذا الزيف على النحو الذي يبدو واضحا الآن في التعرف على الحقيقة وفهم العرب فهما جديدا وقد دعا البروفيسور جويسولد الى التحرر من المسلمات القديمة التي عفى عليها الزمن ودعا الى الفهم الصحيح للواقع في منطقة الشرق العربي .

وقال ان هناك نصيبا وافرا من التمويه في مسألة اهل فلسطين الأصليين

ممن يطلق عليهم اسم اللأجئين وقال : أن في وسع الأمريكيين أن يفهموا بصورة أفضل أسباب غضب اللاجئين الفلسطينيين ونقمتهم عما يقال الآن للطلاب في المدارس الأمريكية أن العرب أقاموا ١٣ قرناً في الأراضي التي تحتلها إسرائيل في الوقت الحاضر .

وأشار الدكتور جويزولد الى ما أسماه بمؤامرة كبرى تجاه الراى العام الأمريكى ابتداء من التليفزيون وحتى مدرسة أيام الأحاد حيث أحيط بمعامل كثيرة من الظلم والإجحاف والأفكار الخاطئة التى تمنعه من أن يفهم حقيقة النزاع القائم فى الشرق العربى وتقدير مصالح أمريكا الحقيقية فى هذا النزاع .

ودعا الدكتور جويزولد ناشرى الكتب المدرسية وجماعة الميديا الأمريكية أن يقدموا أحدث المعلومات عن العرب وأبعدها عن التحيز والمحابة وأن عليهم أن يتقنوا على ما أسماه الفراغ الكبير الذى يدعو الى القلق والانزعاج « .

### • إيماءات مضللة :

هناك إيماءات وإشارات تصدر من بعض المؤسسات الثقافية العالمية فى محاولة لتصوير الفكر الإسلامى على أنه هو ذلك النتاج الذى قدمته الجمعيات الهدامة والمذاهب المضللة التى ظهرت فى فترة القرن الرابع الهجرى والتى وجهت ووجه انتاجها بالرد والتقنين والكشف عن زيفها ومحاولاتها الخطيرة لتحريف مفهوم الإسلام الصحيح ولا شك أن فى إثارة هذه المعلومات وإذاعتها اليوم ما يحقق هدف التفریب والغزو الثقافى ..

• ومن ذلك ما أصدرته مؤسسة اليونسكو تحت عنوان « الأديان العالمية » وهو كتاب ضخم يزيد عن ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ومع ذلك فإن ما أفرد للإسلام من بين الأديان السماوية والزائفة لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، ولا شك أن هذا يلقى فى روع القارى معنى معيناً حين يرى ديانة أرضية مثل البوذية أو الهندوكية تشغل عشرات الصفحات ، فضلاً عن أنها حين عرضت للإسلام لم تستكتب له الاصلاء من رجاله وانما عرضت له كدين عبادى له مواعظ أشبه بالزامير وأغضت اغضاء كاهلاً عن جوهر الإسلام بمفهومه الصحيح باعتباره منهج حياة ونظام مجتمع .

وقد أصدرت اليونسكو فى الشهور الأخيرة ما أسمته قائمة كتب تمثل أمهات الأدب العربى والفكر الإسلامى وقد ركزت على المؤلفات الآتية وكلها لا تمثل الأدب العربى أو الفكر الإسلامى بحال وانما هى من الدخائل الزائفة واليك أسماء هذه الكتب :

• مختارات من الشعر الصوفى للحلاج .

• قصائد مختارة لأبى نواس .

• مختارات لابن سينا .

● دليل الحائرين لموسى بن ميمون ،

● ألف ليلة وليلة .

● رسالة الغفران لأبى العلاء .

● كليلة ودمنة لابن المقفع .

وقد اطلقت اليونسكو على هذه القائمة أنها تمثل الأدب العالمى .  
ولسنا فى مقام التفصيل لهذه المؤلفات ( التى تحتاج الى مقام خاص )  
ولكننا نقول أنها لا تمثل الفكر الإسلامى أو الأدب العربى تمثيلا حقيقيا  
وأن الذين اختاروا هذه الكتب إنما تصدوا الى أهداف مسمومة خطيرة  
من ورائها ومن ذلك أن اختيار ابن المقفع وكتاب كليلة ودمنة إنما يستهدف  
فى الأغلب ( المقدمة ) التى كتبها الشعوبى الكبير فى نقد الأديان ومهاجمة  
الوحى والنبوة .

كذلك فإن كتابات الحلاج وأشعار أبى نواس لا يمكن أن تمثل أصالة  
الفكر الإسلامى أما ألف ليلة فهو كتاب فارسى قديم منذ قبل الإسلام لا يمثل  
صورة حقيقية للمجتمع الإسلامى الذى أنشأه القرآن على العفاف والرحمة  
والخلق ، وإنما أريد أن تقحم هذه المؤلفات على الفكر الإسلامى لتزييف  
الحقيقة ، أما ابن سينا فهناك وجهة نظر واضحة لصلته بالباطنية وهو مقدور  
فى نظر المسلمين كطبيب أما فى مجال الفلسفة فإن الأمر يختلف ، أما موسى  
ابن ميمون فهو زعيم اليهود الذى حدد لهم مفهوم التلمود ووضع لهم  
فى نظام جديد استغف به دعاة الصهيونية العالمية الحديثة . ●

\*\*\*



## هل فقد سارتر ظله

ما زال جان بول سارتر منذ وقف علانية في صف الصهيونية العالمية واسرائيل بعد أن خدع العرب طويلا . ما زالت الأقنعة تتكشف عن أخطائه وقصوره في مختلف ميادين الفكر التي كان قد سيطر عليها بالباطل سنوات طويلة حين ألقى بنور تلك الفكرة التي أحدثت مزيدا من القلق والتمزق والإغتراب في نفوس شباب العالم الغربي .

لقد أعلن سارتر أن نظريته في مواجهة الشيوعية وأنها تمثل النقص الذي انحرفت اليه الماركسية بقولها أن الإنسان ترس في آلة . ولكن سارتر عاد مرة أخرى فأعلن انتماءه للماركسية وقال أنه إضافة لها . لقد دعا سارتر شباب العالم إلى أكبر تحسد في حياته حين دعاه إلى الانطلاق بلا حدود ولا قيود إلى أخذ كل ما ليس من حقه في مجال الشهوات والأهواء والمطامع فكان بذلك خاطب ليل وعن طريق فكرة هذا تكونت تلك الخلايا الوجودية وطرحت ذلك الجبل الخطير الذي يطوف العالم من الهبيز .

ولا ريب أن وراء هذه الفكرة وذلك العمل مخططات صهيونية عاثية تريد أن تحقق هدفها في تدمير شباب العالم ومجتمعات العالم .

انه في عديد من قصصه يواجه الحقيقة الإلهية بزيغ كبير وجراءة قاسية تمثل قمة الإلحاد والاباحية وقد أثرت هذه الكتابات في شبابنا المسلم الذي لم يحصل على ثقافة إسلامية رصينة تحميه من هذه الأهواء والأخطار لقد ترك سارتر — وكامو — وغيرهم من كتّاب الوجودية ركابا مسموما ترجم بعضه إلى اللغة العربية وكان خليقا بالذين ترجموه لو كانوا حقا يؤمنون بأمتهم وعقائدهم أن يقدموا له بها يشرح ظروفه وتحديات تلك الأوطان والأبطال التي كتب فيها هذا كله . ولكن مع الأسف أن هذه القصص قد استخدمت لهدم معنويات شباب أمتنا .

تقول جريدة نوفيل أويسرفاتور — التي أجرت الحديث معه بمناسبة بلوغه سن السبعين : أن صورة سارتر تبدو مؤسفة وقد تبعث على الشفقة أنها صورة رجل يبحث عن حقيقة مطلقة . ولكنها أيضا صورة صرح يتهاوى . رجل عاش تناقضاته . لقد ظل سارتر دون موقف . أو تناسى مواقفه السابقة — الجزائر مثلا — وأنه احتار هل يمشي مشية الغراب أم مشية الحمامة . وحين فقد سارتر ظله نافق كيانات مزيفة وعنصرية

— إسرائيل مثلاً — تملك اتجاهات أيولوجية مدمرة وتسير في نهج مناقض للبياديء الحقّة .

### إعادة صياغة المناهج التعليمية وفقاً للعقيدة الإسلامية

كان من أقوى التوصيات التي لفتت أنظار العالم الإسلامي كله تلك التوصية التي أصدرها مؤتمر ندوة علماء المسلمين في الهند برئاسة العلامة السيد أبو الحسن الندوي عن التربية الإسلامية في البلاد الإسلامية عامة والعربية خاصة والدعوة إلى إعادة صياغة المناهج التعليمية وفقاً للعقيدة الإسلامية .

وهي دعوة تجيء في إبانها ووقتها بعد أن تبين للمسلمين والعرب النهج الذي سلكوه في التربية والتعليم وأخذوا من الغرب . هذا الأسلوب الوافد كُتبت له محائير وأخطاره وأثاره البعيدة المدى في النتائج التي حدثت خلال ربع القرن الأخير منذ بداية احتلال الصهيونية لفلسطين عام ١٩٤٩ إلى سيطرتها على القدس عام ١٩٦٧ . لا ريب أن هذه المناهج التي أنشأتها معاهد الإرساليات التبشيرية وتبنتها بعد ذلك المدارس الوطنية في أغلب أجزاء الوطن العربي والبلاد الإسلامية كانت مصدر غيبة روح الإسلام ومفهومه من مختلف مناهج التعليم ، بل لقد كان الإسلام يدرس إبان الاحتلال على أنه — دين عبادة وليس منهج حياة — وأن ذلك كان له أثره في بناء العقليّة والنفسية التي لم تستطع استيعاب التحديات الخطيرة القائمة وراء الاستعمار والصهيونية والماركسية وأخطارها .

### أول عربي وصل إلى الدنيا الجديدة

أشارت مجلة المورد إلى رحلة أول مواطن عربي إلى الولايات المتحدة وهو المواطن العراقي الياس الموصلي قام بهذه الرحلة عام ١٦٦٨ م حيث غادر بغداد إلى القدس فالحلب فالاسكندرية والبندقية وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وصقلية ومن أسبانيا ذهب إلى أمريكا الجنوبية استغرقت الرحلة خمسة عشر عاماً ثم عاد إلى أسبانيا عام ١٦٨٠ م .

### غاز الأوزون وصلاة الفجر

أعلن العلماء أن هناك ريحا تهب في ساعات الفجر تلطف الجو تلطيفاً مؤثراً يحس به الإنسان احساساً كاملاً ويتذوق خلوته وهي ريح لا شبيهة لها في أية ساعة من ساعات الليل والنهار .

هذا الغاز يطلق عليه اصطلاح ( غاز الأوزون ) الذي يرتفع بنسبة عالية في وقت الفجر ، وتقل تدريجياً حتى تضاهل عند طلوع الشمس ، له تأثيرات على الجهاز العصبي والمشاعر النفسية العميقة والنشاط العصبي والفكري . وقد أشار العلماء إلى أن غاز الأوزون تنشعب به الحويصلات والمسام وينتقل إلى الدورة الدموية .

وقد اتفق هذا مع ما دعا اليه الاسلام اهله من الحرص على صلاة  
الفجر . وما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : بورك لأمى فى بواكيرها .

### قال صاحب كشف الظنون

ان التأليف على سبعة اقسام لا يؤلف عالم عاقل الا فيها وهى اما شئ  
لم يسبق اليه فيخترعه واما شئ ناقص فيتمه او شئ مغلق فيشرحه  
او شئ طويل فيختصره او شئ مفرق يجمعه او شئ مختلط يترتبه او شئ  
أخطأ فيه مصنفه فيصلحه .

### قال جعفر الصادق

من أخرج الله من ذل المعاصي الى عز التقوى أغناه الله بغير مال  
وأعزه الله بغير عشيرة ومن خاف الله أخاف منه كل شئ ، ومن لم يخف الله  
أخافه الله من كل شئ ، ومن رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله منه  
باليسير من العمل ، ومن لم يستح من طلب الحلال خفت مؤنته ونعم اهله  
ومن زهد فى الدنيا أثبت الله الحكمة فى قلبه وانطلق بها لسانه ، وبصره عيوب  
الدنيا داءها ودماءها وأخرجها منها سالما .





إحدى نسخ التوراة يذكر فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم

كانت لدى شيخ العروبة أحمد زكي باشا نسخ قديمة من التوراة فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم ونحن نؤمن بأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم موجودة في التوراة والإنجيل المنزّلين من السماء ، ولكن هذه التوراة المصنوعة التي كتبها ( عزرا ) إبان السبي البابلي فاتها لم تخل من أشعار إلى هذه البشرية .

يقول الأستاذ أحمد زكي شيخ العروبة أنه حصل عام ١٩١٢ على نسخ من التوراة كانت لدى شلبي سامري من طائفة السامرة المتولة عن اقدم نسخة من التوراة تحتفظ بها طائفة السامريين المتولدة في مدينة نابلس .

ولما كانت مكتوبة بلغة لا أفهمها أوصيت صديقي نور الدين مصطفى بشرائها يقول : أثناء زيارتي لفلسطين ذهبت إلى جبل جرزيم بمدينة نابلس واجتمعت بصديقي شلبي وبطائفته وتمعدت مباحثاتي معهم ومع كبير كهنتهم اسحق بن عمران على الأخص .

وقال ان التوراة التي اشتراها مترجمة إلى العربية عبارة عن مجلد يحتوي على ٦١٥ صفحة من قطع الورق الصغير وهو لا يشمل سوى الأسفار الخمسة من التوراة لأن السامريين لا يعتقدون في صحة شيء من الأسفار المضافة إلى هذه الأسفار الخمسة .

وقال ان كل صفحات الكتابة مكتوبة بلغة عربية وقد تخللتها كتابات باللغة السامرية . العبارات المكتوبة بهذه اللغة هي التي تؤدي في معناها أسرار السامريين ولم يشأ مترجم التوراة أن ينقلها إلى العربية بل أبقاها سامرية كما هي ومن هذه العبارات جملة في آخر الإصحاح السابع عشر أي في الصفحة ٣٩ من الكتاب وقد كتب الكاهن السامري الأعظم بخط يده على هامشها عبارات رتبها كما يلي :

٩٢

بهاد      مباد      ( أي محمد )

أي جدا جدا .

ثم وضع فى ذيلها الجملة الآتية :

( انظر كيف أن الله فى كل كلمة من كلامه تعالى فيها أسرار مدموجة وآيات عظيمة ) .

حرره العبد الفقير اسحق الكاهن السامرى .

هذا ما أورده أحمد زكى باشا فى جريدة البلاغ فى ٢١ أغسطس ١٩٢٣ م .

### العودة الى الجذور :

لا يزال التغريبون فى العالم الاسلامى يتحدثون عن التقدم والتجديد والنهضة ويشترطون لتحقيقها الانفصال عن الماضى والقرات القديم . وتلك دعوى باطلة مسمومة ، وهم يرون أن الغرب يفعل ذلك وكذبوا فان كتاب الغرب جميعا يؤكّدون ارتباط حاضرهم بالماضى ويربطون الحضارة المعاصرة بالحضارة اليونانية الرومانية .

ويقول الكاتب الفرنسى ( ميشال بوتور ) فى حديث له فى بيروت :  
ان العودة الى الجذور لا تعنى أبدا التخلّف . والتكرار لا وجود له ،  
وان تكرار القديم يتم بشئ مختلف ونحن لا يمكننا الخروج من الزمن والتاريخ .

وهذا يعنى زيف دعوى هؤلاء المدعين وكذبهم .

### المغرب والتحول فى الاسلام :

ظاهرة جديرة بالبحث : هى ظاهرة التعرف الغربى على الاسلام من خلال البلاد المغربية ففى خلال عشرين سنة ما بين عام ١٩٥٥ - ١٩٧٤ أسلم فى المغرب ١٧٦٦ فردا من مختلف الجنسيات والديانات من افريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية وآسيا والولايات المتحدة الأمريكية . . ويأتى فى طليعة الذين يقبلون على الاسلام ، الفرنسيون اذ أسلم منهم فى تلك الفترة ٦٤٤ ويتبعهم الاسبانىون ٣١٩ ثم الألمان ١٢١ واذا كان لنا أن نقدّم أرضية للخبر فائنا نقول أن المغرب كان له اثر بعيد فى هذا المجال فان عددا من المفكرين الغربيين الذين اعتنقوا الاسلام كان المغرب هو مصدر تحولهم من هؤلاء الرسام الفيلسوف اتيان دينيه ، بل ان كتاب حياة محمد لأميل درمنجم قد كتب تحت تأثير الرغبة فى ايجاد تقارب بين الاسلام والغرب وكان درمنجم يقيم فى المغرب ويتصل بأهله .

## بلاد العرب :

وصف هيردوت قبل المسيح بنحو اربعمائة سنة - بلاد العرب - بأنها أغنى بقاع العالم وأنه كان في مأرب وسبأ قصور نظيرة ذات أبواب عسجدية وأبنية من فضة وذهب وسرر مرصعة بالجواهر .

وقال استرابون في روايته عن سد مأرب أن قصورها ذات ستوف ذهبية عاجية مرصعة بالحجارة الكريمة .

## الشخصية المحمدية :

احتفلت جامعة شيكاغو عام ١٩٦٠ بافتتاح قاعة محاضراتها الاسلامية تحدث الدكتور ديكان بلال مكنونالد فقال :

ان الشخصية المحمدية لا تزال بعد أربعة عشر قرناً مصدر المدد المتصل في تقوية المسلم ولقد أقام الاسلام بين أتباعه أخوة عامة قبل أن يوجد لها نظير بين أتباع الكنيسة الواحدة .



## أخطاء لغوية :

خطأ قول : كافة الناس والصحيح الناس كافة .

خطأ اضافة التابع الى متبوعه مثل فقلت نفس الشيء والصواب قلت الشيء نفسه .

خطأ استعمال الرضوخ بمعنى الخضوع : والرضوخ في اللغة بمعنى انقطع وانكسر .

خطأ استعمال لفظ العائلة على الأهل والأسرة . انما العائلة : انثى العيل . وهى البعير والصواب العيال .

خطأ استعمال السمك بمعنى الثقل نحو ثوب سميك . والسمك لا يكون الا في الارتفاع والعلو .

خطأ استعمال برهة للزمن القصير وانما هى للزمن الطويل .

على ساحل البحرين : كان أمين الرياحى فى السفينة الشراعية قاصدا  
ساحل الاحساء ، فأتقّل الهواء جفنه فنام قليلا ثم أيقظه صوت الملاحين  
وهم اذ ذاك يشتغلون فى قلب الشراع طوعا للريح ثم صوت الأذان قال :

وبرك أيها القارئ ما سمعت فى أنغام الليل أطرب منها الا ان يكون  
صوت المؤذن فى الخليج وهو يؤذن الفجر ليس فى صلوات الأمم كلها ادعى  
منه الى الورع والخشوع وقل فيها ما هو أجمل وقعا فى النفس من صلاة  
الملاح فى ظل الشراع .





## نعم الاسلام دين ودولة وعبادة

**قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في وصية وجهها إلى أبي موسى الأشعري إذ ولاه القضاء وهي وصية موجهة إلى المسلمين جميعا وإلى نخلة الأقاليم فيهم أولا وإلى أهل الفكر والعلم والبحث .**

« لا يمنحك قضاء قضيته بالأمس ثم هدبت فيه لرشدك أن تعود إلى الحق » وقد كانت هذه سنة جرى عليها المفكرون المسلمون في كل آن ، وموقف أبو الحسن الأشعري من الاعتزال معروف حين هجره وعاد إلى السنة ، وموقف الرازي في عودته إلى الحق حين كتب وصيته فسجل خطاه وعودته ، وفي العصر الحديث وجدنا الدكتور محمد حسين هيكل صاحب كتاب ( حياة محمد ) يكشف عن موقفه في مقدمة كتابه ( في منزل الوحي ) ويعلم عودته إلى أصالة الإسلام بعد أن تبين فساد المنهج الذي سار فيه والذي كان يستهدف ايقاظ العرب والمسلمين عن طريق بعث التراث الغربي وأعلن أنه وجد أن السبيل الوحيد للنهضة المسلمين هو كتابهم وستتهم وتاريخهم .

ولقد سار الأستاذ خالد محمد خالد في هذا الطريق زما تحت ضغط ظروف نفسية واجتماعية ظن معها أن الأسلوب الغربي الحديث : أسلوب الديمقراطية الليبرالية هو منطلق النهضة ، والى ذلك كثيرا ، واعتنق مفهوم « على عبد الرازق » الذي شق به وحدة الفكر الإسلامي حين ادعى في كتابه عن الخلافة أن الإسلام دين روجي لا علاقة له بالمجتمع أو نظام الحكم ، سار الأستاذ خالد محمد خالد في هذا الطريق بسنوات طويلة ثم كانت أوبته إلى الحق بطيئة متأنية ، فقد هجر هذا المفهوم ثمة وأولى اهتمامه في السنوات الأخيرة لدراسات عن الصحابة ورجال حول الرسول زما وقد اهتدى إلى ذلك بدعوة جاعته في ثوبه فأفرغته ، وقال الباحثون أن خالد قد عاد إلى الإسلام ، ولكن بعض المتعمقين كانوا يقولون : حتي يصبح موقفه من مفهوم الإسلام عابثا فان مفهوم الإسلام بوصفه دين عبادة وأن بعثة رسول الله كانت روحية خالصة ، كل هذا كان مفهوما زائفا دخل على المسلمين من مفهوم الغرب للبابوية والمسيحية وهي معان تحضتها حركة البقطة الإسلامية وزيت صلتها بالإسلام واليوم يجيء الأستاذ خالد محمد خالد فيعلن هذه الحقيقة فيقول : أرجو أن يجيء كلامي هذا تصحيحا لرأي أجدته من قبل في كتابي ( من هنا نبدأ ) إذ قلت يوما أن الدين لا يعنيه أن يكون دولة ولا يعنيه أن يتدخل في بناء الدولة ويبدو أنني كنت يوما

مثيراً بتصور مسيحي عن الحكومات الدينية ولا سيما تلك التي قامت تحت ظل الكنيسة في أوروبا في عصور الظلام ناسياً يومها أن الإسلام مختلف جداً وأن الدولة بشكلها ومضمونها كانت تعنيه إلى أبعد مدى ، وأنه خاطبها بمسئولياتها وفي الإسلام بالذات لا يمكن عزل الدين عن الدولة إلا إذا أمكن عزل الدين عن الدين ، فهو يدرك دور الدولة في الحفاظ على دين الله ويعلم أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ثم أنه وقد جاء يدعو الناس إلى الفخول في دين الله لا يمكن أن يترك الدولة تشكل عائقاً دون هذا الدخول . ومن أجل ذلك رأينا الرسول يبدأ بدعوة الملوك والباطرة ليحملوا تبعاتهم تجاه رعاياهم في إبلاغهم كلمة الله ودعوتهم إليها . ومن أجل ذلك أيضاً رأينا الإسلام ككين لا يكتفى بدعوة الناس إلى الصلاة والعبادة بل رأيناه ينظم للمجتمع وللدولة كل شئونها مبيناً للدولة مسالك الحق والعمل في حبل أعبائها ولا يغيب الإسلام أبداً عن أي شأن من شئون الحياة يريد أن يعرف رأيه فيها .

وهكذا استطاع ( خالد محمد خالد ) أن ينتصف من نفسه وأن يعود إلى الحق . ولا يمنع هذا من أن نذكر أن هذه الظاهرة موجودة في كل عصر فالإسلام دائماً له قوته وقدرته على استعادة كل من له قلب أو الفئ السمع وهو شهيد . ولقد كان ( مصطفى محمود ) أشد عنفاً في مواجهة الإسلام والدين ، وقد عاد إلى الحق ، وأن كانت مفاهيمه عن الإسلام لا تزال في بعض جوانبها في حاجة إلى تصحيح وعندنا أن الدكتور مصطفى محمود قد اعتمد على بعض المصادر غير الأساسية والأصيلة ولا بد من العودة إلى مفاهيم السنة والجماعة .

وعلى المسلم أن يكون قادراً دائماً على مواصلة البحث للوصول إلى الحق .

**رأى مصطفى صادق الرافعي :**

يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي :

لا ثقة لي بخلق لا دين له فإن الخلق يصله بحظ نفسه أكثر مما يصله بواجبات الناس ولا بفيلسوف ملحد لأن الفلسفة تمزجه بالمادة أكثر مما تمزجه بالإنسانية ولا بمصلح ينسلخ من الدين لأن إصلاحه صور من غروره ولا بعالم جاحد لأن علمه كهندسة الشوكة كلها من أجل آخرها ، أولئك لا يدرون أنهم من هذا العالم في حدود أغراضهم الصغيرة الفانية ، إذ كان كل منهم يتناول الكون من حيث يجب هو لا من حيث يجب عليه ، ثم يفسر الأشياء في جزء منها لا في مجموعها . ويعتبر الزمن عمر الفرد وهو تاريخ لا يموت وينظر إلى الغاية من الوجود كأنها داخلية في الحصد مع أنها لو حدث لبطلت أن تكون غاية لا تسو حياة الفرد إلا إذا كان جزءاً من كل ، ولا يجتمع الكل إلا إذا كان تاماً فيها هو كل به ، فالسبيل أن يدفع الفرد أبداً إلى خارج حدوده الذاتية الصغيرة ، وفكرة الكل هذه لا يضورها ولا يستوفي معانيها إلا الذين الصحيح إذا هو خرج بالفرد من شهوراته التي

تفصله من غيره إلى واجباته التي تصله بغيره ، وانتزاع له من ذاتيته إلى إنسانيته ودفع بالإنسانية نفسها إلى الكل الذي هو أسنى .

### المسلمون هم المصدر :

يقول الدكتور عمر فروخ : لو أن مؤرخي أوروبا في القرون الوسطى اطلعوا على مصنفات الأئمة المحدثين لما تأخروا في تأسيس علم ( الميثودولوجية ) حتى أواخر القرن الثامن عشر ، وبإمكاننا أن نصارع زملائنا في الغرب فنؤكد لهم أن ما يفاخرون به من هذا القبيل نشأ وترعرع في بلادنا ونحن أحق الناس بتعليمه والعمل بأسسه وقواعده أن القواعد التي وضعها الأئمة المسلمون منذ قرون عديدة للتوصل إلى الحقيقة في الحديث متفق في جوهرها واتجاهها مع الأنظمة التي اكتشفها علماء أوروبا فيما بعد في بناء علم الميثودولوجية .

حاشية : الميثودولوجية : هي الوسيلة المنطقية التي تدرس بها المعارف الإنسانية على أساس من الدرس والمنطق والبرهان .

ونقول ان الدكتور عمر فروخ جد متواضع فيما صوره من العلاقة بين الأثر والتأثر والحقيقة التي اثبتها كثير من علماء الغرب انفسهم ان الباحثين الغربيين قد اعتمدوا علم الحديث الإسلامي في انشاء مذهب التحقيق العلمي الحديث وانه لم تكن في ايديهم سواء من تراث يونان أو رومان أو يهود أو مسيحية ما يمكن ان يكون بذرة هذا العلم .





## الاسلام أمام تحديات العصر

يعمل أكثر المفكرين المسلمين في الحقل العالمى بدراسات اسلامية باللغات العالمية « الفرنسية أو الانجليزية » في مقدماتهم مالك بن نبي ورشدي فكر في هذه الايام .

صدر له بالفرنسية كتاب جديد هو ( تأملات في الاسلام ) تصفه جريدة العلم المغربية بأنه من المساهمات المفيدة في نشر الدعوة الاسلامية لدى الشعوب غير الناطقة بالعربية في افريقيا الغربية لبساطته وموضوعيته أما كتابه ( الاسلام وأدعيائه ) فيقول أنه يحدد المواقف الاجتماعية للمسلم انطلاقاً من القرآن . فقد طرح في أول البحث قضية المسلم الانسان ووصل الى القول بأنه ليس للاسلام أزمة أمام تحديات العصر وانما الأزمة أزمة الانسان والأزمة أزمتنا نحن فلا نحمل الاسلام دون دراية وزرنا ومطالبنا وتطلباتنا ومواقفنا البشرية فتعهم الأحكام ويعوم الصادق في الباطل غيتكم المسوء بلغة البريء ويتقمص الجاهل دور العارف والمنهور مكان العاقل ونفوس في سحب الغموض والالتباس . والاسلام بعد أربعة عشر قرناً من مسيرته الحالية يشهد العالم أنه قوى يعطائه صالح بوجوده صحيح ببقائه واستقراره ، سيد يكسب الأرض ويحقق النصر بمبادئه صامداً كالصخر اصيل في القلوب المتدافعة اليه من كل القارات .

ويصل الدكتور رشدي فكر الى القول : بأن القضية هي في كيف نفهم الاسلام ونتعرف عليه بما فيه وفاء له ، ثم كيف تعرف به وتدعو له بمقتضى المنهج الذى حدده وهو يعتمد على ( الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن ) ومن ثم يسهل علينا الاقتناع والحوار والاتفاق .

ومن اهم ما تعرض له الدكتور رشدي فكر قضية الفتنة الكبرى ودعا الى اعادة النظر في تاريخنا بعد أن لونتته الانتهاكات بصياغتها وطبعته بأهوائها وبصيته بأعراضها وخلفياتها وأضفى عليه المؤرخون من تنوعهم وأحاسيسهم ومعاناتهم مما جعله تاريخ المؤرخين لا تاريخ التاريخ فهو يقول أن اعادة النظر قد آن وأنها انطلاقاً من علمية التاريخ التى تعتمد منهجياً على استجواب التاريخ بهدف تصحيحه وغربلته مما غلق به من الأهواء وأنه لكى يمكننا أن نضع فلسفة تاريخنا الاسلامى العربى علينا أن نحدد علته وحتمية حركته بشكل واع بعيد عن المجازفات الفكرية التى تسلم بالنظرة السطحية لتسلسل التاريخ وعقوبته .



## انتحار علماء الانتحار

من الظواهر العجيبة في الغرب انتحار العلماء المتخصصين في الانتحار وقد زاد اتساع هذه الظاهرة في المجتمعات الصناعية المتقدمة خصوصا في الوحدات الحضارية ( المدن الكبرى ) بل واتخاذها طابعا وبائيا الى حد ما لدى بعض الفئات وكجرد مثال : فناني السينما وكذا ارتباطها ببعض الظواهر الأخرى وتداخلها معها كظاهرة الايمان على تعاطي المخدرات والجنس والخمر والميسر . وقد وصلت لدى بعض فئات النخبة المفكرة في مجتمعات الاستهلاك الى نوع من فلسفة الخلاص ، من مسيرة الحضارة المعاصرة وفي مواجهة تازمها وافلاس بعض مناحيها وغلبة روح التشاؤم الى ما يشبه الانتحار الجماعي بابرارهم للجوانب السلبية واصرارهم مع ذلك على السير في نفس المسيرة الاستلابية والفيلسوف ماركوز في مقدمة الدعاة الى هذا المفهوم .

ولكن الغريب كما يقول الدكتور رشدي فكار هو انتقال العدوى والوباء من الناس الى العلماء المعالجين لهم ، بمعنى انتحار العلماء المتخصصين في دراسة الانتحار وحدث مثال لذلك انتحار أحد كبار عمداء الدراسات الاجتماعية والنفسية في الولايات المتحدة .

والسر هو أن المعرفة العلمية الحديثة رغم عمقها واتساعها وتنوعها لم تستطع حتى الآن أن تغطي النفس البشرية الثقة في الحياة ، أو الأمن والطبائنية وسكينة النفس ، بقدر ما عمقت لديه عوامل الشك فيها وفي قيمتها .

ويقول الدكتور رشدي فكار ان الانسان الذي اتخذ من ارضاء رغباته واشباع غرائزه المادية هدفا لا شك سينتهي بانتهائه . أما الانسان الذي يرى أنه يعيش لما هو أسمى ، وان معرفته مهما تعمقت وعماضت فهي قطرة في محيط المعرفة الفائتة ، هو الانسان المتوازن الذي استطاع أن يوازن بين رغباته وقيمه ويعادل بين غرائزه ومثله .

ويقول ان انتحار عالم الانتحار جاكوب مورينو هو شبيه بوفاة علماء طب القلب بالقلب : لونها ، ووفاء الداعي الى أن عمل النحل يطيل الحياة ، لأن الانسان ليس بالمسائل المادية وحدها ، ولكنه بشيء آخر

يُضَاف إلى ذلك ويُستقَرَّ ، هو أن تكون وجهة الحياة لله وحده وأن يكون الإنسان في عمله وحياته ومماته لله :

( قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ) .

وهذا ما يعبر عنه رَشْدِي فِكار بغائية المعرفة . ويقول : « ان عليّة وجود الإنسان وما له وروحانيته لا تحدّد الا على مستوى ( غائية المعرفة ) التي لم تدرك بعد والتي هي رمز لعلم الله وكمالهِ العارف بكل شيء لانه هو الخالق لكل شيء » فالإنسان في هذه الحياة انما هو في سبيل قيام المجتمع الرباني ، وليس لاقامة مجتمع هواه ومطامعه . ولذلك فان العلم الذي يتعاطاه الإنسان ويشغف به هو العلم الذي يحاول أن يحقق به ترقّيه وسعادته ومنفعته الخاصة في الحياة وليس هو العلم الذي يراد به اسعاد البشرية ورحمتها وغفلها وسلامها وطبائنتها إلى حقها في معطيات الله الوافرة .

وان هذه المعطيات العلمية في الاكتشافات والاختراعات قد افسدت الإنسان افسادا لأنها تنقله إلى حياة الرخاوة والتميع والفساد ، والانحلال ، فلم يعد قادرا ليدفع عن نفسه التحديات الخطيرة ولأنه ظن أنه هو الذي استطاع أن ينشئ هذه المبتكرات وقال في ذلك ما قال قارون :

( انما أوتيته على علم عندي ) .

فلم ينسب هذا العلم ومعطياته لله بل نسبها إلى نفسه وقال : فان هذا الإنسان في هذا الخطر الذي يسير فيه يظلم نفسه ظلما شديدا ولا يحقق ارادة الله في بناء المجتمع ، لقد املطنا بنوء كذا وبذلك الرباني ولذلك فسوف تحق عليه كلمة « الاستبدال » .

« ويستبدل ربي قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم » .

« واليوم ننجزك ببندك لتكون لمن خلفك آية » ..

وصدق الله العظيم فان فرعون موسى الآن يوضع تحت أضواء شديدة للفحص عن الكسور التي اصاب بها في حوضه وفي ظهره ويمثل أمام الباحثين ليكون دليلا على صدق القرآن .

يقول الدكتور موريس بوكاي انه يعد الآن مؤلفا علميا ضخما عن الكتب السماوية وبالذات عن القرآن وعلاقتها بالعلم الحديث ، وهو لهذا قرأ القرآن واثار انتباهه ما ورد فيه من حقائق تطابق تماما ما وصل اليه العلم الحديث ، وهو يقول ان الزمن الذي ظهر فيه القرآن وما احتواه من حقائق يؤكد أنه لا يمكن أن يكون من وضع بشر ومن هنا فان حقائق القرآن يمكن أن تساهم ( والعلم الحديث يصدقها ) في الكشف عن أسرار ما زالت تحير عقل الإنسان ، ولكي يحاول الربط بين ما جاء في القرآن من حقائق وبين ما تقدمه العلم الحديث هداه تفكيره إلى البحث عن دلائل خاصة في قصة خروج موسى من مصر وقصته مع فرعونها .



وطبقا لما توصل اليه من حقائق فانه يعتقد أن فرعون موسى هو منفتاح  
ويدلل على ذلك بما ذكره علماء الآثار من أن الفرعون الذي كان يسخر  
الناس في بناء العاصمة الشمالية هو رمسيس الثانى والد منفتاح والذي  
ولد موسى في عهده .

ويعتقد أن ما وصل اليه بالكشف عن جثمان فرعون بادخال اجهزة  
العلم الى داخل جسمه يؤكد أنه هو الذى غرق .

ونقول ان أوروبا اليوم قد انتهى امرها في مفاهيم الكتب المقدسة وتعارضها  
مع العلم ، ولذلك فهي تولى وجهها شطر القرآن الكريم الذى اعتقد أنه سوف  
يعطيها ما تتطلع اليه من خير وسمو ..

( راجع بحث بوكاى في الباب الأول ) .

\*\*\*



## الثعالبي وكلمة هانوتو التي صنعت منه زعيما

عبد العزيز الثعالبي نموذج من زعماء العالم الاسلامى فى الفترة التى سبقت استقطاب الاستعمار للرجال وصناعة الزعماء وهو يقف فى صف واحد مع مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهم من الرجال الذين واجهوا الاستعمار فى غزوته حاول الفرنسيون اغراءه فعجزوا واقترحوا أن يقلدوه منصبا علميا على أن ينصرف عن الوطنية السياسية غرض وسافر الى سويسرا ومنها الى ألمانيا وتركيا ثم رحل الى الشرق وعاد الى تونس عام ١٩١٣ وأعلنت الحرب العظمى وهو على اتصال بالتونسيين فى الاسنانه وأوريا ودعا بعد الحرب مباشرة الى عقد مؤتمر لحل قضية تونس واختير زعيما بالاجماع وغوض للعمل باسمهم ثم سافر الى باريس للدفاع عن قضية تونس أمام مؤتمر الصلح ولكن الفرنسيين قبضوا عليه هناك وسجنوه وأرسلوه مخفورا الى بلاده بعد أن تغننوا فى تعذيبه . وفى عام ١٩٢٣ سافر الثعالبي فى رحلة جديدة الى أوروبا وأرض العرب فطاف بإيطاليا واليونان وتركيا ومصر وعندما أراد العودة منع فبقى فى مصر حتى عام ١٩٣٦ ولم يعد الى تونس الا بعد أربعة عشر عاما قضاه بعيدا عنها .

لم يكن الثعالبي زعيما سياسيا وإنما كان زعيما فكريا ومصلحا اجتماعيا وكان يؤمن بأن العرب قصروا فى أداء واجبهم وحماية الأمانة ومن ثم طغت عليهم الامراض الاجتماعية وقامت أوربا تنازعهم السيادة وكان يردد دائما أن تونس جزء من الأمة العربية وقد بسط الغزالي المنهاج العربى الذى رسمه ليقظة العرب وتحريضهم .

يقول الثعالبي : ان كلمة واحدة هى التى علمتنى العمل ، هى كلمة السياسى الفرنسى هانوتو : حين قال : ( وكيف كان المال فقد فصلنا بين شمالي أفريقيا والتاريخ العربى ) لقد أثرت فى هذه الجملة تأثيرا بالغا وصيبت على العمل لمقاومة هذه الفكرة والمحافظة على هذه الرابطة . ومن هنا كان منهجه فى العمل الفكرى الذى تصدى له : يقول : لنا فى ماضينا عبرة فلا نأسف عليه بقدر ما يجب أن نستفيد من الأغلاط التى ارتكناها فيه ، وبمها غالتنا الفوائل فانا لم نزل أمة قوية عزيزة الجانب لها تأثير فعال فى سير السياسة العالمية . أية قوة جبارة تستطيع أن تنفذ الى أعماق ضمائرنا فتتال منا كما تتال نفوسنا ، على الشرقيين أن يعملوا لاصلاح النفوس ومتى اصلحوها وثقفوها اصلحوها الشرق ، وهى لا تصلح بغير العلم الناضج

والتربية الصحيحة ولست أقول بالطفرة ولا طلب الحال ، أدعو الى التحول من الأعمال الفردية الى الجهود الاجتماعية واحداث الأنظمة لها والمؤسسات ، ان كفاح الأقوياء في هذا العصر لم يقم على الأفراد بل على جهود الجماعات والسبب في هزائنا هو اعتمادنا على مكافحة الفرد ، ذلك ما جعلنا ننهزم في الصدمة الأولى ، علينا أن نعرف العلم للتعليم والمال للمال ولا نتساحق كان نجعل الطبيب قاضيا والفقير مهندسا ، فان الشرق شرق لم يزل مشرق العظماء والكمالات والنور ولولاه ما ادرك الغرب الفضيلة ولا عرف الأديان ولا الفلسفة .

لقد استيقظ الغرب في الساعة الأخيرة التي غفا فيها الشرق فبزه وما عزه علينا اذا أردنا أن نعيد للشرق منزلته الأولى من التقدم أن نفتخر من الغرب كل جديد تجعل به وننبذ كل قديم رث عفاه الدهر وكفانا أن نحتفظ بالدين والأخلاق .

وأن الكشف عن ابعاد تاريخنا وفلسفة نشوئنا تستتبع العمل على توحيد مصادر الثقافة في البلدان العربية كلها مع العناية بتاريخنا وأدبنا والبحث عن العناصر الخفية التي اجتمعت لدين الاسلام وشعب الجزيرة ولسان العرب وتمكنت من هضم شعوب بأسرها واحالتها الى طبيعتها .

#### آخر العاود :

كشف أحمد زكي باشا شيخ المروية في المؤتمر الدولي الذي عقد في مصر عام ١٩٠٦ أن علماء العرب قد سبقوا الأوربيين الى اختراع طريقة الكتابة بالحروف البارزة الخاصة بالعميان فخلص كتاب نكت العميان في نكت العميان لصالح الدين الصفدي وقال انه يرجع الى ابن المشرق الفخر في وضع طريقة الكتابة بالحروف البارزة للعميان ( على بن أحمد بن يوسف ) المشهور بزين الدين الأمدى الذى فقد بصره في أول عمره وشرح طريقة معرفته لأثمان الكتب التى كانت في مكتبه بأنه كان كلما اشترى كتابا ألف ورقة على شكل حرف من الحروف والصقها في الكتاب وكانت هذه الحروف هى التى يستعين بلمسها على معرفة ثمن الكتاب وبهذا يكون ابن الأمدى المتوفى ٧١٢ هـ قد سبق ( برايل ) الى اختراع طريقة الكتابة للعميان بنحو يستمته سنة .



## الرجل الذى كشف عن خبيثة الغزو الثقافى

تتجدد فى النفس نكرى ذلك الرجل الكريم الذى حبل لواء الدعوة إلى الله سنوات طويلة بإعلان قرب مناقشة أطروحة الدكتوراه عنه فى جامعة الأزهر التى أعدها الشيخ محمود القافى : ذلك هو السيد محب الدين الخطيب الذى كان والسيد رشيد رضا أتتبه بفوضى رهان فى تجديد وبعث الفكر الإسلامى السلفى الأصيل الذى كانت تحرص المملكة العربية السعودية على وضعه فى يد المسلمين .

وما زلت أذكر كيف كنت أقصده فى الامسيات الصيفية فى مكتبته السلفية بشارع الفتح بالروضة خلال السنوات الأخيرة وهو فى الثمانين من عمره المحم وراء زجاج مكتبه وأتفا بجلبابه الأبيض أمام مجلد ضخم عرفت من بعد أنه صحيح البخارى وقد أخذ يراجع بعض نصوصه على كتاب آخر وجدته هو كما كان منذ رايته أول مرة قبل عشرين عاما ما زال مظهره ينبىء عن حيويته الدافقة ، لم يصرفه ارتفاع السن عن العلم والبحث والتنقيب فى مكتبته الضخمة التى كونها خلال خمسين عاما والتى بلغت مجلداتها ٢٠ ألف مجلد كان يمثل أبهى تاريخا حيا لقطاع من حركة اليقظة الإسلامية ، كان الرائد على ذلك الطريق الذى عبده الإمام محمد بن عبد الوهاب وسار فيه كثيرون .

مقلت له : ان روحك قد جذبتنى هذه الليلة فاننى أعيش فى آثارك من الفتح والزهره منذ عام كامل . وطن هو اننى اجامله بهذا الكلام .

قال : أنا مسكين .

قلت له : وهل ينسى لك التاريخ آثارك وأعمالك فى ميدانى الفكر والثقافة ؟

فطأطأ رأسه تواضعا وقال : أنا مسكين .

ولم افهم ما يريد بهذه الكلمة ولكنى أحسست بأنه ربما يعتقد أن بذله فى سبيل اللغة العربية واليقظة الإسلامية وخاصة انشاء الفتح وموالاتها أكثر من عشرين عاما كل أسبوع والاتفاق عليها من إيراد المطبعة وطبع عشرات من كتب التراث الإسلامى وانشائه جمعية الشبان المسلمين كل هذا لم يلق ما يستحق من تقدير .

ولكنى ما كنت أراجعه فى بعض آرائه وما كتبه فى مواقف مختلفة ،  
حتى سر وانشرح صدره وأحسن بأننى كنت صافقا فى حين حديثه حدى ،  
ولم أكن أتمد المجاملة .

كانت عيناه الواسعتان تبرقان وهو يحدثنى عن تاريخه الحافل وقد  
برزت من فتحة جلبابه الأبيض شعرات بيضاء وكانت قامة قد تقوست قليلا  
ولكنه كان ما زال قويا يبدو من وراء سنواته الست والسبعين روح رجل  
جلد قوى مجالد ، ولا زال وجهه يتدفق شبابا وقوة ولم تضعف قراءته  
المتوالية بصره وكان وهو يحدثنى عن ذكرياته يقوم بين لحظة وأخرى لينقل  
فى مكتبته الواسعة يحمل كتابا أو صورة أو وثيقة أو خطابا قديما مما  
يحدثنى عنه وكانت كل أوراقه ووثائقه حاضرة مرتبة .

ولقد كان السيد محب الدين الخطيب هو الذى فتح أعيننا على مخطط  
التبشير والتعريب والاستشراق والغزو الثقافى منذ وقت باكر حينما ترجم  
كتاب الغارة على العالم الإسلامى فى جريدة المؤيد قبل الحرب العالمية الأولى  
فوضع فى أيدى الباحثين وثنائق خطيرة لا تزال قادرة على الكشف عن أخطار  
التعريب .

وعبارته المعروفة : إنما أوتينا من جانب المدرسة والصحافة فهما اللتان  
كونتا رجالنا ومجاهدينا كما نرى ولن نتقى شر الانحلال ما لم تكن مدارسنا  
وصحفنا مؤسسة على مفهوم الإسلام ودعائمه من الوفاء لتاريخ الإسلام .



# محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة .....
٩	الباب الأول : القرآن الكريم .....
١١	الفصل الأول : قدم القرآن ٤ آلاف مسألة .....
١٥	الفصل الثاني : معجزة القرآن الكريم : مراجعة كتاب موريس بوكاي .....
١٩	الفصل الثالث : المؤامرة على القرآن الكريم .....
٢٣	الباب الثاني : التراث الاسلامي .....
٢٥	الفصل الأول : أصالة التراث الاسلامي .....
٢٩	الفصل الثاني : تراث الاسلام .....
٣١	الفصل الثالث : ٥ آلاف مخطوطة عن الفلك الاسلامي .....
٣٣	الفصل الرابع : رحلة الأرقام العربية الى أوروبا .....
٣٧	الفصل الخامس : لابد للعرب من نظام تصنيف أصيل .....
٣٩	الفصل السادس : هذه الحملة المسعورة .....
٤٣	الفصل السابع : زوايا خاصة من التراث العربي .....
٤٥	الفصل الثامن : احياء الأساطير الجاهلية .....
٥٠	الفصل التاسع : الاسلام هو الذى جعل المسلمين عظماء .....
٥٣	الفصل العاشر : سرقة التراث .....
٥٧	الباب الثالث : اللغة والأدب .....
٥٩	الفصل الأول : لغة القرآن .....
٦٣	الفصل الثاني : عام الفصحى لغة القرآن .....
٦٩	الفصل الثالث : لماذا دراسة اللهجات العامية .....

٧٣	الفصل الرابع : اللغة الهروغليفية
٧٧	الفصل الخامس : هذه الأمة الوسط
٨١	الباب الرابع : التاريخ
٨٣	الفصل الأول : سنريهم آياتنا
٨٧	الفصل الثاني : عدالة الفتح الاسلامى
٩٥	الفصل الثالث : الفردوس الاسلامى المفقود
٩٩	الفصل الرابع : ابن خلدون وابن الأزرق
١٠٣	الفصل الخامس : ظهور الاسلام علامة بدء العصر الحديث
١٠٥	الفصل السادس : يقظة العالم الاسلامى
١٠٧	الفصل السابع : عندما عرف الغرب حقيقة صلاح الدين
١١١	الفصل الثامن : مخطوطات كهف قمران
١١٧	الفصل التاسع : حول علاقة شارلمان وهارون الرشيد
١١٩	الباب الخامس : الحضارة الاسلامية
١٢١	الفصل الأول : فضل الحضارة الاسلامية
١٢٥	الفصل الثانى : مشعل الحضارة يعود
١٣١	الفصل الثالث : الاسلام يسبق الطب الحديث
١٣٥	الفصل الرابع : شمس الله تسطع على الغرب
١٤١	الفصل الخامس : مستقبل الحضارة الاسلامية
١٤٣	الفصل السادس : حقائق عن الحضارة الاسلامية
١٤٥	الباب السادس : عظمة الاسلام
١٤٧	الفصل الأول : هل آن للبشرية أن تعرف وجهتها
١٥٣	الفصل الثانى : مستقبل الاسلام
١٥٧	الفصل الثالث : الرسالة الجامعة
١٦١	الفصل الرابع : تبليغ الاسلام لأهل الغرب بلغاتهم
١٦٥	الفصل الخامس : اليوم اكملت لكم دينكم
١٦٩	الفصل السادس : لا تطلع الشمس كل يوم الا على مسلم جديد



## الباب السابع : رواد في كل الميادين ..... ١٧٥

الفصل الأول : لماذا كان الخليل بن أحمد هدفا للتغريب ..... ١٧٧

الفصل الثاني : الادريسي ..... ١٨٣

الفصل الثالث : البيروني ..... ١٨٥

الفصل الرابع : ابن ماجد ..... ١٨٩

الفصل الخامس : طارق بن زياد ..... ١٩٣

الفصل السادس : عباس بن فرناس ..... ١٩٥

الفصل السابع : الدورة الدموية ( ابن النفيس ) ..... ١٩٧

الفصل الثامن : المسلمون رواد الكيمياء ..... ١٩٩

الفصل التاسع : المسلمون مخترعو الكسور العشرية ..... ٢٠١

الفصل العاشر : عروبة دون كيشوت ..... ٢٠٣

الفصل الحادي عشر : المسلمون اول من اطلق الصواريخ ..... ٢٠٥

## الباب الثامن : رجال على طريق الأصالة ..... ٢٠٧

الفصل الأول : رجل من مكة ..... ٢١٠

الفصل الثاني : رجل من الهند ..... ٢١٣

الفصل الثالث : أبو الطيب المتنبي ..... ٢١٧

الفصل الرابع : عبد المحسن الكاظمي ..... ٢٢١

الفصل الخامس : أنا عضو في جامعة المسلمين ..... ٢٢٣

الفصل السادس : رجلان آمنّا بمسئولية الكلمة ..... ٢٢٧

الفصل السابع : رجلان من الدعاة الى الله ..... ٢٣١

الفصل الثامن : الرافعي والرافعيون ..... ٢٣٥

الفصل التاسع : الرافعي واعجاز القرآن ..... ٢٣٩

الفصل العاشر : الرافعيون ..... ٢٤٢

الفصل الحادي عشر : حقائق عشر في حياة اقبال ..... ٢٤٥

الفصل الثاني عشر : وانت ايضا : فهبت خطأ عن الاسلام ..... ٢٤٩

الفصل الثالث عشر : الدكتور محمد حسين هيكل ..... ٢٥٣

٢٥٧	الفصل الرابع عشر : فتى الأحقاف ( على أحمد باكثير )
٢٦٣	الفصل الخامس عشر : الرافعى : مدرة الاسلام
٢٦٧	الباب التاسع : عندما دخلوا الاسلام كانوا صادقين
٢٦٩	الفصل الأول : عندما دخلوا الاسلام
٢٧١	الفصل الثانى : تجربة اعتناق الغرب للاسلام
٢٧٣	الفصل الثالث : واجب كل مسلم
٢٧٥	الفصل الرابع : ماذا يحدث عندما تدخل المرأة الغربية فى الاسلام
٢٧٩	الفصل الخامس : الغرب يكتشف عظمة الاسلام
٢٨١	الباب العاشر : على طريق الأصالة
٢٨٣	الفصل الأول : الطريق الى الأصالة
٢٨٧	الفصل الثانى : فشل محاولة العلمانية
٢٩١	الفصل الثالث : عبرتان تكشفان عن فساد الفكر المادى
٢٩٥	الفصل الرابع : رفض المسلمون الذوبان
٢٩٩	الفصل الخامس : كل مؤامرات الفكر جاءت من الشعوبيين
٣٠٣	الفصل السادس : هل يستطيع الفكر الغربى أن يتجاوز
٣٠٩	الفصل السابع : التغريب فى دراسات الجامعات الأوروبية
٣١٣	الفصل الثامن : متى يتحرر العقل الإسلامى
٣١٧	الفصل التاسع : لماذا بروتوكولات حكماء صهيون صحيحة
٣٢٣	الفصل العاشر : منذ أربعين سنة : كشف التغريب خطته
٣٢٧	الفصل الحادى عشر : الشيوعية وليدة الصهيونية
٣٣٣	الفصل الثانى عشر : مؤامرة الصهيونية والشيوعية على العالم
٣٣٨	الفصل الثالث عشر : عبد الحميد وجمال الدين فى تقويم جديد
٣٤١	الفصل الرابع عشر : ظاهرة جديدة فى تاريخ الفكر الإسلامى
٣٤٥	الفصل الخامس عشر : علم النفس الإسلامى وعلم الاجتماع الإسلامى
٣٤٩	الفصل السادس عشر : عادوا الى الحق
٣٥١	الفصل السابع عشر : هؤلاء خدموا الأدب العربى

٣٥٥	الفصل الثامن عشر : وشهد شاهد من أهلها .....
٣٥٩	الفصل التاسع عشر : الشباب والعلم في المجتمع المعاصر .....
٣٦١	الفصل العشرون : مأساة المجتمع الغربى .....
٣٦٣	الفصل الواحد والعشرون : وسقطت التجربة الغربية المادية .....
٣٦٧	الفصل الثانى والعشرون : هذه تجربة المجتمعات العصرية .....
٣٦٩	الفصل الثالث والعشرون : البوجا : هذه الأكاذوبة الكبرى .....
٣٧١	الفصل الرابع والعشرون : هل من أريوس جديد .....
٣٧٥	الفصل الخامس والعشرون : جرجى زيدان .....
٣٨١	الفصل السادس والعشرون : اكذوبتان في تاريخ الادب العربى .....
٣٨٧	الفصل السابع والعشرون : طه حسين الرجل الذى سقطت دعواه .....
٣٩٧	الفصل الثامن والعشرون : هل هو حقا عميد الادب العربى ؟ .....
٤٠٣	<b>الباب الحادى عشر : يا شباب الاسلام .....</b>
٤٠٥	١ - يا شباب الاسلام .....
٤٠٧	مصاييح على الطريق .....
٤١١	٢ - الشباب المسلم مدعو للوعى لما يقرأ .....
٤١٥	٣ - مسئولية اصحاب الأتلام .....
٤١٩	٤ - لابد من نهضة اسلامية .....
٤٢٣	<b>الباب الثانى عشر : مصاييح على الطريق .....</b>
٤٢٥	١ - مصاييح على الطريق .....
٤٢٩	٢ - في مواجهة دعوى الصهيونية الباطلة .....
٤٣٠	٣ - نظرية فرويد تصاب بتصدع جديد .....
٤٣٣	٤ - المسلمون ثلث سكان العالم .....
٤٣٧	٥ - هل فقد سارتر ظله .....
٤٤١	٦ - احدى نسخ التوراه فيها اسم محمد .....
٤٤٥	٧ - نعم : الاسلام دين ودولة وعبادة .....
٤٤٩	٨ - الاسلام امام تحديات العصر .....
٤٥١	٩ - انتحار علماء الانتحار .....
٤٥٥	١٠ - الثعالبى وكلمة هانوتو .....
٤٥٧	١١ - الرجل الذى كشف خبيثة الغزو الثقافى .....

## هذا الكتاب

ما تزال صفحات « التراث الإسلامى » تضىء الحاضر والمستقبل ، وتكشف عظمة الدور الذى قامت به هذه الرسالة الخالدة ، والأجيال التى صنعها ، والأعمال الكبرى التى قدمتها للبشرية .. دفعاً لها على طريق « التوحيد » إلى الإنسانية ، وتحريراً لها من العبودية لغير الله تبارك وتعالى .

إن موروث المسلمين هو القرآن والسنة .. وعنهما صدر ذلك النتائج العظيم من التراث الحافل ، الذى نحاول فى هذه الصفحات أن نكشف بعض جوانبه ، وأن نقدم تلك اللوحات القليلة التى تستطيع أن ترد إلى قلوب شبابنا الإيمان بعظمة هذا الدين ، وبفضله على العالمين ، من خلال هذه البطولات فى مختلف ميادين الحضارة والعلم ، والحرب والسلام .. خلال أربعة عشر قرناً على يد هذه الأمة ، التى هى مطالبة اليوم بأن تقدم هذا الدين الخالد إلى البشرية جميعاً لتهتدى إلى ربها ، وتستضىء به فى ظلمات الأحداث التى تمر بها ، بعد أن اعتمد الإنسان على الفكر البشرى .. فأنحرف به الطريق ، ولم يعد أمامه إلا أن يعود إلى منهج الله تبارك وتعالى .. من أجل هذا كله يقدم لنا الكاتب والمؤرخ الإسلامى الكبير الأستاذ أنور الجندى هذه الصفحات المضيئة من تراث الإسلام ، لتكشف أمام النفس المسلمة آفاق الإيمان بعظمة هذا الدين الحق ، وببطولة رجاله والقائمين عليه ، وإيمانهم وإصرارهم على نصرته .. فإن من شأن هذا أن يملأ قلوب شبابنا بالثقة بعقيدتهم وآثارها ، فى الحضارة والمجتمعات ، فيعلموا أنه لا بديل لهذا الضوء الكاشف من فكر وافد أو منهج غريب .